

كَمَالُ مُصْطَفَى

الصَّحَافَةُ وَالْأَدَبُ
فِي تَحْيَايَا

كمال مصطفى

الصحافة والأدب
في سورية

الأهداء

الى الامم الغداة مسفرة الخالدة

هذه صفحات مشرفة من جواهر اجلك البار على ماهر باشا في سبيلك .
وهذه الصفحات هي ثمرة عمل شانه مجيد سره في اللبالي دون ان يسأم اذ بكل ، شغبا في سبيلك
من النفس والريلد والافضل والاصبر .
نأليك اندرها هدية مجيدة نقترين بها ونفخرين .

الى الابن النبيل الامني محمد علي ماهر

له مجيد الاباء ما يفخر به في الآباء مثل ما نجد في أبيك العظيم ، وهذه صفحة نامقة من هبة
الرائقة ، يعتر بها كل مصرى ، فلتكن مكانك للرجل الذي تزهلك بمجيد الابوة ، وعظيمة الاصل ،
ويشرف النسب : ان تقدم له في الهدى القصيب : صفحة نامقة من هباتك ، يعتر بها ويفخر ،
وبهذه تكون الابن العظيم للرجل الفذ العظيم .
لقد جعلك ابرك تفرد البرم : ليس لكل الناس أب كآبى . فاجعل هذا الاب البار
يقول في القيد : ليس لكل الآباء ابن مثل ابني .
وانه يحفظكم ويرعاكم

الغلام

كمال مصطفى

أغسطس سنة ١٩٣٨



كلمة المؤلف

مائة يوم . . .

مائة يوم لن تنساها مصر الخالدة أبد الدهر .

مائة يوم بعثت فيها وزارة على ماهر باشا ابتسامة العزاء ، والأمل
والرجاء في البلد المحزون !

مائة يوم تركت فيها وزارة هذا الرجل العظيم أثراً مجيداً لا تتركه
مائة عام .

ولا يطيق رجل واحد أن يتحدث في أكثر من ناحية واحدة
من نواحي ذلك المصلح الفذ ، فلا ترك مآثره في الاجتماع والسياسة
والعلم يسجلها الاجتماعيون والساسة والعلماء ، ولا كتف بالحديث عن
مآثره فيما يتصل بعمل في الصحافة والأدب والثقافة .

لقد أتاح لي عملي أن ألمس عن قرب مآثر ذلك الرجل العظيم ، وأن
أرى يده الكريمة القوية تطوق الصحافة والأدب بأعظم المنن ، وتبعث
فيهما الحياة . . . فاشتد إيماني بعظمته ، حتى حدثتني نفسي أن أسجل
من مآثره ما أعرف ، لكنني حبست هذه الرغبة ، فلم يزدها الحبس
والكتمان إلا قوة وعنفاً واقتداراً .

وهأنذا اليوم أكتب للمجد وللتاريخ : حديث الصحافة والأدب

في مائة يوم . . .

لأن مؤلفه

أغسطس سنة ١٩٤٨

تاریخ عظیم

تعودت الحياة أن تظهر في طفولة العظماء ما يبشر بعظمتهم ، وأن
تترك بوادى النبوغ المبكر تؤذن بما سيكون وراءها من عبقرية ومجد .

* * *

وأنا اليوم أقدم بين يدي كتابي ، بعض ما أعرف من تاريخ على
ماهر باشا حفظه الله ، وسيرى الناس أثراً من عظمته في الطفولة والصبا
والشباب ، وسيرون في فجر حياته إرهاباً بهذه العظمة التي نضجت
واكتملت ، فلفقت القلوب ، وأمالت الأعناق ، ووجهت الأنظار
وانحنى لها الرؤوس .

* * *

ولا يحتاج تاريخ رجل كعلى ماهر باشا إلى شرح أو تعليق أو تعقيب ،
حسب المؤرخ أن يسرد حياة هذا الرجل فيكون منها سجل رائع للمفاخر
قل أن يظفر بمثله سواه ! حسبه أن يؤرخ حياة هذا العظيم ، فتحدث
هذه الحياة عن عظمته أحسن ما يستطيعه أى قلم وأى بيان .

* * *

ولد حفظه الله فى ٢٩ نوفمبر سنة ١٨٨٣ ، وأتم دراسته الثانوية فى
المدرسة الخديوية ، ثم التحق بمدرسة الحقوق الخديوية ، وحصل منها على
الليسانس عام ١٩٠٣ .

* * *

اهتم والده المغفور له محمد ماهر باشا (١) بتربية أبنائه ، والعناية بتعليمهم ،
وتكوين خلقهم ، وغرس الفضائل وحب النظام فيهم ، فألحقهم في المدرسة
بالقسم الداخلي ، تعويداً لهم على الدقة والاعتماد على النفس ، فلما انتهوا من
دراستهم الثانوية ، ولم يكن بالمدراس العالية أقسام داخلية ، هياً لهم في
المنزل أسباب تلك الدقة ، ووسائل ذلك الاعتماد .

* * *

كان صاحب المقام الرفيع علي ماهر باشا ، منذ نعومة أظفاره ، مطبوعاً

(١) ولد رحمه الله في صفر سنة ١٢٧١ هـ ، ولما بلغ أشده ألحق بالمدراس
الابتدائية ، فتعلم فيها مبادئ اللغة العربية وقراءة القرآن الكريم ، وبعد اتمام
الدراسة الثانوية نقل إلى مدرسة المهندسخانة ، فكان قدوة حسنة لزملائه في
الجد والاجتهاد والحرص على الوقت ، وحسن المعاشرة ولين العريكة ودمائة
الأخلاق ، فاكسب محبة أساتذته واحترام أقرانه ، ولما نال دبلوم تلك
المدرسة انتقل إلى مدرسة أركان الحرب ، فأظهر من البراعة والمهارة والمحافظة
على النظام والقانون والقواعد العسكرية ، ما جعل رؤسائه ينظرون إليه بعين
الاعجاب والاحترام ، وفي سنة ١٨٧٤م عين ضابطاً في أركان جرب الجيش ،
لولعه بالخدمة العسكرية ، ثم انتدب في سنة ١٨٧٥ ضمن رجال حملة الكولونيل
كولستن لاستكشاف بلاد كردفان وخط الاستواء ، ثم عين حاكماً على
« بورولا توكا » من مديريات خط الاستواء ، ثم مديراً لدارفور وكردفان ،
وفي سنة ١٨٧٨ نقل إلى وظيفة وكيل مفتش في المساحة الجيولوجية بوزارة المالية ،
فسكت بهذه الوظيفة إلى أن انتهت الثورة العراقية ، ثم أعيد إلى الجيش وألحق
بالأورطة الثالثة ورفق إلى رتبة « صاغ قولا غاصي » ، وفي سنة ١٨٨٤ رافق حملة
الكولونيل بار إلى سواكن ، وهناك كلف بتأليف أورطة من السودانيين
للمحافظة عليها ، وفي أثناء إقامته بالسودان تقرر تسيير حملة الجنرال قراهام ،
فحضر معها موقعة تل طماي ، وأبدى من ضروب الشجاعة وأساليب الأقدام
والبسالة ما أدهش العقول وحير الأفكار ، فرقى على أثر ذلك إلى رتبة « بكباشي »
ونقل إلى الأورطة التاسعة ، ثم انتدب وكيلاً لمحافظة سواكن عام ١٨٨٥ فوطد

على الرجولة ، وتقدير المسئوليات ، فلقد توفى والده قبل أن يبلغ سن
الرشد ، ولم يكن أكبر اخوته ، ولكن المجلس الحسبي عينه وصياً عليهم
في سن التاسعة عشرة ، فسهر على راحتهم ، وظل يرعاهم الى أن بلغوا أرقى
المناصب .

* * *

وكان ، وهو تلميذ بالمدرسة الخديوية ، رئيساً لجمعية « الهلال والنجمة »
فمكنته هذه الرياسة من التفوق على لداته في إجادة البحث وحب
الاطلاع .

وكان جريئاً الى أبعد حدود الجرأة ، لا يخشى تبعة ، ولا يهاب
سطوة ، وتجلت هذه الناحية فيه وهو طالب نجيب في المدرسة الخديوية ،

أركان الامن بها ، وأصلح حالها ، ونظم شؤونها ، وفي مارس ١٨٨٨ رقى
إلى رتبة « قائم مقام » وعين قويدانا لأورطة الأساس بالعاصمة ، ثم رقى بعد
سنتين إلى رتبة « ميرالاي » وعين وكيلًا لمحافظة اسوان ، وفي ابريل سنة ١٨٩٢
عين محافظاً لاسكندرية وأنعم عليه برتبة « اللوا » فكثت بهذه الوظيفة سنة ونصف
سنة كان موضع اجلال سكان المدينة ، وطنيين وأجانب ، لما اتصف به من النزاهة
والاستقامة ، والأخذ بناصر المظلوم ، وكبح جماح الظالم ، ولقد أثنت عليه
الصحف العصرية والأجنبية حينذاك ، وفي سبتمبر سنة ١٨٩٣ عين وكيلًا
لوزارة الحرية والبحرية ، ورافق سمو الخديو في زيارته لمديريات الوجه القبلي
والحدود ، وكان سنداً قوياً له عند ما وقعت حادثة الحدود ، يكاد يفرد دون
سائر الوزراء والكبراء بالنظر اليها نظرة وطنية مصرية ، يعارض الانجليز
ولورد كاتشنر أصدق المعارضة ، ولذلك أقصى عن وكالة الحرية ، ونقل محافظاً
للقنال عام ١٨٩٤ ، ولكنه لم يلبث طويلاً حتى انتدب في ١٥ نوفمبر سنة ١٨٩٤
محافظاً للعاصمة ، وظل في هذا المنصب إلى أن اختاره الله إلى جواره في ٢٨
ديسمبر سنة ١٩٠٢ ولم يتم الخمسين ، رحمه الله رحمة واسعة ، وبارك في ذريته
الصالحة النافعة

إذ تزعم طلبة فرقته في الثورة على المدرس الانجائزي ، لأنه كان يعاملهم معاملة جافة خالية من كل ذوق ، وخشى المدرس ثورة أبناء الأعيان ، فدعا إليه التلميذ على ماهر ، وأخذ يساومه في التخلي عن زعامة الثائرين ، على أن يعامله وحده معاملة الطلبة الممتازين المجدين ، ولكنه أبى إلا أن يكون مع إخوانه ، مصيره مصيرهم ، وكانت تلك الحادثة دؤونة بما سيكون لعل ماهر من عظيم الشأن وبالغ الأثر ، وكان على ماهر الطالب مبشراً بعلى ماهر باشا السياسي الزعيم .

* * *

بدأ حياته العملية — بعد تخرجه في مدرسة الحقوق الخديوية — محامياً ، فكان مثال الأمانة والاخلاص في العمل ، وكانت مواهبه الممتازة سبباً في اختيار وزارة الحقانية له ؛ بعد ثلاث سنين ، ليكون قاضياً ، فتولى قضاء محكمة الأذربكية ، وكان اختصاصها يشمل اختصاص محاكم الأذربكية وبولاق والوايلي الحالية ، ثم طلب أن يضم إليه قضاء محكمة عابدين ، ليغني بدرس حالة الأحداث ؛ ولم يكن يوماً أسيراً الحرفية القانون ، بل كان يطبق الشرائع في روحها ، وينظر في القضايا التي تعرض عليه نظرة اجتماعية ، الى جانب النظرة القضائية ، ويضع نفسه موضع الجمهور ، ويعنى باستخلاص الحقوق أكثر من عنايته بتوقيع العقاب .

جاءته مرة قضية رأى فيها الشهود جميعاً شهود زور ، وأن المتهمين جميعاً أبرياء ، وكانت الجلسة حافلة ، فشق على نفسه أن يعتقد الجمهور أن في إمكان شاهد الزور أن يجرى الى المحكمة ويشهد زوراً ثم ينصرف الى بيته ، نظر الى حرفية القانون ، فوجد أنه لا يستطيع أن يحبس فوراً إلا في تلبس أو سرقة أو عود ، وليس هناك نص على شهادة الزور ، هذا في حين أن القاضي المدني يستطيع الحكم على الشاهد

فوراً وينفذ فوراً ، فقانون المرافعات يسمح بما لا يسمح به قانون الجنايات ! فلم يهمه هذا واندفع باحساسه القانوني وصوت ضميره ، فحكم بدخول الشهود القفص وخروج المتهمين منه ، ونفذ للحال : فسيقوا جميعاً إلى السجن بلا كفالة : وكتب إلى النائب العمومي ، وكان المرحوم ثروت باشا ، خشية أن يلتبس الأمر على النيابة . فتتردد في التنفيذ ، مؤملاً أن يصل المتهمون بحالتهم تلك إلى محكمة الاستئناف ، إذ كيف لا يملك القاضى الجنائى ، ومعه النيابة ، ما يملكه القاضى المدنى ! وتأيد الحكم فى الاستئناف فعلاً .

وقضية أخرى : هى قضية خيانة الأمانة ، فالمجنى عليه فى مثل هذه القضية يكون قد أعطى وديعة إلى أحدهم فتصرف فيها ، فاذا حبس المتهم لم يهمه ذلك بقدر ما يهمه استرداد ماله ، فاذا أخذ الحكم المدنى بالمسال ونفذه ، يعمل استرداد ، ويستأنف الاسترداد ، وتتفرع من القضية الواحدة عدة قضايا ! فيتصور الناس أن القضاء فوضى ، لأن العدل فى نظر المجنى عليه محصور فى استرداد ما خسره . لكن القاضى على ما هربك قضى بهذا : « ان التهمة ثبتت لدى المحكمة على المتهم ، والمحكمة لم تصدر حكمها اليوم وتؤجله الى أن ترى تصرف المتهم ، فاذا دفع المبلغ كان بها ، وراعت هذا التصرف فى تقدير الحكم ، واذا لم يدفع فامامه العقاب الصارم » ولقد كان البعض يفسر هذا بأنه إبداء رأى من القاضى ، ولا يجوز له ذلك ، أما القاضى على ما هربك فقد فسر به بأنه انما أبدى الرأى وهو فى كرسى القضاء وليس فى الطريق .

وفى هذه القضية دفع المتهم ما عليه فعلاً ، وبهذا حسم الخلاف ، فلا حبس ولا استئناف ، ولا قضية مدنية ولا استرداد ، ولا عداوة فى النفوس التى ربما كانت نفوس أهل وأزواج .

ثم نقل مفتشا في النيابة . فمديرا لإدارة المجالس الحسبية ، فنظم كثيرا وأنتج كثيرا ؛ ووضع للإدارة نظاما حكيمًا يضمن سير أعمالها على ما يقضى به العدل والواجب . وكان من أثر ذلك النظام أن ضبطت حسابات القصر والسفهاء والغائبين غيبة منقطعة ، وكان من نتائجها أن قدم للمحاكم كثيرون من الذين أكلوا بالباطل الأموال التي أوتمنوا عليها .

فلما انتهت الحرب العالمية . وكان لا يزال مديراً لإدارة المجالس الحسبية ، فكان له رأى في برنامج الوفد ، حيث كان متصلاً برجاله قبل تأليفه ، ذلك أن كان البعض يرى المطالبة بالاستقلال الذاتي ، بيد أن على ماهر بك اعترض على هذا الرأى بأن الوفد ليس له أن يتنازل عما لا يملك التنازل عنه ، وهو الاستقلال التام .

ولما نفي المغفور له سعد زغلول باشا وأصحابه الثلاثة إلى مالطة ، وقامت الثورة المصرية ، وصرح لورد كيرزون بأن فئة الموظفين ، وهى الفئة العاقلة ، ليست مع الوفد فى حركته ، بل هى فى ناحية الانجليز : ثار الموظفون ، وعلى رأسهم على ماهر بك ، فكان له أكبر فضل فى تنظيم حركة إضرابهم . وكانت اجتماعات نوابهم تعقد فى مكتبته بوزارة الحقانية ، ولقد طلب إليه المستشار الانجليزى ألا يعقد لجنة الموظفين بمكتبته فى الوزارة ، فرفض ، وصرح بأن الموظفين مطالبون بحقوق وطنية ، بل وطلب منه أن يشاركهم فى الإضراب ، ما دام فى خدمة الحكومة المصرية .

وأفرج عن سعد وصحبه ، وسمح للوفد بالسفر إلى باريس .

ووليت الحكم وزارة رشدى باشا فى ٩ إبريل سنة ١٩١٩ . فطلبت لجنة الموظفين منها أن تعطى الوفد تفويضا ، فلم تستطع ، فاستمر الموظفون فى الاضراب ، وسقطت الوزارة فى ٢٢ إبريل سنة ١٩١٩ .

* * *

ثم جاءت وزارة محمد سعيد باشا فى ٢١ مايو سنة ١٩١٩ . وأرادت تشييت لجنة الموظفين ، فنقلت على ماهر بك فى ١٩ يونيه سنة ١٩١٩ وكيلا لمحكمة أسيوط ، على الرغم من أقدميته ، فرفض النقل ، وآثر الاستقالة ليتفرغ للاشتغال بالسياسة ، فكان فى مقدمة الصفوف ، وكان من الأقطاب الذين لم يرهبهم صليل السيوف ، أوزيرعهم الاعتقال فى الكهوف ، ولقد قرر سعد زغلول باشا ، وهو فى باريس ، أن يكون على ماهر بك عضواً فى الوفد المصرى . فلما أعلن اللورد اللنى أن الحماية باقية ، أصدرت لجنة الوفد المصرى المركزية بالقاهرة بياناً بامضاء المرحوم محمود سليمان باشا ، وكان واضع هذا البيان على ماهر بك ، فاعتقلت السلطة العسكرية محمود سليمان باشا ، وابراهيم سعيد باشا ، وعلى ماهر بك ، وفى طريقة إلى مقر الاعتقال أخذ يقطع الوقت مع حارسه ، وهو ضابط انجليزى ، فى امتداح محاسن حديقة داره ، والتغزل فى جمال أزهارها . ونقاء عبيرها ... ولما دهش الضابط الانجليزى لهذا الحديث ، وأبدى استغرابه ، لأنه لم يسأله عن المكان الذى سيذهب إليه ، أجابه : أنا أعرف أن رحلتنا هذه ستنتهى بى إلى المقام فى غرفة ذات جدران أربعة ، وانى فقدت حريتى وكفى ! فمزت هذه الشجاعة النادرة قلب عدوه ، فأخنى رأسه قائلاً : إنك ذاهب إلى معسكر قصر النيل ، ثم أكرم وفادته ، وخصصت له حجرة جديدة الأثاث ، وأبيحت له الرياضة التى يقوم

بها . وأعطيت له الكتب التي أرادها من مكتبة المعسكر ، وبعد عشرة أيام طلب إليه أن يختار جهة بعيدة عن القاهرة للإقامة فيها ، فطلب أن يقيم بالاقصر في فندق « وتربالاس » ، فأخذ منه عهد شرف بالألا يعود إلى القاهرة إلا بأذن السلطة العسكرية . وظل مقيماً هناك إلى ٣ يناير سنة ١٩٢٠ .

* * *

وفي أثناء إقامته بالاقصر جاءت لجنة ملئت إلى مصر ، ودارت بينها وبين المرحومين رشدي باشا وعدلى باشا أحاديث ، رؤى من المصلحة إبلاغها إلى الوفد بباريس ، فاختير على ماهر بك لهذا ، وغادر الاقصر إلى باريس مباشرة ، وقام بما كلف به ، وظل بباريس عضواً بالوفد يحضر جلساته ، ويتبادل الرأي مع أعضائه ، وكانت له مواقف وطنية رائعة ، وحدث أن نشب شقاق بين أعضاء الوفد في باريس ، وخلاف بين سعد وعدلى بلندن ، فكان على ماهر بك الموفق الساعى إلى الوئام ، وإزالة أسباب الخلاف ، ولكن الخلاف اشتد ، واستحال التوفيق ، وقرر بعض أعضاء الوفد ، وهم في باريس ، العودة إلى مصر . ولم يبق مع سعد غير على ماهر بك وسينوت حنا بك والاستاذ واصف غالى .

* * *

وفي أبريل سنة ١٩٢٠ عادوا إلى مصر ، وطاف سعد باشا على المنشقين ، وكان معه على ماهر بك ، وعادت العلاقات بين أعضاء الوفد ، ولكن لم يدم هذا ، لأن خلافاً دب بين سعد باشا وعدلى باشا ، وانتصر المنشقون لعدى باشا ، واعتزم عدلى باشا السفر إلى لندن للمفاوضة هو والوفد الرسمي ، واعتزم سعد باشا إعلان الحرب عليه ، فعارض على ماهر بك في ذلك ، وطلب إلى سعد باشا أن يدعهم يعملون ، فان

جاءوا بخير قبله ، وإن جاءوا بخيره رفضه : ولكن سعد باشا لم يرض
عن هذا ، فكتب له على ماهر بك بأنه مخالف معه في السياسة العامة ،
ولا يمكنه تحمل مواقف الوفد منها ، ولكنه بصفته مصريا رهن
اشارته في كل عمل معين يفيد فيه ، ثم انسحب إلى داره . فعرض عليه
عدلى باشا أن يكون وزيرا مقوضا في الوفد الرسمي ، ولكنه اعتذر ،
وآثر البعد عن المنازعات الحزبية ، حين رأى الأهواء تعصف بما بين
الرجال من وئام ، وتنسيهم ما يجب لهم من اتحاد وثيق .

* * *

ولقد استدعاه المغفور له السلطان فؤاد ، متحدثا إليه في المسائل
العامة فلفت نظره هدوؤه واتزانة ونضجه ، فقربه اليه وقال عنه : انه
معد لكل شيء في المستقبل .

* * *

ولما أعلن تصريح ٢٨ فبراير ، كان على ماهر بك يرى وجوب
الافادة بهذا التصريح عن طريق وضع اليد عليه ، واستمرار المطالبة
بتحقيق ما لم يحققه من الآمال القومية .

* * *

وفي عام ١٩٢٢ رأى رشدي باشا أن يكون على ماهر بك وزيرا
في وزارة ثروت باشا ، ولكنه اعتذر ، فعرض عليه ثروت باشا
عضوية لجنة الدستور ، فقبلها . وهناك تجلت ملامحاته ، وظهرت طبيعته
الحرية ، وآراؤه الجريئة ، فكان نصيرا للحرية ، داعيا للانتخاب المباشر والحرية
الاجتماع وتكوين الجمعيات ، وحرية الصحافة (١) . ولما أن انتهت اللجنة من

(١) نشرت مواقف مقامه الرفيع من الصحافة وجهوده الموقفة في سبيلها أثناء
وضع الدستور ، في نهاية قسم الصحافة .

أعمالها . عاد إلى ملازمة داره من جديد .

وفي عام ١٩٢٣ عين ناظرا للمدرسة الحقوق ، فقام بتدريس مادة القانون الدولي العام ، وأصدر أول مؤلف له — بل أول مؤلف مصرى — عن القانون الدولي العام ، وقد أسهب في القسم الخاص بالمفاوضات ، رغبة في إيضاح أمرها للباحثين والطلاب .

وفي أواخر عام ١٩٢٤ عين وكيلًا لوزارة المعارف (١) . ثم وزيرا لها ، فقلب في عطلة الصيف نظم التعليم ، وأدخل عليها إصلاحات عديدة — وكان يرى أن تكون المدرسة وطنًا صغيرًا ، وأن توجه العناية بتربية الصغير إلى قوة البنية ، وإلى قوة الخلق ، وإلى قوة التعليم ، حتى يمكن تكوين الوطنى المستنير ، الذى يعرف واجبه نحو بلاده — ولم يستطع كهول وشيوخ وزارة المعارف ، الذين درسوا على يدى دنلوب ، الوقوف فى طريقه ، إذ كان المغفور له الملك فؤاد يؤيده فى إصلاحاته .

وفي ٢٦ يونيه سنة ١٩٢٨ اختير وزيرًا للمالية فى وزارة حضرة صاحب المقام الرفيع محمد محمود باشا . فوزيرا للحقانية فى وزارة دولة اسماعيل صدقى باشا ، وأنعم عليه برتبة الامتياز فى ١٠ اكتوبر سنة ١٩٣٠ ، فأخذ يعمل على تهيئة أسباب إلغاء الامتيازات الأجنبية ، فوضع قانون الأحوال الشخصية لغير المسلمين ، ليقضى على الامتيازات الداخلية ، وتولى إصلاح لائحة المحاكم الشرعية ؛ ثم وقعت حادثة البدارى المحزنة ، وهو مشبع بروح اصلاح البوليس

(١) استبدل بهذا الاسم الآن اسم «وزارة التربية والتعليم» .

والقضاء ، فلم يستطع السكوت عليها . واستقال من الوزارة ، احتجاجا على ما ارتكبه رجال الادارة في هذه الحادثة من المظالم التي ضج الرأي العام من هولها ، وقد كسب أكبر فوز لموقفه المشرف المجيد .

* * *

وفي عام ١٩٣٣ عرض عليه منصب وزير مصر المفوض بلندن . وبامتيازات مالية تصل بمخصصاته إلى عشرة آلاف جنيه في السنة . فاعتذر ، ثم سافر إلى أوروبا للاستشفاء . وعاد في اكتوبر سنة ١٩٣٤ . وكان المرض قد اشتد على المغفور له الملك فؤاد . فكان على ماهر باشا المثل الأعلى للاخلاص والوطنية ، إذ قام بواجبه نحو الوطن الممثل في العرش المفدى .

* * *

وفي أول يولييه سنة ١٩٣٥ عين رئيساً للديوان العالى الملكى . فعمل على أن تكون السراى قبلة لجميع المصريين على السواء . وقد وفق إلى هذا أيما توفيق ، ثم كان له الفضل فى إعادة دستور سنة ١٩٣٣ . وفى ذلك الحين ألقت الجبهة الوطنية ، وقبل الانجليز إجراء المفاوضات ،

* * *

وفى ٣٠ يناير سنة ١٩٣٦ (١) وقع الاختيار عليه لرياسة الوزارة .

(١) هذا نص الأمر الملكى رقم ٨ لسنة ١٩٣٦ :

« عزيزى على ماهر باشا

نظرا للأحوال الدقيقة التى تواجهها البلاد فى هذه الآونة ، ولما لنا بكم من عظيم الثقة فى العمل على صيانة الوحدة القومية ، فوق ما نعرفه عنكم من صدق العزيمة وسداد رأى والمقدرة التامة على الاضطلاع بمهام الأمور ، قد اقتضت ارادتنا اسناد رياسة مجلس وزارتنا اليكم .

وأصدرنا أمرنا هذا لمعالكم للأخذ فى تأليف هيئة الوزارة وعرض المشروع علينا لصدور مرسومنا به .

وفقنا الله جميعا وسدد خطانا إلى ما فيه خير البلاد .

وهنا تجلت عبقريته وإخلاصه ووطنيته ، فاستطاع تمهيد طريق المحادثات المصرية الانجليزية ، وتغلب على كثير من الصعوبات ، ووفق بين مختلف ميول الأحزاب ورغباتها ، حتى تألفت الهيئة الرسمية المصرية ، ولقد كان ذلك كله يحتاج إلى كثير من الصبر والأناة والمرونة ، ومعالجة الطوائع والنفوس ، والتفوق في الأساليب الدبلوماسية ، فاجتمعت هذه الخصال في شخص على ماهر باشا ، وتوجت جهوده بالتوفيق ، وصدر مرسوم ملكي في ١٣ فبراير سنة ١٩٣٦ بتعيين أعضاء الهيئة الرسمية للمفاوضات (١)

* * *

ثم اتجهت عنايته الى الاصلاحات الداخلية ، فلقد كانت لديه مشروعات

(١) رأيت للذكرى وللتاريخ أن أثبت هنا نص المرسوم بتعيين الهيئة الرسمية ، والكتاب المرفوع إلى حضرة صاحب الجلالة الملك من حضرة صاحب الدولة على ماهر باشا ، والكتابين المتبادلين بين دولته وسعادة المندوب السامي البريطاني . وهي :

مرسوم

بتعيين الهيئة الرسمية لابرام معاهدة صداقة ومودة ومحالفة
مع بريطانيا العظمى

نحن فؤاد الأول ملك مصر

رغبة منا في ابرام معاهدة صداقة ومودة ومحالفة مع بريطانيا العظمى ، وبناء على ما عرضه علينا وزير خارجيتنا ، وموافقة رأى مجلس الوزراء ،

رسمنا بما هو آت :

مادة ١ - يعين مندوبين فوق العادة حضرات :

كثيرة هامة ، بعضها قديم ، وبعضها جديد ، وهو مجدد ، وفي تجديده

عثمان محرم باشا	مصطفى النحاس باشا [رئيساً]
محمد حلمى عيسى باشا	محمد محمود باشا
الأستاذ مكرم عبيد	اسماعيل صدقي باشا
حافظ عفيفى باشا	عبد الفتاح يحيى باشا
الأستاذ محمود فهمى النقراشى	واصف بطرس غالى باشا
أحمد حمدى سيف النصر بك	الدكتور أحمد ماهر
	على الشمسى باشا

ويخولون السلطة التامة فى ابرام المعاهدة المتقدم ذكرها وتوقيعها .

مادة ٢ - على وزير خارجيتنا تنفيذ هذا المرسوم

صدر بمرأى القبة فى ٢٠ ذى القعدة سنة ١٣٥٤ (١٣ نبرابر سنة ١٩٣٦)

* * *

الكتاب المرفوع إلى حضرة صاحب الجلالة الملك

من حضرة صاحب الدولة على ماهر باشا

مولاي صاحب الجلالة

لم تزل البلاد منذ أعلنت استقلالها فى ١٥ مارس سنة ١٩٢٢ توافة إلى تحقيق ذلك الاستقلال كاملاً ، وإلى أن تنبأ مكانها بين الأمم ، عاملة على تأييد السلام ، مساهمة فى رفع لواء المدنية ، وهامى اليوم تجاب دعوتها إلى ابرام اتفاق مع بريطانيا العظمى يكفل لها مصالحها دون أن يتنافى مع استقلال مصر . وإن من آيات اليمن ودواعى الاستبشار أن البلاد ، بفضل ارشاد جلالتهم وجهودكم الموفقة ، تستقبل هذا الدور متحدة الكلمة متسقة الارادة ، وانها قد أجمعت على المبادرة إلى معالجة وضع اتفاق يوثق ما بين البلدين من الصداقة والمودة ، ويقر علاقاتهما على أساس متين من حسن التفاهم والتعاون ، وإنى موقن أنها لن تألو جهداً فى هذا السبيل ، يحدوها الأمل فى النجاح ، ويشد من عزيمتها ما تعرف من سهر جلالتهم على مصالحها ، وحرصكم على عزتها ورفع شأنها . وبما أنه ينبغى لذلك تعيين مندوبين عن الحكومة المصرية لمعالجة وضع أسس

الجرأة ، وفي جرأته الحكمة ، وكان في كل مكان حل فيه مثال الحزم والعزم

الاتفاق وتوقيعه قبل عرضه على البرلمان لافرازه والمرافقة عليه ، فاني أتشرف بأن أعرض لتصديق جلالتيكم مشروع مرسوم بتعيين مندوبين فوق العادة وتخويلهم السلطة التامة في مفاوضة الحكومة البريطانية ، وتوقيع اتفاق ينمى بالغرض المتتبع ذكره .

ويسرني ، وأنا أصدع بوحى جلالتيكم في هذا الصدد ، أن أنوه بما للمهية التي أعرض على جلالتيكم انتدابها لهذه المهمة الوطنية الجليلة من جلال الوحدة وقوة التمثيل لعناصر البلاد ومناحيها المختلفة .

واني لجلالتيكم الخادم المخلص الأمين .

تحريرا في ١٣ فبراير سنة ١٩٣١

* * *

الكتابان المتبادلان

بين حضرة صاحب الدولة رئيس مجلس الوزراء

وبين حضرة صاحب السعادة المندوب السامي البريطاني

حضرة صاحب السعادة

منذ وليت الحكم عليت بصفة رسمية بتبليغ سعادتكم الشفهي إلى مولاي الملك وإلى سلفي وإلى رئيس الجبهة الوطنية ، ذلك التبليغ الذي تصرح فيه حكومة حضرة صاحب الجلالة البريطانية باستعدادها للدخول حالا في محادثات مع الحكومة المصرية بقصد الوصول إلى الاتفاق على معاهدة بين إنجلترا ومصر . ولاني لأجد من الواجب على ومن دواعي السرور أيضا أن أعرب عن الارتياح الذي صادفه هذا الاستعداد الطيب من جانب الحكومة البريطانية سواء لدى مليكنا المحبوب أو لدى حكومته وشعبه .

وان الحكومة المصرية لتشاطر الحكومة البريطانية الرغبة في توطيد العلاقات بين بريطانيا العظمى ومصر على أسس ثابتة صريحة ، وهي موقنة بأن تحققت هذا

وقوة الارادة، والنزاهة والشجاعة، وهو من اكثر أقطاب الدولة اتجا،

الغرض المشترك انما يكون في مصلحة البلدين جميعاً ، ولذلك فهي حريصة أيضاً أن تبدأ المحادثات في هذا الشأن في الحال .

وتمهيداً لذلك قد صدر مرسوم بتاريخ ١٣ فبراير سنة ١٩٣٦ معيناً لهيئة الوفد الذى كلف إجراء هذه المحادثات والمفاوضات ومحدداً مهمته .

ولا يسعنى عند تبليغكم الصورة المرفقة من المرسوم المشار اليه إلا أن لاحظ أنكم عند قيامكم بالتبليغ الشفهي سالف الذكر قد نوهتم بأن الانخفاق في عقد اتفاق قد يترتب عليه نتائج جدية مما قد يحمل الحكومة البريطانية على إعادة النظر في سياستها نحو مصر . ولا شك ، لم يفت سعادتكم ما أثارته هذه التصريحات في الرأى العام من القلق الشديد . حقا إنكم حرصتم على الإشارة إلى أنها لا تنطوى على شيء من التهديد أو الارهاب وأنها لا تعدو تقرير الواقع . ولكن مهما يكن لهذه الإشارة من أثر في تخفيف وقع التصريحات التى كلفتم ابداءها بصفة خاصة لايسع الشعب المصرى ، وحكومته ومندوبوه ، ناطقين بلسانه ، أن يعتقد أن محادثات أو مفاوضات تعالج في ظل مثل تلك التصريحات يمكن أن تكون خالصة أو حرة .

لذلك ، ومراعاة للمصلحة المشتركة للبلدين ، أتشرف بأن أرجو منكم أن تؤكدوا لى أن الحكومة البريطانية ترى حق الرأى ألا شيء يمكن أن يحد من حرية ممثلى مصر في المناقشة والعمل ، وان استعمال هذه الحرية لن يؤثر على ما بين البلدين من صلات الصداقة .

ويهم الحكومة المصرية بهذه المناسبة أن تنوه بما لهيئة المندوبين المصرية من الصفة التمثيلية للبلاد ، فهي تضم ممثلى الرأى العام بجميع مناحيه ، وأن تنوه كذلك بما يتمتع به أعضاؤها من شخصية بارزة ومكانة عالية ، وبما توليها البلاد بأجمعها من ثقة غير محدودة ، وماخواتها الحكومة من سلطة تامة : كل ذلك دلائل قوية على رغبة مصر وحكومتها في الوصول إلى اتفاق تسوى به العلاقات بين البلدين .

وأوفرهم محصولا في الحكم . وتفكيرا وتحضيرا خارج الحكم .

وأرجو عند ابلاغى التأكيدات السالفة الذكر أن تتفضلوا ببيان أسماء المندوبين
الذين سيمثلون الحكومة البريطانية .
وأنتهز هذه الفرصة لأجدد لسلامتكم أسمى عبارات التقدير
القاهرة في ١٣ فبراير سنة ١٩٣٦
[ترجمة]

د. المندوب السامى

حاضرة صاحب الدولة

أنشرف باحاطة دولتكم اننى استلمت مذكرتكم المؤرخة ١٣ فبراير والتي لفتتم
بها النظر إلى تصريح صدر منى ، وفقا للتعليمات فى البلاغ الشفوى الذى تشرفت
بتوجيهه إلى سلف دولتكم فى ٢٠ يناير ، ذلك التصريح الخاص بالنتائج المحتملة
لعدم الوصول الى الاتفاق فى المفاوضات المقبلة بشأن المعاهدة .
وتطلبون دولتكم الآن تأكيداً بأن حكومة جلالة ملك بريطانيا تسلم بأنه ان يحد
شئ من حرية مندوبى مصر فى المناقشة أو التصرف ، وان استعمال تلك الحرية
لن يخل بحسن العلاقات بين البلدين .

فجوابا على ذلك يسرنى أن أخبر دولتكم بناء على تعليمات حكومتى أن لها وطيد
الآمل ، بل انها فى الواقع موقنة أن كلا الفريقين سيدلان قصارى جهدهما كيلا
يترتب على استعمال هذه الحرية أى تأثير فى العلاقات الودية بين البلدين ، وان
الحكومة البريطانية لتحمل أصدق عواطف الود حيال الحكومة المصرية والشعب
المصرى ، وبينما تجد من الواجب أن تحتفظ لنفسها بحرية العمل بالنسبة لمستقبل
مجهول المدى ، شأنها فى ذلك شأن كل الحكومات ، فانها ترى - اذا كان هناك
ثمة فشل فى الوصول إلى اتفاق بالرغم مما يحدو الفريقين من صادق الرغبة - أنه
ليس من الضرورى أن يترتب على الفشل تأثير فى حسن العلاقات بين البلدين ،
تلك العلاقات التى تحرص الحكومة البريطانية لاعلى استدامتها فحسب بل على
زيادتها قوة .

فكان للصحافة نصيب من اصلاحاته (١)

* * *

وكان للادب والثقافة العامة نصيب من عنايته (٢)

* * *

وكان للادارة والبوليس نصيب من رعايته ، فعمل على بقاء مدرسة الكونستبلات ، التي أريد الغاؤها في عهد وزارة المرحوم نسيم باشا ، على الرغم من أنها لا تخرج لبوليس الاقاليم من طلبتها أكثر من ثلاثين في العام ، ورأى أن يدعم هذه المنشأة ، كي تستطيع أن تخرج أربعائة شاب كل عام ، يغذون بوليس القاهرة والاسكندرية والاقاليم ، فلا تمضى بضع سنوات حتى يكون أفراد البوليس المصرى من الشبان المتعلمين ، الذين يعرفون الواجب فيؤدونه على الوجه الذى يتفق مع ارتقاء البلاد وكرامتها .

* * *

وكان يجتمع بالمديرين والمحافظين ، ليتحدث اليهم فى مختلف الشؤون الادارية والأمن العام ، وينفخ فيهم من روحه

وفىما يتعلق بأسماء المنسوين الذين سيمثلون حكومة جلالة الملك فى المملكة المتحدة فى المحادثات المنوية ، فانه لم يصلنى بعد التعليمات التامة فى هذا الصدد ، إلا أنى سأبادر إلى إحاطة دوائلكم حالما أستطيع ذلك .

وأتمنى هذه الفرصة لأجدد لدولتكم أسى عبارات التقدير .

القاهرة فى ١٣ فبراير سنة ١٩٣٦

[ترجمة]

(١) افردت للصحافة قسما خاصا .

(٢) قسم المباراة الصحفية الادبية .

الاصلاحية (١) :

(١) حسبي أن أنشر هنا خطاب مقامه الرفيع في حضرات المحافظين ومديرى المديریات يوم ٨ مارس سنة ١٩٣٦ ، قال حفظه الله :

إلى المغتبط وسعيد باجتماعى بحضراتكم . وأرى لزاما علينا أن ننتهر فرصة هذا الاجتماع للتحدث فيه عن موضوع يهمنا جميعا ، وهو اتخاذ التعاون خطة لنا فى خدمة المصلحة العامة للبلاد ، وهى التى يجب أن نجعلها نصب أعيننا جميعا .

وتطرق مقامه الرفيع من هذا الاستملال إلى المبادئ التى يراها لازمة لتحقيق هذا الغرض ووجوب تعويل أصحاب المناصب العالية عليها .

فقال : إن من الأمور الجديرة بالاجتناب فى المناصب العالية أن يفكر أصحابها فيما يكفل عدم تعرضهم لما قد يفضى إلى خروجهم منها بسبب اقدامهم على مشروعات أو أعمال قد تكون محل نقد أو عدم رضا فى المستقبل . فمن الواجب على صاحب المنصب الكبير أن ينتهر فرصة وجوده فى المنصب لخدمة بلاده ، الخدمة التى يراها واجبة عليه ، والتى تقتضى كل يوم نظرا أو تجديدا ، ومن صاحبها تفكيراً واقداماً ، وشجاعة وانعام نظر فى حاجات البلاد ومقتضاياتها الحيوية ، جاعلاً نصب عينيه الإصلاح المنشود ، والتقدم المطرد ، والشعور بأداء الواجب ، واحترام حقوق الأهلى على خير الوجوه وأكملها .

وفى طاقة حضراتكم أن تؤدوا واجبا عظيما لهذا الوطن العزيز ، وفى مقدوركم استيفاء استقلاله ، فإن قيل إن إلغاء فعل الامتيازات الخاصة بالتشريع والضرائب هو من اختصاص الحكومة المركزية ، فأظن أننى على حق إذا وجهت نظر حضراتكم إلى أن إلغاء فعل الامتيازات من ناحية القضاء والبوليس هو فى يد رجال القضاء ، وفى يد رجال الإدارة ، فلاجل هذا تستطيعون ، باعتباركم مشرفين على رجال البوليس والإدارة ، أن تبدلوا قصارى الجهد لتصلوا برجال الإدارة ، من حيث الإصلاح ، ومن حيث الكفاية ، ومن حيث تمكينهم من أداء ما فى أعناقهم من واجبات ، إلى درجة زملائهم فى البلدان الغربية الراقية . وهذا باب للإصلاح كبير وهام لخدمة البلاد ، واستكمال استقلالها ، والنهوض بها ، وفى مقدور حضراتكم . متى سلكتم هذا المنهج العملى ، فى ائانة وانعام نظر ، وفى إخلاص وولاء ، وفى حزم وكياسة . أن تؤدوا لوطنكم العزيز أجل الخدمات وأصدقها .

ثم عمل على توسيع سلطتهم للانتفاع بهم ، ومنحهم بعض

ومسألة أخرى أود أن أوجه النظر إليها ، وهى الخاصة بالأمن العام . واننى أرجو ألا تحفلوا كثيرا بالنظرية التى تقول بزيادة قوات البوليس والخفر ونحو ذلك ، بقدر احتفالكم واهتمامكم بالعمل جديا على رفع المستوى الثقافى لرجال البوليس أنفسهم ، وان تعتبروا أن هذه الثقافة الحقيقية للذين تهيمنون عليهم من افراد أسرتمكم فى المحافظة على صرح الأمن وسياسج القانون هى العدة الحقيقية ، والطريقة المبتدئة الميسرة لحفظ كيان الأمن ، وانقاص عدد الجرائم ، ورأب الصدع وتقويم الأود .

ان الطريقة المثلى فى معالجة الاجرام مفتاحها فى أيديكم أتم ، فى أخلاقكم الذاتية ، فى مظاهركم الخلقية ، فيما تتمسكون به من منهاج سوى قويم ، فيما تأخذون وما تذرون . ولا أرتاب أيها السادة فى أن المدير المثقف الحكيم الذى يضرب المثل الأعلى للوطنى المستنير يخدم أمته ووطنه ولغته وعادات قومه أجل الخدمات وأنبأها اذا عني أصدق عناية بالحرص على لغته وعلى قوميته ، وحرص الحرص كله على فروض دينه وتعاليم شريعته ، وتمسك أدق بتمسك بكرامة منصبه ، ووقف حياته وذمته على خدمه أبناء أمته .

وانه ليسعدنى كثيرا - ولا أشك فى أنه يرضى ضمائركم أيضا - ألا يجعل المدير كل همه منصرفا إلى انتهاج سياسة ارضاء الرؤساء ، باعتبار ان هذه هى الوسيلة الميسرة لفتح باب المستقبل للرقى على مصراعيه أمامه ، بل انى على النقيض من ذلك أرى لزاما على المدير أن يترك التفكير فى هذا ليغلق باب هذا التفكير ، ولينصرف بكليته إلى السير على منهاج اقوم ، وسلوك سبيل أحكم ، ويجعله نصب عينيه ، ذلك هو العمل على سياسة ارضاء الضمير ، واداء الواجب ، وخدمة العدل ، وانتهاج سبل الانصاف ، نلتكن خطتنا أداء الواجب ، لأنه واجب ، وخدمة الحق ، لأنه حق .

وأرجو أن تسود الثقة بين حضراتكم وجميع مرؤوسيكم ، وأنكم لتعلمون حق العلم انه ليس فى مقدور أحد منا اضطلاعا وحده بتحقيق الاصلاح الاجتماعى المنشود ، ولا بد لنجاح الخدمة العامة ، وتحقيق المصلحة العامة من أن تجرى على سياسة التعاون الصحيحة ، التى لا سبيل الى تحقيقها كاملة غير منقوصة ، ولا

الحماية لوقايتهم من العزل الاستبدادى ، أو النقل لاسباب سياسية ،
وأن يكون لهم حق البت محليا فى القرارات التى كانت تحال على
الوزارة ، فأرسل الى كل من حضراتهم الكتاب الآتى :

مبتورة الا بتوفر الثقة المتبادلة بين حضراتكم ومرؤوسيكم ، وأظن ان المدير الذى
يكون منصفاً عادلاً براً رحيماً ، مقدراً لكفايات رجاله ، حاثاً للبحسن على
الاستزادة من الاحسان ، عاملاً على خلق أصحاب المواهب وحسن الاستعداد ،
آخذاً بالحزم وقوة الشكيمة المسمى إذا أساء ، ورادعاً للمعنى فى الخطأ إذا استرسل
فى خطأه . أظن ان هذا المدير يخدم أمة أجل الخدمات ، ويرضى ضميره كل
الرضا ، ويحقق ما وضع فيه من أمل ورجاء .

إلى جانب توفر الثقة المتبادلة بين حضراتكم ومرؤوسيكم أرجو أن تعنوا
أيضاً بالعمل جدياً بحكمتهكم وسياستكم وحسن تصرفكم وقويم منهجكم لاكتساب
ثقة الاهلين انفسهم ، وهذا جد سهل عليكم ، ما دهم تجعلون العدل نبراساً
لكم ، فلا كبير ولا صغير ، ولا قوى ولا ضعيف ، أمام سلطان القانون ،
واحترام الكرامة ، وخطة الانصاف ، وارتياذ الخدمة الحقنة العادلة لا بناء
الوطن الواحد ، فى غير تفرقة ولا تمييز لآى اعتبار حزبي أو مادي أو وقتي ،
فالجميع مصريون . وواجب المدير أن يكون الاب اله للجميع ، والمنصف فى غير
هوى ولا ميل ، وفى غير تحزب ولا حيف .

كذلك أرجو من حضراتكم أن تعملوا على اكتساب ثقة رجال القضاء ،
وأن تسود بين رجال الادارة ورجال القانون الثقة والتعاون ، والحرص على
علاقات التقدير والاحلال المتبادلة لخدمة الحق والقانون .

لتعملوا على احترام الحريات العامة ، عاملوا الناس بالعدل والمساواة الكاملة ،
أرجو أن تكون السيادة دوماً لكلمة القانون ، وأن تكون الكلمة العليا للقانون ،
وأن تكون كلمته هى العليا دائماً .

ولست فى حاجة إلى ان اطلب من حضراتكم ان تكون خطتكم فى تنفيذ
القانون فى رفق وهودة ، ولين ولطف ، لا فى شدة وعنف . وأرجو أن
يكون للنساء والشيوخ والاطفال والصغار أوفر نصيب من شفقتكم ورحمتكم ،
ورقتكم وحسن معاملتكم .

فكرت مليا في توجيه الأعمال بالاقليم وجهة تكفل لها السير
الحسن، وتحي في الوقت ذاته روح المسؤولية في نفوس القائمين بها،

ثم تحدث مقامه الرفيع عن المظاهرات، فقال : انه لا يرى أن يكون لرجال
البوليس أى حق في اقتحام دور التعليم ؛ ويعتقد أن في مقدور المدرسين والاساتذة
أن يحولوا دون الاضطرابات ، وهم المسؤولون أولا وآخرا عما يحدث من
اضطراب ، لأن الاستاذ الحكيم الذى يصيخ بسمعه إلى الكرامة الوطنية ،
ويقدر لكل ظرف لبوسه وخطته ، لا يضيره شيء إذا أحسن إلى أولاده ،
وأفهمهم واجبههم ، وزاملهم في الانصراف وفي العودة إلى الدرس ، آخذا
بالحكمة وعدم اتساع للخرق ، وتقديرا للظرف واسداء للنصح ، لست أشك
في أن حضرات المدرسين سيقدرّون ما لهذه الخطة الحكيمة ، وحسن موافاة
الامور من جدوى وكبير نفع ، ومن احترام للشاعر الوطنية في غير تفريط
في النظام ، وفي غير جنوح الى العنف .

ثم انتقل مقامه الرفيع بعد ذلك إلى الكلام عن سلطة المديرين ، وميائهم إلى توسيع
اختصاصاتهم ، تمشيا مع خطته في الأخذ بسياسة التعاون المشترك ، وفسح المجال
للقادرين على القيام بخدمة وطنهم وبلادهم في حيز اختصاصاتهم .

فقال : اننى ألاحظ أن الحقوق المعطاة لحضراتكم طبقا للتعليمات المكتوبة
والاوامر الادارية الصادرة لكم منذ القدم - هذه الحقوق تمكنكم كل التمكين من
تحقيق ما أصبوا اليه ، نعم لقد سلبت هذه الحقوق تدريجيا ، ولكنى سأردها
إليكم لتعملوا برحى من ضمائرکم ، وهدى من حكمتكم ، وقويم خطة من نهجكم -
سأردها إليكم لتعملوا على خدمة بلادكم لاستكمال استقلالها وتثقيف رجال ادارتها،
وتشجيع المحسنين من أبنائها ، واستتباب الأمن في ربوعها ، ونشر العدالة بين
ظرائنها ، وتبادل الثقة بين موظفيها ، وسيادة الكلمة لقانونها ، وعدم
التفرقة بين أحزابها . والاصغاء لكلمة الحق دائما .

ولتعملوا أن الحاجة جد ماسة الآن الى تعاون الجميع وتضافرهم لخدمة البلاد .
وان الوقت الذى كان يستطيع فيه الحاكم الاضطلاع بكل الخدمات وشتى المشروعات
قد فات ، وأن لنا أن نهج جميعاً خطة التعاون ومبدأ التضافر في خدمة مصلحة
البلاد .

وترفع عن عاتق الوزير والوزارة مشاغل لا قبل له ولها بالجمع بينها وبين مشاغل الدولة الكبرى ، التي يجب الانصراف اليها ، ولا غنى ولا مصلحة في نقلها ممن هم أمس بها وأولى بالقيام عليها .

وعند ما هممت برسم كليات هذه الوجهة ، التي يجب أن يولى المديرون والمحافظون شطرها ، علمت أن الوزارة سبقت لها محاولة صادقة في هذا السبيل . فقد أصدرت في سنة ١٩٢٨ قراراً بتوسيع اختصاص المديرين والمحافظين نقل اليهم مسئولية كثير من الأعمال التي كانوا يرجعون فيها إلى الوزارة ، ونظم العمل على طريقة أدنى للمصاححة ، وأحفظ لوقت الوزراء ومجهوداتهم ، غير أن ذلك القرار لم يعد يعمل به تماماً ، فرأيت الأصلح - قبل محاولة أى تجديد في طرائق العمل - أن أبعث ذلك القرار من سكونه ، وذلك لسبق العهد به والتمرس بتفاصيله ، حتى إذا استقر العمل به ، أصبح من الموافق أن يبسط للمديرين والمحافظين سلطات أخرى ، وأن تستحدث في العمل أنظمة تستمد من حاجات البلاد وتقاليدها في أحوالها الخاصة ، وتراعى فيها مع ذلك الأصول والقواعد التي تهدي اليها الأبحاث العلمية الجديدة في شؤون الإدارة ، وتنصح بانباعها المؤتمرات الإدارية الدولية - فعات

وأخيراً أوصى حضراتكم خيراً بالعامل والزارع ، ويسرنى ، وقد تقررت وكالة وزارة القرية ، أن تغنوا حضراتكم كل العناية بامدادها بكل معونة ممكنة ، وأن تساعدوها على أن تخرج المرافق الحيرية الخاصة بفلاحنا المصرى وعاملنا المصرى من حيز التفكير إلى حيز العمل .

ولتعلموا وفقكم الله أن عدد فلاحينا ومزارعينا وعمالنا حوالى اثني عشر مليوناً ، وأظن أن من حق هؤلاء جميعاً أن يعيشوا ، وأن نحسن حالتهم وأن يخفى بأمرهم ، ومن حقهم أن تولوهم من عنايتكم ومهتمكم واصلاحاتكم وصادق جهودكم القسط الوفير والنصيب الأكبر .

ذلك راضيا ، عاملا على الوصول بالادارة المصرية إلى مستوى يرفع من شأنها ، وينبه من ذكرها . ولقد أرى من الواجب ، بهذه المناسبة ، أن ألقت النظر إلى أن من أهم أغراض هذه التجربة أن يستشعر الأهالى بالاحترام للحاكمين ، فتعلو مكانتهم فى النفوس ، وتسهل بذلك مهمتهم ، ولا أشك فى أن وطنيتكم ، وحسن إدراككم للمصلحة العامة ، سيحفزانكم على العمل جهد الطاقة ، بل فوق ذلك على توثيق الروابط بين الحكومة ، والأهالى وعلى إقامتها على أساس متين من العطف والحزم من جانب ، وعلى الثقة والاحترام من الجانب الآخر .

وان يستقيم العمل ، أو ينتظم الحال ، إلا إذا شعر الموظفون العاملون معكم بأن المحسن يحظى باحسانه ، والمسيء يؤخذ بأساءته ، والا إذا أحسوا من رؤسائهم البعد عن التحيز والمحابة ، وإيثار المصلحة العامة ، والعمل الصادق على اتقاء الشبهات ، ومجانبة الريب ، وعلى التزام حدود الواجب والقانون .

وستلقون منى كل معونة وتسهيل فى هذا السبيل ، كما ستلقون حسبا عسيرا عن تنفيذ هذا النظام .

ولى بعد ذلك وطيد الرجاء فى أنكم ستحملون قسطكم من المسئولية عن نجاح التجربة ، وتبذلون فى تحقيق ذلك النجاح كل مقدرة وشجاعة ، وحسن تصرف .

وسأتبع أعمالكم فى هذا الشأن باليقظة التامة ، والاهتمام العظيم . وتمهيدا لذلك رأيت أن أنظم التفتيش فى الوزارة على وجه يجعله جدير بمهمته ، ولكى يكون عينالى على كل ما يجرى فى الأقاليم . وعونا على نجاح التجربة ، ومصدرا للاقتراحات المفيدة من طرائق العمل ،

أوامر ومشروعات والمرافق العامة .

* * *

وفي عهد وزارة مقامه الرفيع صدر في ١٩ مارس سنة ١٩٣٦ الأمر الملكي رقم ٣٣ لسنة ١٩٣٦ بإنشاء قلادة فؤاد الأول ، وقد نص فيه على أن تمنح هذه القلادة لأصحاب التيجان ، ولأمرأه الجالسين على منصة الملك ولأعضاء بيتهم ، وكذلك لرؤساء الدول والحكومات ، ولأعضاء الأسرة الملكية ، ويجوز منحها للمصريين الذين يمتازون بالتفاني في خدمة وطنهم ومليكهم ، والأجانب الذين يشتهرون بالعمل لخير الإنسانية؛ ونص فيه كذلك على ألا يزيد عدد الحائزين للقلادة من المصريين عن عشرة ، وذلك سوى أعضاء الأسرة العلوية الكريمة .

* * *

وكان للأزهر الشريف نصيب من جهود مقامه الرفيع ، فقد صدر في ٢٦ مارس سنة ١٩٣٦ المرسوم بقانون رقم ٢٦ لسنة ١٩٣٦ بإعادة تنظيم الجامع الأزهر .

* * *

ثم اتجه مقامه الرفيع إلى الإصلاح الاجتماعي، فوضع للبلاد سياسة اجتماعية، تقوم على الاحتفاظ باخلاقياتها وعاداتها وتقاليدها ونظمها الصالحة والدفاع عنها وعلى التوفيق والملاءمة بينها وبين العادات والآراء والنظم الحسنة. وصور الحياة الجديدة التي أتت بها المدنية الحديثة ، فاستصدر في ٧ أبريل سنة ١٩٣٦ المرسوم بقانون رقم ٣٠ لسنة ١٩٣٦ بإنشاء مجلس أعلى للإصلاح الاجتماعي (١) ، يكون مختصاً بمراقبة أحوال التطور الاجتماعي

(١) يشكل هذا المجلس على الوجه الآتي :

للبلاد ، وبالنظر فى الوسائل والتدابير والاصلاحيات التى ترمى الى توجيه هذا التطور توجيهها يتسق مع خصائص الشعب المصرى وتقاليد وملكاته ، كما يختص بالسعى فى التوفيق بين مقومات الحيات الاجتماعية للبلاد ، وبين آثار التقدم المادى ، وما استحدثت من وجوه العمل الاقتصادية وأحوال الحياة الجديدة ، وبالبحث فى نظام الاسرة ودرس الاصلاحات التى تؤكد تماسكها ، والمحافظة على كيانها ، وصيانة حقوق الولاية فيها ، وللمجلس أن يقوم مباشرة بدراسة أية مسألة اجتماعية ، أو اجراء بحث أو تحقيق بشأنها . وله أن يستعين فى ذلك بالادارات الحكومية المختلفة بواسطة الوزير صاحب الشأن . وله - من تلقاء نفسه ، أو بناء على هذه الدراسات والأبحاث والتحقيقات - أن ينصح أو يقترح ضرورة إصدار أو اتخاذ تصرف إدارى معين . ويجوز له - بالاتفاق مع الحكومة - توجيه نصائح ونداءات للجمهور ، وتنظيم دعايات اجتماعية

* * *

ثم شعر بحاجة البلاد إلى سياسة صحية . بعيدة المدى . تؤدى الى تحسين الحالة الصحية فى البلاد ، ويقوم على تنفيذها وزير مسئول لما لشؤون الصحة من الأهمية الحيوية ، ومن الأثر البالغ فى مظهر حضارة البلد ، وفى كيانها الاجتماعى ، فاستصدر فى ٧ إبريل سنة ١٩٣٦ مرسوماً بإنشاء وزارة الصحة العامة .

* * *

وزير الداخلية رئيساً - وزير المعارف العمومية - وزير المالية - تسعة أعضاء
يدينهم مجلس الوزراء لمدة ثلاث سنوات قابلة للتجديد .

والتفت مقامه الرفيع إلى القضاء ، فعمل على استقلاله الذاتي ، ثم بدأ لتوحيد القضاءين الأهلى والمختلط ، واستصدر فى ١٠ ابريل سنة ١٩٣٦ المرسوم بقانون رقم ٣١ لسنة ١٩٣٦ بشأن نظام هيئة القضاء ، والمرسوم بقانون رقم ٣٢ لسنة ١٩٣٦ بشأن تعديل الأمر العالى المشتمل على لائحة ترتيب المحاكم الاهلية. وقد رمى فيهما إلى وضع نظام يكفل حسن اختيار القضاة ، وانشاء مجلس أعلى للقضاء ، يكون المرجع فى أمور القضاء فلا يتخذ أى اجراء فى أمر قاض الا بناء على رأيه ، ورمى إلى تحقيق استقلال القضاة ، واحاطتهم بسياسج يجعلهم بمأمن من كل ما يمكن أن يؤثر فيهم من قريب أو من بعيد .

ولم يتسبب النظام الذى وضع فى وزارة مقامه الرفيع عن تشريع أجنبى معين ، وانما بحثت أهم الأنظمة الأجنبية الخاصة بحماية استقلال القضاء ، واختير منها ما يصلح لمصر فمصر ، ووضع فى خير شكل يؤدي إلى أحسن نتيجة : رتب للقضاة حقوقا ، وجعل لهم ضمانات ، وأحاط اختيارهم بضمانات تكفل اختيار أحسن العناصر .

* * *

ثم اتجه إلى العناية بالتعليم ونشر الثقافة العامة فى البلاد ، لتكوين الرجال الذين يستطيعون أن يحكموا الحكم الصالح ، الذى يخلق الأمم ، وينهض بها إلى مدارج الارتقاء ، فاستصدر فى ١٠ ابريل سنة ١٩٣٦ المرسوم بقانون رقم ٣٢ لسنة ١٩٣٦ بإنشاء معهد جديد للتعليم باسم « معهد فاروق » يكون الغرض منه الاعداد للدراسة بالجامعة ، والعناية بصفة خاصة بتكوين الشخصية وقوة الخلق فى التلاميذ ، بتنمية روح الواجب والشعور بالمسؤولية ، والابتكار فى نفوسهم ، وتعويدهم على التعاون ، ويكون القبول به على أثر مسابقة للاستيثاق مما إذا كانت

درجة ذكاء التلميذ واستعداده تمكنه من الاستفادة من دروس المعهد ،
وحددت مدة الدراسة بخمس سنوات ، تسبقها سنة إعدادية ، وضمنت
مناهج الدراسة تشقيفا من الناحية الاجتماعية والفنية ، وتربية بدنية
وتعليم اللغتين الانجليزية والفرنسية ، باعتبارهما لغتين أجنبيتين أساسيتين ،
ويقوم تعليمهما على دراسة علمية وعملية كافية ، لتمكين التلاميذ من التكلم
والكتابة بهما في سهولة وصحة ، وتنظيم دراسات اختيارية للملاءمة
الاستعدادات المختلفة لدى التلاميذ ، ولتنمية الاستعدادات والميلكات
الخاصة فيهم ، وقد كانت النية متجهة إلى فتح أبواب هذا المعهد للناخبين
من أبناء الأغنياء والفقراء على السواء ، حتى يكون نواة لإنشاء معاهد
أخرى على غرار هـ .

* * *

وفي ٤ مايو سنة ١٩٣٦ صدر مرسوم بقانون رقم ٣٧ لسنة ١٩٣٦ بإنشاء
مجلس أعلى للتعليم (١) ، يؤلف من جماعة يمثلون فروع التعليم كلها تمثيلا

(١) يؤلف هذا المجلس على الوجه الآتي :

وزير المعارف العمومية

وكيل وزارة المعارف العمومية

مدير الجامعة المصرية

عضو من كل هيئة من الهيئات الآتية تنتخبه تلك الهيئة :

هيئة التدريس في كل كلية من كليات الجامعة

موظفو التدريس في كل من معهد التربية ودار العلوم ومدرسة الفنون الجميلة العليا

ناظر ينتخبه من بينهم نظار المدارس الآتية :

مدارس الفنون والصناعات والمدارس الصناعية

مدارس التجارة

الزراعة »

حسنا ، ويستشار في جميع شؤون التعليم ، فلا يمتنع الوزير أمرا من أموره إلا وقد وضع له الرأي فيه ، وعرف ملاءمته لحاجة المتعلمين وقدره المعلمين ، فإن مهمة المجلس بحث جميع الشؤون التي تتعلق بالتربية العامة ، وأساليب الدراسة ومناهجها ، ونظم امتحاناتها ، وسياسة الوزارة في نشر التعليم ، وفي الاشراف على التعليم الحر ، وشروط توظيف رجال التعليم وتأديبهم ؛ وقد نص القانون على أن تكون كثرة أعضاء المجلس بانتخاب المعلمين أنفسهم ، ويختار الوزير فريقا من أعضائه ، يعينون فيه بمرسوم ، حتى يكفل عدم تدخل السلطات الحاكمة في اختيار الأعضاء حسب أهوائها وأغراضها ، ويلائم بين طبيعة الديمقراطية التي تكفل الحرية من جهة ، وطبيعة الساطة التي تضمن الاستقرار من جهة أخرى ، ويحيط المعلمين بضمانات تحفظ لهم كرامتهم الشخصية والعلمية .

* * *

وفي الساعة الواحدة والنصف بعد ظهر يوم ٢٨ ابريل سنة ١٩٣٦
فجعت البلاد بانتقال عاهلها العظيم المغفور له الملك فؤاد . فكان على
ماهر باشا رجل الساعة ، واتجه نشاطه إلى ضرورة اجتياز البلاد هذا

ناظران ينتخبهما من بينهم نظار المدارس الآتية :

المدارس الثانوية

» الابتدائية

مدارس المعلمين الأولية

ناظرة تنتخبها من بينهن ناظرات مدارس البنات (غير الأولية)

مراقب التربية البدنية بوزارة المعارف العمومية

سبعة أعضاء ممن لهم خبرة بشؤون التعليم يعينون بمرسوم بناء على طلب

وزير المعارف العمومية

الظرف الدقيق، وظهر ولاؤه للأسرة المالكة (١). واحترامه للدستور، وحبائه لمصر، فأعلن في وقت واحد وفاة جلالة الملك فؤاد، والمناداة بحضرة صاحب الجلالة الملك الصالح المحبوب « فاروق » الأول ملكا على مصر. وتولى مجلس الوزراء، منذ ذلك اليوم، سلطات الملك الدستورية باسم الأمة المصرية، وتحت مسؤوليته، حتى ١٨ مايو سنة ١٩٣٦ وهو الوقت الذي سلم مقاليدها إلى مجلس الوصاية - وحرص على أن يجتمع البرلمان لانتخاب مجلس الوصاية في الموعد المضروب له في الدستور.

* * *

وفي ٣ مايو سنة ١٩٣٦ أصدر مجلس الوزراء المرسوم بقانون رقم ١٤ لسنة ١٩٣٦ بإعلان رشيد حضرة صاحب الجلالة الملك المفدى « فاروق »

(١) نشرت جريدة كوكب الشرق بتاريخ ٩ مايو سنة ١٩٣٦ مقالا تحت عنوان « ملاحظات سريعة » في المؤتمر التاريخي لاختيار هيئة الوصاية، جاء فيه :

وفاء على ماهر باشا

ليس عندي ما أبدأ به هذه الملاحظات أحق ولا أوجب من الحديث عن دولة على ماهر باشا، والشعور الذي خالجني عندما رأيته يقف ليبلغ المجلس نبأ وفاة جلالة ملكه الجليل الفريد، فإن هذا الموقف جعلني والحق يقال أحس الاجلال والاكبار لهذا الرجل المخلص الذي غلبت عليه حقوق الوفاء، وهو يليق رثاءه للملك الراحل، فقد امتلأت عيناه بقطرات من الدمع، وظهر عليه التأثر البالغ الفاجع، ولاحظ المجلس ذلك على دولته، فسرى أثره في النفوس، وتكهربت به مسارب الاحساس، وساد القاعة شعور رهيب وتأثر عميق.

بارك الله في هذه النفوس الوفية التي لا تنسى حقوق الولاء والوفاء، وأرجو أن يتقبل دولته مني أصدق التحية وأكبر الاعجاب.

الأول» ، فيما يختص بجميع التصرفات المدنية ، مستندا إلى انه ليس ثمة نص يحدد السن التي يكون فيها للمالك الأهلية فيما يختص بمباشرة حقوقه الخاصة وإدارة أمواله ، وإلى أن الحكم الشرعى يقضى بأنه إذا بلغ الشخص سن الخامسة عشرة أصبح ذا أهلية تامة للتصرفات الشرعية جميعها فتكون له الولاية التامة فى ماله ، ويصح أن يكون ناظرا على الأوقاف ، وأن يكون وليا على غيره فى النفس والمال .

* * *

وفى ٤ مايو سنة ١٩٣٦ صدر المرسوم بقانون رقم ٤٤ لسنة ١٩٣٦ بشروط توظيف الأجانب ، ونص فيه على أنه لا يجوز اسناد أية وظيفة عامة مدنية كانت أو عسكرية إلى أجنبى إلا فى أحوال استثنائية ، وإذا ثبت أن الوظيفة تتطلب مؤهلات علمية أو عملية لا تتوفر فى مصرى ، ولا تسند الوظيفة إلى أجنبى لمدة تزيد على خمس سنوات ، تبدأ من تاريخ استلامه عملها ، فإذا كان التعيين لاجل أقل من المدة المقررة ، أو إذا خلت الوظيفة قبل نهاية هذه المدة ، سرى مفعول القرار الصادر باسنادها أجنبى حتى نهاية المدة المقررة ، ونص على سقوط قرار اسناد الوظيفة إلى أجنبى إذا انقضت سنة من وقت صدور القرار ولم يتم التعيين فيها ، واشترط ضرورة الكشف الطبى على كل مرشح أجنبى قبل تعيينه ، للتثبت من لياقته صحيا لأداء عمله ومن مقدرته على تحمل جو مصر ، وجعل القانون للحكومة الحق فى فسخ التعاقد مع الموظف الأجنبى فى أى وقت أثناء السنتين الأوليين من مدة العقد ، بشرط أن تعلنه قبل ذلك بثلاثة شهور ، كما يحق لها فصله فى أى وقت أثناء مدة الخدمة من غير إعلان سابق ، بسبب سوء سلوكه أو تقصيره تقصيرا فاحشا فى تأدية أعمال وظيفته ،

ونص القانون على ألا يمنح الموظف الأجنبي عن مدة خدمته أى معاش أو أية مكافأة ، وجعل لمجلس الوزراء تقرير منح مكافآت خاصة إذا اقتضت ذلك مبررات استثنائية.

* * *

ثم سعى إلى تسوية المسائل التي كانت معلقة بين مصر والحجاز ، لما بين القطرين الشقيقين من صلات النسب والجوار ، ولما لدى المملكتين من خالص الرغبة فى توثيق عرى الصداقة ، فصدر فى ٨ مايو سنة ١٩٣٦ مرسوم باصدار معاهدة الصداقة المعقودة بين المملكة المصرية والمملكة العربية السعودية ، وكان لهذا رنة سرور وفرح فى البلدان العربية التى يجتهد الوطنيون والزعماء فى الشرق أن يعززوا ما بينها من روابط .

* * *

ولا يفوتنى أن أذكر هنا ذلك العمل العظيم الذى كان يعتزم مقامه الرفيع أن يختم به اصلاحاته الجليلة ، فى عهد وزارته القصير ، المملوء بعظيم الحوادث ومفاخر الاعمال ، فقد كان يريد الغاء الامتياز المالى ، وذلك باعلان استقلال مصر فى تنظيم ما يفرض من ضرائب على السكان - مصريين وأجانب على السواء - دون عرض مشروعات القوانين الخاصة بهذا التنظيم على الدول ، وأعد اجراءات هذا الاعلان ، سواء منها ما يختص بالتبليغ للدول ، وما يتبع هذا من بيان للناس وايضاح للجماهير ، ولسكن فوجئت البلاد بوفاة عاھلها العظيم المغفور له الملك فؤاد ، فألقى على عاتق على ماهر باشا أعباء ومهام جسام ، حالت دون تفرغه لما كان يود تحقيقه فى سبيل مصر وخيرها ورفاهيتها .

* * *

وفي ٨ مايو سنة ١٩٣٦ صدر مرسوم بتعيين دولته عضواً بمجلس الشيوخ .

* * *

وفي ٩ مايو سنة ١٩٣٦ استقالت وزارة مقامه الرفيع ، بعد أن
تركت أعظم أثر في نفوس المصريين جميعاً (١)

* * *

(١) هذا نص كل من كتاب الاستقالة ، وكتاب قبولها :

كتاب استقالة الوزارة

حضرة صاحب السمو الملكي الأمير محمد علي

حضرة صاحب السعادة عبد العزيز عزت باشا

حضرة صاحب السعادة محمد شريف صبرى باشا

أتشرف بأن أرفع إلى حضراتكم ان الوزارة التي عهد إلى بتأليفها والتي تألفت بتاريخ ٣٠ يناير سنة ١٩٣٦ بذلت غاية جهدها لصيانة الوحدة القومية كما وعدت . ولما كان أول مهمة لها أن تمهد السبيل للمفاوضات وللعمل بالدستور ، فقد مضت في الاجراءات اللازمة لذلك ، على أنه قبل أن تبلغ تلك الاجراءات غايتها فوجئت البلاد بفقد مليكها المحبوب ، وتعين على أثر ذلك تدارك الحال بتأليف هيئة الوصاية .

والآن وقد تم تأليف هيئة الوصاية ، وتمت من جانب آخر المهمة التي أخذناها على أنفسنا بما تقتضيه له ضمائرنا ، فاني أتشرف بأن أرفع إلى حضراتكم استقالة الوزارة التي عهد إلى بتأليفها جلالة المغفور له الملك فؤاد الاول ، بعد أن أدينا الأمانة كاملة .

واننا اذ نرفع هذه الاستقالة ، والدستور نافذ معمول به ، نبتذل إلى الله أن يرعى العهد الجديد ، ويجعله على البلاد خيراً وبركة ، وأن يبقى جلالة الملك فاروق الاول ذخراً للامة .

واني لحضراتكم الخالص الامين

(علي ماهر)

القاهرة في ٩ مايو سنة ١٩٣٦

وفى ٢٠ أكتوبر سنة ١٩٣٧ صدر أمر ملكى بتعيين مقامه الرفيع
رئيسا للديوان العالى الملكى .

وفى ١٠ فبراير سنة ١٩٣٨ أنعم حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم
«فاروق» الاول حفظه الله تعالى بقلادة فؤاد الاول على مقامه الرفيع

أما بعد فهذه هي بعض أعمال على ماهر باشا ، تتحدث عن نفسها ،
وتعان عن عظمتها ، وهذه هي بعض مفاخره وما أثره فى سبيل مصر
والمصريين ، تنبى عما للوطن فيه من آمال كبار ، وانها والله لمفخرة لمصر
ان يكون هذا الرجل العظيم من أبنائها

قبول الاستقالة

أمر ملكى بقبول استقالة حضرة صاحب الدولة على ماهر باشا
دولة الرئيس العزيز على ماهر باشا

اطلعنا على كتاب الاستقالة المرفوع إلينا منكم فى ٩ مايو الحاضر وانكم ،
وأنتم تتركون الحكم ، بعد أن أدبتم مهمتكم بمنتهى الأمانة والنزاهة وتفانيتم فى خدمة
البلاد وكنتم مثلاً أعلى فى الوفاء والولاء والاخلاص لجديرون بكل اعجاب وشكر .
فلندواتكم ولحضرات الوزراء زملائكم أطيب التناء .
وأصدرنا أمرنا هذا لدواتكم راجين لكم دوام التوفيق ؟

مجلس الوصاية

محمد على

عبد العزيز عزت

شريف صبرى

صدر بسرأى عابدين فى ١٨ صفر سنة ١٣٥٥

٩ مايو سنة ١٩٣٦

كتب الله له حياة طويلة موفقة في خدمة الوطن والمليك الصالح
المحبوب .

لأل مؤمنكم

المصادر

اعتمدت في هذا التاريخ على :

الدليل المصرى لعام ١٩٣٦ ،

مجموعات القوانين والمراسيم والأوامر الملكية لسنة ١٩٣٦ ،

مجموعة محاضر اللجنة العامة لوضع الدستور ،

صحيفة الأخبار عام ١٩١٩ و ١٩٢٠ ،

الصحف اليومية سنة ١٩٣٦ ،

بعض المجلات الاسبوعية والشهرية،

كتاب مرآة العصر في تاريخ ورسوم أكابر الرجال بمصر

المختار في

ولى حضرة صاحب المقام الرفيع على ماهر باشا الحكم فى ٣٠ يناير سنة ١٩٣٦ فى ظروف حرجة دقيقة ، فلما كان المرض وقتئذ شديداً على المتفوق له الملك فؤاد الأول ، وكانت هناك حوادث وطنية حركت الطلبة والشبان ، ودفعتهم إلى الاضراب احتجاجاً على عدم عودة دستور سنة ١٩٢٣ ، وعلى ابناء الانجليز مفاوضة المصريين لحل المسائل المتعلقة بين البلدين .

ولى على ماهر باشا الحكم فى هذه الظروف العصيبة . فكان الرجل المختار لها ، وكان القائد الماهر ، الذى تدخره البلاد لقيادة سفينة بها ، حين يضطرب الموج وتهيج الرياح .

ولم يكن عجيباً أن يملك على ماهر باشا الموقف السياسى ، ولكن العجيب أن يتسع وقته وتفكيره للشؤون الاجتماعية ، فكان للصحافة نصيب من عنايته ورعايته ، فهو أول رئيس وزارة فى مصر قدر للصحافة وظيفتها العامة ، فيسر لممثليها سبل الاستفادة ، وانهمض بكرامتهم ، ولم يبتخل عليهم بنياً لا تضر اذاعته المصلحة العامة ، وكان موقفه من رجال الصحافة موقف الصديق المفدر ، لا موقف السكاره المراقب المترقب ، وقوانين المطبوعات ، التى أصدرها مقامه الرفيع ، كانت كسبا للصحافة ، لم تكن تحلم به .

أعلن مقامه الرفيع أولاً نيته نحو الصحافة في تصريح مع مندوب الأهرام في ١٩ فبراير سنة ١٩٣٦، جاء فيه:-

« نرجو أن نكون قد وفتنا لاجابة الصحافة الى رغباتهم في تلطيف الضغط الذي تضمنته التشريعات الراهنة ؛ فقد رفعنا من شروط اصدار الجرائد قيود التأمينات ، واشترائط وجود المطبعة ، وكذلك بعض الشروط الواجب توافرها في رؤساء التحرير ، وغير ذلك ؛ وأنا مستعد أن أرفع من التشريعات غير ذلك من القيود ؛ إذا كان هناك ما تدعو مصلحة الصحافة إلى رفعه وإزالته ، لأنني أرى من الواجب أن تعمل الحكومة لمساعدة الصحافة على الارتقاء والتقدم . »

* * *

ثم لم يمض أسبوع على هذا التصريح ، وبعبارة أخرى لم تمض أسابيع على تولي مقامه الرفيع رئاسة الوزارة ، حتى صدر في ٢٧ فبراير سنة ١٩٣٦ المرسوم بقانون رقم ٢٠ لسنة ١٩٣٦ بتعديل قانون المطبوعات رقم ٩٨ لسنة ١٩٣١ تعديلاً يتفق مع مطالب الصحفيين ، فخفض الشروط التي سنها ذلك القانون بحذف النص الوارد بالمادة (١١) الخاص بوجود مطبعة لكل جريدة تصدر ثلاث مرات في الأسبوع فأكثر، وبجواز أن يحل الضمان الشخصي محل الضمان النقدي ، وهو اشتراط دفع ثلثمائة جنيه لاصدار الجريدة التي تصدر ثلاث مرات فأكثر في الأسبوع ، ومائة وخمسين جنيهاً للجريدة التي تظهر مرة أو مرتين في الأسبوع ، وبحذف عقوبة إلغاء

الجريدة وجعل التعطيل لمدة أقصر ، وإلغاء عقوبة اقفال المطبعة إلا في حالة فتحها بدون اخطار ، ووضع أحكام خاصة بالمطابع وتوزيع المطبوعات بالزام كل صاحب مطبعة بإرسال اخطار قبل فتح المطبعة ، وأحكام خاصة بمن يتولون بيع المطبوعات وتوزيعها في الطريق العام .
وهو نص المرسوم بقانون ومذكرته التفسيرية :

نحن فؤاد الأول ملك مصر

بعد الاطلاع على أمرنا رقم ١١٨ لسنة ١٩٣٥ ،
وبناء على ما عرضه علينا وزير الداخلية وموافقة رأى مجلس الوزراء .

رسمنا بما هو آت :

١ - تعريف الاصطلاحات

مادة ١ - في تطبيق هذا القانون يقصد بكلمة « مطبوعات » كل الكتابات أو الرسوم أو القطع الموسيقية أو الصور الشمسية أو غير ذلك من وسائل التمثيل ، متى نقلت بالطرق الميكانيكية أو الكيميائية أو غيرها فأصبحت بذلك قابلة للتداول .

ويقصد بكلمة « التداول » بيع المطبوعات أو عرضها للبيع أو توزيعها أو الصافيها بالجدران أو عرضها في شبائيك محلات أو أى عمل آخر يجعلها بوجه من الوجوه في متناول عدد من الأشخاص .

ويقصد بكلمة « جريدة » كل مطبوع يصدر باسم واحد بصفة دورية في مواعيد منتظمة أو غير منتظمة .

ويقصد بكلمة « الطابع » صاحب المطبعة .

ومع ذلك فإذا كان صاحب المطبعة قد أجراها الى شخص آخر فأصبح ذلك الشخص هو المستغل لها فعلا ، فكلمة « الطابع » تنصرف إلى المستأجر .
ويقصد بكلمة « الناشر » الشخص الذى يتولى نشر أى مطبوع .

٢ - فى الأحكام المتعلقة بالمطابع وبالمطبوعات على وجه العموم

مادة ٢ - يجب على كل طابع قبل فتحه مطبعة أن يقدم اخطارا كتابيا بذلك إلى

المحافظة أو المديرية التي تقع المطبعة في دائرتها .
ويشتمل الاخطار على اسم ولقب وجنسية ومحل اقامة الطابع ومقر المطبعة واسمها .

ويجب تقديم اخطار جديد في خلال ثمانية أيام عن كل تغيير في البيانات المتقدمة .

مادة ٣ - يجب على كل طابع قبل أن يتولى طبع جريدة أن يقدم اخطارا كتابيا بذلك إلى المحافظة أو المديرية .

مادة ٤ - يجب أن يذكر بأول صفحة من أى مطبوع أو بآخر صفحة منه اسم الطابع وعنوانه واسم الناشر وعنوانه، إن كان غير الطابع، وكذا تاريخ الطبع .

مادة ٥ - عند اصدار أى مطبوع يجب ايداع أربع نسخ منه في المحافظة أو المديرية التي يقع الاصدار في دائرتها .
ويعطى ايصال عن هذا الايداع .

مادة ٦ - لا تسرى أحكام المادتين الرابعة والخامسة على المطبوعات ذات الصفة الخاصة أو التجارية .

مادة ٧ - لا يجوز لأحد أن يتولى بيع أو توزيع مطبوعات في الطريق العام أو في أى محل عمومي آخر ولو كان ذلك بصفة عارضة أو مؤقتة الا بعد الحصول على رخصة بذلك من وزارة الداخلية .

مادة ٨ - لا يجوز لأحد أن يمارس مهنة مرتبطة بتداول مطبوعات في الطريق العام أو في أى محل عمومي آخر قبل أن يقيد اسمه في المحافظة أو المديرية .
والشروط اللازمة للتصريح بهذا القيد تبين بقرار وزارى .

مادة ٩ - يجوز، محافظة على النظام العام، أن تمنع مطبوعات صادرة في الخارج من الدخول والتداول في مصر، ويكون هذا المنع بقرار خاص من مجلس الوزراء .

مادة ١٠ - يجوز لمجلس الوزراء أن يمنع أيضا من التداول في مصر المطبوعات المئيرة للشبهوات، وكذلك المطبوعات التي تتعرض للأديان تعرضا من شأنه تكدير السلم العام .

٣ - في الأحكام الخاصة بالجرائد

مادة ١١ - يجب أن يكون لكل جريدة رئيس تحرير مسئول يشرف اشرفا

فعليا على كل محتوياتها ، أو جملة محررين مسؤولين يشرف كل واحد منهم اشرافا
فعليا على قسم معين من أقسامها .

مادة ١٢ - يجب أن يكون رؤساء التحرير أو المحررون المسؤولون حائزين
للمصفات الآتية :-

(أولا) أن يكونوا مصريين ، اذا كانت الجريدة تنشر كلها أو بعضها باللغة
العربية .

(ثانيا) ألا تقل سنهم عن خمس وعشرين سنة ميلادية .

(ثالثا) أن يكونوا كاملي الأهلية وحسنى السمعة .

(رابعا) ألا يكون قد حكم عليهم لجناية من الجنايات العادية أو لسرقة أو
اخفاء أشياء مسروقة أو نصب أو خيانة أمانة أو غدر أو رشوة أو
تفالس بالتدليس أو تزوير أو استعمال أوراق مزورة أو شهادة زور أو اغراء
شهود أو هتك عرض أو اغراء قصر على البغاء أو انتهاك حرمة الآداب أو حسن
الاخلاق أو تشرد لجنحة ارتكبت للفرار من الخدمة العسكرية أو لشروع في
ارتكاب جريمة مما ذكر متى كان الشروع منصوصاً عليه في القانون .

مادة ١٣ - يجب على كل من أراد أن يصدر جريدة أن يقدم اختارا كتابيا
بذلك الى المحافظة أو المديرية التي يتبعها محل الاصدار .
ويشتمل الاخطار على البيانات الآتية :

(أولاً) اسم ولقب وجنسية ومحل اقامة صاحب الجريدة والمحرر أو المحررين
المسؤولين والناشران وجد .

(ثانيا) اسم الجريدة واللغة التي تنشر بها وطريقة اصدارها وعنوانها .

(ثالثا) اذا كان للجريدة مطبعة خاصة ، والافيين اسم وعنوان المطبعة التي تطبع
فيها الجريدة .

ويجب أن يوقع على الاخطار من صاحب الجريدة ومن رئيس التحرير أو
المحررين المسؤولين ومن الناشران وجد .
ويعطى ايصال عن هذا الاخطار .

مادة ١٤ - كل تغيير يطرأ على البيانات التي تضمها الاخطار يجب اعلانه
للمحافظة أو المديرية كتابة قبل حدوثه بثمانية أيام على الأقل الا اذا كان هذا

التغيير طرأ على وجه غير متوقع ، ففي هذه الحالة يجب اعلانه في ميعاد ثمانية أيام على الأكثر من تاريخ حدوثه .

مادة ١٥ - لضمان وفاء الغرامات والمصاريف التي قد يحكم بها على رئيس التحرير أو المحررين المسؤولين أو صاحب الجريدة أو الناشر أو الطابع تطبيقاً لأحكام هذا القانون أو تطبيقاً لأحكام الباب الرابع عشر من الكتاب الثاني أو الباب السابع من الكتاب الثالث من قانون العقوبات الاهلي يجب على الموقعين على الاخطار المنصوص عليه في المادة ١١ إما أن يودعوا في ميعاد ثلاثة أيام من تاريخ الاخطار تأميناً نقدياً مقداره ٣٠٠ جنيه عن كل جريدة تصدر ثلاث مرات أو أكثر في الأسبوع و ١٥٠ جنيه في الأحوال الأخرى ، وإما أن يقدموا كفيلاً يرضيه المحافظ أو المدير .

مادة ١٦ - إذا نقص التأمين بسبب ما أخذ منه بمقتضى أحكام المادة السابقة وجب اكمله في الخمسة الأيام التالية لانداز يعلن بالطرق الادارية الى صاحب الشأن .

وإذا أصبح الكفيل غير مقتدر وجب أن يستبدل به بالكيفية المبينة آنفاً كفيل آخر يرضيه المحافظ أو المدير .

مادة ١٧ - يجوز اصدار الجريدة في اليوم الحادى والثلاثين من تاريخ الاخطار إلا إذا أعلن المحافظ أو المدير في خلال هذه المدة مقدمى الاخطار كتابة بالطرق الادارية بمعارضته في اصدار الجريدة لعدم توافر أحد الشروط المبينة في المواد السابقة .

مادة ١٨ - إذا لم تظهر الجريدة في بحر الثلاثة الأشهر التالية لتاريخ الاخطار أو إذا لم تصدر بانتظام في خلال ستة أشهر اعتبر الاخطار كأنه لم يكن ويكون اثبات عدم انتظام صدور الجريدة المشار اليه في الحالة الثانية بقرار من وزير الداخلية يعلن لصاحب الشأن .

مادة ١٩ - يجب بيان اسم صاحب الجريدة ورئيس تحريرها وكذا اسم ناشرها واسم المطبعة التي تطبع فيها إذا لم يكن لها مطبعة خاصة بها وذلك بشكل ظاهر على كل نسخة وفي أول صفحة منها .

وإذا لم يكن للجريدة رئيس تحرير وكان لها عدة محررين كل منهم مسئول عن قسم خاص مما ينشر فيها يجب بيان أسماء هؤلاء المحررين بالطريقة عينها مع تعيين

القسم الذى يشرف عليه كل منهم .

مادة ٢٠ - بمجرد تداول عدد من الجريدة أو ملحق لعدد يجب أن يسلم إلى وزارة الداخلية ست نسخ مما نشر موقع عليها من رئيس التحرير أو أحد المحررين المسؤولين إذا كانت الجريدة تصدر فى القاهرة وإلى المحافظة أو المديرية إذا كانت الجريدة تصدر فى مدن أخرى .
ويعطى إيصال بهذا الإيداع .

مادة ٢١ - يجوز محافظة على النظام العام أن يمنع عدد معين من جريدة تصدر فى الخارج من الدخول والتداول فى مصر وذلك بقرار من وزير الداخلية .

مادة ٢٢ - الجرائد التى تصدر فى مصر بلغة أجنبية ويكون رئيس تحريرها أو محرروها المسؤولون غير خاضعين للمحاكم الأهلية - يجوز محافظة على النظام العام تعطيلها بقرار خاص من مجلس الوزراء بعد ائذار يوجه إليها وزير الداخلية أو بدون ائذار سابق وذلك لمدة خمسة عشر يوماً إذا كانت الجريدة تصدر ثلاث مرات أو أكثر فى الأسبوع أو لمدة شهر إذا كانت تصدر أسبوعياً أو لمدة ثلاثة شهور فى الأحوال الأخرى .

ويجوز لنفس السبب المتقدم منع تداول عدد معين من الجرائد المذكورة بقرار يصدره وزير الداخلية .

مادة ٢٣ - يجب على رئيس التحرير أو المحرر المسؤول أن يدرج من غير مقابل فى أول عدد يصدر من الجريدة وفى الموضع المخصص للأخبار المهمة ما ترسله إليه وزارة الداخلية من البلاغات المتعلقة بالمصاحبة العامة أو الخاصة بمسائل سبق نشرها فى الجريدة المذكورة .

مادة ٢٤ - يجب على رئيس التحرير أو المحرر المسؤول أن يدرج بناء على طلب ذوى الشأن تصحيح ماورد ذكره من الوقائع أو سبق نشره من التصريحات فى الجريدة ويجب أن يدرج التصحيح فى خلال الثلاثة الأيام التالية لاستلامه أو على الأكثر فى أول عدد يظهر من الجريدة فى نفس المكان وبنفس الحروف التى نشر بها المقال المطلوب تصحيحه ويكون نشر التصحيح من غير مقابل إذا لم يتجاوز ضعف المقال المذكور ، فإذا تجاوز الضعف كان للمحرر الحق فى مطالبة صاحب الشأن قبل النشر بأجرة النشر عن المقدار الزائد على أساس

تعريفه الاعلانات .

مادة ٢٥ - لا يجوز الامتناع عن نشر التصحيح في غير الأحوال الآتية :
(أ) اذا وصل التصحيح إلى الجريدة بعد شهرين من تاريخ نشر المقال الذى اقتضاه .

(ب) اذا سبق للجريدة أن صححت بنفس المعنى الوقائع أو التصريحات التى اشتمل عليها المقال المطلوب تصحيحه .

(ج) إذا كان التصحيح محرراً بلغة غير التى كتب بها المقال

(د) اذا كان فى نشر التصحيح جريمة معاقب عليها .

٤ - فى العقوبات

مادة ٢٦ - كل مخالفة لأحكام المواد ١١ و ١٢ و ١٣ و ١٤ و ١٧ تكون عقوبتها الحبس لمدة لا تتجاوز ستة أشهر والغرامة من ٢٠ جنيها إلى ٢٠٠ جنية أو احدى هاتين العقوبتين فقط .

وتكون المعاقبة على دخول المطبوعات والجرائد أو تداولها أو نشرها خلافا لأحكام المواد ٩ و ١٠ و ٢١ و ٢٢ بنفس العقوبات السابقة .

ويجوز أن يقضى أيضا بالحكم الصادر بالعقوبة بتعطيل الجريدة لمدة ١٥ يوما إذا كانت تصدر ثلاث مرات أو أكثر فى الأسبوع أو لمدة شهر اذا كانت تصدر أسبوعيا أو لمدة سنة فى الأحوال الأخرى .

مادة ٢٧ - يعاقب بنفس العقوبات المتقدمة رئيس التحرير والمحرون المسئولون وصاحب الجريدة والطابع والناشر عند وجوده اذا استمروا على اظهار الجريدة باسمها أو باسم آخر بعد صدور القرار بتعطيلها .

ويجب أن يتضى أيضا فى هذه الحالة بتعطيل الجريدة لمدة تعادل ضعفى المدة المنصوص عليها فى المادة المتقدمة وتضاف الى مدة التعطيل السابقة .

مادة ٢٨ - كل مخالفة لأحكام المادة ١٦ تكون عقوبتها الغرامة من ١٠ جنيها إلى ١٠٠ جنية .

مادة ٢٩ - كل مخالفة أخرى لأحكام هذا القانون يعاقب عليها بغرامة لا تزيد على ١٠٠ قرش وبالحبس لمدة لا تتجاوز اسبوعا أو باحدى هاتين العقوبتين فقط .
وفى حالة الحكم بالعقوبة لمخالفة أحكام المادة الثانية يجوز للقاضى أن يحكم باقفال المطبعة .

مادة ٣٠ - فى حالة مخالفة أحكام المواد ٩ و ١٠ و ٣١ و ٣٢ تضبط المطبوعات أو اعداد الجريدة بصفة ادارية .

وفى حالة مخالفة أحكام المادة ١٠ يضبط أيضاً ما استعمل فى الطباعة من قوالب وأصول (كليشيات)

ويقضى الحكم الصادر بالعقوبة بمصادرة المطبوعات المذكورة أو أعداد الجريدة أو القوالب أو الاصول (الكليشيات)

مادة ٣١ - فى حالة مخالفة أحكام المواد ٤ و ٧ و ١١ و ١٢ و ١٣ و ١٤ و ١٧ و ١٩ يجوز ضبط المطبوعات أو اعداد الجريدة بصفة ادارية .

ويجوز أن يقضى الحكم الصادر بالعقوبة بمصادرة هذه المطبوعات أو أعداد الجريدة

مادة ٣٣ - يجوز للمحكمة عند الحكم ببراءة المحرر الذى اتهم بارتكاب الجريمة المنصوص عليها فى المادة ٢٤ أو ٢٥ أن تلزمه بنشر التصحيح بالصيغة التى طلب منه نشرها أو بصيغة أخرى تعينها .

وفى حالة الحكم بالعقوبة بسبب الامتناع عن النشر وبالالزام بنشر التصحيح يجب أن يحدث النشر فى العدد الأول أو الثانى الذى يلى صدور الحكم إذا كان هذا الحكم حضورياً أو الذى يلى اعلان هذا الحكم إذا كان غيابياً - مهما تكن أوجه الطعن فى الحكم - فإذا ألغى الحكم بعد نشره جاز للمحرر أن يدرج حكم الالغاء على نفقة الخصم الذى أقيمت الدعوى بناء على طلبه .

ويجوز أيضاً أن يؤمر فى الحكم الصادر بالعقوبة بأنه إذا امتنع المحرر عن تنفيذ الامر الصادر بالنشر ينشر التصحيح على نفقة المحرر فى ثلاث جرائد يعينها صاحب الشأن .

مادة ٣٣ - تنشر فى الجريدة الرسمية أوامر منع التداول وقرارات التمثيل والاندازات المنصوص عليها فى المواد السابقة

مادة ٣٤ - يتخذ ما يصدر من الاحكام وما يؤمر به من التدابير الادارية بتمتضى هذا القانون بدون نظر إلى معارضة صاحب الجريدة أو المطبعة أو أى شخص آخر ذى شأن .

٥ - فى الاحكام الوقتية وفى النصوص الملغاة

مادة ٣٥ - يعطى الاشخاص الذين يمارسون المهن المبينة فى الباب الثانى ميعاداً

قدره شهران من تاريخ العمل بهذا القانون للقيام بتنفيذ ما نصت عليه المواد ٢ و ٣ و ٧

مادة ٣٦ - يلغى قانون المطبوعات رقم ٩٨ لسنة ١٩٣١
مادة ٣٧ - على وزيرى الداخلية والحقانية تنفيذ هذا المرسوم بقانون كل منها فيما يخصه، ويعمل به من تاريخ نشره بالجريدة الرسمية .
نأمر بأن يصمم هذا المرسوم بقانون بخاتم الدولة وأن ينشر فى الجريدة الرسمية وينفذ كقانون من قوانين الدولة .

مذكرة إيضاحية

لمشروع المرسوم بقانون بشأن المطبوعات

ان وضع المرسوم بقانون رقم ٢٨ لسنة ١٩٣٥ المعدل لبعض نصوص الباب الرابع عشر من الكتاب الثانى والباب السابع من الكتاب الثالث من قانون العقوبات الأهلى اقتضى إعادة النظر فى قانون المطبوعات رقم ٩٨ سنة ١٩٣١ حتى تكون نصوصه متطابقة مع نصوص ذلك المرسوم الجديد
ان المبادئ التى تضمنها قانون سنة ١٩٣١ لم تزل مجعولة أساسا للمشروع الحالى الا انه قد عدلت بعض الاحكام التى كانت موضوعة لتطبيق تلك المبادئ تعديلا قصد به تخفيف تلك الاحكام .

فشلا قد الغى المشروع الحالى النص الذى كان يلزم كل جريدة تظهر ثلاث مرات أو أكثر فى الاسبوع بان تكون لها مطبعة خاصة (مادة ١١ من قانون سنة ١٩٣١) كما أنه حذف من العقوبات عقوبة الغاء الجريدة وجعل التعطيل لمدة اقصر ، كما انه اضاف إلى الضمان النقدى الضمان الشخصى الذى هو اقل ارهاقا .

ولقد كان الباب الثانى من قانون سنة ١٩٣١ قاصرا على نصوص خاصة بالمطبوعات بصفة عامة دون ان يضع احكاما خاصة بالمطابع وتوزيع المطبوعات - لذلك وضع المشروع الحالى نصوصا جديدة فى الباب الثانى سدا لذلك النقص - فقد نص فى المادة الثانية على الزام كل طابع بتقديم اخطار قبل فتح المطبعة ، ولقد كان قانون المطبوعات سنة ١٨٨١ كالقانون العثمانى السابق يقتضى بعدم جواز فتح مطبعة الا بعد الحصول على ترخيص من الحكومة - اما المشروع الحالى فقد سن طريقة ايسر وهى طريقة الاخطار اذ انه

لما كان الطابع ملزما بتنفيذ بعض اجراءات من أخصها وضع اسمه وعنوانه على المطبوعات التي يباشر طبعها في مطبعته كان من الضروري ان يكون لدى الادارة المعلومات الكافية عن المطابع الموجودة حتى ييسر لها مراقبة تنفيذ القانون، ولهذا السبب الزم الطابع الذي يتولى طبع جريدة ما بأن يخطر الادارة بذلك .

المادتان السابعة والثامنة - لا ينبغي الغرض من الالهمية التي لعملية التوزيع بين العمليات التي تتعاقب على المطبوعات من حين تحريرها إلى حين تداولها بين الايدي اذ أن توزيع المطبوعات المحظورة هو ركن اساسي للجرأتم الصحفية - بل قد يكون وحده كافيا احيانا لتكوين الجريمة - لذلك تنص قوانين المطبوعات عادة على جعل الموزعين مسئولين أسوة بالمحررين والطابعين والناشرين - حتى أن القانون الفرنسي الصادر في ٢٩ يولييه سنة ١٨٨٩ جعل بابا خاصا بالاصق الاعلانات والتوزيع والبيع في الطريق العام

والمشروع الحالي فرق بين الاشخاص الذين يتعهدون ببيع المطبوعات او توزيعها وبين الاشخاص الذين يمارسون مهنة مرتبطة بتداول تلك المطبوعات على الوجه المبين بالمادة الاولى « بائعون وموزعون ولاصقون الخ » .

ولما كان المتعهدون المشار اليهم آنفا هم عادة أهم عامل في ترويع المطبوعات، لذلك نص المشروع على إلزامهم بالحصول على رخصة من وزارة الداخلية - وهناك علة أخرى موجهة لإلزامهم بالحصول على هذا الترخيص وهي ان عملية التداول انما تباشر في الطريق العام او اى محل عمومي

أما الاشخاص الذين يباشرون مهنة مرتبطة بتداول المطبوعات فقد لوحظ أنهم عادة محررون على عملهم من تلقاء غيرهم لا من تلقاء أنفسهم ، لذلك اكتفى المشروع بالزامهم بان يقيّدوا اسماءهم بالمحافظة أو المديرية قبل ان يمارسوا تلك المهنة - وهذا هو ما كان مفروضا من قبل على بعضهم بمقتضى القرار الوزاري المؤرخ ٣١ يناير سنة ١٩١٥ الخاص بالباعة السريجة .

أما الشروط اللازمة لهذا القيد فقد ترك أمرها لوزير الداخلية ليصدر بها قرارا كما ترك له فرض ما يرى لزوم تطبيقه من الاجراءات التي أغفلها القانون نفسه لقلة أهميتها .

المادة ٩ - هذه المادة إن هي الا مضمون ماجاء بالمادتين ١٩ و ٢٩ من قانون سنة ١٩٣١ .

ومن جهة أخرى فإنه لما كانت كلمة مطبوعات تشمل الجرائد طبقا لتعريفهما المبين بالمادة الأولى رؤى الاكتفاء بمادة واحدة . كما أنه لما كان الاختلال بالاديان والآداب هو من اسباب الاختلال بالنظام العام لذلك رؤى الاكتفاء بعبارة النظام العام دون الإشارة إلى الاديان والآداب

المادة ١٠ - اخذت حكم المادة ٢٥ من قانون سنة ١٩٣١ بعد ان استبدلت بعبارة « المطبوعات المضرة بآداب الشبان » عبارة أوسع وانسب منها وهى عبارة « المطبوعات المثيرة للشهوات » .

ومن جهة أخرى فإن الضمانات التى نص عليها الدستور من منع الرقابة على الصحف التى تطبع فى مصر أو وقفها والغائها بما يكفل حرية الرأى بواسطة النشر إنما وضعت لكفالة حرية الآراء السياسية فلا يجوز الاستفادة منها بالنسبة للمطبوعات المثيرة للشهوات أو التى تتعرض للاديان تعرضا من شأنه تسكير السلم العام اذ أنه من المفروض على الحكومة أن تحول على أسرع وجه دون وقوع ما يترتب من النتائج على مثل تلك المطبوعات الآثمة ولهذا الغرض قضت المادة ١٠ بمنع تداولها فى مصر بقرار خاص من مجلس الوزراء .

والأحكام الواردة فى المراتد ١١ الى ١٤ من الباب الخاص بالجرائد ان هى إلا نفس الأحكام الواردة فى المواد ٧ إلى ٩ من قانون سنة ١٩٣١ عدا أنه حذف من نص المادة ١٢ : (١) شرط عدم صدور حكم على رئيس التحرير أو المحررين المسؤولين مرتين لجرائم من المنصوص عليها فى الباب الرابع عشر من الكتاب الثانى وفى الباب السابع من الكتاب الثالث من قانون العقوبات الأهلى، (٢) شرط عدم صدور حكم عليهم بالعزل من وظائفهم أو بشطب اسمهم بقرار تأديبى لأفعال ماسة بشرفهم أو سلوكهم، (٣) شرط ألا يكونوا من أعضاء البرلمان .

وأما المادة ١٣ فلم تدخل على طريقة الاخطار سوى بعض تعديلات لا تحتاج إلى شرح .

هذا وقد كان قانون سنة ١٩٣١ يشترط عند تقديم الاخطار ايداع تأمين مقداره ٣٠٠ جنيه أو ١٥٠ جنيها حسب الأحوال .

ونظراً لأن هذا الشرط كان مرهقا فى بعض الأحوال (وبخاصة بالنسبة للجرائد الدورية من علمية وأدبية) فقد رأى المشروع - مع ابقائه - أن يضيف اليه شرطا آخر

أيسر منه وهو شرط تقديم كفيل يرضيه المحافظ أو المدير حتى يصبح لذوى الشأن الخيار بين ما يلائمهم من احد هذين الشرطين
ويقتضى المشروع بوجوب ايداع التأمين التقدي أو تقديم الكفيل في ميعاد ثلاثة أيام من تاريخ الاخطار دون أن ينص على الجزاء الذى يترتب على مخالفة ذلك اكتفاء بما خول للمحافظ أو المدير فى المادة ١٧ من حق المعارضة فى اصدار الجريدة فى خلال الشهر التالى لتاريخ الاخطار .

وقد اعتبر الاخطار صحيحا قانونا إذا لم تبد فى خلال الشهر التالى لتاريخ تقديمه معارضة من جانب السلطة المختصة ومن ثم يصبح اصدار الجريدة جائزا .

على أنه فى حالة عدم ظهور الجريدة لا يجوز اعتبار الاخطار قائما إلى غير أجل ولذلك هذا المشروع حذو قانون سنة ١٩٣١ فى المادة ١٣ منه بأن نص على أنه اذا لم تظهر الجريدة فى بحر الثلاثة الاشهر التالية لتاريخ الاخطار اعتبر الاخطار كأن لم يكن، وكذلك روى من الضرورى أن توضع أحكام لحالة عدم انتظام صدور الجريدة أى الحالة التى تصدر فيها فى تواريخ أو مواعيد مخالفة للبيانات المدونة فى الاخطار إلا أنه لو حظ أنه من المتعذر معاقبة هذه الحالة بإلغاء الاخطار لمجرد عدم الانتظام كما هو الحال فى عدم الظهور الذى هو من الوقائع الممكن اثباتها بسهولة.
فتلافيا لكل خلاف اشترط القانون صدور قرار من السلطة المختصة بإثبات عدم انتظام صدور الجريدة وإعلانه لصاحب الشأن . ولو أنه لم توضع عقوبة للمخالفة فى الحالتين المذكورتين إلا أن اصدار الجريدة بعد الثلاثة الشهور أو بعد اعلان قرار وزير الداخلية يعتبر فى حكم اصدارها بغير اخطار أصلا، وظاهر أنه على مقتضى حكم المادة ١٨ المشتملة على هاتين الحالتين يترتب على إلغاء الاخطار رد مبلغ التأمين أو ابراء ذمة الكفيل

أما المواد الباقية من هذا الباب فانها أخذت من المواد ١٥ إلى ٣٣ من قانون سنة ١٩٣١ مع بعض التعديل فى الجزئيات وفى ترتيب الوضع على الوجه الذى اقتضاه المنطق ومع اخراج المادة ١٨ من هذا الترتيب ووضعها تحت « باب العقوبات » مع ماوضع تحته من الجزاءات الأخرى .

وقد ألغى المشروع فى باب العقوبات المذكورة عقوبة إلغاء الجريدة التى كان منصوصا عليها فى المادة ١٤ من قانون سنة ١٩٣١ وجعل عقوبة التعطيل لمدة أقصر

طبقا للقواعد التي أخذ بها القانون رقم ٢٨ لسنة ١٩٣٥ كما أنه ألغى عقوبة اقفال المطبعة التي كانت جزاء لمخالفة الأحكام الخاصة برؤساء التحرير أو المحررين المسؤولين أو باصدار الجريدة بدون اخطار أو بناء على اخطار غير صحيح . ولم تبق هذه العقوبة إلا في حالة فتح المطبعة بدون اخطار (ماده ٣٢) اذ أنه توجد مطابع سرية يتعين بسببها تخويل الحكم بالاقفال . لذلك جعلت هذه العقوبة اختيارية مما يجعل للقاضي سلطة واسعة في تقدير ظروف الحال فيتسنى له تطبيق هذه العقوبة عند الاقتضاء

وبعد أن كان قانون سنة ١٩٣١ يقضى في حالة الاخلال بأحكام الكفالة بعقوبة الحبس لمدة قد تصل إلى ستة أشهر وبالغرامة من ٢٠ جنيها إلى ٢٠٠ جنية اكتفى المشروع بأن تكون العقوبة مالية فقط من ١٠ جنيها إلى ١٠٠ جنية حتى يكون الجزاء من نوع الجريمة

وأخيرا فانه بدلا مما كان يقضى به قانون سنة ١٩٣١ من ضبط أدوات الطباعة في كثير من الأحوال حتى في أحوال مخالفة الأحكام المتعلقة بالمسائل الادارية جعل المشروع هذا الضبط قاصرا على القوالب والأصول « الكليشيات » التي استعملت في الطباعة كما جعله قاصرا على المطبوعات المثيرة للشهوات أو المخلة للآداب

أما مصادرة المطبوعات أو أعداد الجريدة أو القوالب أو الاصول فقد جعلت من اختصاص القاضي وحده .
لهذا تتشرف وزارة الداخلية بعرض مشروع القانون المرافق لهذه المذكرة على هيئة مجلس الوزراء لكي يتفضل عند الموافقة برفعه إلى الانتخاب السنية للتصديق عليه .

* * *

قانون نظام المحكوم عليهم في جرائم الصحافة

ثم صدر في ٢٧ فبراير سنة ١٩٣٦ المرسوم بقانون رقم ٢١ لسنة ١٩٣٦ بشأن نظام المحكوم عليهم في جرائم الصحافة ، بأن جعل عقوبة الحبس البسيط ، أو الحبس مع الشغل ، عن طريق فصل المحكوم عليهم بالحبس

عن بقية المسجونين ، وبأفراد غرفة خاصة لكل منهم ، مع الترخيص
باجتماع بعضهم مع بعض فى اوقات معينة ، وبمنحهم بعض المزايا ،
كالاغفاء من الشغل ، والاطلاع على الصحف .

وهذا نص المرسوم ومذكرته التفسيرية :

نحن فؤاد الاول ملك مصر

بعد الاطلاع على أمرنا رقم ١١٨ لسنة ١٩٣٥ ،

وبناء على ما عرضه علينا وزير الداخلية بالاتفاق مع وزير الحفانية ، وموافقة

رأى مجلس الوزراء ،

رسمنا بما هو آت :

مادة ١ - تنفيذ عقوبة الحبس البسيط أو الحبس مع الشغل المحكوم بها فى الجنج
اللى ترتكب باحدى طرق العسلاية المنصوص عليها فى المادة ١٤٨ من قانون
العقوبات فى أما كن مستقلة عن الأما كن المخصصة للمسجونين الاخرين وتفرد
لكل محكوم عليه غرفة خاصة تجهز بالطريقة التى يحددها قرار من وزير الداخلية .
الأشخاص المحكوم عليهم بهذه العقوبة ينتفعون بالمعاملة الخاصة التى ينتفع بها
المحبسون احتياطيا بمقتضى المواد ٥١ و ٥٤ و ٥٥ و ٥٧ (ثالثا) من مرسوم ٩ فبراير سنة
١٩٠١ بشأن لأئحة السجون ويجوز لهؤلاء الأشخاص الاشتغال مع من يوجد معهم
فى السجن من المحكوم عليهم من أمثالهم وكذلك مؤاكتهم والتريض معهم طبقا
للشروط التى تحددها اللائحة الداخلية ومع عدم الاخلال بما يرى اتخاذه من
التدابير اذا أسىء استعمال هذه المزايا أو اذا قضت بذلك ضرورة النظام

مادة ٢ - فى حالة الحكم بالحبس مع الشغل يشغل المحكوم عليهم داخل السجن
فقط ويراعى فى اختيار نوع الشغل الذى يفرض عليهم عوائدهم وحالة معيشتهم .

مادة ٣ - يطبق على المسجونين المشار اليهم آنفا أحكام لأئحة السجون الا ما

تعارض منها مع المزايا المذكورة فى المادتين السابقتين

ومع ذلك فعلى الوزير أن يستبدل بالجزاءات المنصوص عليها فى المادة ٧٥ من

لأئحة السجون الحرمان من تلك المزايا كلها أو بعضها لمدة لا تتجاوز ستة أشهر

مالم تكن ظروف الحال من الخطورة بحيث لا تسوغ ذلك

مادة ٤ - يجوز للمحكمة بسبب ظروف الجريمة أن تأمر فى الحكم الصادر

بالعقوبة بعدم تطبيق الأحكام المقررة بهذا القانون
مادة ٥ — لوزير الداخلية بالاتفاق مع وزير الحفانية أن يمنح المزايا المنصوص
عليها فى هذا القانون كلها أو بعضها لكل شخص حكم عليه من أجل جناية
ارتكبت باحدى طرق العلانية المنصوص عليها فى المادة ١٤٨ من قانون العقوبات
مادة ٦ — على وزيرى الداخلية والحفانية تنفيذ هذا القانون كل فيما يخصه،
ويعمل به بمجرد نشره فى الجريدة الرسمية
نأمر بأن يصمم هذا المرسوم بقانون بخاتم الدولة وأن ينشر فى الجريدة الرسمية
وينفذ كقانون من قوانين الدولة

مذكرة تفسيرية

على كثير من الدول بتوفير نظام خاص بالمسجونين المحكوم عليهم بسبب الجرائم
السياسية أو جرائم الصحافة والرأى
والنظام الذى يقرره هذا المرسوم بقانون يقضى بفصل المحكوم عليهم فى جرائم
الصحافة عن بقية المسجونين الآخرين وبافراد غرفة خاصة بكل منهم مع الترخيص
لهم بالاجتماع ببعضهم البعض فى أوقات معينة
وهذا النظام - فضلا عما يقرره من تلطيف للنظام العادى للسجون كالترخيص
بالمراسلة والزيارة مرة فى كل أسبوع واستحضار الأغذية من الخارج - يقضى
ببعض المزايا كالأعفاء من الشغل واستحضار الجرائد وغيرها من وسائل الترويح
عن النفس (المادة الأولى) كما أن الغرف التى تخصص لهؤلاء المحكوم عليهم سوف
تجهز بحيث تكون أروح لهم من الغرف المعتادة وذلك طبقا لامتودج يحدده قرار
من وزير الداخلية

وفى ما عدا ذلك تطبق أحكام لائحة السجون على هؤلاء الاشخاص ، على أنهم
إذا ارتكبوا جريمة من الجرائم المذكورة فى المادة ٧٥ من لائحة السجون (الهيجان
والاعمال الاعتسافية والهروب) فيستبدل بالجزاءات المذكورة فى هذه المادة
الحرمان من هذه المزايا كلها أو بعضها لمدة لا تتجاوز ستة أشهر ، وهذا الحرمان
لا يقضى به غير وزير الداخلية وينبغى أن يقضى به ما لم تكن ظروف الحال من
الخطورة بحيث لا تسوغ ذلك فىأمر بتطبيق الجزاءات المنصوص عليها فى المادة ٧٥
من لائحة السجون

وهذا النظام المقترح يطبق على الأشخاص المحكوم عليهم بالعقوبات الجنائية التي ترتكب باحدى طرق العلانية المنصوص عليها في المادة ١٤٨ من قانون العقوبات . على أنه يجوز بسط هذا التطبيق على الأشخاص المحكوم عليهم في جنائية ارتكبت باحدى طرق العلانية المشار اليها (المادة ٥ من المشروع والمواد ١٤٨ و ١٥١ و ١٥٢ و ١٥٦ من قانون العقوبات)

ولئن صحح أن المسلم به عادة هو قصر الانتفاع بنظام خاص للعقوبة على جرائم الرأي إلا أن الواقع أن جرائم الصحف تكون غالباً من جرائم الرأي حقيقة أنه قد يكون من بين هذه الجرائم ما لا يتضمن التعبير عن رأى معين كنشر المرافعات القضائية المحظور نشرها ، على أنه حتى في هذه الاحوال قد يكون هناك من الاعتبارات ما يجعل تطبيق نظام السجن العادى أقسى على المحكوم عليهم في هذه الجرائم منه على المجرمين العاديين ، إذ قد لا يكون غير الاندفاع الطائش وراء مقتضيات المهنة سبباً في الوقوع تحت طائلة العقاب ، كما أن المركز الاجتماعى لهؤلاء الأشخاص وظروف معيشتهم مما يجعل الجمع بينهم وبين المجرمين العاديين في نظام السجن تصرفاً قاسياً

وعلى النقيض من ذلك فقد ترتكب بطريق الصحف جرائم هي في موضوعها أشبه بالجرائم العادية نظراً لما تنطوى عليه من دوافع مردولة كما هو الحال في نشر الكتب المثيرة للشبهات مما يمكن أن يدخل في حكم المادة ١٥٥ من قانون العقوبات أو كما هو الحال في القذف في حق الاسر وفي غير ذلك من الجرائم التي وإن عدت من جرائم الرأي لاتدعو لما فيها من مظاهر الاستهتار بالقانون ومن إطلاق لمرذول الغرائز إلى التخفيف والتلطيف عند تنفيذ العقوبة

من أجل ذلك يخول المشروع للمحكمة أن تقضى أحياناً بعدم تطبيق ما يوجب أن يكون قضاؤها في ذلك مستنداً إلى الظروف الخاصة بالجريمة . ومؤدى هذا أن يخرج من حساب التقدير كل ظرف خاص بشخص الفاعل اللهم إلا الظروف المتعلقة بالركن الادنى للجريمة

وبهذا يصبح تطبيق هذا النص في مأمن من التقدير المبني على مجرد الرأي لهذا تشرف وزارة الداخلية بعرض مشروع القانون المرافق لهذه المذكرة على هيئة مجلس الوزراء لكي يتفضل عند الموافقة برفعه الى الاعتبار السنية للتصديق عليه .

موسم المحاضرات الصحفية

ثم اتجه حفظه الله إلى ترقية الصحافة ، وثقیف المشتغلين بها ، فأقام لرجال الصحافة وأهل الرأي حفلة شای بقاعة الجمعية الجغرافية الملكية مساء يوم ٢٤ مارس سنة ١٩٣٦ ، وألقى خطابا قيما عن رأيه في الصحافة ، وشرف مهنتها ، وأثرها في تكوين الخلق السياسي ، ونشر الثقافة ، ثم أعلن عن افتتاح موسم للمحاضرات الصحفية ، التي اعتبرها مقامه الرفيع نواة لإنشاء قسم للصحافة في الجامعة المصرية .
وها هو نص الخطاب :

سأدتى الاعزاء

أحييكم ، وأرحب بكم ، وأحمد الله اليكم ، لهذه الفرصة السعيدة حقا ، التي أترقبها في ميل صادق ، منذ أمد طويل ، لما أحمله لرجال الصحافة ، خدام مصر العاملين ، من تقدير واجلال ، ولما أومله من معاونتكم الميمونة المباركة من خدمات ، بنائية انشائية ، وثقافية تجديدية ، لوطننا العزيز ،

ويحاول لى أن تتاح فرصة الاجتماع بحضراتكم لتتصل ببعضنا بعضا ، لتبادل الرأي في مختلف شؤوننا الاجتماعية . مادامت الظروف الحاضرة ، والتقاليد السياسية ، تقضى - للمصلحة العامة - بترك الاحاديث السياسية الخارجية ، المتعلقة بالمباحثات الراهنة في طى الكتمان ، ويسرني دائما ان أفضى اليكم بكل شيء ، من حقكم أن تقفوا عليه ، لتمكينكم من الاضطلاع بالمسؤوليات الكبرى التي تحملونها ، ولأداء ما في أعناقكم من رسالات اصلاحية (تصفيق)

أرحب بكم ناقدين مستفسرين ، وأرحب بكم من كرام الكتابين

المصلحين ، ذلك لأننى ممن يرون فى الصحافة الرشيدة برلمانا حرا لتصوير
المطالب الأهلية العامة (تصفيق) ، برلمانا حرا لتبيان ما يجيش فى
صدور المصلحين المفكرين والباحثين الجريئين ، من آراء ومقترحات ،
وانتقادات وتوجيهات ، وكم تحتاج شتى مقومات استقلالنا ، بل كم
تتطلب أدواتنا الحكومية ومجالسنا النيابية إلى صوت الصحافة الرشيدة ،
ليدعم حقا ، وينير أفقا ، وينذع واجبا ، ويثبت نفعا ، ويصلح أمرا .
(تصفيق)

ليس من شك أيها السادة ان الهيئة الحاكمة تستفيد دواما من جهودكم
الموفقة ، وناضج بحوثكم ، ومتتابع نشاطكم ، الشىء الكثير ، لتتمشى
وما لهذا الجيل من تعدد مطالب ، ومختلف أساليب من ضروب التجديد
المنشود ، لتسير البلاد فى شتى مرافقها الحيوية ، وآمالها القومية ، جنبا
إلى جنب ، مع وثبات القرن العشرين ، فى غير عنف ، ولكن فى غير
جمود ، بل فى جرأة المؤمن ، واتقاد الحكيم ، وشجاعة رجل المبدأ
والعقيدة ، ويقين المصرى الوطنى المستنير ، وسداد المصلح العملى البصير .
(تصفيق)

الواقع أيها السادة أنكم على حق ، حينما ينادى منادىكم : إن الوطنى
فى حاجة ماسة إلى شتى نواحي الإصلاح ، وأظننى على حق أيضا ، إذا
ما أهبت بكم - واثتم العدة الصالحة فى نجاح كل اصلاح - إلى التضامن
والتآزر ، على رفع مستوى هذه الصناعة الشريفة ، إلى مكانتها السامية ،
الخليقة بجليل خدماتها ، المتفقة مع نبيل غاياتها .

وأظننى على حق إذا ما لجأت إلى عناصركم الكريمة الرشيدة ، المؤمنة
معنا جميعا ، بصناعةكم الشريفة من حرمة وكرامة (تصفيق)

وبما يجب على المتشرف بالانتساب اليها من استمساك بأخلاق
الرجولة ، والجرأة والصدق ، وحمل الأمانة ، ونبالة القصد ، وتحري
الصواب ، وإقامة المعوج ، واليقظة الساهرة في استقصاء ما ينفع الوطن ،
بالعمل الطيب ، والأثر الطيب ، والقول الطيب « تصفيق »

وأرجو أن تتأكدوا من استعداد الحكومة دائما لتلبية المطالب ،
التي يكون من وراء الأخذ بها اطراد تقدم الصحافة في مصر ، لتكون
صحافتنا مدرسة ثقافية تعليمية لجميع أفراد الشعب ، لنحققوا غايتكم
النبيلة في تكوين رأى عام مصرى منصف ، متزن مستنير ، وحسن توجيهه
فيما فيه الخير لمصر ولجميع سكان مصر ، من أجانب ووطنيين ، بل
والانسانية جميعاً (تصفيق)

سأدق الأعراء

شئ آخر أحب أن تذكره حضراتكم جميعا ، وأن تذكره جيدها ،
وأحب أن يكون لنا سويا بمثابة شعار ودستور ، لنعمل معا في عقيدة
وإيمان على تحقيقه وتحقيقه دائما أبدا ؛ ذلك أننا جميعا - حكومة وصحافة ،
نوابا وشعبا ، حاكمين ومحكومين - أبناء أسرة واحدة يكمل بعضها بعضا ،
وتكاد تكون مأموريتنا الانشائية واحدة أيضا .

ولست أشك أنكم ترون معي أن الوطن في أمس الحاجة الى
تكاتف المصلحين ، تكاتفا انتاجيا ، في توضحية ، ونكران ذات ، في عدم
تغال وانتقاص رأى ، وفي افساح مجال لأصحاب المواهب والكفايات ،
للايدلاء بما يريدون وبما يؤمنون (تصفيق)

الواقع أيها السادة أن وجوه الاصلاح عديدة ، وحاجات البلاد
عديدة ، وواجبات كل منا عديدة ، وانى لأعتقد انه إذا رسم كل قادر

منا خطته في حدود تلك الدائرة المقدسة - دائرة أداء الواجب - جاعلين
الهدف دائما اعلاء كلمة مصر ، وكلمة الحق عن مصر ، لأجل مصر ،
وفي سبيل مصر (تصفيق حاد)

أعتقد أيها السادة اننا اذا ما فعلنا ذلك ، فسنعمل - بفضل تعاوننا - إلى
تحقيق شيء غير قليل من خير مطرد لهذا الوطن .

والآن أيها السادة الاجلاء ، وقد تفضل كرام شيو خكم ، وأصحاب
الرأي من رجال اتكم ، بأن يساهموا في إلقاء بعض المحاضرات ، بما
أصابوا من خبرة ومران ، وما نالوا من علم وعرفان ، إيذانا بروح التعاون
والتضامن ، فانه مما يملأني غبطة وابتهاجا ، أن أفتتح في هذا اليوم
المبارك الميمون - يوم عيد رأس السنة الهجرية - باسم الله الواحد الاحد ،
وباسم حكمة حضرة صاحب الجلالة مولانا الملك حفظه الله ، رمز
الحريات ، وأمل الوطن ، وخادمه الأكبر (تصفيق حاد) ، وباسم
الصحافة الكريمة ، أفتتح موسم المحاضرات الصحفية ، التي سيتلوها
قريبا باذن الله وتآزر الجميع ، افتتاح قسم ليل للصحافة في كلية الآداب
بالجامعة المصرية (تصفيق حاد)

ولا يفوتني في هذا الاجتماع - مادمنا في صدد الشؤون الصحفية - أن
أشكر لحضرات أصحاب الفضيلة والمعالي والسعادة رؤساء وأعضاء لجان
التحكيم في المباراة الصحفية : تفضلهم بقبول هذه الخدمة الثقافية العامة .

رعاكم الله جميعا ، وحياكم ، بقدر رعايتكم لما فيه حياة وطنكم ،
وبارك الله فيكم ، بقدر عنايتكم بما فيه اليمن والخير والبركة لبلادكم .

والسلام عليكم رحمة الله (تصفيق حاد)

كلمات الصحفيين

ثم أعلن حضرة الأستاذ محمود عزمى أسماء شيوخ الصحافة الذين سيلقون كلمتها ،

وكان أولهم حضرة العلامة الجليل الدكتور فارس نمر باشا ،
فاستهل كلامه بأن قال :

إن الصحفيين يعترفون بأنكم أول وزير تقدم لخدمة الصحافة .
وبعد أن أشار إلى أن المغفور له السلطان حسين كان يعطف على
الصحافة ، ويعمل على إنصافها ، قال :

وإن الدرر التي سمعناها من دولتكم في وصف الصحافة وتقديرها
قدرها لما يعين الصحافة على القيام بالمهمة الملقاة على كاهلها .

لهذا كله نقول : لبيك يادولة الوزير ، فإن الصحافة ستفعل كل ما
تستطيع ، حتى تقوم بالواجبات المفروضة عليها في خدمة هذا الوطن
العزیز .

على أننى لا أريد أن آخذ من وقتكم الثمين أكثر مما أخذت ،
فأكتفى بأن أقول : إن الغرض الذى يجب أن ترمى إليه الصحافة هو أن
تكون صناعة شريفة ، تقوم بواجبات شريفة ، لا أن تكون تجارة .

واختتم الدكتور كلمته بأن أشار إلى ما قاله دولة على ماهر باشا ،
من وجوب تعاون الحكومة والأمة على العمل لغاية واحدة .
ثم قال : وإنى أرجو الله أن يحقق آمال دولتكم .

ثم تكلم حضرة صاحب السعادة الأستاذ الكبير عبد القادر حمزة
باشا ، فقال :

إنه منذ ثلاث وستين سنة لم تكن مصر قد عرفت من الصحافة

العربية غير جريدة واحدة ، وهى « الوقائع المصرية » ، التى أسسها المغفور له محمد على باشا قبل ذلك بثلاث وثلاثين سنة ، فلما جاء المغفور له اسماعيل باشا ، بدت فى البلاد تباشير حركة فكرية قوية ، فلم تمض سنتان حتى صدرت أول جريدة أهلية مصرية هي « اليحسوب » ، ثم توالى الصحف حتى زاد عدد ما صدر منها فى ١٢ سنة على ١٥ صحيفة .

إذن فى عهد الخديوى اسماعيل باشا والد جلالة الملك الحالى ، والآب فى عهد جلالة الملك فؤاد الأول تخطو الصحافة فى هذا السبيل خطوة واسعة ، فتفك عنها القيود ، ويسن لها قانون خاص بمعاملة المحكوم عليهم ، وقد لا تمضى أيام حتى تعترف الحكومة بهيئة تمثلها .

وما دمننا قد ذكرنا الخطوات التى خطتها الصحافة الآن ، فلنذكر أن دولة على ماهر باشا عرف كيف يحقق بحزم وعزم رغبات جلالة الملك فى النهوض بالصحافة ، و فعل فى أيام قليلة ما لا يفعله غيره فى سنين .

ثم قال : إن الصحافة أدت واجبها كاملا منذ ٤٠ سنة أو أكثر . رغم أنها لم تجد من الحكومات غير تشجيع قليل ، بل كانت تجد عكس ذلك أحيانا . فاليوم وصاحب الجلالة الملك يوجه إليها تشجيعه ، ووزيره ينفذ هذا التشجيع ، لا يرتاب إنسان فى أنهما سيضعان الشئ فى موضعه ، ويزرعان نباتا صالحا ، ولا يسع الصحافة إلا أن تسدى للملك والوزير شكرها الخالص ، ولهما عند الله والوطن جزاء ما قدما من خير .

* * *

ثم ألقى حضرة الفاضل الأستاذ حسين فتوح بك - رئيس تحرير كوكب الشرق إذ ذاك - كلمة حضرة الأستاذ أحمد حافظ عوض بك ، الذى لم

يتمكن من حضور الحفلة لأسباب صحية ، وقد قال فيها : إن هذه الحفلة في نظري أول اعتراف ، وتكريم وتقدير من جانب الحكومة القائمة للصحافة ورجائها ، بعد أن طال العهد بين الحكام والصحافيين على الشكوك وسوء الظنون ، وضالة التقدير والاحترام من جانب الحكام للصحفيين الذين كرسوا حياتهم لخدمة وطنهم من طريق هذه الصناعة ، ولتقوا في سبيل ذلك من عنت وقلة تقدير وسوء معاملة ، بل واضطهاد ، مصحوبا بذلك كله بأذى في كل ما يتصل بحياتهم ومعاشهم ، وتضييق دائرة نجاحهم ، حتى لم نر جمعا كبيرا من الصحفيين المصريين الذين عرفناهم ولحقوا بجوار ربهم من تركوا الأولادهم من بعدهم مالا أو معاشا ، كالذي يتركه أندادهم في الذكاء والمقدرة والنبوغ ممن سهلت لهم سبل الحياة في وظائف الحكومة أو غيرها من المهن الحرة الأخرى .

والمقدم اليوم براية الاعتراف بهذا الحق المهضوم ، في جميع ماتقدم من الأعوام ، هو ذلك البطل الذي يدوس أشواك سوء الظنون ، ويتخطى أسوار الخلافات ، ويمد يده ومعوثته ، وهو في مركزه العالي ، لرجال هذه المهنة في جهادهم ونضالهم ، ولا أكون مبالغا إذا قلت : وفي إفساء حياتهم كيما يقوموا بواجباتهم ، صاحب هذه اليد الجريئة البيضاء ، وهذه الهمة الغريبة النادرة القعساء ، هو رئيس الوزارة الحاضرة على ماهر باشا ، ولا غرابة في أن يكون أول رافع لهذا العلم في وسط هذا المعترك المتناقض المصالح والأهواء ، فتي من فتيان هذه النهضة الحديثة ، التي له فيها تاريخ مشكور ، وفضل معروف غير منكور - ولقد كان من الطبيعي ، وأنتم ترون اهتمامي بتقدير هذا الاجتماع ، أن يسوءني ، ويؤلمني أكثر من إساءة المرض وألمه ، أنني لم أستطع شهود هذا الاجتماع التاريخي ، الذي أرجو أن ينمو خيره ، ويظهر أثره ويكثر ثمره - إن من أول

وألزم ما يلزم لهذه الصحافة المصرية ، لتؤدي واجبها على تمام الكمال ، هو أن تكون مستقلة بمواردها ، وقوية بنفسها ، لترفع شعلة الحق ، ولتنير بها طريق الأمة غير محتاجة لتمليق الدهماء .

* * *

وبعد أن انتهى الأستاذ حسين فتوح بك من إلقاء هذه الكلمة ، أشار إلى موقف صاحب الدولة على ماهر باشا في لجنة الدستور سنة ١٩٢٢ - وكان يومئذ صاحب العزة على ماهر بك - في الحرص على حرية الصحافة ونضاله في هذا السبيل ، وأن الفضل يرجع إليه في المبدأ الذي ينص على أن الصحافة حرة في حدود القانون

* * *

ثم صعد المنبر شاعر القطرين الأستاذ خليل مطران بك (بعد أن قدمه حضرة الدكتور محمود عزمى بعبارة لطيفة قال فيها : إنه يقدمه إلى الحاضرين لأنه صحفي ولو كره) فألقى قصيدة من شعره الجزل الرصين، كانت تقاطع أبحاثها بالتصفيق والاستحسان ، وها هي :

لك في ارتجال جلائل الهمم	ما عز لو نبغيه في السكلم
حتى كأن نجاز موعدها	بعض العهود عليك والذمم
ولقد تبیت مبرحا بك من	ألم ولا تشكو من الألم
وسواك يسئمه الكفاح وما	بك في كفاح الدهر من سأم
لله ما أحدثت من غرر	طاب الحديث بها لسكل فم
أضحت صحافتنا تتيه على	أخواتها في أرفع الأمم
أيديها تأييد ذي ثقة	من نفسه بالحق معتصم
كم خاف صولتها فغللها	باغ إلى أن باء في ندم
ذات الجلالة ليس ضائرها	مر السحاب وظل محتكم

تاريخها في مصر منذ نشأت
أفدح بما عاتته صابرة
هي نورت أذهان أمتها
هي أيقظتها بعد طول مدى
هي علمتها ما الحياة وما
هي بالبراعة والصحيفة قد
فاليوم أنصفها وأيدها
قن بأن تعزز دولته
شرفا على فما فتئت على
لاتطرق الإصلاح عن عرض
أعددت للدستور عدته
عجلا إلى الغايات تطلبها
حرم لعزة مصر ترفعه
لن يبلغ الصيد مأربه
الداخلية دوحة هرمت
جددتها والخير أجمع في
فضمنت صحتها مشدبة

تاريخ جهد غير منفصم
من مرهق المثلات والنقم
إذ كانت الأذهان في ظلم
من هجعة كانت بلا حلم
يوحيه مجد النيل والهرم
أغنت غناء السيف والعلم
علم ، رعاه الله من علم
وبأن يلقب ناصر القلم
عهد الشجاعة فيك والشمس
بل تطرق الإصلاح من أمم
ولوا حظ الأحقاد لم تتم
بمضاء لا وان ولا برم
وأساسه متخصل بدم
من يلوذ بذلك الحرم
وذوت نضارتها على الهرم
تجدد ما أعني من القدم
وأزلت ما استعصى من السقم

اجعل ثقاتك للفرى حكما
قدس القضاء رجعت فيه إلى
تبغى صيائنه وترفعه
لا تبق في نفس به اضطلعت
كشفت المظالم لا يرام إذا

* * *
وابسط مجال البت للحكم
ذكر العليم وخبرة الفهم
شأننا إلى العليا من القمم
من حاجة تعدل وتستقيم
مارمته من كف مهتضم

تلك القوانين التي افترقت في كل شعب غير ملتئم
شدت الشام شعابها ولما تبغيه سر غير مكتئم
بل حكمة أن يستشف مدى غاياتها من أبلغ الحكم
قلتم الاستقلال مدرجة هي وحدة التشريع والنظم

نعم المولى والزمان رضا هذا الأبى الطاهر الشيم
لبق بلا مذاق ولا ملق سمح بلا ريب ولا نهم
إن تتدبه تجده منتدبا أبدا لكل مبرة عمم
أو تدعه للرأى تلف له فيه جلاء الصارم الخدم
عجز البيان وقد هممت به عن أن يحيط بذلك العظم
هيات يبلغنى المرام وما أنأى مناط الشمس أن يرم

شكر الصحافة

ولقد رأت الصحافة أن تشكر لمقامه الرفيع ما أظهره من الاعتراف
بحقوقها ، والعناية بأمرها ، فتألف لهذا الغرض وفد من حضرات أصحاب
السعادة والعزة الأساتذة الدكتور فارس نمر باشا وعبد القادر حمزة باشا
وانطون الجليل بك وحافظ عوض بك وعبد الرحمن فهمى بك (١) ، فقابلوا
مقامه الرفيع صباح الاثنين ٣٠ مارس سنة ١٩٣٦ في رئاسة مجلس
الوزراء ، وأعربوا له عن شكر الصحافة ، وتحدثوا معه في القانون الذى
تنتظره ، للاعتراف بهيئة تمثيلها ، فأعلنهم أنه محل عناية ، وأنه سيصدر
إن شاء الله قريبا ، وقال : إنه يستصوب أن تكون الخطوة التى تخطى
الآن فى هذا السبيل تمهيدا لخطوة ثانية تستكمل فيها الهيئة الممثلة للصحافة

(١) كان يرأس تحرير جريدة «روز اليوسف» اليومية إذ ذاك

كل سلطتها ، فوافق الوفد على ذلك شاكرًا مقدرًا ، ثم دعوته الى حفلة شاي يقيمونها لمقامه الرفيع ، اعترافًا بفضله ؛ فاعتذر قائلًا : إنه لم يفعل للصحافة شيئًا سوى أن أعطاها حقها ، باعتبار أنها جزء من كل يجب أن تتعاون أجزاءه جميعا ، ليتحقق النجاح للعاملين والخير للبلاد ، فقال الوفد : ولكن الصحفيين يعتبرون أنفسهم مقصرين ، إذا هم لم يكرموا الرجل الذي أعطى للصحافة هذا الحق ، فقال : إنه حينئذ يقبل الدعوة ، حتى لا تكون عندكم شبهة التقصير .

وترك الوفد لمقامه الرفيع تحديد اليوم الذي تقام فيه الحفلة ، ولكن توالى الحوادث السياسية ، ثم وفاة المغفور له جلالة الملك فؤاد ، لم تدع لمقامه الرفيع وقتا لهذه الحفلة .

* * *

المحاضرات الصحفية

ألقيت تسع محاضرات صحفية (١) بدار الجمعية الجغرافية الملكية من حضرات الأساتذة عبد القادر حمزة باشا ، وأمين سعيد ، والدكتور محمود عزمى ، وأميل زيدان بك ، وأنطون الجميل بك ، وسليمان فوزى ، وفؤاد صروف ، ومحمد مسعود بك ، وحسين شفيق المصرى ، وكانت دار الجمعية تحفل بجمهور من رجال الأدب والقلم والكبراء ، يتقدمهم حضرات أصحاب السعادة أحمد لطفي السيد باشا مدير الجامعة المصرية ، وأحمد مختار حجازى باشا (وكيل الداخلية اذذاك) ، والدكتور منصور فهمى بك عميد كلية الآداب وقتئذ ومدير دار النكتب الملكية الآن ، ورؤساء تحرير الصحف ومحرريها من الرجال والسيدات ، وعدد غير قليل من طلبة العلم ، لسماع المحاضرات .

(١) نشرت التسع المحاضرات فى نهاية قسم الصحافة

وكانت آخر محاضرة مساء ٧ مايو سنة ١٩٣٦ . ثم أوقفت المحاضرات
عقب استقالة الوزارة .

* * *

تدريس الصحافة في الجامعة المصرية

وبلغ من عناية مقامه الرفيع برفع مستوى الصحافة ، والعمل على
ترقيتها ، وتمكينها من أداء رسالتها الاجتماعية والثقافية والسياسية في
البلاد ، أن اهتم حفظه الله بتحقيق ما وعد به في حفلة افتتاح موسم
المحاضرات الصحفية ، وهو إعداد قسم ليلى للصحافة في كلية الآداب
بالجامعة المصرية ، وقد أعد - بأمر من مقامه الرفيع وبارشاده -
برنامج أولى لمشروع مدرسة الصحافة والمحاضرات الصحفية : ثم
أرسل إلى وزارة المعارف لدرسه ، والعمل على تنفيذه .
وهذا هو البرنامج :

الغرض الثقافي العام

كل برنامج يعد لمدرسة الصحافة يجب أن يشمل على ناحيتين من الدراسة :
الأولى - دراسة ثقافية عامة في الفنون والعلوم .
الثانية - دراسة فنية خاصة بأساليب الصحافة ونواحيها .
والغرض العام هو تخريج شبان وشابات على جانب واف من الثقافة يمكنهم من :
(١) فهم ما يحدث في بلادهم وخارجها فهما دقيقا وتقديمه لقراء صحفهم في
أسلوب سائغ (٢) تجهيزهم بما يلزم من المعرفة لتنظيم إدارات الصحف وتدير
شؤونها العملية والمالية .

الناحية الثقافية

اللغات الحية :

المشتغل بالصحافة في مصر يحتاج إلى اجادة لغة واحدة على الأقل من اللغات
الحية ، ويحسن أن تكون الانجليزية أو الفرنسية ، مع الإلمام بلغة أخرى .
فالصحافة العربية تعتمد - في جانب غير يسير من مرادها - على النقل من اللغات
الأوربية وخاصة الانجليزية والفرنسية ، فالبرقيات العامة ، من شركتي روتر
وهافاس ، والبرقيات الخاصة من المكاتبين الخصوصيين ، تصل إلى الصحيفة المصرية

باحدى هاتين اللغتين . ثم هناك تلخيص مقالات تنشر فى الصحف الأوربية تتعلق بشؤون مصر السياسية ، أو لها ميزة أو فائدة خاصة للقراء ، ولا بد للصحفى المصرى من أن يتصل بالعناصر الأوربية فى البلاد أثناء تأديته مهمته ، فيجب أن يكون مجيداً لاحدى اللغتين وملماً بالآخرى كي يحسن التفاهم مع الأوربيين ومقابلة كبرائهم وعظمائهم .

الترجمة :

يجب أن يكون الصحفى المصرى ممن يحسن الترجمة من اللغات الأوربية إلى العربية ترجمة سريعة سائلة دقيقة .

علم السياسة :

من ناحية فلسفة نشوء الدولة باختصار .
من ناحية النظم السياسية والدساتير المقابلة فى مختلف الأمم بتوسع .
وهذا يشمل تاريخ تطور النظم السياسية وأقطابها ، وفى كل يوم يجب بالبرقيات العامة ذكر لناحية من هذه النواحي فى حياة الأمم السياسية ، ولا يستطيع المترجم أن يحسن الترجمة إلا إذا كان فاهماً ما يقتضيه الدستور أو النظام السياسى فى أمة ما من العمل فى حالة خاصة ، وعارفاً أهم أقطابها ، وملماً بالمعلومات اللازمة له من غير توان أو تأخير .

علم الاقتصاد :

إن نشوء نظريات الحكم الجديدة - الاشتراكية والشيوعية والنقابة - وقيام حكومات كبيرة على أساسها يجعل دراسة الاقتصاد من الناحية السياسية - فضلاً عن الناحية الثقافية العامة - ضرورة لكل صحفى .

ثم هناك جميع ما يتعلق بالنقد والذهب والتجارة الدولية والحواجز الجركية والتبادل على أساس الحصص والمعاهدات التجارية الخ

علم القانون :

فهم القانون الدولى ، والمعاهدات القائمة ، وكيف تفسر ، والقواعد الأساسية التى نهض عليها القانون الدولى ، وتطورها بنشوء فكرة السلام الاجماعية ، وقيام جامعة الأمم ودستورها وملحقاتها ، ومحكمة العدل الدولية ، وحقوق الدول فى الحرب والسلم وحقوق المحايدى الخ

علم الاجتماع ، علم النفس ، مبادئ العلوم ، التاريخ ، الجغرافيا السياسية
والاقتصادية والاجتماعية ، أصول الآداب والفنون والنقد الأدبي والفني :

وهذه علوم لا بد أن تشتمل عليها الناحية الثقافية العامة من دراسة الصحافة ،
لأنها تمكن المثقف من تفهم ما قد يعرض له أثناء تأديته لمهمته ، كمقابلة عالم معين
ومحادثته ، ويجب توجيه النظر خاصة إلى التاريخ الحديث والجغرافيا السياسية
والاقتصادية والاجتماعية ، لأن المشكلات التي تعرض للصحفي إذا كانت تتعلق بالتاريخ
الحديث أو الجغرافيا ، فهي في الغالب تحتاج إلى سرعة النظر ، ويجب الإلمام
بشؤون العالم في المائة السنة الأخيرة من نواحي التاريخ السياسي والاقتصادي
والجغرافيا السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، لأن هذا من الضرورات القصوى.
المشكلات السائدة الآن :

ويحسن اتساع المجال لدراسة بهذا العنوان تتناول في خلال ثلاث سنوات .
بحيث يتاح للفصل الواحد تتبعها سنة فسنة إلى أن ينتهي ، فيتناول الاستاذ -
خلال سنة واحدة مثلاً - موضوع جامعة الأمم والمشكلات التي تدور حولها ،
وفي سنة أخرى يتناول هو أو غيره المشكلات الخاصة بالشرق الأقصى ، وفي
سنة ثالثة مشكلات الشرق الأدنى وما يتصل بها من تاريخ تطور الاستعمار
وبواعثه ونتائجه وهكذا .

الناحية الفنية الصحفية

- ١ - تاريخ الصحافة بوجه عام ، وتاريخ الصحافة العربية بوجه خاص .
- ٢ - المخبر وعمله : الصفات الأساسية التي يجب أن يتصف بها . ارتفاع قيمة
الأنباء في الصحافة الحديثة . ماهي العناصر التي تجعل لحادثة دون غيرها قيمة
كثراً لهم الجريدة . كيف يجب أن تكتب مقالات الأنباء . استهلال المقال
وعناصره . صلب المقال . مميزات الكتابة الصحفية الأنبائية .
- ٣ - مصادر الأنباء في مصر : السياسية ، القضائية ، البوليسية ، الخارجية ،
الاجتماعية .
- ٤ - الافتتاحية : قيمتها . كيف تكتب . الغرض منها . فصلها من قسم
الأخبار أو فصل قسم الأخبار عنها للمحافظة على النزاهة في سرد الوقائع .
- ٥ - الاعلانات : اعتماد الصحافة عليها . فلسفة الاعلان . الاعلان ونفسية

الجمهور . صلة الاعلان بالمصانع والمتاجر . ما يتعلق بالاعلانات من الاعمال الفنية كحفر الصور والتصوير والرسم وتصحيح التجارب .

٦ - الصحافة والجمهور : الصلة بالقانون . ما يجوز نشره وما لا يجوز قانونا . قانون الصحافة . الصحافة وقانون الجرائم . الانباء وملكيته . القذف . الخ الصلة بالحياة العامة - أو الصحافة والحياة الادبية . تبعة الصحافة الادبية

٧ - الصحافة من ناحية الاخراج : الحروف وصفها وجمعها . المطابع وعمالها . مراقبة اعداد الجريدة للبيع من حين تقديم الكتابة إلى حين العرض في السوق . تصحيح التجارب . أصناف الورق والحبر والمفاضلة بينها . الحفر والتصوير . نفقات الطبع .

٨ - فنون توضيب الصفحات ، وكتابة عناوين المقالات ، واعداد العبارات الأولى منها . ٩ - ادارة الصحف : مصادر الدخل . نفقات النشر . توزيع النفقات بين الادارة والتحرير وقسم الاعلانات وايجاد رابطة بينها بواسطة مدير عام . تقسيم العمل بين التحرير والادارة والاعلانات . التوزيع ووسائل زيادته . العمال وأجورهم . الاشتراكات وتحصيلها ومتابعتها وزيادتها .

* * *

نظام جمعية الصحافة

على أن هذه الجهود الجليلة ، التي بذلها مقامه الرفيع في سبيل الصحافة ، لم تكن ترضى تمام اهتمامه بها ، ورغبته الصادقة في مساعدتها على النهوض بمسئوليتها أمام الرأي العام .

فأتبع مقامه الرفيع قانون المطبوعات ، وقانون نظام المحكوم عليهم في جرائم الصحافة ، بمرسوم باعتماد نظام جمعية الصحافة في ٢٠ ابريل سنة ١٩٣٦ .

فلقد كان حفظه الله يرى أن تكون الصحافة في مصر هيئة لها شخصيتها الكاملة ، وأنها جديرة بالمساعدة اللازمة لبلوغ الغاية السامية

من وجودها ، فبحث في تنظيمها بمصر : واعترف بالهيئة التي تمثلها
اعترافا رسميا عن طريق اصدار المرسوم الآتى نصه :

نحن فؤاد الأول ملك مصر
بعد الاطلاع على نظام جمعية الصحافة ،
وبناء على ما عرضه علينا رئيس مجلس الوزراء ، ومرافقة رأى المجلس المشار اليه ،
رسمنا بما هو آت :

مادة ١ - يعتمد نظام جمعية الصحافة المرفق بمرسومنا هذا .
مادة ٢ - على رئيس مجلس الوزراء تنفيذ مرسومنا هذا .
صدر بمرأى القبة في ٢٨ محرم سنة ١٣٥٥ (٢٠ ابريل سنة ١٩٣٦)

نظام جمعية الصحافة

الجمعية وأغراضها

مادة ١ - تتألف جمعية الصحافة من ينضمون اليها وفق أحكام هذا النظام
ويكون مقرها مدينة القاهرة .

والصحف في أحكام هذا النظام هي المطبوعات الدورية بكل أنواعها .
مادة ٢ - أغراض الجمعية :

- (١) العمل على رفع شأن الصحافة والمحافظة على كرامتها .
- (٢) السعى للاعتراف بحقوق الصحافة والصحفيين وتحقيق ما يجب لها ولهم من المزايا .
- (٣) تنمية روح الاخاء والتعاون بين الصحفيين وتسوية ما بينهم من المنازعات المتعلقة بالمهنة .

(٤) تنظيم علاقة الصحافة والصحفيين بالحكومة والجمهور .
مادة ٣ - لا يجوز للجمعية التعرض للمسائل السياسية أو المسائل الطائفية والدينية
ولا القيام بأى عمل خارج عن نطاق الأغراض المهينة في المادة الثانية .

أعضاء الجمعية

مادة (٤) - أعضاء الجمعية عاملون ومشترون وفخريون .
فالعضو العامل هو من يقرر مجلس الادارة قبوله بعد أن يفحص طلب انضمامه
ويتأكد توافر الشروط الآتية فيه :

(أولاً) أن يكون مصرياً .
(ثانياً) ألا تقل سنه عن الحادية والعشرين .
(ثالثاً) ألا يكون قد صدرت عليه أحكام في جريمة من الجرائم المخلة بالشرف
(رابعاً) أن يكون حسن السيرة .
(خامساً) أن يكون حاصلًا على شهادة دراسة عالية من مصر أو من الخارج أو
أن يكون على درجة من الثقافة تلائم مهنة الصحافة .
(سادساً) أن يكون صاحب صحيفة أو ممثلاً له أو محترفاً للصحافة .
(سابعاً) أن يزكى طلب انضمامه اثنان من أعضاء مجلس إدارة الجمعية .
(ثامناً) أن ترفق بطلب انضمامه قيمة رسم الدخول في الجمعية .
مادة ٥ - رسم الدخول في هذه الجمعية جنيهاً والاشتراك السنوى للعضو العامل
جنيهاً .

وللأعضاء العاملين الذين سددوا اشتراكهم حق التمتع ، بحسب الأحكام
المقررة ، بما يمنح للصحفيين من المزايا .
مادة ٦ - الأعضاء المشتركون هم الأعضاء العاملون الذين يشقطون عن مزاوله
عمل الصحافة ويوافق مجلس إدارة الجمعية على استمرار اتصالهم بها .
ورسم الاشتراك السنوى بالنسبة لهم ثلاثة جنيهات .
والأعضاء الفخريون هم من يمنحهم مجلس الإدارة هذه الصفة لمساعدتهم الجمعية
مساعدة ذات شأن .

إدارة الجمعية

مادة ٧ - يدير شؤون الجمعية مجلس إدارة مؤلف من اثني عشر عضواً تنتخبهم
الجمعية العمومية بالاقتراع السرى لمدة سنتين يجوز إعادة انتخابهم بعدهما .
ويتجدد نصف أعضاء المجلس المذكور كل سنة .
ويكون اخراج نصف أعضائه بعد نهاية السنة الأولى بالاقتراع .
مادة ٨ - يشترط في عضو مجلس الإدارة أن يكون صاحب صحيفة أو ممثلاً
له أو مديراً لسياسيتها أو رئيساً لتحريرها أو لتحرير قسم منها أو محرراً ذا شأن
فيها ، وتبلغ إدارة كل صحيفة الجمعية قبل أول أكتوبر من كل سنة بيان من
تنطبق عليهم هذه الأوصاف .
ويجب أن يشتمل المجلس على ستة من أصحاب الصحف أو ممثلهم .

مادة ٩ - يختار المجلس من بين أعضائه كل سنة رئيسا ووكيلين وسكرتيرا وأميناً للصندوق ، وتتألف من هؤلاء اللجنة التنفيذية .

مادة ١٠ - ينتخب المجلس من بين أعضائه كل سنة لجنة تؤلف من ثلاثة يعهد إليها بالنظر في الخلافات المتعلقة بالمهمة التي تقع بين أعضاء الجمعية لتسويتها .
وتنظر اللجنة في هذه الخلافات بناء على طلب أحد المتنازعين أو أحد أعضاء مجلس الإدارة أو على قرار من المجلس .

ويجوز للمتنازعين أن يختار كل منهما عضوا من أعضاء الجمعية ليسكونا مع ثالث يختاره مجلس الإدارة لجنة تتولى الفصل في النزاع .
وفي الحالتين يجب على الطرفين احترام القرار الذي تصدره اللجنة ، فإذا أبى أحدهما الإذعان له عرض الأمر على مجلس الإدارة ليقرر ما يراه في تنفيذ القرار أو في شأن العضو .

مادة ١١ - ينعقد مجلس الإدارة مرة في كل شهر على الأقل بدعوة من الرئيس ، وتنعقد اللجنة التنفيذية مرتين في الشهر بدعوة من الرئيس كذلك .
ويجوز انعقادها فوق ذلك كلما دعت الضرورة بدعوة من الرئيس أو إذا طلب ذلك ثلث أعضاء كل منهما كتابة .

ويصح انعقاد مجلس الإدارة بخمسة أعضاء واللجنة التنفيذية بثلاثة .
مادة ١٢ - يختص مجلس الإدارة بالنظر في طلبات الانضمام إلى الجمعية وتقرير عضويتها وإدارة أموالها ، وتختص اللجنة التنفيذية بالنظر في الأمور المستعجلة وفيما يحيله إليها مجلس الإدارة من شؤون .

وتصدر قرارات كل من الهيئتين بكثرة الأصوات المطلقة في الشؤون العادية ، وعند تساوى الأصوات يرجح الجانب الذي فيه الرئيس .
وتصدر القرارات الخاصة بقبول طلبات الانضمام وفصل الأعضاء بكثرة الثلثين .

مادة ١٣ - إذا خلا محل أحد أعضاء المجلس بسبب الاستقالة أو الوفاة أو بأى سبب آخر يقوم مجلس الإدارة مؤقتا بتعيين من يحل محله ويعرض أمره على أول جمعية عمومية تعقد بعد التعيين .

وتنقضى مدة العضو الجديد في الميعاد الذي كانت تنتهى فيه مدة العضو السابق .

مادة ١٤ - يرأس الرئيس جلسات مجلس الإدارة واللجنة التنفيذية والجمعية

العمومية ويضع جدول أعمال الجلسات ويوقع المحاضر ويشرف على تنفيذ القرارات ويوقع جميع المكاتبات والمستندات الخاصة بأعمال التصرف والادارة التي يقررها المجلس ويمثل الجمعية عند التقاضي أمام المحاكم .

مادة ١٥ - في حالة غياب الرئيس أو وجود مانع من حضوره يحل محله في اختصاصاته المدينة في المادتين ١١ و ١٤ أقدم الوكيلين وعند التساوى في الاقدمية أكبرهما سنا .

مادة ١٦ - يتولى أمين الصندوق تحصيل الاشتراكات والمبالغ الأخرى المستحقة للجمعية ودفع المبالغ المستحقة عليها وإيداع مالى الجمعية من النقود في مصارف القاهرة التي يعينها المجلس .

مادة ١٧ - يؤدى أعضاء مجلس الادارة واللجنة التنفيذية وظائفهم مجانا .

الجمعية العمومية

مادة ١٨ - تؤلف الجمعية العمومية من الاعضاء العاملين والاعضاء المشتركين المسجلين اشترآكهم وحدهم ، وتنعقد عاديا بدعوة من مجلس الادارة في الأسبوع الاول من شهر ديسمبر من كل عام للنظر في تقرير مجلس الادارة عن سير الجمعية وعن حساباتها السنوية وفي اقتراحات الاعضاء .

وتختص وحدها بالنظر في فصل الاعضاء الذين يصدر عنهم ما يمس شرف المهنة أو كرامة الجمعية من غير أن يحول ذلك دون فصلهم بصفة عاجلة بقرار مؤقت يصدره مجلس الادارة مشمولاً بالتنفيذ حتى يعرض على الجمعية العمومية لاقتراره أو الغائه في أول جلسة تلى صدور القرار .

ويجوز انعقادها بصفة غير عادية في غير الموعد المقرر لاجتماعها العادى بدعوة من مجلس الادارة من تلقاء نفسه أو بناء على طلب يقدمه ثلاثون من الاعضاء العاملين .

مادة ١٩ - لا يصح انعقاد الجمعية العمومية في اجتماعها الاول الا إذا حضرها ثلثا الاعضاء ، فإذا لم يتكامل العدد أجل الاجتماع إلى موعد آخر يصح انعقاده بمن يحضره من الاعضاء .

وتصدر قرارات الجمعية العمومية بكثرة الأصوات المطلقة للاعضاء الحاضرين في الشؤون العادية وبكثرة الثلثين في حالات فصل الاعضاء .

مادة ٢٠ - لا يجوز ادخال أى تعديل على هذا النظام إلا بموجب قرار من

الجمعية العمومية يصدر بناء على اقتراح من مجلس الادارة وتصدق عليه الحكومة .
ويكون صدور القرار المذكور بكثرة ثلثي الأصوات .

مادة ٢١ - تدون مداوولات وقرارات مجلس الادارة واللجنة التنفيذية والجمعية العمومية في محاضر يضع عليها كل من الرئيس والسكرتير امضاءه .

أموال الجمعية

مادة ٢٢ - تودع أموال الجمعية المكونة من رسم الدخول والاشتراكات والتبرعات في أحد المصارف باسمها ولا يسحب شيء منها إلا بقرار من مجلس الادارة واللجنة التنفيذية ؛ وتوقع صكوك السحب من الرئيس وأمين الصندوق معا .

صندوق التعاون

مادة ٢٣ - تنشئ الجمعية لأعضائها صندوق تعاون يضع مجلس الادارة لائحته ويعرضها على أول جمعية عمومية للتصديق عليها .

اللائحة الداخلية ونادى الجمعية

مادة ٢٤ - يضع مجلس الادارة لائحة داخلية للجمعية ، ومتى أنشئ لها ناد يضع المجلس له نظاما خاصا ؛ وتعرض اللائحة الداخلية للجمعية ونظام النادى على الجمعية العمومية في أول انعقادها .

حل الجمعية

مادة ٢٥ - لا يجوز حل الجمعية إلا بمقتضى قرار من الجمعية العمومية تصدره في اجتماع يعقد خصيصا لهذا الغرض .
ويكون صدور القرار المذكور بكثرة ثلثي الأصوات .

مادة ٢٦ - للحكومة دائما بمقتضى قرار من مجلس الوزراء أن تأمر بحل الجمعية إذا خالفت أحكام المادة الثالثة .

مادة ٢٧ - تقرير مصير أموال الجمعية عند حلها يكون بقرار يصدر من الجمعية العمومية بكثرة الثلثين وتصدق عليه الحكومة ، وإذا امتنعت الجمعية عن اصدار هذا القرار ، أو إذا لم تصدق عليه الحكومة ، أو إذا كان الحل حاصلا على مقتضى نص المادة السابقة ، توزع تلك الاموال بمقتضى قرار من وزير الداخلية ، في سبيل اعانة المعوزين من الصحفيين أو عائلات المتوفين منهم ، والا فللجمعيات القائمة بأعمال خيرية أو علمية ..

ولم يأل مقامه الرفيع جهدا في معاونة الصحافة ، معاونة مادية ، فأصدر أمره الكريم بتحويل ما تبقى من المبلغ الذى كان مقرراً للجوائز فى المباراة الصحفية الأدبية إلى بنك مصر على ذمة صندوق تعاون جمعية الصحافة . فكان هذا المبلغ حينذاك ١٣٣ جنيها ، ثم سحب منه بعد استقالة وزارة مقامه الرفيع خمسمائة جنيهه قيمة ما كان قد أخذ من مبالغ المراهنات ، وخمسمائة وخمسون جنيها جوائز لثلاثة موضوعات لم تكن لجانها قد انتهت من بحثها ، وكان الباقي إلى نهاية يولييه سنة ١٩٣٨ مائة وثمانين جنيها ، ولست أدري ماتم بشأن هذا المبلغ

* * *

الامتيازات الصحفية

ثم اتجه مقامه الرفيع إلى بحث موضوع الامتيازات الصحفية فى مصر والخارج ، لمنح الصحافة المصرية امتيازاتها كاملة على النحو المتبع فى أرقى البلاد الأوربية .

السلفيات الصناعية

ولما كانت ميول مقامه الرفيع نحو الصحافة ، هى ميول صادقة لافادتها ، وتذليل ما يعترض سبيل هذه الصناعة الشريفة من العقبات . ولما كانت وزارة المالية قد قررت مبدأ السلفيات الصناعية ، على أساس إمداد التاجر المصرى والصانع المصرى بسلفيات صناعية ، يتولى بنك مصر - بعد تحرياته ، واتصاله بوزارتى التجارة والمالية ، وأخذه ضمانات عقارية أو غيرها - الاقراض بفائدة ، فى المائة وعلى مدد طويلة للراغبين فى زيادة رؤوس أموالهم ، واتساع دائرة أعمالهم ،

أمداداً لهم بما يحتاجون إليه ، وتشجيعاً لهم فيما يرومونه من اطراد التقدم وتحسين الحال ، وذلك أخذاً بالسنة الإصلاحية الانشائية في تثبيت النهضة الاقتصادية الصناعية ، وتوطيد أركانها ، وتدعيم أسسها .

ولما كانت الصحافة ، باعتبارها من الصناعات الانشائية الشريفة ، فضلاً عما تؤديه للبلاد من خدمات لا يستهان بها ، جديرة بأن تنتظم في سلك الصناعات التي تعاونها الحكومة بالسلفيات الصناعية ، ليتمكن القائمون بها من ادخال تحسين جوهري في آلات الطبع والنسبك والاخراج .

فقد تكرم حضرة صاحب المقام الرفيع على ماهر باشا في مارس سنة ١٩٣٦ - بمقتضى وزيراً للداخلية إذ ذاك - بالكتابة إلى وزارة المالية لتخصيص مبلغ كبير من السلفيات الصناعية لباب تقدم الصناعة الصحفية في مصر ، وتقرير استفادة الصحافة من السلفيات الصناعية .

تليفونات الصحف

ثم اتجهت نية مقامه الرفيع الى مضاعفة آلات التليفون التي تمنح للصحف - تسهيلاً لها على أداء مهمتها - بدون زيادة في القيمة التي تحاسب عليها وزارة الداخلية ، وذلك بالاتفاق مع وزارة المواصلات على أن يكون لوزارة الداخلية الحق في أن تمنح بالقيمة التي تدفعها ضعف عدد التليفونات الممنوحة لبعض الصحف ، بمعنى أن تعفى وزارة الداخلية من دفع نصف الاشتراك ، حتى يستطيع منح الصحف المحرومة من هذا الامتياز ، وأن تعتبر المكالمات التي تزيد على العدد

المحدد مجانية ، وأن توضع أجور خاصة للمكالمات الخارجية «الترنك»
وقد أمر حفظه الله بالسكينة إلى وزارة المواصلات في ذلك في شهر
فبراير سنة ١٩٣٦ ، ثم قرر مجلس الوزراء في ٢٧ فبراير «قبول مبدأ جعل
اشترالك تليفوني بنصف أجرة للصحف على أن يطبق ذلك على المكالمات
المحلية الداخلية»

ثم كتبت وزارة الداخلية إلى مصلحة التليفونات لاعفاء أصحاب
الصحف من دفع قيمة المكالمات الداخلية ، الزائدة الصادرة عن التليفونات
المجانية الممنوحة لهم على حساب وزارة الداخلية ، وذلك على سبيل
المساعدة للصحافة ، ولكن مصلحة التليفونات رأت استمرار العمل
بالقوانين الموضوعه ، وعدم اجراء أى تغيير .

السفر بالسكك الحديدية

تصرف ادارة المطبوعات لأصحاب الصحف والمحررين استثمارات
سفر بنصف القيمة ، ولكن حضرة صاحب المقام الرفيع على ماهر باشا
أمر في فبراير سنة ١٩٣٦ بأن يكتب إلى وزارة المواصلات برجاء أن
تصرف لادارة المطبوعات دفاتر اشتراكات أو استثمارات بربع القيمة
كالتى تصرف عادة لرجال الدين ، وأن تتولى ادارة المطبوعات صرف
هذه الدفاتر أو الاستثمارات للصحفيين الذين يسافرون في مهام
صحفية .

الاعلانات والحكومة

كانت ادارة المطبوعات تتولى توزيع اعلانات المصالح الحكومية
على الصحف ، فلما أنشئت وزارة التجارة والصناعة ، وافق مجلس
الوزراء في ٧ أغسطس سنة ١٩٣٥ على نقل عملية توزيع الاعلانات

على الصحف إلى هذه الوزارة ، ولكن لما وليت الحكم وزارة حضرة صاحب المقام الرفيع على ماهر باشا ، قرر مجلس الوزراء بتاريخ ٢ فبراير سنة ١٩٣٦ إعادة عملية توزيع الاعلانات الى ادارة المطبوعات ، لصلتها الوطيدة بالصحف ، ومعرفتها بأسمائها جميعاً وأمكنتها وتواريخ صدورها ، ثم رأى مقامه الرفيع رفع أجور الاعلانات إلى الضعف ، وتقرير نشرها بجميع الصحف التي تصدر بالمحافظات والاقاليم ، وأصدر القرار الوزاري الآتي :

« وزير الداخلية »

بعد الاطلاع على منشور وزارة المالية رقم ٣٥ - ١ - ٤ الصادر بتاريخ ٩ مارس سنة ١٩١٢ بتشكيف ادارة المطبوعات بمهمة توزيع الاعلانات الخاصة بمصالح الحكومة على الصحف ، المعدل بالمنشورين رقم ٣٣ سنة ١٩٢١ و ٣٧ سنة ١٩٢٤ . وبما أن الغرض الاساسي من ذلك هو توخي الفائدة التي تعود على المصالح الحكومية من نشر اعلاناتها في الصحف التي ترى ادارة المطبوعات - بصفتها المهيمنة عليها والمطلعة على درجة أهميتها وانتشارها - فائدة النشر بها وبما أن فئة النشركات تتراوح في سنة ١٩١٢ بين خمسة عشر قرشا وخمسة قروش للسطر الواحد ، تبعا لأهمية الجريدة ودرجة انتشارها ، وقد تناولها التخفيض بعد ذلك ، ففي سنة ١٩٢٤ أصبحت أكبر قيمة للسطر الواحد اثني عشر قرشا ، ثم أدخلت عليها عدة تعديلات في السنوات التالية ، حتى استقر أمرها على سعر يتراوح بين تسعة قروش وخمسة .

وبما أنه من أعز أمانينا أن تحافظ الصحافة على أن تكون صناعة شريفة مدرة على أصحابها بالربح الوفير ، وحافزة لهم بما يصيبون من وراء الاشتغال بها على استخدام أصحاب المواهب والكفاءات من الكتّاب المجيدين والاختصاصيين المهتمين ، وأداء ما على عاتقها من رسالات ثقافية واجتماعية وأدبية وعلمية ، والوصول بمكانتها الى مستوى الصحافة الغربية ، ولا يتسنى لها ذلك الا إذا زاد ايرادها ، وضربت الحكومة لأصحاب المتاجر والمعلنين وغيرهم القدوة الصالحة في رفع

الاجور وتحسينها .

لذلك

قرر :

أولاً - رفع الاجور الحالية وجعلها اثني عشر قرشا للسطر الواحد لجميع الجرائد المحلية بدون تمييز بين جريدة وأخرى .
ثانياً - على ادارة المطبوعات تنفيذ هذا القرار اعتبارا من اليوم .

وزير الداخلية

١٨ مارس سنة ١٩٣٦

على ماهر باشا «

تذاكر واشتراكات الترام والسيارات

في مارس سنة ١٩٣٦ أصدر حضرة صاحب المقام الرفيع على ماهر باشا أمره الى إدارة المطبوعات بمخاطبة شركات السيارات والترام بأن تتولى ادارة المطبوعات نفسها صرف التذاكر والاشتراكات المجانية الخاصة بالصحفيين ، تشريفا لهم ، وعملا على استقلالهم ، واحترام كرامتهم ، وحتى لا يكونوا تحت رحمة الشركات ، وليتحروا الصواب في كتاباتهم وانتقاداتهم ، وابداء مافيه مصلحة الأهالي .

* * *

تعويض أصحاب الصحف

رأى حضرة صاحب المقام الرفيع على ماهر باشا أن تتفق الحكومة مع حضرات أصحاب الصحف - مثل البلاغ والسياسة والجهاد وكوكب الشرق وآخر ساعة وغيرها - الذين رفعوا قضايا على الحكومة ، لتصرفات اعتقدوا انها مخالفة للعدالة والقانون ، ولقد انتهى الأمر بين مقامه الرفيع وبين أصحاب الصحف على تسوية مرضية للطرفين .

* * *

إقامة حفلات شاي للصحفيين

ورأى مقامه الرفيع أن تعنى إدارة المطبوعات بإقامة حفلات شاي للصحفيين ، مرة كل أسبوع ، حيث يخطبهم أحد حضرات الوزراء في كل ما يهم رجال الصحافة عامة ومكاتب الصحف الأجنبية خاصة ، وأن يكون للصحفيين مطلق الحرية في الاستفسار من الوزير عما يهمهم الوقوف عليه من المعلومات ، حتى تنشأ من وراء ذلك وحدة في الرأي ، وفي وجهات النظر السياسية ، ويسود بين الجميع روح الوئام والتعاون على ما فيه مصلحة البلاد .

فأقيمت حفلة افتتاح موسم المحاضرات الصحفية .
ثم حفلة تكريم وفود الصحفيين الفلسطينيين والسوريين والعراقيين ومعهم مدير إدارة الدعاية والنشر بالعراق .
فكان لهاتين الحفلتين أبلغ الأثر في إيجاد جو من الصفاء والمودة بين الحكومة والصحفيين .

* * *

تبادل الزيارات بين مصر والبلدان الشرقية

ولما كان قد وفد على مصر مندوبون من حكومتى أنقرة والعراق وغيرهما من إدارات الدعاية بها ، لأخذ معلومات من إدارة المطبوعات ، وتوثيق العلاقات بينها وبين مصر .

فقد تفضل حضرة صاحب المقام على ماهر باشا ، ورأى أن واجب المجاملة للأمم الشرقية ، وحسن الجوار ، وضرورة توثيق الروابط الودية والثقافية والأدبية بين مصر والبلدان الشرقية ، يقتضى رد الزيارة لأولئك الصحفيين وموظفي إدارات الدعاية الذين وفدوا على مصر بصفة رسمية .

فأشار مقامه الرفيع بأن تنتدب الحكومة بعض الصحفيين وموظفي

المطبوعات لزيارة أنقرة والعراق وسوريا وفلسطين والحجاز وغيرها .

ايجاد عنصر صحافى مثقف بالمطبوعات

وكانت نية مقامه الرفيع متجهة إلى تعيين بعض الصحافيين الممتازين بإدارة المطبوعات ، لحاجتها الى وجود عنصر ثقافى مثقف بها ، ممن لهم دراية بفنون التحرير والترجمة ، وتكون مهمتهم تلخيص صحف الأمم الشرقية والغربية واصدار نشرة أسبوعية تتضمن خلاصات هذه الصحف ، وتقارير المفوضيات والقنصليات المصرية ، فيما يهم الجمهور المصرى الاطلاع عليه ، وغير ذلك من المقالات السياسية والعلمية والاجتماعية ، والأخبار التى ترد بالصحف والمجلات الأجنبية عامة ، وتزويد الصحف المصرية بها ، ومساعدتها بذلك على اداء رسالتها الاصلاحية فى القومية والثقافة والاجتماع والأخلاق .

الأخبار الصحافية الهامة

ثم رأى مقامه الرفيع - لمصلحة الصحافة - ضرورة العمل على توثيق الصلات بين ادارة المطبوعات ومختلف الوزارات والمصالح الحكومية ، فأشار بأن يكون مدير المطبوعات - بقدر الامكان وفى المسائل الهامة - الوسيط بين الوزارات والصحافة ، رغبة فى توحيد الجهود الاتتاجي فى اقناع جماهير الشعب وأفراد الأمة بالاصلاحات المرومة ، وعملا على الاستيثاق من تحرى الاخبار الصحيحة ، وعدم اضطرابها ،

وتفاديا من وقوع بعض الصحف في الأخطاء، أو ارتكانها الى الاشاعات
التي يروجها أحيانا بعض ذوى الغايات لمصالح معينة ، وتوجيهها لنظر
الجمهور إلى المسائل التي تهمة ولم يصدر عنها أى بيان .

* * *

تبادل النشرات

وفي مارس سنة ١٩٣٦ رأى مقامه الرفيع تطبيق نظام «تبادل النشرات»
بين مصر والممالك الأخرى ، وهو يقضى بأن تتبادل مصر مع الحكومات
الأخرى قصاصات بما تكتبه الصحافة المصرية عن هذه الحكومات
وبما تكتبه صحافة تلك الحكومات عن مصر ، توطيدا لحسن الصلات
وتمكيننا لأسباب السلام والوفاق وحسن الدعاية .

* * *

المحاضرات الصحفية

١

الصحافة المصرية - نظرة تاريخية ونظرة تحليلية

للأستاذ عبد القادر حمزة باشا

ألقيت هذه المحاضرة مساء يوم ٣٠ مارس سنة ١٩٣٦

سأدى

في هذه الساعة التي نبدأ فيها أولى المحاضرات الصحفية، يطيب لى ، وأعتقد انه
يطيب لكم أيضا ، أن نشكر مرة أخرى الرجل الذى فكر فيها ، ودعا اليها ،
وافتحها بمحاضرة أنصف فيها الصحافة ، فقال انها برلمان حر ، ورحب بها ناقدة
ومستفسرة .

لقد كانت الصحافة تنتظر رجل الدولة الذى يقدرها هذا التقدير ، بعد أن
كافحت عشرات من السنين، فعملت بكفاحها هذا لتكوين الرأى، وساهمت في نشر

الثقافة ، وكانت في جميع الأطوار السياسية سلاحا من أمضى الاسلحة التي تساحت
بها البلاد . فالآن وهي تجدد هذا الرجل في صاحب الدولة على ماهر باشا ، خليف
بها ان تغبط وان يحفزها ذلك إلى مزيد من النشاط في طلب الكمال ، ومزيد من
النشاط في خدمتها للبلاد . اعاننا الله جميعا وكتب لنا التوفيق والسداد

سأدق

كان يحسن ، لكي نبدأ بالبداية ، ان نذكر في هذه المحاضرة طرفا من تاريخ
الصحافة في العالم، ولكنتنا إذا خضنا في هذا فأكبر الظن أن يطول الشرح فلا يتسع
الوقت للحديث في الصحافة المصرية . وهذا الحديث الاخير هو الذي يهمكم
أكثر من غيره، فلندع اذن تاريخ الصحافة في العالم لفرصة أخرى ولزوميل آخر .
وانقصر حديثنا اليوم على الصحافة في مصر

وهذا الحديث ينقسم إلى قسمين رئيسيين : أولهما نظرة تاريخية، والثاني نظرة
تجريبية، وتقضى الضرورة بالايجاز في النظرتين، لان كل واحدة منهما تحتاج إلى
بحوث طويلة . 'أونأخذ الآن في النظرة التاريخية .

نعود بالنظرة التاريخية إلى مصر القديمة ، أى إلى ما يقرب من خمسة آلاف سنة
مضت ، ونسأل : هل عرفت مصر هذه الصحافة أو لم تعرفها ؟

والجواب على ذلك انه ان أريد بالصحافة الصورة التي نراها عليها اليوم وهي
اصدار صحف دورية مطبوعة لتذيع على الناس الثقافة السياسية والعلمية ، فمصر
القديمة لم تعرفها لسبب ظاهر هو انها لم تعرف المطبعة والطباعة . أما إن أريد
بالصحافة معناها الأوسع وهو اذاعة التبليغات والاخبار ، فمن البديهي انه كانت
لدى الحكومة تبليغات وأخبار ، يهمها ان تذيعها على الرعية ، كانت لديها مثلا
الأوامر التي تصدرها كل يوم وتريد أن تخضع لها رعيته ، وكانت لديها اخبار
الانتصارات التي كان المملوك والقواد المصريون يحرزونها شرقا وغربا وجنوبا، وكان
يهمها ان تقف الرعية عليها وان تقيم الاحتفالات لها . فلهذا الاوامر والاخبار
كيف كانت تذيعها الحكومة ؟

كانت طريقة الاذاعة ارسال رسل يحملون مكاتيب مكتوبة على ورق البردى
إلى كل إقليم ، وكان هؤلاء الرسل في حركة دائمة ، وكانت لهم محطات معينة
يتجهون إليها بما يحملون من الرسائل ، وكانت للملك جياد مخصصة لهم في كل محطة

من هذه المحطات ، ومتى وصلت الرسالة إلى حاكم الاقليم اذاع ما فيها على سكان اقليمه ، وقد يلجأ في بعض الاحيان الى اطلاق المنادين ينادون بما فيها ، وأظنكم تعرفون ان الاذاعة بواسطة المنادين طريقة كانت منتشرة في مصر إلى سنين ، وانها ما زالت تستخدم إلى وقتنا هذا في بعض القرى ، وأخص ما تستخدم فيه نعى المتوفين إلى أهل القرية كي يجتمعوا ويشيعوا المتوفى

ولكن الحكومة المصرية كانت لديها تبليغات أخرى ليس من الضروري ان تريد لها الاذاعة على عجل ، أو هي تريد لها هذه الاذاعة، ثم تريد لها إلى جانبها اذاعة أقوى ، فكيف كانت وسياتها إلى ذلك ؟

كانت وسياتها النقش على الحجر ، وكان لابد لها حينئذ من احجار عدة تنقش على كل واحد منها نسخة من التبليغ الذى تريده ثم تبعث بها إلى حيث توضع في المعابد التى يكثر تردد الناس عليها ، ومن هذه الاحجار حجر رشيد المشهور، الذى كان وسيلة للوقوف على سر الكتابة المصرية ، وقد وجدت من هذا الحجر الى الآن نسختان : احدهما هى التى أخذها الانجليز في حملة بوناپرت ووضعوها في المتحف البريطانى ، والثانية عثر عليها بعد ذلك ، وهى توجد الآن في المتحف المصرى .

وأنتم تعرفون ولا شك ان حجر رشيد مكتوب بثلاثة خطوط : اليونانى والديموطيقى والهيروغليفى ، وهذان الخطان الاخيران من خطوط اللغة المصرية، وانما كتب الحجر بلغتين وثلاثة خطوط لأنه كتب في عهد بطليموس الخامس في نحو سنة ١٩٦ قبل الميلاد ، وكان الغرض من كتابته اذاعة قرار أصدره المجمع الدينى في مدينة ممفيس لمصلحة بطليموس هذا، فكان الخط اليونانى لليونانيين ، والخط الديموطيقى لعامة الشعب والخط الهيروغليفى للكهنة . وبذلك يمكن أن يقال ان حجر رشيد كان جريدة واسعة الانتشار .

ولا تظنوا ان مصر انفردت باستخدام النقش على الحجر لاذاعة التبليغات والاخبار ، كلا فقد شاهدت في معرض الصحافة في كولونيا (بالمانيا)، حينما زرته في سنة ١٩٢٨ ، قطعة من الحجر وجدت في جزيرة كريت ، ويرجع تاريخها إلى ما قبل المدنية اليونانية ، وقد حفرت عليها اشارات ورموز ، فلما قرئت هذه الاشارات والرموز عرفت انها دعوة إلى وليمة ، وشاهدت إلى جانب هذه القطعة

قطعة من الخشب وجدت في استراليا، ويرجع تاريخها إلى أكثر من ألفي سنة، وعليها نقوش هي أيضا دعوة إلى وليمة . فهاتان الدعوتان على الحجر والخشب هما اذن الجدد الاعلى ، الذي نعرفه ، لما تنشره الصحف الآن من اخبار الزواج والولائم والدعوة اليها .

وقد كانت الصحافة ، إلى ما قبل اختراع المطبعة في القرن السادس عشر ، تختلط بالكتابة وبالبريد ، فتاريخها في تلك العصور القديمة هو تاريخهما ، اما بعد اختراع المطبعة فقد انفصلت الصحافة عن الكتابة وعن البريد وصارت شيئا ضخما مستقلا بذاته ، ليست الكتابة وليس البريد الا بعض أدواته .
فلننظر الآن في تاريخ الصحافة بعد اختراع المطبعة ، ولنحصر بحثنا دائما في مصر

أول جريدة أنشئت في مصر هي التي أنشأها نابليون بونابرت باللغة الفرنسية باسم Le Courrier d' Eg. في سنة ١٧٩٨ وهي التي نشرت بعد صدورها بنحو اسبوعين خبر العثور على حجر رشيد، ومنها وصل الخبر إلى علماء أوروبا .
وبعد شهر واحد من انشاء هذه الجريدة الاولى انشأ نابليون جريدة ثانية باللغة الفرنسية أيضا اسمها La Décade E لأنها كانت تصدر كل عشرة أيام
وكانت الاولى اخبارية سياسية ، اما الثانية فكانت علمية وكانت تنشر محاضرات أعمال المجمع العلمي الذي أسسه بونابرت .

وبعد ذلك أسس مؤسس الاسرة العلوية المخفور له محمد علي باشا الكبير جريدة « الوقائع المصرية » في حدود سنة ١٨٣٠ ، فيكون قد مضى عليها إلى الآن مائة وست سنوات ، فهي بهذا أقدم الجرائد العربية في مصر وفي الشرق .
وانقضت بعد انشاء (الوقائع المصرية) خمس وثلاثون سنة لم يبعث فيها وجود هذه الجريدة الرسمية في نفوس المصريين رغبة في اصدار جريدة أهلية . وجاء عهد الخديو اسماعيل باشا فتحركت بتشجيعه هذه الرغبة في النفوس، فظهرت مجلة « اليعسوب » في سنة ١٨٦٥ وكانت طيبة انشأها الدكتور محمد علي البقلي باشا و ابراهيم الدسوقي .

وتلتها في سنة ١٨٦٧ أول جريدة سياسية هي « وادي النيل » لمنشئها عبد الله أبو السعود افندي وكانت تصدر مرتين في الاسبوع .
ثم جريدة (نزهة الافكار) في سنة ١٨٦٩ لمنشئها ابراهيم المويلاحي بك ومحمد

عثمان جلال بك .

ثم مجلة (ررضة المدارس) في سنة ١٨٧٠ انشأها على مبارك باشا حينما كان وزيرا للمعارف ، وكانت الحكومة تتولى الانفاق عليها ، وكان يتولى التحرير فيها كثير من الاعلام منهم على مبارك باشا وعبد الله فكري باشا والشيخ حسونة النواوى والشيخ حسين المرصفي ورفاعة رافع بك ومحمود الفلكي باشا ومحمد قدرى باشا والشيخ حمزة فتح الله .

وفي سنة ١٨٧٧ ظهرت جريدة « الوطن » ثم جريدة « مصر » وكان السيد جمال الدين الافغانى يكتب فيهما بعض رسائله .

ويطول الشرح اذا نحن أردنا أن نذكر جميع الجرائد التى صدرت في عهد اسماعيل ، فنكتفى بأن نذكر منها جريدة «الكوكب الشرقى» لسليم باشا الحموى ، وجريدة (الاهرام) لمنشئها سليم تقلا بك وأخيه بشارة تقلا باشا ، وقد صدرت في سنة ١٨٧٥ في الاسكندرية وكانت في أول ظهورها أسبوعية ، ثم صدرت بجانبها جريدة (صدى الاهرام) يومية ، ثم عطلت هذه وبقيت (الاهرام) وانتقلت بعد الثورة الجراية الى القاهرة ، وهى تصدر إلى اليوم .

ونذكر أيضا جريدة « أبو نضارة » وقد صدرت في سنة ١٨٧٧ لصاحبها الشيخ يعقوب صنوع المصرى الاسرائيلى ، وهى أول جريدة سياسية هزلية مصورة .

وقد يحبون ان تروا جريدة من جرائد ذلك العهد فاليكم عددا من جريدة (صدى الاهرام) في سنة ١٨٧٨ وعددا آخر من جريدة (الوطن) في سنة ١٨٨٨ ، وفي هذين العديدين مجال واسع لمن يريد أن يقارن هذه الصفحات الاربع الضئيلة بالصفحات الاثنتى عشرة أو الست عشرة التى تصدر فيها الصحف اليوم ، ليعرف أى تقدم تقدمته الصحف المصرية ولا سيما في السنين الاخيرة حتى صارت أعظم الصحف فى الشرق القريب بعد ان كانت الصحف التركية هى التى لها هذه المنزلة فيه .

ونظرة سريعة في هذين العديدين ترينا :

أولاً - انه كان من المؤلف أن تنشر المقالات الافتتاحية والمقالات غير الافتتاحية بغير عنوانات ، ولهذا كان على القارئ أن يقرأ المقالة ليعرف موضوعها . أما الآن فما على القارئ الا أن يقرأ العنوانات ليعرف الموضوعات ويعرف ما يهمه منها .

ثانياً — ان ثلاثة أرباع الجريدة على الاقل خاص بأخبار خارجية والربع الباقي فقط هو الخاص ببلاغات الحكومة وبأخبار مصرية . ولعل السبب في ذلك أن الاخبار الخارجية تنقل من جرائد أجنبية، أما الاخبار المصرية نتحتاج الى مخبرين ومحررين .

ثالثاً — ان بعض الصحف كان يلجأ الى السجع في الكتابة ، فكان من أجل ذلك يقع في تعبيرات لا نستطيع نحن الآن أن نقرأها من غير أن نبسم
فهذه مثلاً جريدة نشرت قصيدة في مدح رياض باشا فجعلت عنوانها :
« دولتو رياض باشا بلغه الله ماشا »

ومنذ ٢٥ سنة فقط كان هذا النوع من الكتابة لا يزال سائعا في بيئة الصحف اليومية الجدية . فقد أرادت صحيفة أن تنقد قاضيا من قضاة محاكم الاخطاط فكتبت في ذلك كلمة جعلت عنوانها « قاضى خط بلط فى الخط » وأقول مرة أخرى إن هذه الجريدة لم تكن هزلية ، بل كانت جدية ويومية
ودارت في سيناء في سنة ١٩١١ معركة في بلدة تسمى قطية فكتبت ملك الجريدة نفسها مقالا عن هذه المعركة جعلت عنوانه « معركة قطيه وما جرى للترك ياعنيه »

وأرادت هذه الجريدة أيضا أن تمدح مشروعا نافعا من مشروعات الحكومة فجعلت عنوان ما كتبت به في ذلك « كلك منافع يا قوم »
وصدر قانون للدمغة فشكت منه الصاغة فكتبت : « عريضه الصاغه بعد تلك الغاغه » . وكتبت عن البترول (كيف يحل ويزول شكل البترول)
وكتبت عن الحشيش (كيف يباد ويزول هذا العدو المهزول)
وهناك من أمثال هذا كثير .

وأعود الى القصيدة التي نشرتها جريدة الوطن في سنة ١٨٨٨ في مدح رياض باشا فقرأ بعض أبياتها ، لاعلى أنها مثال للشعر المصرى في ذلك الوقت ، فاني أعرف أن الشعر في ذلك الوقت كان أرقى منها بكثير ، بل على أنها مثال مما كانت الصحف الجدية تتسامح في نشره
قال الشاعر .

يا هنا مصر سناها في الدجا ضا واليه الانس والاسعاد آضا
برياض العدل فيها العزيز كو بل ويسكني أن للعدل رياضا

فقارنوا هذا كله بما تقرأونه الآن في الصحف تعرفوا مقدار الخطوات الواسعة التي خطتها الصحافة في سبيل النمو والتقدم .

ونقف عند هذا الحد من النظرة التاريخية . فننتقل بعد ذلك الى النظرة التحليلية : أول ما يلاحظه الناظر ان خمسا وثلاثين سنة انقضت على وجود « الوقائع المصرية » . حتى وجدت أول جريدة أهلية ، ثم توالى صدور أكثر من خمس عشرة جريدة بين سياسية وأدبية وفكاهية في المدة من سنة ١٨٠٥ إلى سنة ١٨٧٧ وذلك مع أن المدارس كانت قد فتحت أبوابها للتعليم الحديث منذ عهد محمد علي الكبير ، والبعثات المصرية الى أوروبا كانت قد توالى منذ عهده أيضا ، فأخرجت لمصر علماء شاهدوا الصحافة في أوروبا وعرفوا قيمتها في تربية الجمهور ، ولكن تفسير هذا الجمود سهل ، وهو يرجع إلى أمرين : الأول انه كان من الضروري بعد فتح المدارس وبعث البعثات إلى أوروبا أن يمضى زمن كاف لتربية نشأة حديثة تعيش الصحف من أقبالها عليها ، والثاني أن المدة ما بين سنة ١٨٦٣ وسنة ١٨٧٧ هي بعينها المدة التي وجدت فيها في مصر حركة فكرية قوية ، اصطدمت فيها أفكار مصرية تقف موقف الدفاع بأفكار أوربية تقف موقف الهجوم ، فدعا هذا الى انشاء الصحف واتخاذها لبث ما تغلى به النفوس

وفي هذه الآونة كان من الذين اشتغلوا بالصحافة الامام الشيخ محمد عبده والمغفور له سعد زغلول باشا فكان لهما في ترقية أسلوب الكتابة أثر ظاهر وتلت ذلك الحوادث العراقية فتولدت فيها حركة فكرية اتصلت بالحركة الأولى فتقويت الحاجة الى الصحافة وظهر حينئذ عبد الله النديم بجريدته «التشكيك والتبكيك» ثم بجريدته «الطائف» فقربت نظارة ذلك العهد جريدته هذه الأخيرة حتى قررت أن تخصصها بتدوين أعمال مجلس النواب دون (الوقائع المصرية)

وخمدت الحركة الفكرية بعض الشيء على أثر النتيجة التي انتهت اليها الحوادث العراقية ، ولكن هذا الجمود لم يكن الا وقتيا ، لانها عادت بعد سنوات قليلة فهبت من مرقدتها ، وهبت الصحافة معها ، وكانت هبة الصحافة في هذه المرة أشد قوة وأوسع ميدانا . وكان من رجالها السيد علي يوسف صاحب المؤيد . ومصطفى كامل باشا صاحب اللواء ، وأحمد لطفى السيد باشا مدير الجريدة فيما مضى ومدير الجامعة المصرية الآن ، ومحمد فريد بك والشيخ عبد العزيز جاويز مديرا اللواء فالشعب ، وبشارة تقلا باشا وسليم تقلا بك صاحبها الاهرام ، والدكتور فارس نمر

أحد أصحاب المقطم والدكتور يعقوب صروف أحد أصحاب المقتطف وجورجي زيدان بك صاحب الهلال .

وكانت لكل واحد من هؤلاء الرجال آراء يخالف فيها الآخر ، فاست أدخل في هذه الآراء ولكني أقول ان المناقشة الحادة التي تحصل في كثير من الاحيان إلى أقصى حدود العنف بين هؤلاء الرجال وصحفهم هي التي ساعدت في وقتها على تكوين الرأي العام ، وساعدت في الوقت نفسه على أن تخطو الصحافة خطوة جديدة في سيرها إلى الامام .

وجاءت بعد هذا الحركة الفكرية القوية التي هبت في سنة ١٩١٨ والسنين التي تلتها فخطت الصحافة خطوة أخرى ، بل خطوات ، وظهرت قوتها جلية في توجيه الرأي العام .

والكلام في هذه الحركة وأثرها في الصحافة وأثر الصحافة فيها طويل ، ثم هو كلام في الاحياء ، وكل كلام في الاحياء سابق لأوانه ، فاذن احيلكم فيه إلى أنفسكم ، لانكم تعرفون الحركة كما أعرفها وزيادة ، وتشاهدون باعينكم اثرها في الصحافة وأثر الصحافة فيها ، كما أشاهد وزيادة .

من هذا العرض السريع نرى ان خطى الصحافة صاحبت دائماً حركات فكرية ، فالصحافة اذن أداة تقضى وجودها طبيعة التفكير وايدست اداة ترف ولا فضول . هذا هو بعينه الذي وقع للصحافة في أوروبا فقد كان الغالب على هذه الصحافة إلى ما قبل الثورة الفرنسية التي ابتدأت في سنة ١٧٨٩ ، أنها أداة لنقل الاخبار ، ثم جاءت هذه الثورة وانتقلت عذراها إلى جميع أنحاء أوروبا ، فاصطدمت أفكار قديمة موروثة من تقاليد الماضي بأفكار جديدة أخرجها العقل الطليق والعلم الطليق . فكانت الصحافة في هذا الاصطدام جندياً أول من ينزل إلى ميدان المعركة قبل غيره ، فيقاتل قتال المستبسل ، فيظفر حيناً ويصاب بالجروح حيناً ، ثم إذا حميت المعركة فسالت الدماء وطاحت الرؤوس لم تبق الصحافة جندياً فقط ، بل صارت جندياً وزعيماً معاً ، حتى كانت زعامة الحركة لفريقين بارزين هما رجال القلم ورجال السيف ، وكان رجال القلم أعلى زعامة وأكثر ظهوراً ، فجاء جاك روسو ومونتسكيو وفولتير مروا بالصحافة وقد كانوا هم الذين وضعوا بذرة الثورة ، وميرابو وروبسبير ومارات مروا بالصحافة أيضاً وقد كانوا في الثورة في

السنام والذروة، واندري شينييه مر بالصحافة أيضا وقد كان كاتب الثورة في عهدهما الأول، ثم لما جاء عهد الارهاب وعنف روبسيير في سفك الدماء رشقه شينييه بسهم من قلبه فرماه روبسيير بالمقصلة، فلم تمض أيام حتى كان روبسيير صريع هذه المقصلة .

وفي هذه المعركة الطاحنة كم حبس صحفيون ونفوا وقتلوا ، ولكن الصحافة كانت تسير بهم دائما الى الامام ، وصحفيهم لم تكن تحترق في نيران المعركة إلا ليخرج منها جديد ، هو أشد حياة وأقوى كفاحا .

رسمت أمامكم هذه الصورة الصادقة لدور من الأدوار التي مرت بها الصحافة في أوربا ، ويخيل الى أنى رسمت بها صورة صادقة لدور كمذا الدور نفسه مرت به الصحافة في مصر، فقد حوربت هذه الصحافة في حريتها فعطلت عشرات منها ، وسجن كثير من كتابها وضربت عليها القوانين القاسية ، ووضعت لها الشروط المرهقة، فسقط في هذا الصراع من الصحف ما سقط، ولكن الصحافة في مجموعها لم تسقط . بل تغلبت وخرجت قوية نامية ، وكان خروجها هذا لخير الوطن وخير العلم والثقافة .

بقيت لي بعد ذلك كلمة قصيرة في مستقبل الصحافة المصرية، وفي معهد الصحافة الذي تسرعت الحكومة في انشائه في الجامعة المصرية .

فأما مستقبل الصحافة فلا شك في أنه سيكون زيادة مستمرة فيما هي عليه الآن من الحياة والنمو ، وقد استطاعت الصحافة أن تبلغ ما بلغته، وعدد الذين يعرفون القراءة والكتابة لا يزيد في بعض الاحيان على ١٠ في المائة وفي أحيان أخرى على ١٧ أو ٢٠ في المائة ، ومن هؤلاء ١٠ في المائة فقط هم الذين يقرأون الجرائد، والتعليم الآن ينتشر فيكثر انتشاره عدد القراء ويزداد بكثرتهم قدرة الصحف على حياة أقوى ونمو أوسع

على أننى أنصح الصحف بأن تقف عند الحد الذى بلغته زمنا غير قصير، لأنها اندفعت بحرارة التنافس وحرارة الرغبة في طلب السكال فجاوزت الحد الذى يتناسب مع حالة بلاد لا يزال انتشار التعليم فيها محدوداً ، حتى لقد صرنا إذا نحن قارنا الصحف المصرية ببعض الصحف في أوربا كصحف فرنسا أو صحف إيطاليا وجدناها مثلها أو أكبر منها حجماً ، ووجدناها تقرب منها مادة ، والصحف في فرنسا وإيطاليا

لا يقل طبع الواحدة منها عن مئات الألوف، وقد يصل إلى الملايين، في حين أن طبع الصحيفة المصرية لا يزيد على بضعة عشرات من الألوف ، وما يقال في عدد القراء يقال في الاعلانات .

وأما معهد الصحافة، فالفكرة فيه جارية ، وهو يؤدي إلى بناء الصحافة على أساس علمي متين ، ولكن إن كانت الحكومة تريد لهذا المعهد النجاح فعليها قبل كل شيء أن تزيل عن فكرها كل ما يسمى تعطيلًا للصحف ، إذ الطلاب لا يقبلون على معهد يعلمون أن المستقبل الذي يقودهم إليه هو العمل في صحف تصدر زمنًا وتعطلها الحكومة أو تعطلها المحاكم زمنًا .

فعقوبة التعطيل يجب أن تمنح من قوانين الصحافة ، لا لأنها فقط اضرار خطيرة برؤوس أموال تستثمر في عمل شريف ، و اضرار بمن عدا المذنب من محررين أبرياء وموظفين أبرياء وعمال أبرياء وباعة أبرياء وقراء أبرياء ، لا لهذا فقط يجب أن تمنح عقوبة التعطيل ، بل له و لضعف النجاح لذلك المولود السعيد الذي بشرتنا به الحكومة ، والذي شكرناها وما زلنا نشكرها عليه ، وهو معهد الصحافة .

نعم إن الوزارة الحالية خففت من أضرار التعطيل فجعلته لا يتجاوز خمسة عشر يوما للصحف اليومية ، بعد أن كان يصل إلى ستة أشهر ، وكان في بعض الحالات يصل إلى اعدام الصحيفة ومصادرة المطبعة . ونحن نعرف لوزارة ماهر باشا هذه اليد على الصحافة ، كما نعرف لها أيديها الأخرى ، ولكن بقاء التعطيل ، ولو إلى خمسة عشر يوما ، وجواز تكراره مرة أخرى ، يحولان دون الاقبال على المعهد ، وهما بعد عقوبة تصيب من الأبرياء عشرات أو مئات إلى جانب مذنب واحد فيعاقب عقابه عدلا

وقد سمعت أن هناك نية منصرفه إلى حذف عقوبة التعطيل من قوانين الصحافة ، فعسى أن يكون هذا الذي سمعته صحيحا ، لنضيف بذلك فضلا لهذا العهد على الصحافة ، وعلى الثقافة ، وعلى المجتمع المصري ، إلى أنفضاله الأخرى العديدة . وبعد ذلك أعذر اليكم عن هذا الوقت الذي أضعته عليكم وأشكركم .



مقام الصحافة المصرية

في بلاد العرب

للاستاذ أمين سعيد (صاحب مجلة الرابطة العربية)

ألقيت مساء يوم ٢ أبريل سنة ١٩٣٦

أيها السادة

موضوع محاضرتنا الليلة هو مقام الصحافة المصرية في بلاد العرب .
والصحافة المصرية التي أعنيها، هي الصحف والمجلات التي تصدر في هذه العاصمة
باللغة العربية، بين يومية وأسبوعية وشهرية ، فهي التي تجوب بلاد العرب شرقا
وغربا وشمالا وجنوبا .

وببلاد العرب التي أعنيها، هي البلاد التي ينطق أهلها بالضاد، والتي تجاور مصر من
الشرق والغرب والجنوب .

ففي الشرق : الحجاز واليمن وحضرموت وعمان ونجد والبحرين والكويت
والعراق وسوريا وفلسطين وشرق الاردن .

وفي الغرب : برقة وطرابلس الغرب وتونس والجزائر والمغرب الأقصى .
وفي الجنوب : السودان .

تلك هي الأقطار العربية، أو الأقطار التي يتكلم أهلها باللغة العربية، ويدرسون
الآداب العربية ، ويتثقفون ثقافة عربية ، ولا يقلون عن ٥٠ مليوناً من النفوس
يقرأون الصحف المصرية العربية ، ويمجبون بها .

أيها السادة

لم تكن هنالك صلات ثقافة وعلم وأدب وثيقة بين مصر وهذه الاقطار قبل
الفتح العربي الاسلامي، فقد كان العراق خاضعا للفرس، وكانت لغتهم منتشرة فيه .
أما الشام فكان خاضعا لدولة الروم البيزنطيين، وكانت اللغتان السريانية والاعرقيية

لغة سكان الشمال والغرب والوسط، أما سكان الجنوب الغربي (فلسطين) فكانت العبرية لغتهم، وكانت العربية لغة سكان الجنوب الشرقي، فهم من العرب الاقحاح، وكذلك شأن سكان جزيرة سيناء.

وكان الحجاز، جار الشام ومصر، يتمتع باستقلال ناجز لاسمطة لأجنبي عليه وكانت العربية لغة سكانه. أما اليمن فكان خاضعا خضوعا اسميا للفرس، وكانت عمان وحضر موت والبحرين (هى بلاد الحسا اليوم) ونجد مستقلة استقلال تاما.

* * *

أما مصر فكانت خاضعة لدولة الروم البيزنطيين، وكان فيها لغتان: الاغريقية والقبطية، والاولى لغة الدواوين والتعليم والادب والفلسفة. والثانية لغة سواد الشعب، وكان الروم يحاربونها ويقاومونها. وكانوا حينما جاء العرب يبالغون في اضطهاد رجال الاكايروس القبطي، ليحملوهم على اعتناق عقيدة كنيسة القسطنطينية، فانقذوهم منهم.

أما السودان فكان مستقلا عن مصر وكان يخضع لحكومات من أبنائه. وكانت بلاد شمال أفريقيا تحكم بأنظمة خاصة بها في داخل الامبراطورية الرومية، وكانت اللغتان الرومية والبربرية منتشرتين في شمال افريقية حين الفتح العربي، الاولى لغة الدولة والتعليم، والثانية لغة جمهور الامة وسواها.

وقضى العرب على الاوضاع الرومية والفارسية في هذه الاقطار، وأحلوا لغتهم تدريجا محل اللغات الاغريقية والفارسية والسريانية والعبرية والقبطية والبربرية، فصارت اللغة العربية في أواخر العهد الأموي اللغة الرسمية لجميع هذه الاقطار، ولغة العلم والادب والتعليم، نشأت بذلك صلة جديدة بينها، وربطتها برباط واحد.

وأول دولة عربية مستقلة نشأت في مصر هى الدولة الفاطمية، فقدمد الفاطميون بأنصارهم إلى مصر، بعد ما توطدت دعائم دولتهم الجديدة في شمال افريقية، وكانت تضم الجزائر وتونس وطرابلس الغرب، فاستولوا عليها بعد طول نضال في أواخر القرن الرابع للهجرة، وأنشأوا فيها ملكا ضخمًا، كما أنشأوا الأزهر المعمور، فأدى للثقافة العربية أجل الخدم، ووجه إلى مصر الانظار، وأصبحت بفضل وبفضل الرجال الذين أنشأهم مركزا كبيرا من مراكز الثقافة والتعليم في العالم العربي.

وضعفت الروابط الأدبية بين مصر والاقطار العربية في عهد الاحتلال العثماني، فقد أحل الترك العثمانيون لغتهم محل اللغة العربية في دواوين الحكومة ومصالحها.

فكان أول حادث يحدث بعد الفتح العربى ، وأنشأوا أنظمة إدارية عقيمة ، فكان ذلك الجمود الذى ران على الشرق العربى فى القرون الأخيرة ، وأدى إلى سقوط حكوماته ودوله ، الواحدة بعد الأخرى ، فى قبضة الاستعمار الأوروبى .

وسبقت مصر الأقطار العربية فى نهضة الصحافة ، فأنشأت صحافة فى الشرق العربى ، فصدرت فى القاهرة والاسكندرية صحف ومجلات جابت بلاد العرب شرقا وغربا وشمالا وجنوبا ، وأقبل الناس عليها ، وتعلم الكثيرون فى مدارسها ، ولكن تأثيرها ظل محدودا لصعوبة المواصلات من جهة ، ولأن الحكومة العثمانية الحميدية - وكانت تسيطر على جانب كبير من بلاد العرب - كانت تقاوم الأفكار الحرة التى تدعو لها هذه الصحف وتقاومها ، وقد ضربت فى سبيل ذلك رقابة شديدة على المطبوعات ، فلا يدخل البلاد إلا ما توافق على ادخاله ونشره ويتفق مع خطتها وسياستها . يضاف إلى ذلك أن عدد المتعلمين كان ضئيلا جدا فى خلال تلك الفترة ، وتبدل الحال فى بلاد العرب ، التى كانت خاضعة للحكم التركى بعد اعلان الدستور فى سنة ١٩٠٨ ، وسقوط الحكومة الحميدية ، والغاء المراقبة على المطبوعات ، وانطلاق الأقلام والألسنة ، فصارت الصحف المصرية تدخل بدون مراقبة ، فساعد ذلك على رواجها وانتشارها ، وكان انتشارها من جملة العناصر التى ساعدت على تكوين هذه النهضة الجديدة .

وجاءت الحرب العظمى بعد ذلك أيها السادة ، فولدت هذا الرقى العظيم فى المواصلات ، وكانت هذه النهضة القومية العظيمة المشهوددة فى جميع أنحاء الشرق العربى ، فبرز ذلك مقام الصحافة المصرية ، وساعد على انتشارها ورواجها ، إذ طارت على جناحين : جناح البخار والهواء وجناح النهضة الجديدة .

لقد كان بريد مصر لا يصل إلى العراق حتى ١٩٢٢ فى أقل من عشرين يوما ، ولذلك كان عدد الذين يقرأون الصحف المصرية هناك يحصون بالعشرات ، وانتشرت انتشارا كبيرا فى بلاد الرافدين ، بعد ما صارت السيارة تخترق صحراء الشام ، وتقطع فى ٣٠ ساعة ما كانت الأبل تقطعه فى ٣٠ يوما ، وصار بريد مصر يبلغ بغداد فى يومين وفى ٧ ساعات بالطائرة ، وصار عدد الذين يقرأونها يقدر بالآلاف ، ولا يزال عددهم فى ازدياد ، وسبب ذلك قوة النهضتين الوطنية والعلمية فى العراق وسلامتهما ، فهناك شعب نشيط امتاز بالاقبال على طلب العلم ، لاعتقاده أن نشره هو الوسيلة الوحيدة

لتوسيع قواعد الدولة الجديدة التي شادها ، وكل نهضة لا تقوم على العلم الصحيح والوطنية الصحيحة فمصيرها إلى الزوال والانهيار

وكذلك كان الحال أيها السادة مع الشام قبل الحرب العظمى ، فقد كانت رسائل المواصلات محدودة ، وكانوا يعولون على بواخر البريد في ارسال البريد المصري الى الشام ، وهذه ، مهما كثرت ، فلا تزيد على واحدة أو اثنتين في الاسبوع ، ومعنى ذلك أن صحف مصر اليومية ما كانت تصل إلا بعد يومين أو ثلاثة أيام من صدورها .

وساعد انشاء سكة حديد فلسطين في زمن الحرب العظمى ، على طي المسافات وتقريب الابعاد ، فانتظمت المواصلات ، وصار بريد مصر يصل إلى الشام في كل يوم وبذلك صارت صحف مصر تصل يوم صدورها أو في غداته على الأكثر ، فانتشرت في أنحائه وأجزائه من غزة حتى طوروس . ونؤكد لكم أيها السادة أنه لا توجد قرية من قرى الشام ، فضلا عن المدن والأصوار ، لا تدخلها صحف مصر ، والصحف الاسبوعية أكثر انتشارا ، لسهولة تناولها ورخص ثمنها بالنسبة لليومية .

وما قلته عن انتشار الصحافة المصرية في بلاد الشام أقوله عن انتشارها في العراق ، فقد تسنى لي في سنة ١٩٣٣ أن أرحل رحلة طويلة في العراق فما دخلت مدينة ، ولا مررت بقرية ، ولا عشيت بمرجع أو مغني ، إلا ورأيت جريدة مصرية واحدة أو أكثر ، فهي متغلغلة في تلك البلاد ، منتشرة انتشارا لا يكاد يصدقه إلا من زارها وطاف أرجاءها .

فبلاد الشام وبلاد العراق هما أكثر الاقطار العربية اقبالا على الصحف المصرية وابتناء لها ، ويقدر مجموع ما يصدر اليهما في الاسبوع الواحد للبيع وللشتركين بنحو ١٥٠٠٠ مجلة وجريدة أسبوعية وشهرية

والصحف اليومية هي أقل رواجاً وانتشاراً هنالك ، لاعتبارات معروفة ، ويقدر ما يصدر أسبوعياً منها لذينك القطرين بنحو ١٠٠٠٠ عدد ، أي انهما يستهلكان من صحفنا اليومية ومجلاتنا نحو ٢٥٠٠ عدد في الاسبوع الواحد ، وهو عدد كبير لا يستهان به ، وخصوصاً متى ذكرنا أن مجموع سكانهما يكاد يعادل نصف سكان القطر المصري ، فضلا عن أن في العراق والشام صحافة يومية راقية تسير سيراً حثيثاً إلى الامام ، فصحف بيروت اليومية التي تصدر باللغة العربية ثمان ، وصحف دمشق اليومية ست ، وصحف بغداد اليومية خمس

وخطات احدى صحفنا اليومية الكبرى في الصيف الماضي خطوة موفقة، فاتفقت مع شركة مصر للطيران، وصارت ترسل أعدادها يوميا بطائرتها إلى حيفا وبيروت، فتصل وتباع بعد ساعات من صدورها، فساعد ذلك على كثرة رواجها، وزاد في الاقبال عليها. ولا ريب أن تحسين المواصلات وتقديمها ينشط الحركة الصحفية ويأتي الحجاز في المرتبة الثانية بعد الشام والعراق، فالصحف المصرية منتشرة في أرجائه، وفي الحجاز شبيبة ناهضة تعشق العلم وتتعطش إليه، فتجد في الصحف والمجلات المصرية ضالتها فتقبل عليها

وفي إمارات الخليج الفارسي العربية إقبال على صحفنا لا يستهان به ولم يطرأ على نظام المواصلات بين مصر وبلاد العرب الغربية (شمال أفريقية) ما طرأ على نظام المواصلات بينها وبين بلاد العرب الشرقية من تحول، فهي لا تزال على ما كانت عليه منذ أوائل القرن تقريبا، وبوآخر البريد الايطالية والفرنسية التي تسافر في البحر المتوسط هي الوساطة الوحيدة للمواصلات بين مصر وهذه الاقطار، وهي برقة وطرابلس الغرب وتونس والجزائر والمغرب الأقصى، ولا بد للبريد الذي يرسل اليها من المرور في ايطاليا اذا كان مرسلا للقطين الاولين، ومرسليا اذا كان مرسلا للاقطار الأخرى، فلا يصل الا متأخرا، ولذلك اكتفى الجمهور بالاقبال على الصحف الاسبوعية والمجلات، وخصوصا غير السياسية منها، لأن لهذه الاقطار حالات خاصة لا يساعد المقام على معالجتها

وتناقلت الصحف، قبل الحرب الايطالية الحبشية، أن هنالك مشروعا بإنشاء طريق معبد يصل الاسكندرية بتونس مارا ببرقة وطرابلس الغرب، فتسير السيارات بانتظام بين هذه الاقطار، حاملة الركاب والبريد، ولا تقل المسافة بين مصر والجزائر عن ٣٠٠٠ كم، وفي حين أن المسافة بين مصر وبغداد لا تزيد عن ١٥٠٠ كم، ومن تحصيل الحاصل القول بأن فتح هذا الطريق للسيارات، ويرجى أن يتم ذلك بعد انتهاء الحرب الحاضرة، يساعد على رواج الصحف المصرية في تلك الاقطار

وربما كانت تونس أكثر بلاد العرب الغربية اقبالا على قراءة صحفنا المصرية، فهي منتشرة في ربوعها ولا سيما بين الطبقة المتعلمة. وفي تونس شبيبة راقية اعتنقت فكرة القومية العربية.

ومع أن الجزائر أقدم تلك الاقطار عهدا بالاستعمار الأوربي، فهي لا تزال محتفظة

بروحها القومية العربية، وللصحافة المصرية سوق رائجة في حواضرها الكبرى، وهي الجزائر وقسنطينة ووهران وتلمسان، ولو أزيلت بعض الحواجز التي تحول دون دخول الصحف المصرية، بلا استثناء ولا تمييز، إلى تلك البلاد، لزادت مقطوعيتها كثيراً، ففي الجزائر يقظة قومية مباركة .

وفي المغرب الأقصى اقبال على صحفنا، وهي تباع في فاس ومراكش ورباط الفتح والدار البيضاء ووجده وتطوان ومليلا والعرايش والمدن الثلاث الأخيرات خاضعة لأسبانيا، ويتمتع بحرية صحفية، فتدخلها الصحافة المصرية بلا رقابة، وتلقى فيها رواجاً كبيراً .

وما يقال عن المغرب الأقصى يقال عن برقة وطرابلس الغرب، فان للصحافة الأسبوعية فيهما سوقاً رائجة .

ولا يقل عدد ما يصدر إلى بلاد الحجاز وجنوب اليمن وبلاد العرب الغربية من المجلات والصحف الأسبوعية عن ٧٠٠٠ عدد في الأسبوع الواحد، أي نحو نصف ما يرسل إلى الشام والعراق، وربما كان عدد ما يرسل إليها من الصحف اليومية لا يزيد عن ٣٠٠٠ في الأسبوع، وذلك لصعوبة المواصلات وعدم انتظامها، ولوجود مراقبة شديدة في بعض هذه الاقطار، تبيح الدخول لصحف وتمنعها عن أخرى .

وفي السودان أيضاً اقبال عظيم على الصحف، يومية وأسبوعية، لا يستهان به . وهناك قطران سحيقان للصحف المصرية فيهما سوق، ولها فيهما رواج، وهما أميركا وجاوه، ففي الولايات المتحدة وفي أميركا الجنوبية جالية عربية نشيطة ناجحة لا يقل عدد أبنائها عن ٧٠٠٠٠٠، معظمهم من سورية ولبنان، ولا يزال الجانب الأكبر منهم متمسكاً بلغته وتقاليده وعادات بلاده، على بعد الدار وطول الغياب، ويتمراً هؤلاء الصحف المصرية بشغف واهتمام .

ومعظم أبناء الجالية العربية في جاوة من حضرموت، وهم أهل جد ونشاط، نزحوا إلى تلك البلاد راكبين متن الاقيا نوس الهندي، ونشروا فيها اللغة العربية والثقافة العربية، ولا يقل مجموعهم عن ٧٠٠٠٠٠، وهم شديدو التمسك بقوميتهم وعروبيتهم . وبالطبع فان للصحف المصرية والكتب المصرية سوقاً كبيرة في جاوة .

ولا اخالي مبالغاً فيها السادة اذا قدرت بمجموع ما يصدر من صحفنا الأسبوعية

الى هذه الاقطار بثلاثين الف عدد فى الاسبوع الواحد، وقدرت بمجموع ما يصدر من الصحف اليومية بعشرين ألفا فى الاسبوع، أى اننا نصدر اليها فى الاسبوع خمسين الف عدد من صحفنا ومجلاتنا، وهو عدد لا يستهان به، ويرجى أن يزداد مع الايام .

أيها السادة

ولقد كان من جراء انتشار الصحف المصرية هذا الانتشار الواسع فى طول البلاد العربية وعرضها، أن زاد اهتمام سكانها بسير الحركتين الوطنية والعلمية فى مصر، فهم يتابعون بشغف وعناية زائدة سير الأولى، فلا يكاد يفوتهم خبر من أخبارها، ولا حادث من حوادثها فهم يماشونها فى دورها ومراحلها، ولا أبالغ إذا قلت إن بين أبناء الطبقة الوسطى هنالك من يعرف من تاريخ القضية المصرية وتحولاتها ما لا يكاد يعرفه بعض أبناء هذه الطبقة فى مصر نفسها، ولو سألت أى شاب فى الشام أو الحجاز أو العراق عن أى زعيم اردت من زعماء مصر السياسيين لأجاب بما يدهشك من سعة اطلاع واحاطة نادرة، وبما يذكركه أن الناس هناك منقسمون تبعاً لانقسام الأحزاب هنا، فمنهم من يؤيد الوفد المصرى، ومنهم من يؤيد الحزب الوطنى، ومنهم من ينتصر للأحرار الدستوريين، وهكذا دواليك .

وكذلك فهم يتتبعون فى شغف أخبار النهضة العلمية والأدبية، فلا كبار كتابنا وأدباءنا وصحافتنا هنالك كثير من المعجبين، يقرأون ما يكتبونه بعناية، ويدارسونه ويتناقشون فيه، ويعقدون لذلك الاجتماعات، ويحجرون فى صحفهم المقالات وما زارهم أديب أو عالم مصرى إلا أكرموه وكرموا، وأنزلوه منازل الرحب والسعة، وما مات أديب مصرى الا قامت له المآتم والمناحات وعدوا رزه مصر به رزء آ لهم، ومصائبها بفقده مصاباً لهم .

وكذلك حالهم مع كبار الزعماء الوطنيين، فهم يقابلون بالحفاوة الزائدة أينما صاروا ونزلوا، وتؤدب لهم المآدب العظيمة وتعقد المآتم عند موتهم وتصرم أجلهم .

وهكذا أيها السادة أنشأت الصحافة المصرية العربية صلة وثيقة بين مصر وبين الأقطار العربية، وكونت رابطة جديدة لم تكن معروفة من قبل، فكثير اهتمام القوم بشؤون مصر، وأخبار مصر، وحوادث مصر، وكل ما يتصل بمصر . وفى عقيدتى

أيها السادة أن هذه الروابط التي أنشأتها الصحافة بين مصر والبلاد العربية ستزاد قوة كل يوم، لأنها مستمدة من روح الشعب، وتتحول في المستقبل إلى تحالف وثيق العرب، وأخاء ثابت الدعائم إن شاء الله
أيها السادة

بقي على أن أصف الخدمة التي أدتها الصحف المصرية لبلاد العرب، فقد كانت، باعتراف الجميع، عاملاً نافعا عمل في تكوين النهضة الوطنية والعربية، كما كانت مدرسة مفيدة ساعدت على نشر العلوم والفنون، فلا بدع إذا ما أقبلوا عليها، وأكثروا من الاهتمام بشؤون رجالها والمشتغلين بها .
وهناك شيء واحد لو أئتمته الصحافة المصرية لكان فضائها مزدوجا، وذلك أن تهتم بشؤون الأقطار اهتماما يعادل اهتمامها بشؤوننا، فتدون أخبارها وحوادثها بدقة وعناية، وتعالجها وتعالق عليها، فإن ذلك مما يسر سكان تلك البلاد، ويزيد في إقبالهم على صحافتنا وشغفهم بها .

على أني لا أنكر أن هناك تبديلا مشهودا من هذه الناحية، فقد عكف بعض صحفنا الكبرى على نشر أخبار تلك البلدان، وأقام السكتاب والمراسلين، وهي وإن كانت خطوة كبيرة بالنسبة للإهمال السابق إلا أنها غير وافية بالمرام في نظر الأكثرين من سكان تلك البلاد، الذين يطلبون المزيد، ويرجون من الصحافة المصرية أن تزيدهم إهتماما وعناية، فتعرفهم إلى الجمهور المصري معرفة حقيقية، وتطالعه على أخبارهم وحوادثهم، وتصف لهم حقيقة نهضتهم والمدى الذي بلغوه في تقدمهم، فإن ذلك مما يزيد الصلات القائمة بين مصر وهذه الأقطار، وقد كانت عاملاً قويا في تأسيسها وإنشائها كما قلت - قوة ومتانة - وتكون هزة الوصل وواسطة التفاهم وأداته .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

رسالة الصحافة

للاستاذ محمود عزمى (صاحب مجلة الشباب)

ألقيت مساء يوم ٧ ابريل سنة ١٩٣٦

سيدى و سادق :

اخترت « رسالة الصحافة » موضوعا لهذه المحاضرة الثالثة من المحاضرات الصحفية التى افتتح رئيس الوزارة وسميها منذ أسبوعين ، ولست أدري هل أحسنت الاختيار وهل استبشرت البحث ، و« رسالة الصحافة » من الأمور التى لما يعتقد الاجماع عليها ، وهى إذا اعتبرها أهل الذكر من الأدباء والمثقفين واقعا لا ريب فيه ، فإن من الناس من لا يرون فى « الصحافة » إلا تجارة كسائر التجارات ، يتصد المشتغل بها أول ما يتصد إلى الكسب المادى ، ويرضخ فى كثير من توجهاته لتياري زيادة الانتشار ، وما يتتضيه من مواقف بعيدة البعد كله عن روحية الرسائل وطبيعة تحليتها فوق العادى الأرضى من الاعتبارات .

وانى لأخشى أن يكون لأصحاب هذا الرأى فى رأيهم بعض العذر ، وان كنت أعتمد أنهم انما يستندون إلى نظرات سطحية ومشاهدات تفصيلية ، لا تصلح أساسا لحكم مستقيم .

إنهم انما يحدون أنصارهم بمظاهر الصحف ، فيجدونها على اختلاف أنواعها تعنى العناية كلها بالاكتثار من الاعلانات لكثارتها يحسبونه طاغيا على مواد الصحيفة الأصلية طغيانا لا يبررونه هم بصفة كونهم قراء .

وهم ينظرون إلى الصحف الاخبارية - والصحف الاميركية على رأسها - فيجدون همها كله موجها إلى نشر ما يدهش من انباء نباء دون كبير عناية بنصيب الصدق والحقيقة منها ، ولا يستطيعون أن يمنعوا ذاك كرتهم من أن تستعيد ما قاله « شوبنهاور » من أن المغالاة بأنواعها ضرورة من ضرورات الصحافة .

ثم هم ينظرون إلى صحف الآراء فيتمثلونها ميدانا للتعصب الفسكرى وما يبذره فى النفوس من احقاد ويوغر به الصدور من سخائم .

وهم بعد ذلك ياتمون نظرة على كبريات الصحف العالمية ، فيجدون وراء كل

واحدة منها جماعة تحفزها وتسند لها لمصالح صناعية أو مالية أو طائفية، كثيرا ما تتعارض مع المصالح القومية العامة، وكثيرا ما تطوح بالعالم كله إلى مآسى الحروب والخلافات الدولية، فللمصانع الاسلحة صحف، وللمامل الغواصات والمدركات صحف، وفي كل من هذه المنشآت الجهنمية ادارة مطبوعات تحرر فيها المقالات، وتوزع منها على مختلف الصحف المتصلة بها والصادرة في أكثر من دولة واحدة، بل الصادرة في دولتين متناقضتي المصالح الحربية، كثيرا ما تعمل المقالات على توسيع مسافة الخلاف بين حكومتيهما وشعبيهما، لتتشب بينهما الحرب وتستفيد المصانع المتضامنة.

ثم هم يستمعون إلى الواقفين على الدخائل، فيعرفون منهم ما يشتهر أمره من اتصال الجرائد القومية بسفارات وأنظمة أجنبية تعمل بواسطتها على تأييد وجهات نظرها الخاصة أو تقديمها للجمهور على نحو قد يعتمد قليلا أو كثيرا عما تريده السياسات القومية للرأى العام من توجيه، ومشهور في العالم كله ان جريدة «الجورنال» الباريسية مثلا انما يغلب فيها النفوذ الانجليزى، كما يغلب النفوذ الاميركى في زميلتها «الماتان»، وتعلو الكلمة الفرنسية في جريدة «ديلى تلغراف» الانجليزية، ويتجلى الاتحاد الالماني في «الديلى ميل» وما اليها من صحف «روز مير».

يستمعون إلى هذا كله، ويقرأون كتابا، كذلك الذى ظهر في فرنسا منذ سبع سنين، وكان لظهوره في دوائر المثقفين دوى عظيم، فقد كان عنوانه «خيانة الذين يعملون»، وكان موضوعه اتهم الكتاب والصحفيين وسائر المثقفين بأنهم قد نزلوا عن رسالتهم الفكرية إلى ارباب المال ورجال الصناعة والاعمال. ويؤجرون مواهبهم لاكثر العارضين بعد ان قوموها بالمال ويجرون أقلامهم بمدح ما تذمه ضمائرهم وتحايل ما تحرمه عقولهم. يستمعون إلى ذلك كله، ويقرأون مثل هذا الكتاب، فيسألون أنفسهم: ترى هل للصحافة ورجالها حقا منزلة؟ ثم لا يلبثون ان يحكموا عليها وعليهم غير عارفين لهم قدرا ولا مقرين لها برسالة.

تلك حالة نفسية قائمة بالفعل عند فريق من الناس في مصر وفى غير مصر، لكننا حالة نفسية قائمة عند حد ما قدمته على نظرات سطحية ومشاهدات تفصيلية لاتصلح

أساساً لحكم مستقيم .

ووجه السطحية في نظرات أصحابها أنها لا تذهب بهم إلى تفهم مبدأ جوهرى أصيل، هو أن كل منشأة من المنشآت يجب - كي تؤدي وظيفتها - أن تعيش أولاً، وأن لحياتها مقومات يجب أن تضمن، وأن الاعلانات التى يشكو القراء من طغيانها إنما هى المورد الوحيد الذى لا تطمئن الصحيفة إلا بتوافره، وأن توافره هو الذى يعين أصحاب الصحيفة على أن يتولوها بالتحسين ويتعهدوها بالترقية، ووجه التفصيل فى مشاهدات غير المقرين للصحافة برسالتها أنهم لا ينفذون إليها بوحدة متفاعلة العناصر مهما تباينت اتجاهاتها، متضمنة الافادة من كل تنظيم وتجديد، متلاحقة الخطى فى سبيلهما وفى سبيل المهمة الاجتماعية الملتزمة على عاتقها، وأن اتصالات بأى نوع من أنواع الاتصال بالاتجار والمادية .

* * *

وإذا كان علينا - ونحن فى صدد تلبس « رسالة الصحافة » عن طريق الرد على أولئك الذين لا يقرّون لها برسالة - أن نعرف تلك المهمة الاجتماعية التى يعرفها لها الجميع، والتجارة ذاتها مهمة من مهام الوجود والعمران والاجتماع، إذا كان علينا أن نتعرف تلك المهمة، فلا بد لنا من الرجوع الى الواقع التاريخي، نستدل به على الدوافع التى عملت فى انشاء الصحف فيقرأ خلالها وخلال التطورات التى أدخلها عليها الدهر ما نستطيع أن نستنتج: طبيعة كامنة فى الصحافة ولازمة مستقرة من لوازمها، يستند اليهما ما ندين به نحن للصحافة من رسالة نحاول التلذيل عليها علمياً .

والواقع التاريخي الذى يريد أن نستلهمه إنما يدلنا على أن الصحافة الفرنسية والصحافة الانجليزية هما اللتان يصح اعتبارهما أصلاً للصحافة العالمية الحاضرة من حيث الرسالة الاجتماعية التى تؤديها، كما يدلنا فى الوقت عينه على أن الدوافع إلى انشاء الصحفيين فى أول عهدهما لم تكن واحدة .

أما الصحافة الفرنسية، فقد كانت الدوافع إلى نشأتها دوافع حكم وسلطان، وقد قامت - جازت دى فرانس - جدة الصحف الفرنسية، التى أنشئت سنة ١٦٣١ بمعاونة ريشيليو، وتأييده الشخصى، بل اشترك فى تحريرها لويس الثالث عشر ذاته، وقد كان يحلوه أن يحمل أصول مقالاته إلى المطبعة ويحضر صفها بنفسه، وهكذا

كان شأن الصحف السياسية التي أنشئت فيما بعد على التوالي، إذ كان الدافع إلى حافة تأييد جماعات وأفراد تريد أن تتولى الحكم .

وأما الصحافة الانجليزية، فقد كانت دوافع إنشائها راجعة إلى طبيعة انقسام الأمة البريطانية إلى طبقات؛ وقد أسست جريدة (التيمس) سنة ١٧٨٥ للسهر على تقاليد الجدل والخطب العظيم بين الطبقة الراقية المستنيرة في إنجلترا، وقامت جريدة (ديل تلغراف) في سنة ١٨٥٥ لتكون لسان حال الطبقات الوسطى، كما جاءت في العهد الأخير جريدة (ديل هرالد) تعبر عن طائفة العمال، بل تنفرد بما لم تتوفر لصحيفة أخرى غيرها في إنجلترا، أي بكونها اللسان الرسمي لحزب سياسي هو حزب العمال ولمنشأة سياسية هي مؤتمر اتحاد النقابات .

لكن هذا الاختلاف في الدوافع التي يستند إليها قيام أقدم صحافتين في العالم لا يحول دون تقرير واقع لا يدل ثبات أصوله عن ثبات أصول تلك الدوافع، وهو أن النزوع إلى التحرر من قيود الحكم المستبد وقيود التقاليد الفاسدة هو الذي يرجع إليه التفسير في انشاء الصحف لتوجيه ذلك النزوع المحتوم لصالح الدولة . بالنسبة لفرنسا، أو لزيادة تنظيم النضال الذي يستوجبه بالنسبة لانجلترا .

وإذا كانت الصحف قد انقسمت على مر الأيام إلى صحف آراء وصحف أخبار تتصل بجماعات ترعى مصالح مالية وصناعة معينة، أو تمثل اتجاهات سياسية خاصة، فإنها لا تزال مستندة في نشاطها المختلف بله المتناقض إلى ذلك الاعتبار الأول الذي راعته جذاتها العليا، ألا وهو اعتبار النزوع إلى التحرر من القيود، نصاحب الرأي لا يستطيع أن يديه كاملا، وناشر الخبر لا يمكن أن ينشره مفصلا، وصاحب الاعلان لا يستطيع أن يقدمه للقراء شاملا كل ما يجذبهم، إذا كانت هناك أعباء تفرضها القوانين على الكتاب والناشرين، أو كانت هناك اعتبارات عرف تسبغ أشياء ولا تسبغ أخرى .

هناك إذن خاصية مشتركة تبناها خلال الواقع التاريخي، وقد كانت بين طبائع الصحافة جميعا، وتلك هي خاصية «النزوع إلى التحرير» .

ولقد كان من شأن هذه الخاصية أن جذبت سوهى لا تزال تجذب إلى الصحف كل تواق للحرية، وكل متألم من قيود القانون والعرف، يبتشون عن طريق المناجاة

الشفوية حيناً، وعن طريق التجبير أحياناً، ما يحسونه من ألم ويطمحون إليه من حرية،
فتنشر لهم شكائهم، فتشفي بنشرها شيئاً من عليلهم، أو تزيدهم لما يتألمون منه وعلى ما يتوقون
إليه حرقة فتوقظ فيهم ملكات كانت من قبل كامنة وتخلق في البيئة تيارات لم تكن
من قبل معروفة، وتلك هي ملكات النقد وتيارات التقدير.

ولم تكن «السياسة» وحدها موضوع ما نشأ على هذه الوتيرة من نقد وتقدير،
بل كان الأدب والاجتماع، وكان مختلف أنواع النشاط الفكري جميعاً كذلك، وأنتم
تعرفون ما للنقد في عوالم السياسية والأدب والاجتماع من أثر وسلطان، وما له من
نتائج اصلاح، فتعرفون بالتالي فضل الصحافة عن طريق اذاعته وإطلاق العنان لما
يتضمنه من رغبة في التحرير والتقديم.



على أن للصحافة خاصية أخرى لا تقل أهمية من حيث الأثر الذي ينتجه عن خاصة
النزوع إلى التحرير، وما ولدته من كشف عن ملكات النقد وتوجيه لتارات التقدير
وأعنى بها ذلك الذي أود أن أعبر عنه «بالأثر الصوفي لكل مطبوع» ولا تزال
المطبوعات تفعل في الناس فعلها السحري الذي قلما يكون لمكتوب يجري به قلم
تمسك به يد، ولا شك أن الطباعة حين وجدت كان لها في الناس أثر أي أثر، ولا
شك أنه كان من الشدة بحيث لا يزال ما طبعه فيهم منذ قرون قائماً أمامهم إلى
الآن، وأنا لأعرف كثيرين من المثقفين، بل من الساهرين على التثقيف الجامعي
في هذه البلاد، من يخضع للمطبوع ذلك المصنوع السحري فيأخذ ما تنشره
الصحف على أنه دائماً حقيقة لا ريب فيها، وعلى أن له من الصفات ما يكاد يتأخم
القدسية في كثير.

«وذلك الأثر الصوفي لكل مطبوع» يتفاعل بطبيعة الحال مع النقد الذي
سجلناه كنتيجة أولى من نتائج تلك الخاصية الصحفية الأولى، خاصية النزوع إلى
التحرر، ومن شأن تفاعل هذين العنصرين أن تظهر ملكات وعقريات كانت تظل
مدفونة لو لم يقع، وإن يبرز شخصيات كانت تظل مخبوءة لو لم يكن، وإن
يعرض للناس من الآراء ما يستخلصون منها برامج توجههم في حياتهم الخاصة
والعامة، وإن تعمل هذه البرامج المستخلصة في تعهد الرأي العام وتنظيم
ما يعمل.

ولعل تعهد هذا الرأي العام بالتنظيم والتوجيه يكون هو أولى رسالات الصحافة في الجماعة ، ذلك بأن الرأي العام اذا ما انتظم فانما يتوجه الى السلطات بما كان أفراد المتألمين من القيود التواقين للتحرر يترجمون به على صفحات الصحف من نقد، ويتقدم بما كانوا يتقدمون به من مطالب، لكن الرأي العام المنتظم يعرف الناحية التي يتجه اليها ويتقدم منها على وجه التخصيص ، بينما كان أولئك المتألمون التواقون يرسلون عبارات ألمهم وتوقاتهم الى جمهرة القراء الذين يحملون أشخاصهم يتقدم الرأي العام بالنقد والمطالب الى السلطات التي اصطلح المصطلحون على تقسيمها الى تنفيذية وتشريعية وقضائية ، وسرعان ما تعينه « علنية » النقد والمطالبة عن طريق الصحف على أن يصبح مراقبا لتصرفات تلك السلطات جميعاً ، وسرعان ما يعين ذلك كله الصحافة على أن تصبح بدورها « سلطة رابعة من سلطات الدولة » يتفاعل عن طريقة النقد ، قراراً أو تأييداً أو استهجاناً ومخالفة ، وعن طريق اقتراح الحلول للازمات والابانة عن المخارج من المضائق ، مع الثلاث السلطات الاخرى ، كما يتفاعل فيما بينهم .

وفي كل يوم تتف الصحافة من المشروعات العامة ، ومن التصرفات الحكومية ، ومن الاجراءات البرلمانية والقضائية ذاتها ما ينجلي خلالها للقراء وللناس جميعاً فعل تلك الرقابة التي تختص بها دون سائر الهيئات ، ويتجلى عمق هذا الفعل الذي يتدر أن للعلنية فيه شأن عظيم ، والناس لا يزالون يخشون عرض أعمالهم على الناس ، وهم يخشون بخاصة أن يجيء هذا العرض في وضوح النهار ، ولذلك ما تزال طبيعتهم تتلبس الفرار من « عار الزمء العلني » ، ولذلك فانهم يعيرون - وعلى الرغم منهم في كثير من الاحايين - كتابات الصحافة اهتماماً ما كانوا ليعيروا نصفه كتابات تتضمن النقد عينه والمطالب عينها لو كانت تجيء عن غير هذا الطريق العلني ، وان كان من أهل ذكر وذى اختصاص

ولا ريب أن أيام الزملاء الصحفيين مملوءة بما يدل على صحة ما أقرر . لكني أود أن أقدم لكم بمذائين اثنين لا بأس من إيرادهما ، ففيهما بعض الترويح . أما المثل الاول - ويسرني أن أرى الاستاذ الكبير لطفى السيد حاضراً ادلائى به فقد كان طرفاً من اطراف ظروفه - فيرجع العهد به إلى أربع وعشرين سنة أو ثلاث وعشرين ، وقد كنت في ذلك الحين مدرساً بمدرسة التجارة العليا ، وكانت لأتحة هذه المدرسة موقوتة غير مستقرة استقراراً نهائياً ، فوجدت

بها بعض ما رغبت في إصلاحه لفائدة العلم ونظامه ، فتقدمت إلى إدارة التعليم التجاري ووزارة المعارف بملاحظات رجوت ادخال ما تضمنته من وجود اصلاح على اللائحة قبل عرضها على الجمعية التشريعية للنظر فيها واقرارها ، وحسبت تلك الملاحظات قد أعيرت جانبا مما كنت أعتددها جديرة به من اهتمام ، لكن جاء وقت نظر الجمعية التشريعية لتلك اللائحة ، وأعلن أمرها ، فوجدتها هي لم ينالها تعديل أو تحوير .

عند ذلك فكرت في الصحافة وكتبت ثلاث مقالات دفعت بها إلى « مدير الجريدة » ، ورجوته في أن يظل اسم الكاتب مستورا ، وقد ضمنت تلك المقالات الثلاث ما كنت قد ضمنت ملاحظاتي الرسمية من قبل ، فلم يكدم المقال الاول ينشر حتى كان اهتمام من وزارة المعارف وإدارة التعليم التجاري ، وما أن نشر الثاني حتى كان استدعاء لي ومناقشة في ملاحظاتي وما شملته من اقتراحات ، وما أن انتهت الجريدة من نشر المقال الثالث حتى كان التعديل والتحوير قد أصابا اللائحة المندمة للجمعية التشريعية وحتى كان الاصلاح الذي التمسته من قبل اساسا مقبولا ومقررا وأمر واقع بالفعل .

والمثل الثاني كان البرلمان ميدانه ، برلمان سنة ١٩٣٦ الذي كان يرأسه سعد باشا . سعد باشا في منصة الرئاسة ، والمجلس يناقش موضوعا من الموضوعات المطروحة عليه ، ولسعد باشا رأى فيه ، فلم يتردد في ابدائه مطولا مدعما من على منصة الرئاسة ، وأنا في ذلك الوقت مراسل برلماني لجريدة « السياسة » ، تناولت هذا المظهر بالتقدي ، وصدرت « السياسة » في الصباح ، ألاحظ فيها أن سعد باشا على منصة الرئاسة انما يمثل المجلس كله ويمثل الأمة كلها ولا يستطيع في هذا التمثيل الشامل أن يدل برأى فردي في موضوع تجرى فيه المناقشة في المجلس ، لكن سعد باشا نائب ، ولم يستطع عن طريق نيابته أن يدل بآرائه الفردية ، لكن له هذا الادلاء عن غير منصة الرئاسة ، فاذا هو أراد استعمال حقه في الكلام الفردي فليعهد بالرئاسة لأحد الوكيلين وليغادر منصة الرئاسة وليأخذ مكانه بين الاعضاء وليطالب الكلمة لتحط اياه « نائبا محترما عن السيدة » ، وفي اليوم الذي ظهرت تلك الملاحظات على صفحات السياسة في صباحه كان للبرلمان جلسة ، وكان يرأس مجلس النواب سعد باشا ، وعرض موضوع أراد سعد باشا أن يدل فيه برأى ، فرأيته ينادي

الأستاذ ويصا واصف ويطلب اليه رئاسة الجلسة ثم ينزل هو إلى مقاعد الأعضاء ويطلب الكلمة فينادى الأستاذ ويصا واصف معلنا الكلمة لنائب السيدة زينب المحترم .

* * *

وإذا كانت « رسالة الصحافة » التي وصل بنا هذا التحليل الى تقريرها لها هي رسالة « السلطة الرابعة » التي تراقب سلطان الدولة الاخرى وتتفاعل وإياها في مصلحة الجماعة ، فان لها لرسالة ثانية لا تقل في نظري عن تلك خطورة ولا تقصر مدى، وأعني بها رسالة « المثل الصامت الاعلى للتضحية » الذي يقدمه الصحفي كل يوم وكل لحظة ويدعو اليه من طريق القدوة الحسنة لمصلحة الوطن .

ولا يذهبن تصوركم تلك التضحية إلى ما يصيب الكتاب والصحفيين من مواقف المحاكمات ومتاعب السجون فهي وحققكم أهون أنواع التضحية التي يتقدم بها الصحفيون كل يوم وكل لحظة مبتسمين ، وان كانت تلك المحاكمات ونتائجها تكون أركان الأدلة القاطعة على أن للصحافة رسالة معنوية تسمى بأصحابها عن اعتبارات المادة ومقاصد المكسب التي يريد البعض ان يروها هي وحدها اعتبارات الصحافة ومقاصد الصحفيين، والحمد لله إذ تقوم هذه الادلة كل حين في مصر وفي غير مصر حيث لا تنزل القوانين « الحادة » تفعل فعلها وحيث لا تزال « عيون الحكام » تفعل فعلها وحيث لا تزال « عيون الحكام الحمراء » ترمق الصحفيين وإن كان العهد الماضي في مصر قد غير من « حمار » العيون الكثير . . . ولو إلى حين . . .

انما اقصد إلى نوعين من المواقف المؤلمة التي يقفها الصحفي الحق كل يوم وكل لحظة فيما بينه وبين نفسه وتصيب أعصابه وتصيب كائنه كله من جرائها ما تصيب، فكم مرة في اليوم الواحد يواجه فيها الصحفي نضالا بين رغبته الأكيدة الخالصة في الاعراب عن رأيه الذي يدين به اعرابا خالصا من شوائب اللف والمواربة وضرورة من ضرورات الاعتبارات المادية وما اليها تقضى عليه بالسكوت عن ركن من أركان موضوعه أو ناحية من نواحي رأيه ، ولأنه لنضال مضعف مهلك يؤثر الصحفي الحق عليه كل أنواع المحاكمات والتعذيب الجسمي . ونوع آخر من أنواع تلك المواقف المؤلمة ذلك الذي يضطرك فيه رأيك إلى

مغاضبة صديق تربطك وإياه صلات وثيقة ومتضامن وإياه في ذكريات عزيزة ،
ويظهر أن إغضاب الأصدقاء من شروط المهنة في الصحافة فقد استمعت منذ
سنوات - وأنا في لندن . إلى صحفي يخطب زملاءه وقد أقاموا له حفلة تكريم
مناسبة انسحابه من ميدان الصحافة وقد بالغ الخامسة والسبعين : فيقول فيما يقول :
إن أشد ما ناله في حياته الصحفية اضطرابها إياه لمغاضبة أصدقائه ، وأشد ما كان
يؤلمه في هذا الصدد عدم استطاعته الحيولة دون هذه المغاضبة ، وقد انتهى الأمر إلى
الاعتقاد بأن هذه المغاضبة شرط من شروط المهنة فطالما أحس بأنه لم يؤد واجبه
الصحفي على الوجه الأكمل كلها كان يعالج موضوعا يتصل بصديق له ولا يغضب
هذا الصديق .

* * *

على أن الصحفي الحق الذي يقدم كل يوم تلك « المثل العليا الصامتة » ،
وينوب من جرائها في سبيل إثارة الغير ، إنما يحتمل كل ما تنطوي عليه من آلام ،
بتلك الثقة التي تعرفها سير أصحاب الرسائل جميعا ، وإنما يسمو برسالته -
التي تسكاد تكون الهبة هي الأخرى - فوق الدنيا من الاعتبار التي لا يخل
« المواطنون » أن يرموه بها وهو ين تحت أعباء ما يحمله عنهم من تكاليف ، كارجم
مواطنون رسلا وأنبياء فيهم من قبل . .

* * *

ولعل من العزاء للصحافة والصحفيين في شيء أن أذكر إذ أختتم هذه المحاضرة
تلك الكلمة التي قالها « كليمنصو » يوم نشل في محاولة ارتقاء عرش رئاسة الجمهورية
الفرنسية بعد ما أدى لفرنسا ما أدى من رسالة قومية أثناء الحرب العظمى ، فقد
سأله سائل عن أثر هذا الفشل في نفسه - وكان « كليمنصو » من عظماء الصحفيين كما
كان من عظماء رجال الدولة - فاجاب :

« بقلم متين وبعض من الورق يستطيع المرء أن يصبح ملك العالم » .
ولتحي صاحبة الجلالة ! !



اتجاهات الصحافة الحديثة للأستاذ اميل زيدان رئيس تحرير الهلال

ألقيت مساء يوم ٩ ابريل سنة ١٩٣٦

في نصف قرن

تطورت الصحافة في الخمسين سنة الماضية تطورا بالغاً أصاب كيائها وهز أركانها، فالفرق بين صحيفة صدرت منذ بضع عشرات من السنين وصحيفة تصدر اليوم كالفرق بين عربة تجرها الجياد وسيارة من طراز ١٩٣٦ .

* * *

روى جورج نيونز، وهو أحد آباء الصحافة الحديثة التي نحن بصددناها، انه جالس يوماً يطالع صحيفة يومية فلم يلبث أن شعر بالسأم يستولى عليه اذ كانت الصحف وقتئذ أشبه شيء بالسجل الطويل الممل . ولم يستوقفه في تلك الصحيفة الا خبران اثنان طالعهما بلذة . . . فكفر في الأمر ثم ساءل نفسه قائلاً : لم لا تنشأ جريدة تقتصر على نشر النبد والمعلومات المشابهة لذيئك الخبرين . ولم يمض طويل وقت حتى اصدر مجلة « تيت بتس » جامعة لكل طريف جذاب فنالت رواجاً كبيراً .

وتأثر لورد نورثكليف - وكان اسمه وتمتد الفرد هرمسوث - بفكرة « جورج نيونز » فانشأ مجلة « انسرز » على غرار (تيت بتس) . تلك كانت خطوته الاولى في الصحافة . على ان أثره الباقي هو انشاء (الديلي ميل) التي كان صدورها بدء عهد جديد . فنورثكليف كان بلا ريب نابليون الصحافة واليه يرجع الفضل الاكبر في تقدمها العجيب .

ففي سنة ١٨٩٦ أى منذ أربعين سنة استرقف المارة في شوارع لندن اعلانات كبيرة كتب عليها هذه الكلمات : The Daily Mail - A surprise - أى « الديلي ميل - مفاجأة » ولم يلبثوا أياماً قليلة حتى رأوا العدد الأول من هذه الجريدة ففوجئوا به حقيقة - إذ جاء مختلف اختلافاً بينا عما ألفوه حتى ذلك الحين .

وأول ما فوجئوا به ثمن الدليل ميل فقد كان نصف بنى (أى مليونين) وهو نصف الثمن المعتاد وقتئذ . ومع أن حجمها كان أصغر من حجم الجرائد الأخرى - ٨ صفحات فقط - فقد احتوت على خلاصة ما كانت تنشره تلك الجرائد . ثم ان تلك الخلاصة كانت مسبوكة في قالب جذاب وبعناوين لافتة وترتيب يرتاح اليه النظر . ولم يكن ثمة أثر للمقالات المطولة والمباحث المستفيضة بل اقتصر الدليل ميل على الزبدة التي تهتم الرجل العادى أو رجل الشارع . ومما امتازت به أيضا عنايتها بالاخبار فى المقام الأول ، وجعلها الآراء والمناقشات السياسية فى المقام الثانى .

ذلك كان منشأ « الدليل ميل » بل منشأ الصحافة الحديثة . ولقد كوفى منشؤها على جهوده بأقبال لم يعرف له مثيل . فبعد ثلاث سنوات بلغ المبيع من جريدته نصف مليون نسخة فى اليوم .

أما الآن فالدليل ميل تباع كل يوم ما يقرب من المليونين ، ولها فى هذا المضمار ثلاث منافسات : الدليل اكسبريس ومنشئها لورد بيفربروك السكندى الاصل . والدليل هرالد صحيفة العمال وان يكن ناشروها من الرأسماليين ، والنيوز كرونيكل صحيفة الاحرار التي تكونت باندماج (الدليل نيوز) و (الدليل كرونيكل)

* * *

وعلى ذكر الدليل اكسبريس، تعرفت فى الصيف الماضى فى لندن بالمستر يفرلى باكستر وكان قد استقال من رئاسة تحرير تلك الجريدة الشهيرة . فسألته عن سبب استقالته فأجاب هذا الجواب : ان الناس لا يصدقونى حين أقول لهم السبب الحقيقى . والواقع انه حين عهد إلى لورد بيفربروك فى رئاسته تحرير الدليل اكسبريس كانت تطبع نحو ٤٠٠٠٠٠ نسخة نعرض على الوصول بها إلى المليونين . وفى العام الماضى وصلت فعلا إلى بغيتى . فلم يعد لي ثمة حافز على العمل الصحفى بعد أن حققت الغاية التي نشدتها فتركته الصحافة إلى عمل جديد ما زال مجال التوسع فيه عظيما - أعنى صناعة الأفلام .

على ان انتشار الجريدة ليس وحده مقياس شأنها فالتيمس تطبع نحو ٢٠٠٠٠٠ نسخة وهى بلا ريب أعظم جريدة فى العالم - ومثلها الطان الفرنسية فانها تطبع أقل من ١٠٠٠٠٠ نسخة فى اليوم .

* * *

ومع تطور الصحف تطورت مهنة الصحافة ، وأصبحت لها نظم وقواعد ، فبعد ان كان الصحفي في الغالب كاتباً بوهيميا أو أدبياً يداعب القلم ويطلع على القراء بينات أفكاره خضع لقوانين معينة وتقييد باعتبارات كثيرة . وبعبارة أخرى أصبح محترفاً بعد ان كان هاوياً .

أما في مصر فقد تطورت صحفنا مثل تطور الصحف الغربية - مع حفظ النسبة طبعاً - ويكفي للدلالة على هذا التطور انه لم يكن في مصر سنة ١٩١٤ صحيفة تطبع أكثر من ٤٠ أو ٥٠ ألف نسخة في حين ان لدينا الآن صحفاً تطبع ٤٠ و ٥٠ ألفاً وأكثر . وصحفنا في تطورها تقتبس من زميلاتها الغربية ، ولذلك فما اذا كره من اتجاهات الصحافة الحديثة والاحطار التي تتعرض لها ينطبق على صحفنا مثل ما ينطبق على سواها .

اتجاهات الصحافة الحديثة

لا تقوم الجريدة اليوم على التحرير والتحرير فحسب . ولا نستطيع ، ونحن ندرس اتجاهات الصحافة الحديثة ، أن نغفل الأركان الأخرى التي تقوم عليها وهي :

١ - الادارة المالية - ٢ الاعلانات - ٣ الطباعة وما يتصل بها .

(١) فالصحف الكبرى في العالم تملكها الآن شركات قوية تديرها على أسس مالية واقتصادية ، فقد انقضى - أو كاد - عصر الصحافة الفردية وأصبحت إدارات الصحف متشعبة الأقسام والدوائر ولا يكاد يعرف العامل في إحدى الجهات شيئاً مما يجري في جهة أخرى من صحيفته .

لست أعني أن الجريدة عمل تجارى بحت - كلا فلها وظيفة اجتماعية سامية . ولكنها لا تستطيع تأدية هذه الوظيفة على أحسن وجه إلا بتوطيد مركزها المالى . لماذا ؟ لأن الجريدة إذا توطدت ماليتها استطاعت أن تستغل في آرائها وأمكنها أن تنتقد بجرأة وأن تصارح الحكومة والجمهور بما تقتضيه المصلحة العامة . أما إذا كانت ضعيفة مالياً فانها تظل كالريشة تتجاذبها الالهواء وتلعب بها الاغراض

(٢) وأما الاعلانات فقد أصبحت عماد الربح في الجرائد الحديثة . فالنسخة الواحدة تتكافأ أكثر من الشمن الذي تباع به ، وإنما تعوض الخسارة بفضل الاعلانات ، وقد حسبوا أن البيع والاشتراك لا يأتیان إلا بثلاث الدخول ، والثلاثان الآخران من الاعلانات .

ومن الخطأ أن يعتمد القارئ أن الاعلانات تطفئ على الجريدة وتعممه حقه .
فالواقع أنه لولا الاعلانات ما أمكنه أن يشتري الجريدة بهذا الثمن البخس .
(٣) أما الطباعة وما يتصل بها من فنون فلا حاجة بي إلى الافاضة بشأنها ، وقد
بلغت الآلات الحديثة من السرعة ما جعل القارئ يقرأ تفاصيل الحريق الذي يشب
في المدينة ويرى صورته على صفحات الجريدة قبل أن يطفأ ذلك الحريق ، والتحدث
عن التقدم العجيب في هذا المضمار يخرج بي عن نطاق بحثي الذي أردت أن يدور
معظمه على التحرير والمحررين .

* * *

تعني الصحيفة الحديثة في المقام الاول بالأخبار . كما يدل على ذلك اسمها
الانجليزي Newspaper أى صحيفة الأخبار . وقد ذهب البعض إلى أن كلمة
News مشتقة من الأحرف الاولى للاتجاهات الأربعة West, East, North, South
ومهما يكن من ذلك فلا ريب أن معظم الاهتمام ينصب اليوم على جمع الأخبار
بأسرع الطرق وسردها بأسلوب ممتع شائق .
وليس من السهل أن تحدد ماهية «الخبر» الصحفي . وقد يكون للخبر خطر في
ذاته ولكنه لا يلفت نظر القارئ العادى فيهمله الصحفي أو يطرحه في إحدى زوايا
الصحيفة . وعلى الأجمال فقيمة الخبر على نسبة لفته للنظر . قال أحد كبار الصحفيين
على سبيل التمثيل الفكاهي : «إذا عض كلب رجلا فليس هذا بخبر لأنه عادى، أما
إذا عض الرجل كلبا فهذا خبر ذو شأن» .

إن الهدف الذي يرمى إليه الصحفي العصري هو - كما قلنا - استمالة القارئ العادى
أو رجل «الشارع» . فلا بد للصحفي من دراسة هذا المخلوق ومعرفة نزعاته لكي
يستطيع اجتذابه واقتناص انتباهه والتغلب على ملله : فذهنه كسول يسكره الجهد
كما أنه فضولى يعنى بسفاسف الامور وقد يعرض عن جلائها . وعالمه في الغالب
محدود لا يتعدى مدينته أو مقاطعته .

هذه حقائق أساسية يجب ألا تترك ذهن الصحفي . والقاعدة البسيكولوجية
التي ينبغى له أن يضعها دائما نصب عينيه هي أن يتحدث عن أشياء تهم القارئ وعن
أشخاص يعرفهم . فلا بد من ربط الخبر بما يحويه ذهن القارئ من نزعات

ومعلومات ولا بد من النظر الى الحوادث جميعا من زاوية الضيقة .
فهذا القارى قد يهتم لعراك صيين في الشارع الذى يسكنه أكثر مما يحفل لانقلاب
حكومة بعيدة . وقد قدر أحد الصحفيين أن وفاة تحدث في المدينة التى تطبع فيها
الجريدة تعادل من حيث قيمتها الصحفية خمسين وفاة في المقاطعة التابعة لها المدينة
والف وفاة في أحد الافطار المجاورة ودايون وفاة في قارة بعيدة .

وجملة القول أن للصحفى مقاييس غير مقاييس الأديب أو مقاييس العالم، وقواعد
البلاغة الصحفية تختلف من عدة وجوه عن قواعد البلاغة التى تدرس في المدارس،
كما أن الاجادة في الصحافة تتطلب صفات خاصة غير تلك التى تتطلبها الاجادة في
غيرها من المهن .

وفي رأس هذه الصفات السرعة والسبق، يحكى عن أحد الصحفيين في اثناء حرب
الترنسفال أنه أراد أن يسبق زملاءه جميعا في ارسال نبأ عن نتيجة معركة خطيرة
وكان هناك مكتب واحد للتأخراف فلكى يمنع زملاءه من استخدام ذلك التأخراف
صمم على أن يشغله باستمرار وسلم للموظف نسخة من الانجيل وطلب اليه أن يرسل
إلى جريدته الصفحة تلو الصفحة ريثما يتيقن من نتيجة المعركة المرتبة، فيكون أول
من يرسل الخبر إلى جريدته .

ومعلوم ان معاهدة فرساي نشرت جريدة شيكاغو تريبيون قبل ان تخرج من
أبدى مصنفها . وأثار هذا الحادث ضجة عظيمة، فقد استطاع مكاتب تلك الجريدة
اقناع أحد ممثلى الدول الصغيرة المظلومة بتسليمه نسخة المعاهدة وأغراه بأن في
نشرها تنبيهها على الحيف الواقع على بلاده .

* * *

وبعد جمع الأخبار يجب « اخراجها » ، والاخراج الصحفى فن كالاخراج
السينمائى، وغرضه ابراز الخبر وتنسيقه بصورة لافتة للانتظار . وللعناوين شأن
خاص في ذلك، وقد حسبوا ان العناوين في بعض الصحف الامريكية تشغل أحيانا
من المساحة أكثر مما يشغله الخبر نفسه .

أراد نور شكليف يوما ان يلقى درسا على أحد أعوانه فقال له : « اذهب إلى
بائع الفاكهة عند زاوية الشارع وسله أين يضع أحسن ما عنده من التفاح »، فحار
المحرر، ولكنه صدع بالامر، وما لبث أن عاد وقال: إن بائع الفاكهة أخبره أنه يضع

أحسن تقاحة في أبرز مكان من الواجهة، فقال نور شكيف : « والصحفي كبائع
الفاكهة يجب أن يبرز أحسن ما عنده للعيان ويستمه تنسيقا جذابا يستهوى النظر
ويأخذ باللب » .

أما الأسلوب الكتابي فأول ما يشترط فيه توضيح الخبر وتبسيطه وتقريره بحيث
لا يحتاج القارئ إلى بذل شيء من الجهد في تفهمه - لأن القارئ العادي كما قلنا
عسى لكل جهد .

كنت في أول عهدي بالكتابة ميالا إلى بعض الموضوعات العويصة ، شأن
المبتدئين المتفلسفين ، وحدث أن قابلت يوما أحد زملائي في المدرسة فأقبل على
مهمتها وقال : إن ما تكتبه يا فلان عال جدا فاني قرأت المقال ولم أفهمه . وقد ظن
أنه يمدحني على اعتقاد أن الكتابة العالية هي تلك التي لا تفهم بسهولة . هذا
الصديق قد خدمني أعظم خدمة، فتمدد أدركت وقتئذ أن الواجب الأول على الصحفي
أن يكتب لقرائه بأسلوب سهل قريب المنال .

أخطار المهنة

سمعنا جميعا عن الصحف الصفراء ، والمقصود بهذا التعبير تلك الصحف التي
لا هم لها إلا كسب المال عن أي طريق أتى، بغرضها الأول والأخير زيادة المبيع
من نسخها ومضاعفة مساحة الإعلانات التي تنشرها ، فضلا عن موارد أخرى
سرية وشبه سرية .

والصفرة في الصحف درجات ومراتب ، ولا تهجم بعض الصحف الصفراء ،
في سبيل الوصول إلى أغراضها ، عن استخدام أشنع ضروب التهويل والافتراء
والاغفال والتجسيم .

ومن أغرب ما قاله أحد الصحفيين إنه يجب على كل صحيفة أن تضم إليها (مجنونا)
لكي يستنبط بين حين وآخر أشياء غير مألوفة ليتحدث عنها الناس ، فتحدث الناس
هو سر الرواج .

ولنضرب بعض الأمثلة على أساليب الصحف الأميركية، فهي أبرع من سواها
في هذا الميدان .

لكل نجمة سينمائية كما هو معلوم وكيل يشرف على مصالحها ويتولى استغلال
مواهبها . وقد روى أحدهم أنه كان يتفق مع النجمة الناشئة لمدة ثلاث سنوات

فبشرع في الاعلان عنها مستعينا بالصحف والصحفيين ثم يتماضى جانباً من الفرق بين راتبها الاصل والراتب الذي وصلت اليه بمساعاه ، ومن هذا القيل قصة جانيت مكدونالد وزواجها بولى عهد ايطاليا . فقد اخترعت هذه القصة اختراعاً وشغلت الصحف زمناً غير يسير . وكان مروجها يذكي الاهتمام بها يوماً بعد يوم فلم يمض شهر واحد حتى كانت جانيت مكدونالد أعظم نجمة تتألق في سماء السينما .

قال أحد أرباب الصحافة الصفراء : (أفضل أنواع الأخبار الصحفية هي الاخبار الكاذبة) لأنها — أولاً — محتسرة للصحيفة التي تنشرها فلا ينافسها فيها منافس ، وثانياً لأن تلك الصحيفة تستطيع أن تكون أول من يكذبها .

كان اديسون المخترع الاميركي العظيم يتمشى يوماً في احد حدائق فيينا . فعلم بأمره أحد الصحفيين فأقبل عليه محدثاً ولكن اديسون لزم الصمت ولم يشأ الافصاح عن شيء . وما كاد اديسون يرحل حتى دبج الصحفي حديثاً مستفيضاً بينه وبين اديسون ونسب اليه أقوالاً كثيرة في شؤون شتى . وكان عنوان المقال : اديسون أعظم مخترع في العالم . فلما أطلع اديسون على هذا الحديث أرسل الى الصحفي تلغرافاً قال فيه : «أرجو التصحيح . إن أعظم مخترع في العالم ليس أنا بل انت .»

وعثر احد الصحفيين الامريكيين يوماً على عجوز زنجية بلهاء عمياء لا تكاد تعي شيئاً وكان في ذلك اليوم قد نضبت موارد الاخبار لديه . فخطر له ان يبهر الجمهور الامريكي اذ يقدم له تلك الزنجية بصفة كونها مريض جورج واشنطن . فثمذا يستطيع اثبات العكس ؟ ولم يلبث ان عقب هذا الاكتشاف المزعوم مناقشة حادة في الصحف . بل ان الجمهور الامريكي نفسه انقسم فريقين : فريق يؤمن بقصة المريض وفريق ينكرها . وهذا الفريق الثاني كان على الخصوص من اعداء الزنوج فقد عز عليهم ان يكون محرروطنهم مريض ابن زنجية . وقد شغلت هذه القصة الصحف والجمهور زمناً غير يسير .

ونال مستر هرست ، ملك الصحافة الامريكية اليوم ، شهرته الفائقة على أثر عمل صحفي باهر ، مازال الصحفيون في امريكا يضربون به المثل : فقد حدث في أثناء ثورة جزيرة كوبا على الحكم الاسباني أن انضمت فتاة جميلة اسمها افنجلينا ستروس إلى فريق الثوار ، فما كان من ولاية الامور الاسبانيين الا ان ألقوا القبض

عليها وزجروها في السجن ، وكانت الصحافة الأمريكية : وفي مقدمتها صحف هرسـت ، تدافع عن أهل كوبا وحقهم في الاستقلال وتخرض الحكومة الأمريكية على اعلان الحرب على اسبانيا ، الا أن الحكومة عارضت في هذه المجازفة . فلما اتى القبض على تلك الفتاة استغل هرسـت هذا الحادث إلى الحد الأقصى فأوفد أحد أعوانه البارعين بمهمة سرية هي السعى في انتزاع السجينة الحسنة ، وقد تم ذلك فعلا بعد أسبوعين وعاد الصحفي مع الفتاة إلى أميركا؛ فلما استقبلا شعبيا عظيما حتى اضطر رئيس الجمهورية نفسه إلى استئصال تلك البطلة في البيت الأبيض ، وبالطبع كانت صحف هرسـت في تلك المدة تستغل هذا الحادث بتفاصيله استغلالا وافيا ، فتضاعف الاقبال عليها . . . ولكن ذلك (التهويل) الصحفي كان في مقدمة العوامل التي دفعت الولايات المتحدة الى اعلان الحرب على اسبانيا

* * *

على أن الخيال الخصب واستغلاله على تلك الوجهة الشائنة ليس هو الخطر الوحيد الذي تتعرض له الصحافة . . والقراء طبعاً فهناك عوامل كثيرة قد تحد من حرية الصحافة وتحول دون تأدية مهمتها بالنزاهة الواجبة

فبعض الحكومات اليوم تقيد الصحف بقيود صارمة وتسيطر عليها سيطرة تامة فتحدول دون نشر أى خبر داخلى أو خارجى لا يرضى عنه الحاكمون بأمرهم على أن بعض الحكومات تلجأ الى وسائل أخرى للتأثير فى الصحف . نغنى التفاهم الودى عن طريق الرشوة وبذل المال . وللحكومات جميعا مصروفات سرية يذهب معظمها الى جيوب فريق من أصحاب الصحف

ومن أشد الاخطار على الصحافة طغيان أصحاب الأموال عليها؛ ولقد أصبحت الصحافة فى كثير من البلدان شبه احتكار - احتكار فى الواقع وإن لم يعترف به القانون؛ فالرأى العام فى أوروبا وأميركا يتغذى كل يوم بغذاء ذهنى يقدمه له نفر قليل من قياصرة الصحافة . ومن الصعب بل يكاد يكون مستحيلا أن يجرأ احد اليوم على اصدار صحيفة جديدة فى مدينة كلندن أو باريس لما فى ذلك من المجازفة المالية العظيمة .

ومن أنواع التأثير الذى تتعرض له الصحف تحكم المعلنين ومديرى المصالح والشركات - فقد يؤثرون فى خطة الجريدة فيمنعونها من كشف بعض الاعمال الضارة بمصلحة الجمهور ، فاذا لم تدعن الجريدة حرموها من اعلاناتهم، وهى كما لا يخفى من أهم موارد الصحف .

لكى يرتفع مستوى الصحف، يجب أولا أن يرتفع مستوى المشتغلين بالصحافة، وثانيا أن يرتفع مستوى الجمهور نفسه، فبين الصحافة والجمهور تفاعل مستمر، فالجرائد تثقف القراء - أو على الأقل تعاون على تثقيفهم، والقراء كلما تثقفوا تشددوا فى مطالبهم واضطروا الصحف إلى رفع مستواها .
فكما تكون الأمة تكون صحافتها .

ومن أقوال برزبين أشهر صحفى أمريكى اليوم قوله : «إذا نظرت الى المرأة فلم يعجبك ما ترى فلا تلم المرأة، وكذلك اذا نظرت إلى صحيفة فلم تعجبك فلا تلم الصحيفة بل الجمهور الذى يقبل عليها» .

على أن الصحفى ليس فقط خادما للجمهور ولسان حاله، بل يجب أن يكون أيضا دليله ومرشده، وأقصى ما تحتاجه الصحافة فى مصر وفى غيرها انما هو طائفة من الصحفيين يدركون رسالة الصحافة السامية ويعملون على رفع شأنها بين سائر المهن ولعل ما تدرسه الوزارة الماهرة من المشروعات المتعلقة بالصحافة يعاون على بلوغ المطالب - إن شاء الله .

صانعو الجريدة للأستاذ أنطون الجميل بك

ألقيت في مساء ١٦ ابريل سنة ١٩٣٢

سادتي

تحدث إليكم من تقدمني من الزملاء الأفاضل عن الجريدة بعد طبعها وبعد نشرها . واني متحدث إليكم في هذا المساء عن الجريدة قبل طبعها وقبل تداولها بين الناس .

سمعت في المحاضرات السابقة البيانات الطريفة عن تاريخ الصحافة ، وانتشارها ورسالتها وتوجهاتها الحديثة ، ولعلكم راغبون بعد ذلك في سماع شيء عن صناعة الصحافة نفسها .

عرفتم من الأحاديث الماضية حالة الجريدة خارج دارها ، والكثيرون يطعمون في ولوج الباب ليتبينوا ما في الدار

فهيأ بنا ندخل على الأسد في عرينه لنعرف سر قوته

أو إن شئتم هلموا نتخطى عتبة الباب فندخل على صاحبة الجلالة في خدرها ، لتعرفوا مهمة القائمين على خدمتها ، وهم كثر ، لأنها ذات دلال وذات مطالب ومطامع لا تقنع بالشيء القليل ، أو بعبارة أبسط. تعالوا ندخل الى مطبخ الجريدة ، كما يقول الفرنجة ، لنرى الذين يهيئون لكم غذاءكم اليومي

أما الزملاء فلن يسمعوا شيئا جديداً غابت عنهم معرفته ، ولكنهم قد يروقههم الحديث عن صميم حرفةهم على حد قول الشاعر: « حديثه أو حديث عنه يطربنى » وأما غير الزملاء فلا شك أنه يروقههم كما قدمنا معرفة بعض أسرار المهنة ، والمرء ولوع بمعرفة ما يجمل .

* * *

من يهوى لكم هذه الصحيفة التي تقرأونها في صباح يومكم أو أصيل نهاركم في المنزل أو في المقهى؟

لن يتناول حديثي المعدات الأولية للجريدة من حروف وورق وحبر وآلات طباعة، مما يشغل به ألاف المهندسين والعمال في المصانع والمعامل والمسابك .
فذلك موضوع آخر قد اعالجه أو يعالجه غيرى من الرصفاء فى فرصة أخرى ،
وأقصر حديثى فى هذه الأامسية على صانعى الجريدة ، أى على أولئك الذين يحضرون
موادها الكتابية فى كل يوم حتى تجيء خلقتا سويًا ، فيتناولها القارئ من يد البائع
أو يتلقاها مع موزع البريد

صحافيون ظاهرون

وصحافيون مستترون

« صانعو الجريدة » هم الصحفيون أو الصحفيون ، وهم حسب المتعارف بين
الناس جميع الذين يشتغلون بالصحافة ولكنكم تعرفون منهم فريقًا وتجهلون فريقًا ،
فهم طوائف كثيرة منهم البارزون للعيان ، يراهم الناس ويعرفونهم . ومنهم
المستترون عن الأعين ، تخمنون وجودهم تخمينًا ولا ترون أشخاصهم ، بل قد
تجهلونهم تمامًا . فهم كالوقادين فى قعر السفينة يغذونها بالقوة التى تسيروها . يشعر
الجميع بوجودهم ويكاد لا يراهم أحد . وإذا استعرنا تشبيها من الصحافة نفسها قلنا
أنهم الحروف الصغيرة التى يتألف منها الخبر أو المقال ؛ وغيرهم يؤلف حروف
العنوان الكبيرة التى لا معنى لها لولا الحروف الصغيرة

صحافيون جالسون

وصحافيون واقفون

ثم إن الصحافة من حيث كيفية العمل ، كالقضاء : صحافة جالسة ، وصحافة
واقفة : فالصحافيون الجالسون هم السكاتبون أو المحررون ، فى مكاتبهم ، والصحافيون
الواقفون هم الجوالون المتمثلون ، يضربون فى كل جهة من المدينة وفى كل مدينة
من القطر ، بل فى كل قطر من الدنيا . وما أشد ما تنطبق عليهم الآية الكريمة
المنقوشة أمامكم فى صدر هذه القاعة « هو الذى جعل لكم الأرض ذلولًا فامشوا
فى مناكبها »

المخبرون

ينشرون كل يوم كالنحل فى دواوين الحكومة ، ويرتادون الحفلات والمجتمعات

يثسقطون الأخبار ، ويستطاعون الناس حقيقة الانباء ، ثم يعودون بخبرهم الى خايتهم كالنحل فيفرغون ما في جيبهم .

والبرز منهم من سبق زميلا في تصيد خبر هام ، أو بزه في استيفاء تفصيل عن نبأ خطير . وعمل هذه الطائفة من صانعي الجريدة المعروفين بالخبرين يزداد أهمية مع تقدم الصحافة حتى يكاد يكون لبعضهم المقام الأول في الصحافة الغربية . وركن عملهم السرعة في التقاط الخبر والصدق في إيراده .

أما السرعة فهي سر النجاح في الصحافة الحديثة وقد أصبحت طرق النقل كثيرة وسبيلها سهلة ممهدة ، بالتلغراف والتليفون ، فإين من عصرنا عصر المثني الذي كان الخبر فيه يطوى البلاد حتى يصل اليه فيتردد في تصديقه .

طوى الجزيرة حتى جاءني خبر فرغت فيه بآمالى الى السكذب
تعثرت به في الافواه السنه والبرد في الطرق والافلام في السكيب
أما الصدق في ايراد الخبر فقام على الامانة في نقله فلا يقال في روايته ما قاله
الشاعر قديما :

هموا نقلوا عني الذي لم أفه به وما آفة الاخبار الا روايتها
وقد يكون الخبر صحيحا في جملته ، ولكن طريقة روايته تدل على غرض في
الصدر وهوى في النفس :

تقول هذا مجاج النحل تمدحه وان ذمت تقل قىء الزناير .
وما أشبه الصحفيين في عهدنا بالشعراء في الامس يوم كانوا يسجلون الحوادث
ويدونون الوقائع في تصاندهم فيتناقلها الناس حسب روايتهم .

المراسلون وبريد الجريدة

والى هذه الطائفة من الصحفيين ينتسب المراسلون من الداخل والخارج ، وهم
الذين يوافون الجريدة بانباء الحوادث التي تقع في الاقاليم أو في البلدان الاخرى ،
وينطبق اجمالا عليهم ما ذكرناه عن الخبرين .

ولا بد هنا من الاستطراد الى ذكر « بريد الجريدة » ، فان موزع البريد يحمل
في صباح كل يوم وفي مسائه الى صحفنا اليومية أكداسا من الرسائل ، وفيها
أحيانا المطرب والعجيب مما تجدون خبره عند المنوط بفتح « البوستة » واكتفى
أن أروى لكم على سبيل المثال اننا تلتمينا أخيرا صورة شاب ، وقد دون اسمه تحت

رسمه ، و اضاف اليه هذه العبارة : (ارجو نشره غملا بحرية النشر) ، فقط ليس إلا ،
مسكينة حرية النشر ! كم يطالب الصحفيون باسمها بأشياء . . . !

ويظهر ان الصحف الاوربية لا تمناني ما تمنانيه صحفنا من رسائل البريد . فقد
زرت اوربا في الصيف الماضي وقصدت الى ادارة إحدى كبريات الصحف : وكان
من الاسئلة التي سألتها : ومن المكلف بفتح الرسائل عنكم ؟
قال محدثي : وأى رسائل !

قلت : الرسائل الواردة الى التحرير .

قال : ليس لدينا رسائل ، فان الانباء ترسل اليها بالتلغراف أو بالتليفون .
فتتلهاها الأوانس ويدونونها على الآلة الكاتبة ثم يدفعونها الى القسم المختص فيصوغها
في القالب المناسب .

الكتاب

أما الصحافة الجليلة فتوامها المحررون أو الكتاب ، وهم الذين يدجون المقالات
التي تقرأونها في صدر الجريدة أو في تضاعيف صفحاتها من بحث موضوع عام
أو تعاليتي على حادث ، أو معالجة مشكلة أو نقد مشروع ، أو تأييد فكرة .
وفي كبريات صحف الغرب طائفة من هؤلاء الكتاب يجتمعون كل يوم برئيس
التحرير فينتقون الموضوع الذي يعالجه كل منهم ويقررون الاتجاه الذي ينتهجونه
فيعلقون على الحوادث ، أو يبحثون الموضوع الذي توحيه تلك الحوادث بالتحديد
أو الاستنكار

وأخص ما يجب أن تمتاز به هذه الطائفة من الكتاب السرعة في الكتابة
والطلاوة في الديباجة والبراعة في التعبير والافتتان والتشويق في الاسلوب .
وقد تتطور الحوادث في خلال اليوم الواحد فتتضي على عجل تحوير ما كتب أو
تعديله أو الجدول عنه .

ومن تقاليد بعض الصحف أن يوقع كل كاتب ما يكتبه ، ومن تقاليد البعض
الآخر أن تكون الكتابات غملا من الامضاء كأنها صادرة من الجريدة .

المترجمون

ويدخل في هذه الطائفة المترجمون ، وعملهم في صحفنا العربية أهم منه في
الصحف الافرنجية ، لأن كل ما نلتقاه من الأنباء الخارجية يجيئنا بلغة أجنبية ،

فلا بد من نقله إلى لغتنا على وجه السرعة وقد يكون الاصل مبهم العبارة فيجب توضيحه ، أو مضطرب النقل فينبغي تقويمه ، أو مشتملا على بيانات لا بد من التثبت منها .

وكثيرا ما يقع المترجمون من جراء ضيق الوقت في اغلاط ، فيجىء المعنى متقلبا أو معكوسا ، وأكثر ما يقع ذلك لهم في نقل أسماء الاعلام . فيلامون على ذلك أحيانا أشد اللوم كهذا الذى ترجم «Saladin سلادينوس» فحرك عظام «صلاح الدين» فى قبره ، ويعذرون على ذلك أحيانا كل العذر إذا كتبوا مثلا Mogdichou مقديشو فى سياق ترجمة تلغراف عن الحبشة . فكيف لهم أن يتشبها أنها «مقدشو» أو «مقعد الشاه» ، وفقا لما رواها ابن بطوطة كما يريد صديقى البجاجة محمد مسعود .

الهواة المتطوعون

وإلى جانب الكتاب المحترفين يجب أن نذكر الهواة المتطوعين الذين يوافون الصحف بكتاباتهم . ولاشك فى أن صحافتنا مدينة لفريق منهم بأبحاث غزيرة النفع محققة الفائدة ، لاسيما وإن أمامهم متسعا من الوقت لتوفية الموضوع الذى يختارونه حقه من البحث والتنقيب . فهم غير مقيدين بموضوع مفروض ولا بجمعاء مقرر . على أن هناك طائفة من المتطوعين يحملون رؤساء التحرير عبئا ثميلا ، كثيرا ما لا يعرفون كيف يتخلصون منه فيطرقون الموضوعات السخيفة ويلجئون فى نشرها الحاحا مرهقا . وإذا تأخر نشر ما جادت به قريحتهم الخامدة تصوروا أن الأرض وقفت عن دورانها .

ولعل أغرب ما وقع لى من هذا القليل الحادثة الآتية :
كنا فى سنة ١٩٣٣ وكانت قضية القنابل فى أشد أدوارها حتى أن المحكمة كانت تعقد لها فى الغالب جلستين فى اليوم ، فتسترق نقاصها انهرأ تعتمد كثيرة من صحفنا ، وحوالى الساعة العاشرة من احدى الليالى حمل لى الحاجب بطاقة ثقلت باسم صاحبها وما تلاه من الألقاب العلمية الضخمة . فاضطارت الى مقابله على مضض ، وكان بودى أن أقول للزائر الكريم ما قاله الشاعر «لصائدة القلوب»

ليس ذا وقت الزيارة فارجى بسلام
دخل ، وبعد تحيات ومجاملات قدم لى مقالا كثير الصفحات . فألقيت على

العنوان نظرة لأتبعين الموضوع : فألفت أنه بما لا تذهب جدته ولا تضيع بهجته بل هو من قبيل سد الفراغ بمثله، فوضعت جانباً .
قال صاحبنا : أرجو أن تقرأ مقالتي هذه .
قلت : أنا مشغول جداً سأطالعها غداً .
قال : ولكنني يهمني جداً أن تنشر صباح غد .
قلت : لا سبيل إلى ذلك : الساعة الآن العاشرة ولا نستطيع جمع مقالات .
والجريدة مزحومة ، وقضية القنابل تستغرق منها جانباً كبيراً .
رأى تصميمي على الرفض ، فوقف كاسف البال وهم بالانصراف . ثم عاذ فقال : ولكن ألا يمكنك يا أستاذ أن تؤخر قضية القنابل وتنشر مقالتي هذه ؟
كدت أصيح لأن موضوع مقالته الثمينة التي لا تتحمل التأجيل كان . . « صيد الحوت في الأوقيانوس » ! وأودعكم تتصورون كيف شيعت حضرته إلى الباب .
وعندي وعند زملائي الشيء الكثير نرويه لكم لولا خوف الاطالة .
وقانا الله شر الكتاب المتطوعين المتطفلين !

المحررون الفنيون

وهناك المحررون الفنيون للشؤون المالية والتجارية والسينمائية والألعاب الرياضية، وغير ذلك من الأبواب الكثيرة التي تشتمل عليها صفحات الجرائد الكبرى .

الجماعون والمصححون

والآن وقد جهزت المواد من مقالات وأنباء وتلغرافات وراجعها المسؤول عنها ونسقتها ، ووافق بينها حتى لا يتنافر خبر مع خبر ، ولا تتعارض مقالة مع تلغراف ، ولا يطغى باب على باب ، فتدفع هذه المواد إلى المطبعة حيث يبدأ عمل منضدى الحروف أو الجماعين وعمل المصححين .

وهنا تطلب الميزات التي لا غنى عنها في الصحافة وهي الدقة والسرعة . ويجب أن تقرر دائماً الواحدة بالأخرى . فالدقة مع الإبطاء ربما لا تضر عند جمع كتاب ولكنها تضر في جمع الجريدة التي يجب أن تنتهي صفحاتها في موعد معينة ، والا فاتها القطار أو فاتتها الطائرة ، وكذلك السرعة وحدها بلا تدقيق لا تفيد فإن هذا التلغراف الذي ورد في آخر ساعة عن سعر القطن في ليفربول أو عن سعر الغزل في مانشستر إذا لم يدقق في جمع الأرقام الواردة فيه قد يترتب عليه خسائر مادية جسيمة . وتعرفون المثل القائل « يريد الناشر ما لا يريد الكاتب » فكم من مرة تجيء الغلطة المطبعية التي يرتكبها العامل ويسهو عن تصحيحها المصحح وشوهة للمعنى

فجعلها غير مفهوم أو مفهوم ما على غير المقصود . والاغلاط المطبعية كثيرة في جميع اللغات . وقد تكون في لغتنا أكثر منها في سواها من جراء تشابه الحروف وبسبب الدور المهم الذي تلعبه النقطة فان اثبات نقطة على الحرف أو إهمالها كثيرا ما ينقل المعنى إلى ضده . والمشتغلون بالطباعة يعرفون الشيء الكثير من ذلك . وأنا مورد بعض ما تعيه الذاكرة من هذا القليل على سبيل التفككة : أخذ المرحوم الشيخ محمد الخضرى على نفسه إعادة طبع كتاب الاغانى المشهور . وقد قرظت احدى الصحف عمله هذه وأرادت أن تأنى على همة الشيخ الخضرى فجاء ثناؤها ، بغلطة مطبعية ، على « عمه » الشيخ رحمه الله .

وجاء فى مقالة عن مشروع اصلاح القضاء انه يرجى من ورائه « تجديد شباب القضاء » ولكن العامل الذى جمع المقال أراد أن تكون العبارة « تجريد ثياب القضاة » ولا شك فى أننا جميعا مهما طمعنا فى « تجديد شباب قضائنا » لانريده عن طريق تجريد قضائنا الاجلاء من ثيابهم .

ولعل أروع ما يروى من هذا القليل ماورد منذ بضع سنوات فى احدى صحفنا ، فقد أوردت خبر قران فوصفت الحفلة وذكرت أسماء الحاضرين من كبار القوم واسم صاحب الفضيلة الذى كتب عقد قران العروسين . ولشد ما كان دهش القراء اذ قرأوا بعد ذلك الجملة الآتية : « وقد زج الاثنان فى السجن ليلقيا جزاء ما جنت أيديهما » وكان القارىء يجد فى النهر الثانى خبرا آخر عن لصين ثقبوا جدار حانوت وسرقا ما فيه وقد ختم بهذا الدعاء « فندعو لهما بالتوفيق والهناء ورغد العيش » .

وقد أدركتم ان العامل قد أخطأ عند « التوضيب » فنقل سطرين من خبر إلى محل سطرين من خبر آخر . ومثال ذلك كثير .

الموضبون

وعلى ذكر « الموضبين » والعمال لا بد من الإشارة إلى ما يديه هؤلاء من ازدراء غير مقصود لأكبر المقامات . فاذا دخلتم مطبعة من مطابع الصحف ساعة « التوضيب » طرقت آذانكم مثل هذه العبارات : « حظ وزير التجارة بعد تصدير البصل . كمل العمود بوزير المالية . احذف السطر الأخير من خبر رئيس الوزراء . قدم هتلر . أخر موسوليني » وهم على هذه الحال يتصرفون فى أكبر الاسماء تقدما وتأخيرا ، كلاعب الشطرنج .

ولأن أنسى حكاية ذلك « الموضب » اللبق ، وقد جاء في مرة في آخر الليل ، مضطربا يقول ، اطل الله حياته : « ينقصنا باب من أبواب الجريدة . . . الوفيات . . . » .

رئيس التحرير

بقيت لي كلمة عن رئيس التحرير، وهو المطالب بوضع أنفه ، كما يقول الفرنجية ، في كل مواد الجريدة. فراجع المقالات والاخبار فيحذف ويزيد: ويشذب ويهذب ، ويعدل ويحور ، ويوافق على النشر أو يقضى بالاهمال والالقاء في سلة المهملات ويتلقى العتب والشكوى من جراء إهمال خبر أو وقوع خطأ أو تأخير مقال ، في حين أنه لا يتخير مواد اليوم إلا بعد أن يوازن ويقارن ويقابل بين ما لديه فيقضى بتقديم هذا الخبر أو تأخير هذه المقالة وفقا لمقتضيات الحال .

ورئيس التحرير أو مدير السياسة مقضى عليه في صحفنا بتلقى جميع الطلبات ومقابلة جميع الزائرين . فطالب الاشتراك والراغب في الاعلان والحامل كتابا من تأليفه أو مقالا من وضعه، جميع هؤلاء يرون أنهم لا يصلون إلى ما يريدون إلا بالابتداء بمقابلة رئيس التحرير، مع أن الأمر على عكس ذلك وكان الأولى بهم أن يعربوا عن الغرض من زيارتهم فيحولوا إلى المحرر أو الموظف المختص، فتتضح حاجتهم سريعا . ورئيس التحرير فوق ذلك هو المسئول قانونا عن كل ما ينشر بالجريدة . وكم من رؤساء التحرير عندنا مثلوا أمام النيابة والقضاء ، بل كم منهم زاروا السجن فعوملوا فيه معاملة الأشقياء واللصوص والسفاحين القتلة: إلى أن انتهى الأمر بتعديل مواد القانون فيما يختص بجرائم الرأي والنشر بعد أن طالت شكواهم من هذه الحالة . ويظهر أن هذه الشكوى قديمة العهد، فإن الشعراء الذين كانوا في الماضي يقومون بالوظيفة التي يتوهم بها الصحفيون اليوم قد بثوا شكواهم من حبسهم كأنهم سارقو مال الدولة من جباية الضرائب .

قال أبو دلالة وقد حبس مع الدجاج :

أقاد إلى السجن بغير جرم كأنني بعض عمال الخراج
ولو معهم حبست لكان سبلا ولكنني حبست مع الدجاج

ادارة الجريدة

أيها السادة . نظرنا إلى معظم صانعي الجريدة التي تقرأونها . على أن موضوعنا لا يكمل إلا إذا أشرنا المأما إلى عناصر أخرى تعد ولوعن طريق غير مباشر، من صانعي الجريدة . وهم الذين تجمعهم كلمة « الادارة » وعلى رأس هذه الطائفة مدير الادارة .

وهو المنوط بحسابات الجريدة وتوزيعها واعلاناتها وسائر شئونها المادية .
ولا يخفى ما يشترط فيه من الدقة والنضبط واليقظة . وهو عادة غير محبب إلى
الصحفيين مهما أوتى من لطف وكياسة ورقة طباع ؛ لأنه مسيطر على المال لا
يصرف إلا بحساب ؛ والصحافيون يطبيعهم « بوهيديون » يحبون أن يصرفوا بلا حساب .
أما توزيع الجريدة ، ويدخل فيه بيعها واشتراكاتها أي إرسالها إلى القارئ ،
فقد أصبح من أهم شئون إدارات الصحف .

وأما الاعلانات فقد صارت ركناً أساسياً في إيرادات الجريدة لا غنى لها عنها التكفل بحياتها .
قلنا إن الشعراء قديماً كانوا يقومون بتدوين الحوادث والأخبار في قصائدهم كما
يفعل الصحفيون اليوم في صحفهم . وقد كان الشعراء أيضاً يقومون بمهمة الاعلان
ولا نعرف « التعريفة » التي كانوا يتقاضونها عن الاعلان في شعرهم .

جاء في كتاب الأغاني ما ملخصه أن تاجراً من أهل الكوفة قدم المدينة بخرم
(والخمار ما تغطي به المرأة رأسها) فباعها كلها وبقيت السود منها فلم تنفق ، وكان
صديقاً للدارمي ، فشكا ذلك إليه ، وكان الدارمي قد نسك وترك الغناء وقول
الشعر فقال له : « لا تهم بذلك فاني سأنفقها لك حتى تبيعها أجمع ، ثم وضع شجراً للغناء :

قل للبيحة في الخمار الأسود ماذا صنعت براهب متعبد
قد كان شير للصلاة ثيابه حتى وقفت له بباب المسجد
فشاع غناؤه بين الناس ولم تبقى في المدينة ظريفة إلا ابتاعت خماراً أسود ، حتى نفذ
ما كان مع العراقي منها .

وليس الاعلان عن الزواج أو الزواج بالاعلان من مبتكرات عصرنا . فقد
سبقنا إليه قدماء العرب . ولكن المنهاج كان أوفر كياسة وألطف أسلوباً كما تدل
على ذلك حكاية الأعشى الذي زوج بنات المحلق بأبيات نظمها .
كان الأعشى يوافي سوق عكاظ في كل سنة ، وكان المحلق الكلابي مثنائاً (من
يلد أناثاً) فملأها « فقيراً » فقالت له امرأته : يا أبا كلاب ما يمنعك عن التعرض
لهذا الشاعر ؟ فما رأيت أحداً اقتطعه إلى نفسه إلا وأكسبه خيراً . قال : ويحك
ما عندي إلا ناقتي وعليها الحمل . قالت : الله يخلفها عليك .

قال : فتلتماه المحلق قبل أن يسبق إليه أحد ، وابنه يقوده ، فقال الأعشى ،
وكان كما يدل عليه اسمه ضعيف البصر : من هذا ؟ قال المحلق : شريف كريم .
ونحر له ناقته وكشط له عن سنامها وكبدها . وأحاطت بنات الأعشى فقال :
ما هذه الجوارى حولي ؟ قال : بنات أخيك وهن ثمان .

وخرج الاعشى ولم يقل فيه شيئا . فلما وافى المحلق سوق عكاظ إذا هو
 بسرحة قد اجتمع الناس عليها وإذا الاعشى ينشدهم من قصيدة جاء فيها :
 لعمري لقد لاحت عيون كثيرة إلى ضوء نار باليفاع تحرق
 تشب لمقرورين يصطليانها وبات على النار الندى والمحلق
 رضيعي لبان ثدى أم تحالفا بأسحهم داج عوض لا تتفرق
 فسلم عليه المحلق فقال الاعشى : مرحبا ياسيدى بسيد قومه . ونادى :
 يا معشر العرب هل فيكم مذكار (من يباد الذكور) يزوج ابنه إلى الشريف الكريم ؟
 قال فما قام من مقعده وفيهن مخطوبة الا زوجها .

* * *

أيها السادة - بقي واحد من « صانعي الجريدة » لم أذكره ، وقد يكون العامل
 الرئيسى فى صنع الجريدة ، عنيت « القارئ » ولن أقول عنه الا ما نقله
 صديق الاستاذ زيدان فى محاضراته الأخيرة عن الصحفي الاميركى بريز بين وهو
 « إذا نظرت إلى المرأة فلم تعجبك ما ترى فلا تلم المرأة ، وكذلك إذا نظرت إلى
 صحيفة فلم تعجبك فلا تلم الصحيفة بل الجمهور الذى يقبل عليها » .
 جميع من ذكرت يتومون بخدمة صاحبة الجلالة ، فيصنعون هذه الجريدة التى
 يطالعها الواحد منكم ثم يرميها ، وإذا سأله سائل عما فيها أجاب بعدم اكتراث : لا شيء !
 والآن أيها السادة قد تمت زيارتنا وانتهت جولتنا فى إحدى دور الصحف
 وتعرفنا من فيها . فان راقبتم هذه الزيارة فتسما ، والا فان الذنب ذنب الدليل
 الذى رافقكم فى تجوالكم فلم يحسن الابانة عما فى هذه الدار .

٦

الصور الهزلية والصحافة للاستاذ سليمان فوزى

ألقيت فى مساء ٢٠ ابريل سنة ١٩٣٦

سيداتي ، أيها السادة .
 نشأ الشعر والتصوير معا فى أقدم العصور ، ويجوز أن يكون أحدهما أخذ من
 الآخر ، ولعل التصوير أقدم ، لأن القدماء جعلوا الصور حروفا للهجاء ، والمفهوم
 من هذا أن مبتكر حروف الكتابة كان مصورا .

والهزل طبع في الانسان منذ فهم الحياة ، ولكن الآثار الباقية هي التي أراد القدماء تخليدها ، ولم يكونوا يخلدون غير المتصل بالشؤون الدينية والحرية والسياسية والاجتماعية العالية، فخلت من الصور الهزلية التي أهملوا تخليدها، أو خلدوها ولكنهم لم يحطوها بوسائل الحفظ من عادات الأيام وتأثير تقادم العهد فأكلها الدهر. والصور الهزلية معروفة من أيام قدماء المصريين ، أى قبل ثلاثة آلاف سنة عنى قدماء المصريين بتصوير الحالات النفسية ، ولقد صوروا ست في صورة وحش وسموه «ست الملعون» لأنه قتل أخاه أوزيريس وألقى بجثته في النيل كما قتل أخته ومثل بجثتها شرميل وصوروا أوزيريس في صورة (قطة)

وتفنن قدماء المصريين في تصوير عظائمهم بأوجه حيوانات صغيرة وكبيرة، جميلة وقيحة ، بحسب أخلاقهم وميولهم وطباعهم ونفسياتهم وعرفت «الرقابة» أيام قدماء المصريين ، وفرضت أول ما فرضت على الصور الكاريكاتورية ، فقد حرصوا على أن لا تمس هذه الصور الاخلاق والدين والسياسة، وكان عقاب المصور الكاريكاتورى الذى يتجاوز هذه الحدود الجلد واللعن

وأمتازت صور المصريين بالتشنيع على رجال الكهنوت، كما امتازت بتصوير الاسرى وتصوير نفسياتهم على وجوههم، ومعبداً وسنبلاً بين اسوان ووادى حلفا يحتوى من جانبيه على صور كاريكاتورية مدهشة يقول الفنيون إن الهزل فيها، وخاصة في ابراز الشفاء والانوف والكتابة من الاسر ، من أبدع ما وفق اليه الكاريكاتيريون وكان قدماء المصريين يمثلون - بالتصوير الهزلى - الموت والميزان والصراطون

ثقلت موازينه ومن خفت ، ولا تزال هذه الصور في معابدهم المختلفة وأخذ الافريقيون فن التصوير الهزلى عن قدماء المصريين فاستعملوه (أولاً) في الآثار والانيكات ، واستعملوه كثيراً في التشنيع على الآلهة وعلت في هذا شهرة مصورهم انفيل الذى خلق من خياله شخصاً جعله رمزاً لثبات اسماء (جرل ليس) أى (خنزير) كما هو الحال في شخص جحا وجون بول ١

ولإذا كنا ننظر الى البحث في علاقة فن التصوير بالصحافة فاقدم ما كان منها انما كان في الصين منذ الف سنة على ما يظن المؤرخون ، وكانت صحافة رسمية للحكومة فلا مجال فيها للهزل

ويقال إن الفرس كانوا قبل الف سنة يجعلون صوراً هزلية على الأمتعة الخزفية والمنسوجات ولكن لم يبق منها شيء يدل على الصور الكاريكاتورية في ذلك الزمن، والعرب لم يحدثوا عن غير صور قصور الملوك .

كما أن الصور الكاريكاتورية كانت على أمتعة الشعب الروماني ولكنها ذهبت
لأن الرومانيين والافريقيين لم يحافظوا على شيء غير الصور الدينية والتاريخية
العليا ، ولم تكن لهم صحافة تبقى مجاميعها للأجيال المتعاقبة ، وفي وصف
تلك الامتعة يقول عبده ابن الطبيب .

حتى انكفأنا على فرش يزينا من جيد الرقيم أزواج تهاويل
فيها الدجاج وفيها الأسد مخدرة من كل شيء يرى فيها تماثيل
وليس في وسعنا الرجوع إلى غير الكتب العربية من مؤلفات القدماء ، وهذه
الكتب العربية لم تعرف الا في زمن الاسلام ، وكان المسلمون يحرمون التصوير لأنه
يذكر الناس بالوثنية ، ولو لم يكن معروفا في الجاهلية ما نهى عنه الرسول عليه
الصلاة والسلام .

ولكن العرب لم يعدموا وسيلة للتعبير عن أفكارهم الكاريكاتورية بالكتابة في
النثر والنظم كقول الشاعر :

كناطح صخرة يوما ليوهنها فلم يضرها وأوهى قرنة الوعل
ولو كان هذا مصورا ، أو لو أن مصورا رسم رجلا على هيئة وعل ينطح
صخرة فخلع أحد قرنيه لكانت من أجمل الصور ولاسيما حين يكون الرجل المرسوم
من عظماء القوم .

وفي ديوان الحماسة الذي جمعه أبو تمام في شعر الجاهلية والاسلام باب للهجاء
فيه أعاجيب الخيالات التي لو صورت لكانت من أبدع التحف ، وهل صورة
كاريكاتورية ادعى للضحك بما في قول القائل :

الانف بالعرض والعينان بالطول

وقول الآخر :

وأقسم لو خرت من استك بيضة لما انكسرت لترب بعضك من بعض
وفي غير الحماسة في كتب الأدب كثير لا يحصى ، نذكر منه قول حماد عجرد في بشار:
. فكأنه قرد يقهقه أو عجوز تلطم
وقول جرير في أحد الشعراء ، يضعه بين أمه وأبيه :

كالجش بين حمارة وحمار

وقوله في هجاء بني تغلب قوم الأخطل :

ولإذا وضعت أباك في ميزانهم قفزت حديدته إليك فشالا
ومن الصور البديعة ما وصف به ابن الرومي رجلا أحبط قال :

فصرت أخادعه وطال قذاله فكأنه متربص أن يصفعا
وكأنما قد داق أول صفة وأحس ثانية لها فتجمعا
ومن المضحك أن يتغزل المزار العدوى في امرأة فيصفها بقوله :
وإذا تضحك أبدى ضحكها أقحوانا قيئته ذا أشر
فهي هيفاء هضم كشحها فخمة حيث تشد المؤثر
ولو صور مصور امرأة بهذا الوصف وهي تضحك وتعض بأسنانها أقحوانة
وهي نحيلة الخصر غليظة المقعد لأضحك منها أعداءها وهي بشكل الخنفساء .
ومن الأوصاف الكاريكاتورية قول الأعشى : وهو يتبع امرأة يحبها وهي تتبع
رجلا تحبه ، والرجل الذي تحبه هي يتبع امرأة أخرى يحبها ، وكل معشوق يفر من
العاشق ، في قوله :

عالمها عرضا وعلمت رجلا غيرة وعاق أخرى غيرها الرجل
أما وذلك زمن لم يكن فيه عند العرب اشتغال بصناعة التصوير فان في شعرهم
صوراً كاريكاتورية وفنية كثيرة ، وكذلك في نواذرهم ونماذجاتهم ، وشرحها
يطول حتى يتصل بالسكتب الهزلية التي كانت أصلاً للصحافة الفكاهية .
وانتقل التصوير الهزلي من اليونان إلى إيطاليا والمصورين القدماء المشهورين :
ليونارد دافنشي واتيغال وكراش وباسو ، لوحات فاخرة مذهشة .
وللفنان هول بين الألمانى جملة رسومات في تقريظ الجنون ومدحه جعلها كلها
حول غرامه بأراسو .

وكان « راتلى » الفرنسي دكتوراً وكاتباً ، وليكنه كان مصوراً هزلياً لانظيره ،
ولقد برع في صورته سنة ١٥٦٥ إلى درجة أنه كان يبيع كل البارزين في عصره .
وتعشقت فرنسا الكاريكاتير في عهد لويس الثالث عشر ولويس الرابع عشر
بحيث احتل فيها وفي صحافتها مكاناً حراً إلى أوسع حدود الحرية وإلى درجة أنه
كان الخطر كل الخطر على التيجان والعروش .
ورأى ذلك لويس الخامس عشر فخاربه بكل أنواع المحاربات وجعل بوليسه
وإدارة الأمن العام في وقته تطارد المصورين الكاريكاتوريين أفضع مطاردة
وتشردهم أشنع تشريد ، ومع ذلك فأنهم كانوا كلما اشتد ضغطه عليهم اشتدوا في
التشهير به والتشنييع عليه إلى درجة أنهم ألهبوا نيران الثورة الفرنسية سنة ١٧٨٩
وكانوا العامل الأول في إعدام لويس السادس عشر وزوجته ماري أنطوانيت .
وصور المصورين الكاريكاتوريين في ترف « اللوايسة » لويس ولويس

ولويس - واسرافهم وانفاق أموال الدولة على الملاهي والملاذ وتصوير الشعب مع ذلك عاريا جائعاً متضوراً، بما يعتز به التاريخ .
ولا تزال لوحات الأستاذ فرنى معدودة من أجل ما يقتنى .
وانجلترا مدينة لريشة الفنان الكاريكاتورى هوجارت فى تقويم العادات الاخلاقية والسياسية والاجتماعية فيها .
وتقدس اسبانيا رجلها العظيم جوبا الذى قد يعد الآن وبعد وفاته بما لا يقل عن مائتى سنة نقيب الكاريكاتوريين فى العالم .
وبدأ الكاريكاتير فى أمريكا بالفنان هو آرت .
وفى سويسرا بالفنان توبفار .
وفى النمسا بكل من تيودور وجراتسى .
وفى البرتغال بالفنان برادالو .
وفى هولاندا بالفنان جون برانيسك .
أيها السادة :

عرفتم أن العرب لم يشغلوا بفن التصوير وإن كانت فى شهرهم ونواذرهم صور كاريكاتورية مدهشة .
وعرفتم أن الصحافة الفكاهية تتصل بكتبهم الهزلية .
ومن المتأخرين من مؤلفى تلك الكتب الشيخ حسن الآلاقى صاحب (مضحك العبوس) الذى قلده المرحوم الشيخ النجار صاحب الارغول .
وأول من أدخل التصوير الهزلى فى الصحف العربية الشيخ يعقوب أبونظارة .
كان مدرسا فى المدارس الأميرية واشتغل بالتمثيل وأنشأ جريدته «أبونظارة» فى آخر عهد اسماعيل باشا وغضب سموه عليه فقصد إلى باريس وأصدر فيها جريدته «أبونظارة» وجراند ومجلات أخرى مزينة كلها بالصور الكاريكاتورية .
وكانت هذه الجرائد والمجلات ممنوعة من الدخول إلى مصر ولكنها كانت تصل إليها خلسة فى مظاريف مقفلة .
ومن أصدروا صحفا كاريكاتورية بعد ذلك .

١ - الأستاذ عبد الحميد أفندى زكى الذى كان ضابطا بالجيش المصرى ولعب دوراً فى سياسة مصر والسودان ثم سافر إلى أوروبا وأصدر جريدته أسبوعية مصورة بالألوان باسم «السياسة المصورة» كانت تظهر أولاً فى فيينا ثم أصدرها فى روما ثم جاء إلى مصر وأخذ يطبعها فى روما ويصدرها فى القاهرة .

٢- الأستاذ خليل زينه وكان يعرر في الأهرام الخمسين سنة اتفق مع جريدة البتي باريزيان على أن ترسل إليه أعدادها بصورة بدون متن . وكانت متى وردت يملأها بما أعده لها من مادة باللغة العربية مع نبد وجيزة عما فيها من صور ورسوم هزلية وجدية .

٣- وأصدر عبد المجيد أفندي كامل، وكان ضابطاً في الجيش المصري ثم اشتغل بالصحافة زمناً، جريدة هزلية باسم البابا غللو المصري كان يطبع صورها الكاريكاتورية على الحجر .

٤- وأصدر فتيد الصحافة العظيم محمد بك المويدي جريدة «أبونواس» فكانت أبداع وأرق صحيفة هزلية كاريكاتورية . وكانت تجمع إلى جانب الصور مقالات نقدية يكتبها نخبة من مشهورى كتاب العصر المعروفين .

كما أصدر جريدة كاريكاتورية أخرى هي جريدة «أبوزيد»
٥- وكان المرحوم ابراهيم بك رمزي من أعيان الفيوم بدأ حياته العملية بالاشتغال كاتبا في مديريتها

وفي ذلك الحين عين المغفور له عدلى يكن باشا مديراً للفيوم فزوج شقيقته من ابراهيم بك. وترك رمزي بك العمل في الحكومة واشتغل بالصحافة فأصدر مجلة أسبوعية باسم الفيوم .

ثم حولها إلى جريدة ذات أربع صفحات ونقلها إلى العاصمة . وكان يصدرها دائماً بصورة هزلية محفورة على الخشب تملأ ثلث الصفحة الأولى منها .

وأنشأ مسبكا للحروف باسم مسبك التمدن .

وأنشأ كذلك مجلة بهذا الاسم .

٦- وأصدر يوسف حياته جريدة ذات ثمانى صفحات وكان صفحاتها الأولى دائماً بصورة هزلية .

ورسم فيها يوما جلالة الملكة فكتوريا برأس انسان وجثة خنزير معلق في مشنقة. ومع تسامح اللورد كرومر فإنه لم ترضه هذه الصورة ، واهتمت النيابة بالموضوع وأحس حتماته بالعقاب ففر إلى الأستانة مع زميلين له توفيا منذ سنوات . وبدل حتماته اسمه باسم يوسف كمال . وهو يشتغل الآن بالتحرير في صحف بيروت .

٧ - وأصدر الزميلان الكاتبان الكبيران الأستاذان محمد مسعود وأحمد حافظ عوض بك جريدة «هاهاها» .

٨ - وأصدر الأستاذ حافظ بك وحده بعد ذلك جريدة «خيال الظل» .

٩ - كما صدرت «الجريدة الأسبوعية» لصديقتنا الأستاذة طاهر حق .

أيها السادة

أعلنت الحرب العالمية الكبرى سنة ١٩١٤ وفرضت الرقابة على الصحف في مصر فكان من الصعب جدا أن تواصل الجرائد الكاريكاتورية مهمتها أو أن يصمد الصحفيون الكاريكاتيريون في عملهم فاختلفت هذه الصحافة من الميدان إلى أن كانت سنة ١٩٢١ فأدخل الكشكول على تحريره الصور الكاريكاتورية وبدأها بلون واحد وبأيدي مصورين مختلفين .

كان الكشكول ينشر كل أسبوع أربع صور لكل فنان صورة وتنافس الفنانون في وضع صور الكشكول واشترك فيها فقيده الفن النابغة مختار والاساتذة الأفاضل محمد حسن وعباد وأحمد صبرى ومحمد مندور ومصطفى بك مختار .

واستمر فن التصوير الهزلى يتقدم تبع الحوادث ، وتبع التمرين الأسبوعى المستمر ولأن المجال الصحفى للتصوير الهزلى ليس واسعاً فان كثيرين ممن ساهموا في وضع الصور وظفوا ، أو أن صرفتهم أعمالهم الواسعة عنه ، وبقي في ميدانه الذين اختاروه في حرفة واختاروه محترفين .

أيها السادة :

تختلف مهمة الجرائد الكاريكاتورية عن الجرائد الأخرى تمام الاختلاف، وينحصر عمل الجرائد الكاريكاتورية فى البحث عن مواطن النقد فى الأعمال العامة وابرازها فى وجوه أصحابها وتكبير ما يكون صغيراً منها وإظهاره واضحا جليا ليراه الناظر اليه كأنما يراه فى أصله .

فليس من شأن المصور الكاريكاتورى أن ترى الحسنات .

والصور التى تتضمن المدح أو الثناء ليست إلا عيبا فنيا فاضحا فى التصوير الهزلى لا يهضمها الفن ولا يتذوقها .

ومهارة المصور الكاريكاتورى أو مهارة مديرى سياسة الجرائد الكاريكاتورية فى تصوير العيوب تصويرا يجعلها بارزة بقدر علاقتها بالجمهور وبالمصلحة العامة . ومن الناس من يكون مطبوعا على الهزل فتجىء ألفاظه صوراً كاريكاتورية ولا يتعمد .

ونظرة هؤلاء لها على صورهم التأثير الذى يكون لفطرة الشاعر على شعره أو لفطرة الكاتب على كتابته .

كان الفرزدق فى بعض الطريق فصادفه نبطى فقال له :

أأنت الفرزدق الشاعر ؟ قال : نعم .

قال إذا هجوني يموت ولدى ؟ قال : لا

قال أفيموت حمارى ؟ قال : لا

قال : أفتيموت امرأتى عائشة ؟ قال : لا

قال : أأموت أنا ؟ قال : لا

قال : فأنا من قدمى إلى عنق فى عين أم . . . (الا بعد) .

فقال له الفرزدق وهو مغیظ : ولم تركت رأسك خارجا .

قال : حتى أرى ما تصنع .

وكان غلام يستمع للفرزدق وهو يأتى قصيدة على جمع كبير ، فكان هذا الغلام

يصفق طربا ، فلما انتهى الشاعر الكبير من انشاده استدناه وقال له :

أأعجبك شعرى ؟

قال الغلام : لم أسمع مثله فى الجودة والرصانة والمعنى .

فدخل الفرزدق الزهو ، وقال للغلام :

أيسرك أن أكون أباك ؟ فقال الغلام :

أما أبى فلا أبتغى به بدلا ، ولكن يسرنى أن تكون أُمى !

ولو أن النبطى كان مصورا كاريكاتوريا لكان عنيقا بفطرته ، كما أن الغلام

لو كان مصورا كاريكاتوريا لكان رقيقا بفطرته .

ولو أن أهل رشيد درسوا فن التصوير الكاريكاتورى لبزوا العالم كله فيه ، فان

نواذرهم الهزلية وقنفشاتهم يصبح أن تكون صورا كاريكاتورية لا تحصى .

منها على سبيل المثال ان « رشيديا » قصد إلى محطة سكة الحديد ومعه ولده

الصغير وكان مستعجلا فسأل :

أى القطارات يقوم الآن ؟

فقال له : المفتخر فالأكبريس فالمستعجلة .

وظن الرجل ان « المستعجلة » هى اسرع القطارات فركبها .

وأزعجه أنها تسير الهوينى وتقف فى كل محطة ، فلما جاء السكوميسارى سأله

عن تذكرته قدم له (نصف التذكرة) الذى يركب به ابنه .

فقال السكومييسارى :

أتركب بنصف تذكرة وأنت رجل كبير ؟ فاجاب الرجل :
« مانا ركبت وأنا لسه قد كدا » و (أشار بيده اشارة الذى ركب وهو طفل صغير أى أنه كبير فى القطار) .

ومنها ان (رشيدية) ذكر أمامها اسم مغنية أو مغن نشأ ريفيا بسيطا وكسب الآلاف وأخذ يعد نفسه فى عداد الاورستقراطيين فقالت : مهما يكن فانه هو هو : يأكل بسكويت ويتسكره (دره) .

أيها السادة :

أنا أسوق هذه الامثال لتعرفوا أن ريشة المصور وحدها ليست كل شيء ، وان الصور التى نبغ بها المصورون انما كان الفضل فيها (للفكرة) فكلما كان المفكر (ابن بلد) كانت الصورة الهزلية ناضجة لاذعة وقد اصطلاح على أن الصورة الواحدة أنفع - إن نضجت - وأبقى أثرا من عشرات المقالات .

ووضع الصورة الهزلية متعب غاية التعب ، وواضعها يسهر الليالى ويكد ذهنه طوال الأيام لتجىء موفقة ، ولذلك يمكن القول بأن الصحف الكاريكاتورية لا تتفوق الا فى الحوادث السياسية الهامة أو فى الانقلابات الاجتماعية أو فى البرلمان الذى تكون جلساته حامية ، وإلا فان هذه الصحف فى الجوالهادى تعد نفسها فى اجازة وتكذب إن هى ادعت أنها تؤدى مهمتها .

والمصور ، ليضع صورة مضبوطة الملاح بارزة الأوضاع المقصودة منها ، يحتاج إلى جهود ونفوذ ، وإذا كانت قد نجحت صور فى مصر فلا نأكلنا نحمل الزعماء والسياسيين والوزراء وكل من فى طبقتهم من الرجال العموميين على الجلوس أمام المصور فى الوضع الذى يريده هذا المصور لا الذى يتطلبه مركز المصور ليرسم شذقيه على حدة وانفه على حدة وأذنه على حدة وفمه على حدة ولففته إلى اليمين أو إلى اليسار على حدة وهكذا ، حتى لا تتغير ملامح الوجه والشكل فى أى وضع أراد المصور أن يضع صورته .

ولعلمكم يا حضرات السادة تدركون صحة ذلك من وجوه الأشخاص الاولين واتقانها ، ومما يرسم الآن من وجوه السياسيين أو الرجال العموميين الحداثيين ، فان المصورين الهزليين يرسمون وجوههم من الصور الفوتوغرافية التى تنشر فى الصحف لا من دراسة نفسياتهم وتقليبهم على مختلف الأوضاع كما كان يحدث .

ولهذا تأتي صورهم الحديثة صناعية بعيدة من طبيعتها .

وإذا ذكرت (الكشكول) وأشارت إلى المتاعب التي لاقاها أصدقاؤه والمشتغلون فيه فيما سبق فأنما أردت أن أشير إلى أنه لم يعش في خدمة فن التصوير الهزلى إلا بفضل القضاء العادل وأحكامه وفضل الذين تولوا الدفاع عنه من حضرات المحامين الأفاضل ، فبقوة هذه الأحكام وتحت رايها أمكن أن يتشجع أصحاب الصحف الهزلية وأن ينهض فن التصوير الهزلى وأن تكثر صحفه وتتعدد ، وسيتبقى هذه الاحكام دستوراً لهذه الصحف ولأصحابها ما بقيت وبقى الفن .

وأرادت الصحف اليومية أن تزاخم الصحف الأسبوعية في التصوير الهزلى، ولكن أغلبه عدل عنه واكتفى بالتصوير الفوتوغرافى لا للنفقة ولا لقلة المصورين الكاريكاتوريين ، ولكن لأن الفكرة — دتمة جد التعب — ولا أنه أسهل على الكتاب أن يدبج عشرات المقالات من أن يحرق دماغه في فكرة كاريكاتورية لصورة واحدة .

أيها السادة :

خطا التصوير الهزلى فى أوربا خطوة جديدة ، فقد استعملوه فى الروايات الفكاهية السياسية على المراسح وأخذ الممثلون والممثلات يضعون على وجوههم أقنعة مرسوما عليها وجوه الكبراء والوزراء ورجال المال والاعمال والنواب . ولقد تناقلت الصحف أن بعض المراسح فى باريس أخرجت إبان الأزمة الوزارية الفرنسية الأخيرة رواية سياسية هزلية أبطالها رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء والنواب .

رفعت الستارة عن رئيس الجمهورية يضرب رئيس الوزراء شلوتا فإذا به يتدحرج حتى يصل إلى مجلس النواب .

ويتأقفه النواب ، فهذا يزغزغه وهذا يرمط به الأرض ، وآخر يخرج له لسانه، وغيره يحاول أن يشلحه من بنطلونه .

وبعد مدة تجد رئيس الوزراء واقفا يشكر النواب على ما لقيه منهم من العطف العظيم وعلى ثقتهم العالية ويعدهم أن يكون عند حسن ظنهم به .

ويصفق النواب ويرقصون مع رئيس الوزارة ورئيس الجمهورية على نغمات المارسييليز . ولا ينقصنا ليكون هذا عندنا إلا فرقة تمثيلية جريئة وإدارة مطبوعات واسعة الصدر ونيابة عمومية لا تجرى وراء كل ضائح .

أما القضاء فتتسع عدالة أحكامه للبرسح كما اتسعت للصحافة الهزلية من قبل في
حدود المصلحة العامة .
والسلام عليكم ورحمة الله .



المخترعات الحديثة في الصحافة

للاستاذ فؤاد صروف

رئيس تحرير المقتطف

أقيمت مساء يوم ٢٣ ابريل سنة ١٩٣٦

أيها السادة

ان الصحافة تجارة خاصة من ناحية ومهنة عام أو شبه عام ، من ناحية أخرى ،
فهى تجارة همها صنع عرض معين وتوزيعه وبيعه . وهى فى مقابل ذلك أحد
المنشآت العامة التى ينص الدستور على حريتها فى حدود القانون . فمن الناحية
العملية - تتأثر بأحوال العصر الاقتصادية واتجاهاته . ومن الناحية الثقافية تتأثر
كذلك بالأفكار الاجتماعية السائدة والمثل الوطنية والدولية التى ترنو اليها الشعوب ،
ان نجاحها فى ميدانها التجارى يقاس بارباحها الصافية فى آخر السنة . واما نجاحها
من ناحيتها الاجتماعية ، فمرهون بنوع الاخبار التى تذيبها والآراء التى تؤيدها
والتسليمة التى تبيحها للجمهور القارىء .

الا أنها ، سواء نظرنا اليها ، من الناحية الخاصة ، أو من الناحية العامة ،
لايسمح ان تقف بمعزل عن روح العصر وأساليبه . ولا بد لها من أن تأخذ
بأسباب المخترعات الحديثة ، التى جعلت تيار العمران سريع المجرى ، متدافع
الأمواج . فاننا بفضل هذه المستنبطات الحديثة ، فى المحادثات والمواصلات
على وجه من التخصيص - أصبحنا ، ولا صبر لنا على البطء فى شىء . فالمسافات
الشاسعة ، نريد أن نجتازها بالطائرات ، ولا نكتفى بالقطار ولا بالسيارة .
والأنباء من البلدان النائية نريد أن نتلقاها بالتلغراف ، ونفضل اللاسلكى .
وقد أثر هذا فى اخلاق الاحداث . فالفقير يريد أن يتعجل اليوم الذى يصبح فيه
رجلاً أو يعامل معاملة الرجال . والفتاة تستبق الساعة التى تمكنها من أن تصبح
لأمها أختاً وصديقة . والامم تقطع الاوصال التى تربطها بالماضى ، لتجارى

الامم السابقة في ميدان الرق . وهي تحاول أن تختصر عصورا من التقدم في بضع سنوات .

ولما كانت الصحافة مرآة للحضارة في بلد من البلدان ، بل مرآة للحضارة في جميع البلدان ، وجب عليها أن تدخل أسباب السرعة . إلى مخادع كتابها ومراسليها ، وإلى الحجر التي تنضد فيها حروفها ، وتطبع صفحاتها وتوزع نسخها السرعة ديدن وشعار

تصوروا ادارة صحيفة لا تزال جارية على نظام العهد القديم . يجتمع المحرر ببعض الرجال من أصحاب المسكنة في البلد ، في ناد أو مجتمع خاص ، فيتناقش معهم في شؤونه السياسية والعمرانية ، فيكتب في ذلك مقالة أطول من ليل المعنى ، يتقف فيها من الأمة موقف الخطيب أو المعلم أو الواعظ ، ثم يدفع بالمقال إلى عمال ينضدون الحروف باليد ، فإذا انتهى العمال من تنضيد الحروف ورتبت صفحات الجريدة ووضع بعض الصفحات على بلاطة مطبعة مسحطة تدار باليد فتطبع ناحية واحدة من عدد الجريدة ثم ترفع هذه الصفحات وتوضع محلها الصفحات التي تقابلها على الوجه الثاني فيطبع الوجه الثاني من الجريدة ولا تكون سرعة الطبع أكثر من ألف في الساعة ثم تؤخذ هذه النسخ وتطوى باليد ، وتوزع بالبريد على المشتركين ، وإذا نشر صاحب الجريدة شيئا من أخبار البلدان المجاورة أو البعيدة انتظر وصول البريد بالسفينة أو القطار لينشر رسالة مضي على كتابتها أسبوع أو أكثر ، وقد تكون الأيام دارت دورتها وآلت إلى حوادث تنقض ما انطوت عليه تلك الرسالة من وصف للحوادث أو بسط للأراء .

لذلك جعلت جريدة « بروكان إيغل » الأميركية شعارها « أنباء اليوم اليوم » To-day s news to-day وهي كغيرها من الصحف العصرية في أميركا وإنجلترا وفرنسا واليابان تتكبد نفقات طائلة في سبيل ذلك ، وقد لا نستطيع أن نصدق ما يرضيه تحقيق هذا الشعار من النفقة إلا إذا اطلعنا على صحيفة نيويورك تيمس الأميركية مثلا ، وقرأنا فيها مقالات برمتها تنقل إليها كل يوم من مراسليها في جميع أقطار المعمورة على أجنحة الأثير أو بأسلاك البرق .

من منا يطيق أن يقرأ صحيفة من الطراز القديم الذي وصفته لكم ، من منا لا يطلب في مقدمة ما يطلبه في الصحيفة التي تعود مطالعتها انباء تليفونية عما هو حادث في أنحاء القطر المصري وجيرته وسائر اقطار العالم في ميادين السياسة

والاقتصاد والعلم والرياضة والفن وغيرها، من منا لا يفتح صحيفته كل صباح ليطلع
نتيجة انتخاب أو اقتراع اللبلة السابقة أو نتيجة مباراة في الملاكمة أو التنس ختمت
في لندن أو نيويورك قبل بضع ساعات، وإذا لم يجد تلك النتيجة باء كاسفا أسينا لان
جريدته لا تلبيه، إن الصحيفة التي لا تستطيع أن تجدل السرعة والدقة ديدها وشعارها
في جمع الاخبار وإذاعتها ليست بالجريدة التي تستطيع أن تثبت طويلا في ميدان
المنافسة التجارية، ولو حوت كل ثمانية الأواين والآخرين، لأن الجمهور الذي
يقرأ، أصبح وهو لا يصبر على البطء في شأن من شؤون الحياة.
فما هي أهم المستنبطات الحديثة التي لا غنى للصحف عنها، أو التي تضافرت
على رفع الصحف الغربية وبعض الصحف الشرقية إلى أعلى مقام؟

المطبعة الدوارة

أولا - المطبعة: ولا أريد بالمطبعة المبدأ الذي كشف عنه جوتنبرج، فالصحيفة
البطيئة التي تقدم ذكرها كانت تطبع بمطبعة أرقى جداً من مطبعة جوتنبرج.
ولكن طابعيها لم يكن في وسعهم أن يطبعوا منها سوى نسخ محدودة في ساعة من
الزمان. إلا أن ارتقاء وسائل المواصلات وتقدمها، وانتشار التعليم وازدياد
عدد القراء. كل هذه العوامل قد تضافرت على توسيع انتشار الصحف، فالمطبعة
التي تدار باليد والتي تطبع صفحة واحدة من الجريدة ثم الصفحة الأخرى من
كل عدد على حدة لا تستطيع أن تلبي الطلب، لذلك استنبطت مطبعة تسد الحاجة من
هذا القبيل، وهي على اختلاف في التفصيل بين أنواعها المختلفة تقوم على بضع قواعد
أساسية: فالحروف إذا نضدت باليد وجمعت صفحة وورصفت الصفحة قرب الأخرى
كان من المحتذر أن تطبع من هذه الصفحات شيء ما إلا إذا بقيت الصفحات على
بلاطة من الحديد مستوية كل الاستواء لأن أقل محاولة لتغيير استواء صفحة الحروف
يفك الحروف وينثرها، أما في المطبعة الجديدة فتتخذ الحروف ثم يصنع لها قالب
من الورق المقوى بأساليب خاصة بطرق هذا الورق المقوى على الحروف، وهي
بارزة كما لا يخفى، فيكون مكان الحروف غائراً في هذا الورق المقوى ثم يؤخذ
هذا القالب ويوضع في آلة خاصة فيتخذ شكلاً نصف اسطوانى وبعد ذلك تصب
فوقه طبقة من مزيج أو خليط معدني، خاص، من الرصاص والقصدير والانتيمون،
ويكون هذا الخليط مصهوراً، فيملأ كل منخفض في قالب الورق المقوى ويخرج
قابلاً معدنياً نصف اسطوانى الشكل، فيه حروف بارزة تقابل الحروف الأصلية
ولكن الفرق بين الاثنين، أن الحروف الأولى مفككة - وهذه كلها متماسكة في

لوحة واحدة ، الأولى مستوية وهذه نصف اسطوانية. فإذا صنعت صفحات الجريدة كلها على هذا النمط . توضع القوالب على اسطوانات خاصة في ماكينات الطباعة ، ثم تدار الماكينة ، فتقوم المحابر قيما ذاتيا بتجوير وجوه هذه الصفحات ، وتلتهم المطبعة الورق من لفائف ضخمة ، فيمر الورق المناسب في الماكينة أمام هذه الصفحات ، فيضغط عليها ضغطا خفيفا ، فتطبع الجريدة ولو كانت صفحاتها عشرين أو ثلاثين أو حتى أربعين أو خمسين صفحة ، وتقطع كل عدد من الجريدة عن أخيه ، وتخرجه مطويا جاهزا للبيع ، بسرعة تختلف من عشرة آلاف إلى عشرين ألف نسخة في الساعة .

يتقف المشاهد أمام الفتحة التي تخرج منها الأعداد فيكاد يعجز ، أو هو فعلا يعجز عن احصائها بعينه ، ولذلك تجد في بعض الماكينات ، عدداً خاصا ، يقرع صوتا معينا كلما أخرجت المطبعة مائة عدد من الجريدة ، فيأخذها العامل الواقف أمامها ويعطيها لآخر فيرزمها في رزمة على حدة استعدادا للتوزيع والمطابع التي تقوم على هذه القاعدة تعرف بالمطابع الدائرة أو الدوارة ، وتعرف بالانكليزية باسم Rotaries وبالفرنسية باسم Rotatif

لفائف الورق

ثانيا - ولكن هذه المطبعة لا تجدى الصحافة الحديثة نفعا ما . إلا اذا كان الورق في لفائف ضخمة ، لافي رزم كل رزمة منها قطع من الورق مفصول بعضها عن بعض . وهذا يرجع بنا إلى صناعة الورق وتقدمها . وليس يتسع أمامي المجال الآن ، الا لاجمال المبدأ في صناعة الورق ووصف موجز لما رأيته في أحد معامله الكبيرة في انجلترا

فالمبدأ الذي بنيت عليه صناعة الورق هو استعمال الالياف الخشبية الدقيقة التي في جدران الخلايا النباتية ، سواء أكانت تلك الالياف من خرق قطنية أو نباتية أو من جذوع أشجار أو من أنواع خاصة من القش . تؤخذ الخرق القطنية والكتانية مثلا وتنظف وتقطع وتبل وتغلى حتى تتحول ربا ، ثم يؤخذ هذا الرب ويوضع في مرجل كبير ، ويغمر بماء حار نقي ، اذ تبث فيه العودا ، وتضرب جيدا بأجهزة خاصة ، حتى تنقطع الالياف ، ثم تلون أو تترك على لونها المصفر ، أو تقصر أي تبيض وفقا للطلب ، ثم تضاف اليها مادة غروية تمسك الالياف الخشبية معا متى جفت ثم يحل كل هذا حتى يصير الرب الكثيف ، وهو أ كنف قليلا من الماء . فيمر في آلة كبيرة طويلة ، وهو طبقات رقيقة ، تختلف ثخانتها باختلاف

ثخانة الورق المطلوب ، فتبخر الآلة الماء رويدا رويدا ، وتترك الألياف والغراء ، فتسبك معا وتصبح ورقا .

وقفت من سنوات أمام آلة من هذا القبيل ، في مصانع دكنسن الانكليزية المشهورة ، حيث يصنع جانب كبير من ورق الحكومة المصرية ، فرأيت الرب المحلول في الماء يدخل أحد طرفي الآلة ، ماء أو شبيها بالماء ، فيمر في أجزائها المختلفة ، وهو كلما تقدم فيها صار أقرب إلى الورق وأبعد عن الماء ، ويخرج في نهايتها بعد مسيرة عشرين قدما أو ثلاثين ورقا منسابا ، صالحا للاستعمال ، ملفوفا لفائف ضخمة ، هي من الأركان التي تقدم عليها صناعة الصحافة الحديثة .

منضدات الحروف

ثالثا - كانت الصحف أولا ، نشرات صغيرة ، تنضد حروفها باليد ، وكانت لصغرها لا يعيتمها هذا التنضيد البطيء . فلما صار حجم الصحف يتباين من ١٦ صفحة إلى ٣٢ إلى ٤٠ صفحة أحيانا ، صار لاندحة عن استنباط وسيلة ميكانيكية تمكن القارئ على اصدار هذه الصحف ، من تنضيد الحروف في أقصى سرعة مستطاعة ، فاستنبطت لذلك الآلة المعروفة باسم « اللينتيب » واتقنت ، وهي شبيهة بالآلة الكاتبة ، أو المسكتاب (التيب ريتير) ، لها مفاتيح عليها رسوم الحروف المستعملة . فاذا قرع الكاتب على أحد هذه المفاتيح ، خرج من خزانة خاصة في الآلة ، قالب نحاسي حفر فيه شكل ذلك الحروف . وتعرف هذه القوالب بالأمهات فاذا تم جمع الأمهات الخاصة بسطر معين ، رفعت بالضغط على جهاز خاص إلى امام مخزن آخر ، فيه الخليط المعدني . الذي تصب منه الحروف ، فيصب من هذا الخليط سطر كامل فيه الحروف التي نضدت أمهاتها بالضغط على المفاتيح . وبعد ذلك تفرق الأمهات تفريقا أوتوماتيكيا ، فيذهب كل حرف إلى المخزن الخاص به ، ويسقط السطر الذي صب في جانب خاص من الآلة ثم تليه السطور الأخرى وانتم تعلمون أنه في استطاعة البارعين من الكاتبين على المسكتاب أن يطبع أكثر من مائة كلمة في الدقيقة . فتصوروا السرعة التي تنضد بها حروف الصحف التي تعتمد على هذه الآلات المنضدة للحروف ، ويقدر في دوائر الصحف الأميركية ان العامل على منضدة الحروف يحل محل أربعة أو خمسة من العمال ، الذين ينضدون الحروف باليد . فاذا دفعت بمقال لعامل ينضد الحروف باليد واستغرق في تنضيد حروفه ساعة من الزمان تمكن العامل على منضدة الحروف الميكانيكية أن يفعل ذلك في ربع ساعة على الأكثر .

ومن مميزات هذه الآلة ، ان كل حرف يستعمل في طبع الجريدة ، حرف جديد ، كأنه خارج من المسبك ، في حدوده ومعاله ، فيخرج الطبع به جليا واضحا ، لانه بعد استعمال الحروف المنضدة كذلك يعاد صهرها ، واستعمال معدنها المصهور في صب حروف أخرى . يقابل ذلك ان الحروف التي تنضد باليد ، تفرق بعد الاستعمال ، ثم تنضد ثانية وثالثة ورابعة شهورا متوالية ، حتى تفقد معالمها الواضحة ويصبح الطبع مطموسا أو غير واضح في بعض الأحيان . وقد أتيت لى زيارة جريدة نيويورك تيمس من سنوات فرأيت فى « الغنبر » الذى يحتوى على منضدات الحروف - ثمانين منضدة تشتغل ليل نهار ، مع تبديل العمال طبعا .

وكان يؤخذ على هذه الآلة المنضدة عند الشروع فى استعمالها ، قلة أشكال الحروف التى تستعمل فيها . لان زيادة عدد الامهات ، يجعل الآلة معقدة كثيرة النفقة . ولكن المستنيطين ، تداركوا ذلك ، فصنعوا آلات خاصة للعناوين والاعلانات ، وهى مما يقتضى استعمال أشكال مختلفة من الحروف . وقد شاهدت فى ادارة النيويورك تيمس ، إحدى هذه الآلات فاذا هى من عجائب البراعة والاتقان .

فعلى لوحة هذه الآلة ، مفاتيح بأشهر أنواع الحروف التى تستعمل فى العناوين والاعلانات المنمقة Displayads يرسم المصدر الاعلان أولا ، ويكتب ازاء كل سطر من سطوره ، نوع الحروف التى يجب أن يجمع بها ، فينقر العامل باصبعه على تلك الحروف ، فيحرك قضيبا والقضيب يحرك دبوسا ، يشق ورقة أمامها فى شكل اسطوانى . وحينما ينتهى العامل من عمله ، تكون هذه الاسطوانة الدرقية ، قد أصبحت كثيرة الثقوب وهى أشبه مايكون بملف « البيانور » فتؤخذ وتدفع فى آلة فيها مزيج من الرصاص والقصدير والانتيمون ، وهى المعادن التى تدخل فى الخليط المعدنى ، الذى تصنع منه الحروف ، فتسبك الحروف فى الشكل الذى أشار به الرسام ومدير الاعلانات .

وقد استنبطت من سبع سنوات آلة عجيبة ، يتمكن بها الصحفي من تنضيد الحروف عن بعد وتعرف باسم Teletypesetter أى منضدة الحروف التلغرافية أو منضدة الحروف عن بعد ، ولا أعلم مدى استعمالها الآن ، وانما أرجح أن أكثر استعمالها ، فى ملاحق الجرائد الرياضية . فالصحف الفرنسية - وبوجه خاص الصحف الاميركية والانكليزية - تعنى عناية خاصة بأبناء الألعاب والمباريات

الرياضية على اختلافها ، وتنافس في السبق إلى اعلان نتائجها ووصفها ، وعلاوة على تنافسها بعضها مع بعض ، يجب ان تنافس مذيعى محطات الاذاعة اللاسلكية الذين يجلسون في شرفات تطل على ساحة اللعب ويصفونه دورة دورة . فهذه الآلة الجديدة ، أى « منضدة الحروف عن بعد » ليست فى الواقع الا منضدة الحروف نفسها (أى الليزوتيب) وقد شطرت شطرين : شطرا فيه لوحة المفاتيح ، يأخذه المكاتب معه إلى ميدان المباراة ، وينقر وصفها على مفاتيحه أول أول ، ثم تنتقل تأثيرات النقر على المفاتيح إما بواسطة اتصال سلكى ، أو بواسطة اتصال لاسلكى ، إلى الجزء الثانى من الجهاز الباقى فى دار الصحيفة ، وهو الذى يحتذى على الامهات والحليط المعدنى المصهور ، فتتضد الحروف ، حتى إذا انتهت المباراة ، كان وصفها المفصل معدا للطبع ، فيصدر الملحق ، بعد انتهاء المباراة بدقائق معدودة .

وسائل الانباء

ننتقل الآن إلى المخترعات الحديثة التى كان لها شأن كبير ، ولا يزال ، فى جمع الانباء من أربعة أقطار المعمورة ونقلها .

أما التلغراف والتلفون السلكيان فعروفان لديكم جميعا ، وكذلك التلغراف والتلفون اللاسلكيان ، ونقل الصور السلكى واللاسلكى ، وقد أضيفت جميعها إلى أساليب نقل الأخبار فى الصحف الحديثة .

ولا أبغى أن أتولى هنا بسط القواعد العلمية ، التى بنيت عليها جميع هذه المخترعات ، فان وصف مخترع واحد منها قد يستغرق أكثر من محاضرة واحدة ، ولكننى أجهل القول فى ارتقاء وسائل المخاطبات ، ثم أصف لكم مثلا أو مثلين ، يدلان على مدى اعتماد الصحافة العصرية على هذه المخترعات العجيبة .

فوسائل المخاطبات اجتازت فى ارتقاءها من فجر التاريخ إلى يومنا هذا ثلاث مراحل : الأولى لما كان التخاطب يتم بالإشارات أو بالكلام أو برسول يعتمد على مضاء ذاكرته . والثانية لما استنبطت الكتابة فصار فى الامكان ارسال رسائل مكتوبة يكتبها فيها بعض الكتمان أو الكتمان كله ، ومن ثم صار ارتقاء رسائل التخاطب مرتبطا بارتقاء المواصلات ، فاستخدمت الجياد والهربات والسفن الشراعية أولا ثم البواخر وسكك الحديد ثم الطائرات والبلونات .

أما المرحلة الثالثة فهى المرحلة التى بدأ فيها المستنبطون ، بتحويل الكلام إلى إشارات كهربائية تنتقل من غير أى تقييد بسرعة الناقل سواء أكان حاملا من حمام

الزاجل أو رسولا أو باخرة أو طائرة . والارتقاء في هذا النوع من وسائل
التخاطب من أهم ما اتصف به القرن التاسع عشر وما انقضى من القرن العشرين ،
وقد كان نقل هذه الاشارات أولا بالسلك ، ثم على متن أمواج الاثير أو بكليهما
معا . وهذا النقل السلكي واللاسلكي ، من أهم الأركان التي تقوم عليها الصحافة
العصرية الراقية .

فما من حادث يقع في ناحية من انحاء الأرض أو في أعلى طبقات الجو أو في
سفينة تتقاذفها الأمواج في عرض البحر ، الا وتنقل أنباؤه على متن الأسلاك
البرقية أو على أجنحة الأمواج اللاسلكية . فوسائل المخاطبات الحديثة صغرت
الأرض وقربت الشعوب والأهم بعضها من بعض حتى أصبحت وكأنها ، من
هذا القبيل ، أمة واحدة ، وللصحافة في ذلك شأن عظيم ، لأن رسلا يجمعون الأخبار
ويرسلونها فتتضد وتطبع وتذاع بعد حدوثها بساعات أو سويحات ، فيقرؤها الجمهور
ويحس كأن الحادث واقع ببابه ، وعندى أن هذا العمل من أجل الأعمال العمرانية
شأننا ، إذا تنزه عن الغرض الضيق والمأرب الخسيس لأننا حين نخرج من حدود
ذاتنا الضيقة بتوسيع أفق نظرنا إلى الحياة ينطلق الفكر من أغلال التحزب والتشيع
الوطني والتاريخي والاجتماعي ، وهذا الانطلاق إذا عرف أرباب الصحف كيف
يربونه على خير وجه كان أمثا دعامة من دعائم السلام .
والآن أريد أن أصف لكم بعض الأمثلة على مكانة وسائل المخاطبات السلكية
واللاسلكية في الصحف الحديثة .

دخلت في ذات مساء من صيف ١٩٢٤ جريدة نيويورك تيمس بنيويورك فذهب
بي أحد المحررين إلى غرفة التلغراف اللاسلكي فرأيت رجلا جالسا وعلى أذنيه سماعة
مزدوجة وأمامه آلة كاتبة ، فقلت إلى ماذا تصغي؟ قال إلى محطة باريس — قلت وما
يذاع؟ قال خطبة مكدونلد ، وكان مكدونلد أيها السادة رئيس الوزارة البريطانية
حينئذ ، في جنيف ، يلقي خطبته المشهورة في جامعة الأمام في موضوع التحكيم ونزع السلاح .
والتفت إلى ناحية أخرى في تلك الغرفة ، فرأيت آلات كاتبة عدة تنقر من تلقاء
نفسها حروفا وكلمات على ورق ينساب على اسطوانتها الدائرة ، ففعلت بذلك وسألت
فيه ، فقيل لي هذه آلات كاتبة ، متصلة رأسا بشركات الأخبار الأميركية وفي
مقدمتها الأسوشيتد برس ، فإنه عند ما تتلقى هذه الشركات انباء جديدة لا تطبعها
على ورق وتوزعها كما تفعل شركات روتروها فاس بالقاهرة ، بل انها ، توفيراً
للوقت ، تبعثها إلينا وإلى من كان مثلنا مشتركا فيها بهذه الوسيلة ، وهي في الواقع

تلغراف متصل بمكتب، توفيراً للوقت واقتصاداً للعناء، وهذا المكتب التلغرافي يستطيع أن يتلقى من الاسوشيتد برس ستين كلمة في الدقيقة، فالجريدة الكبيرة تستطيع أن تتلقى في خلال ثمانى ساعات من الانباء ما عدد كلماته ٨ آلاف كلمة، بهذا الجهاز .

لقد سمعتم جميعاً باسم الاميرال برد الاميركى الذى كان أول من طار إلى القطبين، طار إلى القطب الشمالى سنة ١٩٢٦ وإلى القطب الجنوبى سنة ١٩٢٩ .

ففى الرحلة التى رحلها إلى القطب الجنوبى سنة ١٩٢٩ اتفق مع إدارة نيويورك تيمس لقاء مبلغ كبير من المال على أن يخصها بانبائه عن طريق الارسال اللاسلكى، لكن أعجب ماتم له ولها فى هذا الصدد هو أنه استقل طائرته فى أحد الايام ومعه رجلان مصور وعامل لاسلكى — وطار ميمما القطب الجنوبى وإذ دلت البوصلة على أنه فوق القطب كان العامل اللاسلكى قد اتصل بمحطة نيويورك تيمس بواسطة التليفون اللاسلكى ودار حديث بين ذلك الانسان المحلق فوق القطب والانسان الآخر الجالس على مقعد وثير فى نيويورك، والمسافة بينهما عشرة آلاف ميل .

وبينها زرت جريدة المنشستر جارديان بمنشستر فرأيت فيها ما لم أره قبلاً فى جريدة أخرى، مع أنه قريب جداً من الجهاز الجامع بين التلغراف والآلة الكاتبة الذى وصفته لكم، ذلك أن لادارة هذه الجريدة مكتباً خاصاً كبيراً فى لندن . ورجال هذا

المكتب أعضاء فى قلم التحرير العام . ويصل ادارة الجريدة فى منشستر بمكتبها بلندن خط تلغرافى يستطيع أن ينقل عدة رسائل تلغرافية فى آن واحد، سواء أكانت ذاهبة جميعها من منشستر إلى لندن أو آتية جميعها من لندن إلى منشستر أو ذاهبة أو آتية معا . وفى هذا الجهاز جزء كهربائى خاص، بارع التركيب يفصل الرسائل بعضها عن بعض. وفى غرفة الاستقبال فى مكتب منشستر جارديان خمس آلات كاتبة تتلقى هذه الانباء بعد فرزها بعضها عن بعض وتطبع كل رسالة على حدة . وإذ كان مدير هذا المكتب يشرح عمل هذا الجهاز قال: لنسأل مثلاً عن حالة الجو فى لندن، ومال إلى المائدة أمامه وضغط على بعض أزرار هناك رسالة تلغرافية بشفرة مورس، مؤداها: كيف حالة الجو عندكم؟ وفى أقل من دقيقة كانت إحدى الآلات الكاتبة امامى تكتب ما يأتى: الجو صاف والشمس مشرقة والهواء دافئ .

أساليب التصوير وطبع الصور

وتوزيع الجريدة

ولا يخفى عليكم ان الجريدة العصرية عادت لا تكتفى بالانباء مكتوبة ، بل صارت تميل كثيرا الى الانباء مصورة ، وقد كان نشر الصور في العهد الماضي صعبا جدا ، لان صنع الكليشيات كان يجب ان يتم على الخشب أو النحاس باليد ، ولكن اتقان أساليب التصوير الضوئي ، والحفر الزنكغرافي ، وما اليه من أساليب الحفر المختلفة ، جعل نشر الصور في الصحف اليومية أمرا ميسورا ، على ما فيه من مشقة ، تلازم كل أعمال الصحفي .

وفي العهد الأخير استنبطت وسائل نقل الصور بالتلغراف السلكي ، وبالتلغراف اللاسلكي ، حتى وبالتلغراف ، فمن نحو سنتين ، لما تمت المباراة الجوية بين انكلترا وأستراليا ، تمكنت جريدة الديلي اكسبريس من نشر خبر وصول الطيارين السابقين وصورة وصولهما ، في عدد واحد .

جميع هذه الاجهزة ، تحتاج في بسطها إلى وقت ، ولعل أحد اخواننا المشتغلين بالصحافة المصورة ، يجعل الصحافة المصورة موضوعاً لمحاضرة يلقيها علينا . أما أساليب التوزيع ، فليس فيها شيء جديد الا استعمال السيارات كثيراً والطائرات أحيانا ، علاوة على القطارات . ولكن استعمال هذه الوسيلة أو تلك يتوقف على طبيعة البلاد التي توزع فيها الجريدة بقيت لي كلمة واحدة :

قد تنفق الأموال الطائلة ، في ابتياع الدور الفخمة ، والمنضدات والمطابع الحديثة ، وقد تستخدم الاسلاك والامواج في نقل الانباء والصور ، والسيارات والطائرات في توزيع أعداد الجريدة ونشرها . ولكن وراء كل ذلك عمل الرجل :

الرجال الذين لا يصدهم صاد عن تسقط الاخبار وتمحيصها ، الرجال الذين يعلقون عليها بأراء حصيفة صادرة عن علم واسع واخلاص جم ، عن بداهة مصقولة بالاختبار ، واستقلال قائم على السعى في سبيل النفع العام ، الرجال الذين يقيمون باختيارهم من ضمايرهم وعقولهم مجلس رقابة يجرون على قضائهم ويفهمون ان الصحافة ، مع كونها تجارة ، يجب الاتبور ، هي كذلك أمانة اجتماعية معلقة بأعناقهم ، ويجب أن يؤدوا الامانة حقها ، فاذا أقبل المحررون جميعا من الرئيس إلى أصغر المصححين على أعمالهم بهذه الروح ، فالصحافة خير ، وتستحق أن يسبق عليها لقب « صاحبة الجلالة »



الاطع اللغوية الاصطلاحية والمطبعة

للأستاذ محمد مسعود بك

ألقى مساء يوم ٢٧ أبريل سنة ١٩٣٦

سيداتى سادى

اخترت أن يكون موضوع محاضرتى الليلة كلام فى الأخطاء اللغوية والاصطلاحية والمطبعة، لأنى رأيت القائمين بصناعة الصحافة ينشدون فيها المثل الأعلى للاتقان، ويتوثبون إلى سدره منتهى الاحسان والاجادة فوددت لو أن يكون أول مظاهر جهودهم فى هذه السبيل بروز صحفهم من خدرها كل يوم نقية الذيل من شوائب الأخطاء لتكون كمثال المثل العبرى، يخرج من تحت سنان قلبه الفولاذى صقيلا جميلا كالخسنة فى ليلة جلاؤها

واذا كنت قد آثرت هذا الموضوع على غيره من الموضوعات المتصلة بالصحافة، وهى جماء العدد متشعبة المناحي، وأغلبها يغرى الباحث بطرق أبوابها، فما هو إلا لأننى بعد تلك الامنية التى منيتها لخبر الصحافة أوقن أن الخطأ العلمى أو الادبى، ولو كان مرده إلى الجهل أو السهو، يبقى دينافى عنق صاحبه لا يبرأ منه إلا بالفئة العاجلة إلى الصواب فيه، بعد أن يعلم ما جهل ويتذكر مانسى

نعم ان الخطأ يبقى معلقا بعنق المخطئ اذا تجلى له وجه الصواب فيه فاستهتر ولم يأخذ به، أو استكبر ولم يأبه له، لان الخطأ فى العلم كالخطأ فى الحقوق العامة، عمل ضار بالغير ولو لم يقصد به إلى نفع ذاتى أو مغنم خاص، ومن ذلك أنه يضمر ناشئة المدارس لأنهم دائماً يعتقدون الصواب فى كل ما يلقونه عن الصحف ف يأخذون به على علاته من غير ملاحظة ولا تمحيص ولا نقد. فتنتشر الأخطاء بينهم وتنساب إلى غيرهم بالتناقل والتداول فيكون من شأنها ما يكون من الداء الوبى اذا استقرت جرثومتها فى بيئة لا يلبث لوثها أن ينتقل إلى ما يحاورها من البيئات

والخطأ، قل أو جل، واحد تجاه التزام المخطئ بالرجوع فيه إلى الصواب بل بالعمل على ترويجه والدعوة إليه حتى يستقر فى الازهان وينقش فى الصدور ويأخذ مكانه بين الحقائق التى لا مرية فيها.

تلك هي عقيدتي في تصحيح الاخطاء ووجوب الانزام به كدين يتحتم وفاؤه،
وإني وقد انبريت لمعالجة الموضوع انما أعمل بوحى هذه العقيدة ، لا لغمط أحد
أو الازدراء به ولا للازدهاء بمعرفة لا أملك منها قليلا، وأما لا أقضى حاجة في نفسي
وهي أن أرى الصحافة المصرية في رقيها الأدبي مسايرة لها في رقيها المادى

* * *

أخطاء الصحف ؛ أيها السادة ؛ صنفان : أحدهما مصدره المحررون والمترجمون
والمبتدعون من الكتاب ومردده غالبا إلى الجهل أو السهو والثاني مصدره الطابعون
أى منضدو الحروف ورؤساؤهم ومردده أولا إلى طبيعة الحروف العربية وكثرة
عددها وتشابهها، ثم إلى جهل الطابعين أصول صناعتهم وعجز منضدى الحروف منهم
عن ادراك معنى ما ينضدون حروفه لأن سوادهم تعلموا رسم الحروف في المطابع
لا في المدارس، فهم يجهلون بسائط العلوم العربية من نحو وصرف وغيرها .

والخطئون من الطبقتين لا جناح عليهم ، إلى حد ما ، فيما يخطئون ، مادام عليهم
من أصحاب الصحف رقباء على أعمالهم مفروض أنهم يوجهون تصرفاتهم إلى ناحية
الاتقان والكمال ، ومن رؤساء التحرير مرشدون مسئولون عن أخطائهم ، ويجب عليهم
لدرء هذه المسؤولية ان تتحرك في نفوسهم الاريفية إلى ضبط عملهم والتوفر على
اتقانه بذرائع أقامها أن يحصوا على هؤلاء أخطاءهم ويأخذوهم بتصحيحها أول أول
وينتقوا الطابعين من المتعلمين الذين فازوا من علوم الوسائل في اللغة العربية بقسط
يقيم مساقط الاخطاء ومعاثرها .

* * *

والاخطاء في الصحافة المصرية ليست تراثا ورثته عن صحافة الربع الأول من
هذا القرن فيما قطعتته من أشواط بخطواتها المستخذية العائرة وانما هي طغيان
الجانب المادى منها على الجانب الأدبي وقصر العناية فيها على الوضع دون الموضوع
كأنها ليست تقيصة لاصقة بها دون غيرها من صنوف المطبوعات كالكتب التي
يتسع الوقت عادة لبرازها في ثوب قشيب من الصحة والصواب، ومع ذلك لا يكاد
يظهر كتاب في عالم المطبوعات حتى تكون في الاخطاء مشورة على صفحاته تأخذ
الابصار بلائها المشرق .

نعم لم تكن الصحافة المصرية أثيرة الاخطاء دون المطبوعات غيرها، ولكننا مع
هذا نبغى لها الكمال الذى يكفل لها أن تصبح من هذه الناحية على صعيد واحد مع
الصحافة الاوربية التي اجتازت دور التعثر في الاخطاء بفضل سهرها المتواصل

على الخلاص من ربقتهما، وقد بانح من أمر ذلك انكم تقرأون الصحيفة الأوربية
قراءة تمنع واستقصاء فلا يجد أحدكم خطأ في كلمة ولا حرفاً صاعداً أو هابطاً
أو منزعاً من حيزه يمنة أو يسرة مع أنها تكون من كبريات الصحف التي تصدر
في بضع عشرات الصفحات أي بضع مئات الأعمدة للعدد الواحد منها .
ولعلكم سمعتم بقصة ذلك الصحفي الإنجليزي أو الأمريكي الكبير الذي أُرصد
مبلغاً كبيراً من ماله لمن يهديه إلى خطأ أياً كان في جريدته الكبيرة؛ فهل لنا أن
نتمنى لصحافتنا التوفيق يوماً ما لمنح هذه الجوائز لمن يتتبع سقطاتها ويتلمس غلطاتها .

أيها السادة - قلت فيما تقدم إن الأخطاء بمختلف أنواعها لم تقتصر على الصحف
بل عدتها إلى الكتب مع أن الكتب على خلاف الصحف تطبع في متسع من الوقت
وبعد مراجعات كفيفة لمجانبة الخطأ فيها ، ولهذا المناسبة أراني في حاجة إلى
الانضواء إليكم بكامة استظرادية في موضوعها سوف نلمحون منها فداحة المسؤولية
التي تبهدل عواهل الناطعين الذين لا سبيل لهم إلى التوصل منها بما يمكن أن يلتحلوه
من ضيق الوقت أمامهم لا يزال مطبوعاتهم عاطلة من الأخطاء .
طغى سيل الأخطاء على الكتب بأنواعها، من مدرسية وغير مدرسية؛ فأصبحت لا يخلو
أحدها من فهرس الخطأ والصواب في أوله أو آخره ، لا يتناسب عدد صفحاته
مع بقية صفحات الكتاب وقد جرف ذلك السيل في مسيله الكتب المنزلة قبل
غيرها؛ فالقرآن الكريم، مع ما يتحراه الطابعون له في مصر وغيرها من التدقيق المطابق
في تصحيحه؛ ليخرج من بين أيديهم مصونا من الخطأ؛ قد وقعت الأخطاء في طبعات
كثيرة منه متناولة رسم الكلمات أو حركات الحروف أو ما جرى مجرى ذلك حتى قضت
الحالة بإبادة النسخ المطبوعة منه بالغة ما بلغت مقاديرها ونفقاتها .
حدث في العقد الأول من هذا القرن العشرين ان عهدت وزارة المعارف إلى
أحدى المطابع الحجرية في فيينا طبع خمسين ألف نسخة من المصحف الشريف فلما
ثبت لها أن أخطاء طفيفه من قلم الناسخ اندست فيه أمرت بالتقائها في البحر منذ
وصول الباخرة الإسكندرية .

وكما يقع ناسخو القرآن الكريم وطابعوه في أخطاء نسخية أو مطبعية، على الرغم
من حرصهم ويقظتهم نرى الكثيرين من حفظته أو مستظلمي طائفة من سوره
وآياته تخونهم الحافظة في معرض الاستشهاد أو التضمنين أو غيرهما؛ فيبدلون من
عباراته أو كلماته عبارات أو كلمات أخرى، لاسيما عند تشابه الآيات ، وما أكثر

المتشابهات في القرآن الكريم .

نشر مقطع ١١ ديسمبر سنة ١٩٣١ للاستاذ نحي الدين رضا أحد محرريه نبذة أشار فيها إلى تحريف آية قرآنية في الصفحة الأولى من مقدمة كتاب الفقه على المذاهب الأربعة، ففي اليوم التالي نشر المؤلف في المقطم كلمة يعترف فيها بالتحريف ويعتذر بأنه صحح الآية في آخر الكتاب، ولم يشر الاستاذ رضا إلى هذا التصحيح وحسناً فعل لأن كلام الله أرفع من أن يكون موضوع تخطئة وتصويب في ذيل كتاب كان الأمل بمؤلفه الفاضل أن يعيد طبع الورقة التي وقع الخطأ فيها لأن التصحيح في آخر الكتاب لا يحول دون بقاء الخطأ ماثلاً في الصفحة الأولى منه .

وفي يوم الجمعة قبل الأخير ظهرت في المقطم مقالة بقلم الاستاذ عبد الرحيم ابن محمود ضمنها الآية الشريفة: « يريدون ان يطفئوا نور الله الخ » على أنها إحدى آيات سورة الصف فأبدل من كلمة « ان يطفئوا » كلمة « ليطفئوا » الواردة في آية مشابهة لها من سورة التوبة ، وقد نبهه إلى هذا الخطأ منبه فكتب في مقطع الاثنين الماضي كلمة يعترف فيها بخطأه اذ يقول « وأكاد أذوب حزناً لوقوع هذا الخطأ مني في حرف من القرآن فأسأل الله الغفران » فالكاتب الفاضل خاتمة الحافظة فخطط بين الآيتين للتشابه بينهما .

ومن الأخطاء ضرب يقع فيه محرر المقال أو مؤلف الكتاب ، لمجرد أنه قام بنفسه على تصحيح مقاله أو كتابه ، وتعليل ذلك فيما يلي :

كتب الاستاذ م . الشرقاوى من علماء الأزهر ينسب على الدكتور زكي مبارك وقوع أخطاء مطبعية في كتابه النشر الفني فقال : « كنا نحسب أنه لا يوجد خطأ في كتاب يشرف على تصحيحه رجل عالم كالدكتور مبارك وتتولى طبعه دار الكتب المصرية » الخ، فرد الدكتور عليه في بلاغ ١٨ مايو سنة ١٩٣٥ يقول : « إن الغلط المطبعي في المطبوعات العربية قد عجز عنه الاساءة ، ولا سيما إذا كان المؤلف هو المصحح، فإنه يقرأ في صحائف ذاكرته، وهو يظن أنه يقرأ في صحائف الكتاب ، وهذا التعليل يدل على أن سواد أخطاء المؤلفين ناشيء من تصحيحهم التجارب المطبوعة لمؤلفاتهم بأنفسهم ، لأنهم وهم بسبيل تصحيحها تسبق خواطرهم أنظارهم فتتم الأخطاء أمامهم مرادون أن يفتنوا لها .

وبين يدي الآن مصنف حديث جم الفائدة اسمه اعجام الأعلام ، ألفه الأستاذ محمود مصطفى مدرس اللغة العربية بالجامعة الأزهرية لضبط أعلام الناسى والبلاد، وهو في ٢٥٠ صفحة من القطع المتوسط ومصدره باستدراك لطيف جاء فيه :

« حرصنا كل الحرص على سلامة هذا الكتاب من الخطأ المطبعي ، فتحقق لنا غرضنا على وجه كاد يكمل ، وساعدتنا على ذلك جهود رجال المطبعة وحسن معاملتهم لنا في هذه الغاية ، ولكن فات حرصنا أغلاط قليلة ، ولعل ما أوردناه في البيان الآتي هو كل ما وقع في الكتاب من الأغلاط والحمد لله على ذلك » ، ثم يجيء البيان فإذا به يحتوي خمسة أخطاء مطبعية فقط ، وهما إذا قد بلغت من مطالعة الكتاب إلى صفحة ١٣٨ فأحصيت سوى الأخطاء الخمسة المتقدمة ستة عشر خطأ مطبعياً ، وفي هذا الدليل المقتنع على أن المؤلف الفاضل لم ينفعه حرصه في اخراج مؤلفه بريئاً من عيوب الأخطاء وإن مساعدة الطابعين له على ذلك كانت مجرد حسن ظن لم يحققه الواقع ، لأنه إذا كان مجموع الأخطاء في الصفحات المائة والثماني والثلاثين قد بلغ إلى ٢١ خطأ ، فالمنظور من مراعاة قاعدة النسبة والتناسب أن يبلغ عددها في كتاب يعد ٢٥٠ صفحة إلى ٣٨ غلطة وكسراً من غلطة واحدة يعدل ١ على ٣٢ فأين إذن هذه الحقيقة المؤلمة من أن يكون عدد غلطات الكتاب كله خمسا فحسب ؟

* * *

بعد هذا الاستطراد الذي وقفتم منه ، أيها السادة ، على أسباب تسرب الأخطاء إلى الصحف والكتب أرى لزوماً على قبل الكلام على الأخطاء اللغوية والاصطلاحية والمطبعية وضرب الأمثال عليها أن أكشفكم بما يعرفوني من الدهش المقرون بالأسى كلما فتحت صحيفة من صحفنا المتبارية في مضمار الاجادة والاتقان فتكون تلك الأخطاء بمختلف أنواعها أول ما يلتبس نظري منها .

ولقد استغرقتني ذلك منذ فترة من الزمن إلى التقاط دررها وأصدافها من بطون الصحف ، فاجتمع لي منها بضعة آلاف قيدت أو ابدتها في كراسات كثيرة رجاء أن تتاح الفرصة لي يوماً لبرازها في كتاب يكون عدة للكاتبين في توقيتهم معائر الأخطاء التي تملأ طريقهم ، وهما أنذا ما زلت استشرف تلك الفرصة المرموقة ولكنني لم تسنح بعد من وراء الأفق ، وإلى أن يبلغ أطرح بين يدي فضلكم ألوانا من الأخطاء التي جمعتها ، منقولة عن النصوص التي وردت فيها .

تتساع الصحف كثيراً في نشر عبارات للكاتبين تلهجون منها ضعف التأليف وركاكة العبارة مع الخطأ ، من ذلك قول بعضهم : « تربيتنا تتراوح مندبذة بين الحنان الأموى والاهمال الأبوى » يريد بالأموى النسبة إلى الأم بينا هو النسبة إلى أهية ، وقوله عن امرأة ولدت مولوداً شاذ الخلق : « وهى بعد طول العذاب

وطول التمني قد تفجع كما يرى اليوم، حتى أن أموميتمها الحنون تذكر ذلك المخلوق»
يريد بالأمومية الأمومة، وقوله: «كان أرباب الطرق يضربون سيوفهم بالهواء»
أي أنهم كانوا يفتلون من خيوط الهواء طرة يلمبون بها ظهر سيوفهم، وكان الامثل
أن يقول: «يخطرون بسيوفهم» لأن الخطران هو تحريك السيف في الهواء
ازدهاء بالشجاعة والبطولة.

ويجري مجرى الركافة وسوء التعبير قول بعض الصحف: «حكمت المحكمة على
المتهم بعام واحد سجننا مع الاسعاف بقانون التأجيل» يريد وقف التنفيذ
ويرسل بعض الكتاب القول ارسالا لا يدرون معه أتنفق نتائجه مع مقدماته
أم تناقضها؟

نعت إحدى الصحف في سنة ١٩٣٤ للقراء أحد موظفيها الأمناء وقالت في
نعيها انه توفي عن ٦٥ سنة وانه خدمها منذ تأسيسها - إذن يكون التقيد قد زاول
خدمة الصحافة في السادسة من عمره لانه ولد في سنة ١٨٦٩ ولان الصحيفة التي
خدمها منذ وجدت أسست سنة ١٨٧٥

وكتب كاتب: «ستلقى محاضرات عن الاسرائيليين في عهد الفاطميين أي منذ
قرنين ونصف» ومعنى هذا أن الدولة الفاطمية التي انقرضت سنة ٥٦٧ للهجرة
كانت لا تزال قائمة بعد سنة ١١٠٠ وانما الآن نعيش في ظل دولة المماليك البحرية
وإن حكم الولاة العثمانيين الذي بدأ سنة ٩٢٣ هجرية لم يخرج بعد من عالم الذر .
وكتب غيره يقول: «السحت سواء كان حلالا أو حراما» ولعمري إذا كان
السحت في اللغة هو كل ما لا يحل كسبه ولا أكله فمن أين يكون له حلال وحرام؟
وإذا انتقلنا من الجمل والعبارات المصنوعة بما تقدم من ألوان الخطأ والتناقض
وجدنا أمامنا طوائف من الألفاظ المفردة يتناولها الخطأ من وجوه شتى .

من هذه الطوائف أفعال متعدية بنفسها فيعدونها بحروف الجر مثل: أدمن .
احتوى . سلب . حرم . وقى . كلف . عهد . وعد . زود الخ .
وهذا خطأ كل الخطأ، صوابه الاستغناء عن تلك الحروف .

قال الشاعر :

لا أعرفك بعد اليوم تنديني وفي حياتي ما زودتني زادي
وقال ابن بطوطة: «زودني دراهم لم تنزل عندي محوطة»، وهكذا بقية الأفعال .
وأفعال متعدية بحروف الجر فيعدونها بنفسها مثل: أبصرو وحف في قو لهم :

أبصرهم الشرطي ، وحفه التلاميذ ، والصواب أبصر به وحف به - وأفعال يخلطون معانيها بعضها ببعض لأن أصلها اللفظي واحد مثل : رصد وارصد ، حرم وأحرم ، غلا وأغلى ، توفرو وتوافر ، خلدوا وخلد ، لحظ ولا حظ ، باح وأباح ، لغا وألغى ، زكا وأزكى ، عفا وأعفى الخ - وأفعال مزيدة بحروف الطالب نقتصر منها على فعلى : استعرض واسترجل ، اللذين تمرن بهما كل يوم في كل الصحف ، لنضرب بهذا مثلاً على مقدار ما يرشح إليه استعمالهما من فساد وتناقض في المعنى . فلا استعراض في اللغة هو إما الانحاء بالسيف على الرقاب وإطارة الرؤوس من السككنات ، وإما فحص الجارية لشرائها ، جاء في وفيات الأعيان : « كان الخليفة الطائع قد استعرض جارية فأعجبته فأمر بشرائها » ، وأما في المعنى التالي وهو أن تكون رئيساً في ديوان فتقول : « استعرضت اليوم كاتب سري » أي طلبت منه أن يعرض على عمل يومه ، ولا يجوز أن تقول : « استعرضت العمل أو الأوراق » . أما استعراض الجيش والكشاف والتلاميذ فخطأ ، صوابه عرض الجيش الخ - أما الاسترجال فيما يسمونه الفتاة المسترجلة أي المتشبهة بالرجال في زيها وأطوارها فعنه طالب الرجل وكذا إذا قيل الفتاة المترجلة فلا معنى له أكثر من أن فتاة كانت تمتطي مطية ثم نزلت عنها ، والصواب في ذلك أن نقول : الفتاة أو المرأة المترجلة ، من أرجلت المرأة أي تشبهت بالرجل .

وترد في الصحف كلمات مثل : أولاً فأولاً أو أولاً بأول وعلى قيد وجلس على يمينه أو يساره ومن أول وهلة ولأول وهلة وفي أول وهلة ، والصواب فيها على التوالي هي : أول أول ، قيد (بكسر القاف) ، وجلس إلى أول وهلة .

قال المخفوف له أمير الشعراء في رثاء والدته :

من الهاتكات القاب أول وهلة وما دخيات لجأ ولا لامست عظما

وترد فيها على الرغم من أن اللغة العربية أغنى لغات الأرض طراً ألفاظ عجمية مع وجود مقابلها في هذه اللغة . من ذلك قولهم في وصف موكب عرس : « وكان القمشجي يفتح للهوكب الطريق » ، والصواب : المطرق ، بتشديد الراء المكسورة . جاء في بعض كتب الأدب عن أمير « خرج المطرق بين يدي موكبه » . ومنه استعمالها اللفظ والاسانوسور للرقاء وهو أوفى كلمة لأداء معنى تلك الآلة ومنه . قولها الفايثو والسكتيلته وهما الطعامان المعروفان من اللحم تظفر بأدائهما أداء لغوياً صحيحاً كلمتا الملحاء والشراسيف ، فإذا كان من الآكلين من يتشبههما غير ناضجتين ينزو الدم منهما وصفنا بالمعرضتين بتشديد الراء أي غير

تأتمى النضج تنفضحان بالدم . ومنه «أفتتح دولة . . . معرض السكرين نعيم الجمعية
فلاحة البساتين» كأن كلمة الاقحوان رحمت من معاجم اللغة العربية وأذكر بهذه
المناسبة أنى قرأت كتابا فى علم الزراعة طبيعته وزارة المعارف جاءت فيه كلمة
«توليب» تعريبا لكلمة tulipe الأفرنجية كأن اللغة العربية خلت من مقابلها وهو
الحزامى التى كانت إحدى الأعرابيات تدل باسمها ولدها الصغير حيث تقول :

يا حبذا ربيع الولد ربيع الحزامى فى البلد

ومنه قولها : «صورة بروفيل لأجل فتاة» كتبت هذه الجملة تحت صورة إحدى
الحسان ونحن حفا أن يكتب «صورة من عارض لأجل فتاة» لأن العارض هو
جانب الوجه لمقابله بالفرنسية «profil» ومنه الباطنة أى الضريبة على المهن الحرة
ومقابلها العربى الصحيح هو «القبالة» التى ذكرها بهذا المعنى الشريف الإدريسي
فى نزهة المشتاق ونقلها الأفرنج الى لغاتهم بلفظها العربى فقالوا gadelle للضريبة
على الصناعات كضريبة الجوخ والملح ومنه المدالبة للشارة التى تمنح للرضى عنهم
والسكامة عربية محرفة عن المثالة بفتح الميم ومنه الغرائيت فى فصل عنوانه «صناعة
الغرائيت ومستعملها فى مصر» واسمه العربى هو الحجر الأبل . ومنه القرويت
تعريبا لكلمة georvette وهى نوع من السفن الحربية فى القرن التاسع عشر وكان مثلها
فى الاسطول المصرى على عهد ساكن الجنان محمد على باشا معروفا بالغراب ومنه
البسابورت لمانسميه من ناحية أخرى جواز السفر وأتم كلمة لأداء معناه هو البراءة
تؤيده الآيتان الاوليان من سورة التوبة ويميزه قول ابن بطوطة فى كلامه عن
بلدة الصالحية التى دخلها فى طريقه الى الشام : «كان لايجوز عليها - أى الصالحية -
أحد الى الشام الا براءة من مصر ولا الى مصر الا براءة من الشام احتياطا على
الاموال وتوقيا من الجواسيس» ومنه الاستنجة لقضيب الحديد فوق قاطرة الترام
يتناول سلك الكهرباء ، وهذا المبنى متوافر فى كلية الكندرية وهى كل قضيب طويل
رفيع ينال بواسطته شئ بعيد .

وحيث تظهر فوادح الأخبار ففيها يتصل بأسماء الاعلام للأناسى والاماكن
الجغرافية والاصطلاحات العلمية من طبية وفلكية وغيرها ، أما أسماء الاعلام
الخطأ ففى «مولى عبد المجيد قاضى البوليس» فى الهند طبعا والصواب مولوى
وكولونل زهرواردى والصواب سهروردى نسبة الى مدينة سهروردو و«السلطانة
فايدا زوج السلطان عبدالعزيز» للسلطانة الوالدة أمه لا زوجها و«الزعيم سمدخان»
للزعيم عبد الصمد و«١٥٠٠٠ مقوالى ويزدى» لهذا العدد من المقاوله واليزيدية الخ

أما أسماء الاعلام الجغرافية فالخطأ فيها عام وشائع ومتأصل لا أذكر منها على سبيل التمثيل لا الحصر سوى مغاديشيو لمقدشو وويبي شيبالي لوادي الشبل واكسوم واقصوم ليكسوم المدينة المقدسة وجوندار وغوندار لغندرو وآساب وآصاب لعصب وجوبا وجوالند لبلاد الجب هذا في الحبشة ، وفي مراكش موجدور ومغادر لشجر مقدور «اسم ولى من الأولياء» وطنجير لطنجة ومكنس لمكناسة وطفيليات لتافلليت وطيطوان لتطوين عاصمة المنطقة الاسبانية وموكلتم mercultem لبقعة من آرمور اسمها مركل-تم أى أمضى وكل هناك وفي الجزائر الجبل المنطوق alger الفرنسية المدينة أو ثغر الجزائر وبوجي المنطوق bougie الفرنسية لبحاية وأوران لوهران، وفي بلاد أندلس سراغوسه وسراجوسا وسرقوسة لسرقسطه وسيفيليا وسيفيل الاشبيلية ومادجا وماتالمالمة بفتح اللام وفلاسيا وفاليس لبالسية وسلمنكة لشلمنكة، وفي مصر جفتن للجزيرتين اللتين تجاه ساحل الغردقة حيث آبار البترول بالبحر الاحمر وصواب اسمهما «الجافتين» أو «الشفيتين» وغوسن لأرض جاسان المعروفة في التوراة وهى وادى طوميلات ... الخ .

أما الاصطلاحات الطبية فقد اعتاد كتاب الصحف ايرادها بمنطوقها العربى وفي هذا من التفريط فى حق اللغة ما لا يستهان بضرره وسوء مغبته . فهم يقولون التيتانوس لداء السكران والابنديسيت أو الأعور للممرغ أو الممرغة وكانا بلسم لملازوق والجوهر تعريبا من goitre للنزوة وهى الانتفاخ فى الرقبة ... الخ .

واعتادوا فى الاصطلاحات الفلكية أن يترخوا أسماءها العربية الصحيحة جانبا ليحلوا محلها منطوق أسمائها الافرنجية ، فهم يقولون جويتر للمشتري وفينوس للزهرة وعلامة سكوريو لبرج للعقرب و برج السكش لبرج الحمل وخط الظهيرة المركزى لخط الزوال ... الخ مع أن المفهوم هو أنه فى المائة من الأسماء والاصطلاحات الفلكية عربى الأصل نقل بلفظه إلى اللغات الافرنجية فى كثير من التحريف يقذف فى وهما أنها أسماء أجنبية فنعربها بمنطوقها الفاسد بينما هى عربية بحثة فى أصلها وأرودها .

ننتقل الآن الى الكلام على الاخطاء المطبعية فى الصحف فنقتصر على أن نذكر منها ما مرده إلى الطابع . هذا العامل كثيراً ما يستعمل عليه معنى ما هو مكلف ان ينضده من الكلام فتراه يتصرف فيها بما يوحى اليه الخيال من تصحيف وتحريف وتقديم وتأخير وإضافة وحذف ، فالكلمة من قولك إذا لم يفهمها ، لأنها لم ترد عليه من قبل ، تناولها بالتحريف والتصحيف دون أن يحسب حسابا لاتساق المعنى . من ذلك خبر نشرته الاهرام بالرسم والوضع الآتين :

الحديقة النموذجية

« تم إنشاء الحديقة النموذجية التابعة لوزارة التجارة والصناعة وركبت آلاتها ويشغل قسم الجلود الآن بشراء الخامات اللازمة لادارتها »
« وستكون مهمة هذه المدينة ترقية صناعة دبغ الجلود وذلك بتعليم رؤساء المداينغ الأهلية أحدث الطرق المتبعة في هذه الصناعة »
في هذا الخبر كلمتان وهما الحديقة والمدينة اذا أبدلت منهما كلمة المدبغة ولاحظت أن بين الكلمتين الثلاث جناساً لفظياً واضحاً بدا لك سر هذا القالب المضحك الذي صلب فيه ذلك النبأ

وفي باب التلغرافات من مقطم ١٨ سبتمبر سنة ١٩٣٥ خبر جاء فيه « رفع الصليب المعكوف رسمياً على الباخرة بريمن » وما من شك في أن محرر المقطم أو مترجمه أراد « المعكوف أي المعطوف المثني من طرفه وهو صليب الراية النازية ولم يرد « المعكوف » الذي له من المعاني ما لا محل لوصف الصليب به ولكن الطابع كان يعرف معنى عكف ويحمل معنى عقف فعز عليه أن يؤثر مجهولاً على معلوم
وفي عدد المقطم الصادر بتاريخ ٢٥ يناير مقال في الحرب يظهر ان مصححه وجد فيه كلمة زائدة فرمجها بقلبه ومبالغة في تفهيم الطابع ان المراد من الرمج هو حذف هذه الكلمة كتب على الهامش تجاهها « تحذف » فظهرت الجملة كما يأتي :

« وهذا تكون المصادر الحبشية اتفقت روايتها مع رواية المصادر « تحذف » الإيطالية » والأمثال من هذا القبيل لا يكاد يحصيها العدد. وقد زخرت بها الصحف والمجلات والكتب ، ولكن أدعاهما إلى العناية بالتفكير في استئصال شأفته هو الذهاب في الطباعة الى حد تغيير الأوضاع في المقال أو الصحيفة بحيث يستعجم على القارئ فهم المراد . من الأمثال على ذلك ان إحدى الصحف بتاريخ ٢ مارس سنة ١٩٣٠ نشرت صورتين إحداها لملك اسبانيا السابق على أثر عزله والثانية لوزيره الذي دعا الى الثورة عليه . فاذا بالاولى تحمل اسم الوزير وبالثانية تحمل اسم الملك
وفي صفحة الصور من أهرام ١٨ ابريل سنة ١٩٣٤ صورة كتب تحتها السطران التاليان : « اللصوص الثلاثة حسن ومراد وعويس الذين يملئ خريطة العالم وتم تخطيطه الآن باكتشاف الجلف الكبير وما جاوره » وفي إحدى الصحف الصادرة بتاريخ ٢٧ مارس سنة ١٩٣٤ صورة كتب تحتها في ثلاثة أسطر ما يأتي : « محمد الجندي تاجر الخدراوات وإلى جانبه سكينه أحمد الجمل بائعة . أحدهما الحكم على الاحرار والثاني وجوب الاتفاق على خطة حاسمة تسيير عليها . الفجل وأمامها

الغلامان عبده عباس وفتحى عطوه . فبسبب هذا الخلط كله إحلال أسطر محل
أسطر أخرى أو دس بعضها بين البعض الآخر كما هو ظاهر
وبمناسبة تصرف الطابعين فى أوضاع الكلام والرواسم (الكاششات) حتى أنهم فى
جريدة روز اليوسف الصادرة بتاريخ ٨ فبراير سنة ١٩٣٦ وضعوا رسماً لخريطة
الحبشة فى وضع أصبح الشرق به شمالاً والشمال غرباً والغرب جنوباً والجنوب
شرقاً. أذكر نادرة لجريدة e cons aitu tiomrel التى كانت تصدر فى عهد الملك
لويس فيليب . فقد حدث أن قلده هذا الملك رئاسة الوزارة للمسيو تيير thiers السياسى
المؤرخ فنشرت الجريدة هذا الخبر بالعبارة الآتية : «دعا جلالة الملك اليه المسيو تيير
وعهد اليه تأليف الوزارة فألقى بين يديه كلمة شكر قال فيها : إن آسف فلا آسف
إلا على شىء واحد وهو عجزى الآن عن كسر رقبتك بيدى كما يكسرون رقبة
الديك الرومى » فلما قرأ الناس هذا الكلام البذىء أيقنوا أن المسيو تيير قد أصابه
مس من الجنون وتوقعوا له سوء العاقبة ولكنهم لم يلبثوا أن تحقق لهم فساد
حسابهم وخطأ ظنهم لأنهم لما مضوا فى تلاوة الصحيفة قرأوا فى النهر التالى ما يلى
« أسفر البحث الدقيق الذى أجراه البوليس فى جناية شارع . . عن نتيجة باهرة
فلقد قبض على الجانى الأثيم الذى لم يتالك بعد أن جرد من سلاحه وشدت
يداه إلى عنقه أن صاح بوكيل النيابة حانقا «إن الله وأبناء وطنى ليشهدون بأنه لم
تكن لى ثمة من غاية غير الاخلاص فى خدمة مليكى ووطنى» إذ فهموا أن الطابعين
السكرام قد أرمجوا الجملة الأخيرة الواردة على لسان الوزير المؤرخ من حيزها
فى العمود الأول حيث حل محلها قول المجرم القاتل الذى عز عليه أن يرى نفسه
عاجزا عن الفتك بوكيل النيابة فاعرب عن أسفه لانه لم يكن ليستطيع كسر عنقه
كما يكسر عتق الديك الرومى

سيداتى سادتى : هنا أمسك عن الكلام فقد أتممت محاضرتى التى رميت بها الى جمع
رأى رجال الصحافة المصرية فى مكافحة الاخطاء اللغوية والاصطلاحية والمطابعية
على التذرع إلى هذه الغاية بوسيلتين :

الاولى : وضع معجم لتلك الاخطاء بعد تصويبها .
الثانى : انشاء مطبعة نموذجية لتعليم العمال فى المطابع أصول صناعتهم .
وقد قلت فى غضون محاضرتى انى جمعت بضعة آلاف من تلك الاخطاء وصححت
شطراً منها وبقي الشطر الثانى تحت التصحيح وانه ليسرنى ان أعلن لكم الآن
استعدادى لوضع هذا العمل بعد إتمامه بين يدى الصحافة ليكون نواة لعمل أوسع
نطاقا «قل لأسألكم عليه أجراً الا المودة فى القرى»

تطور الصحف الأسبوعية
للأستاذ حسين شفيق المصرى
أقيمت مساء يوم ٧ مايو سنة ١٩٣٦

سيداتى ، سادتى

تذكر بعد أن شاب الشباب فان وفد دعاه فما أجابا
وشاقتهم الأوانس والحميا فود من التشوق لو تصابى
وعاوده هواه فكاد لولا وقار الشيب يوسعه عتابا
ولولا أن يقال دهاه من فخواط ما تبايت الخضابا
ومن ظن الشباب صبيغ شعر فان الصقر قد أمسى غرابا
ومن يكتب حساب سنيه يوما فصفحة وجهه تبدى الحسابا
بقاء الشيخ فى الدنيا فناء ولو ملك النواصى والرقابا
وهل بعد الشباب له حياة وقد لاقى المنية حين شابا

تذكرت وأنا أسجل هذه الحوادث أيام الصبا والشباب فى ذلك الزمن الذى كان يمرمر النسيم بالحديقة الغناء متهطرا بنفحات الزهر والدنيا ضاحكة والآمال كالأيدي الممدودة للمصافحة والسلام .

كانت مصر فى ذلك العهد تبدأ سيرها فى طريق المطالبة بالاستقلال ، وليس حديثنا الآن عن ذلك الشأن فأحدثكم عنه ، ولكننا نتكلم عن تطور الصحافة الأسبوعية وهى جزء منه ، وقد كان ضعفها قوة ، وضيق نطاقها سعة ، وبطؤها سرعة ، فان الحرية مطامنة ، يقول من يشاء ما يشاء ، ويكتب من يريد ما يريد والأمة فى حريتها وهى جاهلة تستطيع ما لا تستطيعه فى تيردها وهى متعلمة .

كننا نلهمو وكنا ناصب ، وكنا نطيع أنفسنا فى المرح والمجون ولكن كان لنا أدب وكانت لنا أخلاق ولم نكن ننسى أن بلادنا رازحة تحت أعباء ثقال فلم يكن مرحنا ولهرنا يصرفنا عن التعاون على القاء تلك الأعباء عن عاتق الأمة وهى منطلقة فى سبيل الاستقلال .

ولست أنسى أن عدد المتعلمين منا فى ذلك الوقت كان أقل من عدد الجنهيات الانجليزية فى هذا الوقت الحاضر ، واسألوا كبار الاسنان منها عن المهرجان الذى كان يقام تعظيما للتليذ الذى ينال الشهادة الابتدائية ، وكيف كان الناس ينظرون إلى ذلك التليذ الظافر بالشهادة الابتدائية كما ننظر الآن إلى الدكتور منصور فهمى

أو الدكتور طه حسين ! فاذا علمتهم هذا عرفتم قلة عدد الذين كانوا يقرأون ، ولا تذكروا الذين كانوا يكتبون فانهم كانوا كالجن ، نسمع بهم ولا نراهم ، وفي تلك القلة من عدد القراء كانت تعيش الصحافة وليس العجيب أنها كانت تعيش ، ولكن العجيب الغريب أنها كانت قوة قاهرة تهابها الاعداء ويفاخر بها الاصدقاء .

نشر قلم المطبوعات عدد قراء الصحف اليومية والاسبوعية في ديسمبر سنة ١٨٩٢ منذ أربع وأربعين سنة ، فكانوا :

٢٧٧٥ قراء الأهرام ، ١٤٥٥ قراء المقطم ، ١٢٠٠ قراء المؤيد ، ١٣٤٥ قراء الاستاذ ، ١٣٠٠ قراء المقتطف ، ٧٤٠ قراء الهلال ، ٦٠٠ قراء الزراعة ٥٤٥ قراء الفلاح ، ٤٤٣ قراء المحروسة .

فأنتم ترون ان قراء أوسع الصحف انتشارا لم يبلغ عددهم إلى ثلاثة آلاف وأكبرها حجماً وأطولها وأعرضها أربع صفحات كالخطاب الذي يكتبه أحدكم إلى أخيه يسأله عن صحة والديه .

وإذا علمنا ان الاهرام والمقطم كان كثير من نسخهما يرسل إلى لبنان والشام والعراق والناضول وبلاد الغرب الأقصى ، رأينا ان « الاستاذ » كان أوسع الصحف انتشارا في مصر ، وكلنا يسمع بصاحبه ، عبد الله نديم ، الكاتب الشاعر الرجال الجاد الهازل المنقطع النظير ، خطيب الثورة العربية الذي كان الانجليز يحسبون له ألف حساب وكان المصريون يرفعونه إلى صف العظماء .

ونحن نبدأ الحديث عن تطور الصحافة الاسبوعية بذكر « الاستاذ » لان المجالات التي سبقت زمنه لم تكن لها حركة تستحق الدرس الطويل ، وعلى هذا الحساب يكون عمر الصحافة الاسبوعية اليوم خمسة وأربعين عاماً ، وأنها نشأت بين يدي ذلك الأديب الكبير ، وهو أول من أجاد الجمع بين الجد والهزل في الصحافة ، وقلده المقلدون ، ومنهم من قعد به العجز عن ادراك شأوه ومنهم من لحقه ولكن بعد زمن ، ثم سبته السابقون من المتأخرين الذين جاؤا بعده بزمن طويل وله فضل السبق على كل حال .

فهل كان عبد الله نديم أكتب الكتاب وأشهر الشعراء وأزجل الرجالين وأظرف الظارفاء؟ كان كذلك في زمنه وليس ينقص من قدره أن يأتي الزمان بمن يفوقه ، وحسبه مجدا أنه كان الاول في عصره . وهذه سنة سننها التطور لكل عظيم ينبغي في عصره انحطاط يتلوه عصر ارتقاء وإلا وقفت المدنية عند حد لا تتعداه .

كان الأدب العربي في عهد عبد الله نديم في الدرك الأسفل من الاضمحلال فانهمض الصحافة الاسبوعية من رقتها وأنهمض الأدب العربي ومشى بهما الخطوات الأولى

بما وهب الله له من تلك المقدرة التي كانت على قدر ذلك الوقت ولم يكن فيها لغيره مطمع .
واتروا كيف كان الأدب في تلك الأيام اسمعكم شيئاً من نثره ونظمه ، قال
بعد كلام طويل على هذا الطراز :

« وقد جادت القريحة بخريدة بين أترابها فريدة وهامى تزف اليك لتسلم بالنيابة عنى
عليك ، فافتح لها باب البستان ، وافرش لها القصر والايوان واجعلها في بيت
الضيافة ، ثم أكس الماشطة والقهرمانة » .

وهو سجع كانوا يرقصون له طرباً على ما يتخيّلون من فصاحته وأحكامه لضعف
اللغة والاسلوب في ذلك الزمن ، ولم يكونوا يرون فيه ما نراه الآن من التفكك
والركاكة ، أما خريدته الفريدة فمنها قوله :

لم يبق في الأقوام من شخص معين أو معين
فكأننى وكأنهم ضيف على باب الفقير
حولى ألوف نوم منعوا منامى بالشخير

ولا ريب في أن (الشخير) خير من هذا الشعر ومقام قائله محفوظ لأنه أصل صالح
لشجرة الأدب المباركة .

أما أزجال عبد الله نديم فكانت غاية في الرقة والانسجام ، لولا اقحامه قليلاً
من الالفاظ الفصيحة في اللغة العامية ، ومن بدائعه أنه ناظر جماعة من طائفة
(الادباتية) وهم شحاذون كانوا يسألون الناس الصدقات بالزجل ، فقال واحد منهم لرفيقه :

أنا الأديب الادباطى ألم عيش تحت بطاطى
جاتك رصاصة خباطى تعلمك شرب الدخان

فقال الآخر للاول :

أنا أديب أدب منك ألم عيش أكثر منك
جاتك رصاصة في خنك جعيتى دون جربوع عريان

والتفت الى عبد الله النديم ومن معه وقال :

انعم بقرشك يا جندي الا واكسنا مال يا أفندي
إلا أنا وحياتك عندي بقى لي شهرين طول جيعان

فقال عبد الله نديم ارتجالاً :

أما الفلوس أنا مديشى وأنت تقولى ما أمشيشى
يطالع على حشيشى أقوم أملص لك لودان

والمناظرة طويلة نشرها في مجلة الاستاذ وليس هذا مقامها وفي الذى نقلناه منها
الدليل على رفته وسرعة بديهته وما كان لمجلته من الحظوة عند الجمهور

أما الادب المحض الخالص من العامية الذي يكاد يكون سالماً من الالحن فبدأ عهده بجريدة مصباح الشرق الاسبوعية التي أنشأها شيخ أدباء عصره، ابراهيم بك المويلحي ، ولا أظن أن فيكم من لم يسمع به ، واعتقادي انكم تريدون شيئاً من كلامه الذي كان يهز الاعطاف وتخفق عنده القلوب، ولعل هنا من أدركه وقرأ له أو تلمذ عليه وكان من المعجبين به

أنشأ ابراهيم بك المويلحي جريدة مصباح الشرق وقتئذ فكانت معرضاً لأدب كبار الادباء ومدرسة ليريدى الادب ونجالاته القرائح السياسيين المعدودين في الفصحاء فبلغ من شأنه أن المجيدين من الكتاب كانوا يتمنون أن يروه في الطريق أو يسلموا عليه في المجمع إن لم يسعدهم الحظ بالاختار عنه أو الجلوس اليه ، وكان مصباح الشرق بأسلوبه وحسن ديباجته في نظر القوم تحفة يقتنونها ويقتطفون منها ما يزينون به الاحاديث والمراسلات ، ولكننا اذا رجعنا اليه الآن، بعد أن بلغ الادب مبلغه الحاضر لم نجد كما كان يجده معاصروه، ولا أدل على استمرار التطور والارتقاء من أن نتمثل عنه خير ما كتب، قال في استقبال إحدى السنين :

« هل العام الجديد ونون النصر في جبينه ، والراية العثمانية في يمينه ، فطلع الهلال على فروق (يعنى استامبول) وفروق أسعد منازل الهلال ، وأشرف مطابع الابهة والجلال ، والخليفة أيده الله في مواكبها ، شمس كواكبها ، شمس قدسية الاشراق ، على الآفاق تنبعث منها حياة الاسلام ، انبعثت الأشعة على الأعلام . ولما انصرف العام الى اخوته من أعوام الهجرة المحمدية وتلا عليها ما جرى فيه من الحسنات وبدائع الحسنات ، أضيف الى صف أعوام الخلفاء ذوى الهمم العالية والايادى البيضاء، ثم حل آخره العام الجديد مشرق الطلعة مبارك النقية على جلالة أمير المؤمنين وسلاطان العثمانيين جعله الله عاماً سعيداً لياليه وأيامه، وفقاه بأمثاله من الأعوام، لسعادة الاسلام »

أفترون أن مثل هذا يحسن أن ينشر في إحدى صحفنا الآن ؟ أنا أقول: لا ، ولا أراه الا كانشاء طلبة المدارس ، غير انى لا أجد انى كنت أراه عظيماً في زمنه، كما كان يراه غيرى من شبان ذلك الزمن، ولا أنكر انى تعلمت منه كيف أقرأ وكيف اكتب ، ولولا أثره وأثر أمثاله في نفسى ما عرفت سبيل الكلام، فله فضل هدايتنا جميعاً إلى أول الطريق .

وأما الصحافة الهزلية بعد « الاستاذ » فسارت في الطريق الذى رسمه لها عبد الله

قديم ، وارتقت من حيث الصناعة ولكنها انغمست في افذار الهجاء الشنيع وبذاءة
الالفاظ . ولم يسلم من ذلك القبح الا - الارغول - فقد نزهه الشيخ محمد النجار
عما يشينه من تلك السفاهة اللهم الا ألفاظا أصابته بالعدوى ، وحسب الفتى أن تعد
معايه ، ولا سيما الرجل الذى يعيش بين أولئك السفهاء من أصحاب الصحف
الاسبوعية التى كانت تنهش الاعراض وتستخلص الخبز الذى تأكله من الوحول .
وليس لدينا ما يقال عن الارغول الا ما قلناه عن الاستاذ ، فقد اقتفى أثره وقلده
ولم يأت بعده بجديد مع أنه جاء بعده بنحو سبع سنين .
ومن أزجال النجار فى أرغوله قوله فى الهزل :

وقفت مع خالى على عود خلال واصطدت بالنشاب حمارة حرون
حملتها نملة رشيدى بيلك من تقلها تكسر لها جوز قرون
بصيت لقيت فى القرن ملوة فريك فلفلتهم طلعوا زوبلى وكنون
وكل ده يطلع وده فى الغسيل وده مقدر من قديم الازل
أفيجبكم هذا ؟ ؟

سيداتى سادتى : أخذت الصحافة الاسبوعية فى الارتقاء بحمارة منيتى والخلاعة ثم الشجاعة
ثم السيف والمسامير ، ولكنها ارتقت فى كتابتها وتدهورت فى اخلاقها إلى أسفل
مكان ، ولكل صحيفة من هؤلاء الصحف تاريخ يخجل منه ابليس لانها كانت تعيش
بالطعن على الكبراء والخوض فى الاعراض ولولا هذا لكانت هذه الصحف الملعونة
مفخرة من مفاخر الأدب القومى ، ولم يكن فى أصحابها كاتب الا محمد افندى
توفيق صاحب حمارة منيتى ، فقد كان أديبا يكتب وينظم الشعر والزجل بأسلوب
يضحك الثكلى والآخرى أميون كان يكتب لهم كتاب يستترون وراءهم فلا يعرفهم
الجمهور أذكر منهم الأدباء : محمد امام العبد ومحمود جاد و خليل نظير و واحد
صاحبنا اتندم بعد كده وربنا تاب عليه .

ظهرت حمارة منيتى سنة ١٨٩٨ فجاءه فكانت ترفس هذا وتعص هذا وتنهق فى
وجه هذا ، ولم يسلم الاستاذ محمد عبده من شرها ، وراجت رواجها لم تبلغ
اليه صحيفة غيرها حتى لقد وصل ما يباع منها فى الأسواق الى أكثر من أربعين
الف نسخة مع قلة عدد المتعلمين إذ ذاك .

وكانت الكتابة فى الصحف قد بلغت مبلغا وسطا بين القديم الغث والجديد الطيب ،
وساعدتهم ارتقاء الحس وسلامة الذوق على الافتتان وابتكار المفاجآت ، وما نسميه
بالمفارقات ، فكان الناس يتلقون أقذاعهم فى الهجاء متفكرين لا مستسكرين ، ومن
مفارقات الحمارة قول صاحبها فى مطلع قصيدة خلط فيها بين العامى والفصيح :

أمن تذكر جيعان لذي لقم فتحت خشنا ترينا زفة العجم
وقال في شكوى الازمة المالية :

هو المش فالحس يا قتي إنه سهل ولا تستمع من أبغضوه فهم هبل
ويظن كثيرون أن هذا الضرب من الشعر ميسور لكل محاول فيأتون بسخف
عمل مضجر وهم يهزلون فيكونون كالندابة في المهرجان أو المقهقة في المأتم ولا
يعلمون أنه أصعب ضروب الشعر وأبعدها ممن لم تصف نفسه ولم يبلغ من درس
اللغة الفصحى إلى مكانة الفحول لأن أول شروطه المحافظة على الاعراب والتزام
قواعد الصرف حتى في الالفاظ البلدية، ومن هذا الاحتراز حذف تنوين زعلان -
في قول الآخر :

أطل من الشباك زعلان يشخط شزال رآه العاشقون فعيطوا
وقوله وهو غير صاحب الحمار :

الحب أخرج مقاتي بصباعه وأذاب قلبي باللميب بتاعه
سار البجور الى بلاد أحبي يا ليتني متعلق بذراع
غير أن صاحب حمارة منيتي كان يلحن أحيانا فيفسد شعره الجميل ويكدر صفو
خياله البديع ومفارقاته الباهرة على حين أنه كان عارفا بالفصيح متفوقا فيه كما تشهد
له مقالاته في السياسة والاجتماع .

والاطلاع على - حمارة منيتي - يرينا ما وصل اليه هذا الرجل من التمكن من
لغة العامة والقدرة على محاكاة رجال الطبقة السفلى ونساء الرعاع واللواتي يقال لهن
شراشيح، واليكم نادرة مشهورة صاغها في ذلك القالب العجيب قال :

مرة كان واحد حكيم يتفصح مع واحد سكرى في الازبكية ففضلوا سهرانين للساعة
٣ بعد نصف الليل وبعدها روح كل منهم على بيته فصاحبنا السكرى لما روح ودخل
الأوضة التقاها ضلله قام بيدور على السكريت فوق البوريه وكان التقى قزازه حبر
قام افتكر أنها قزازه خمرة قام هفه الغرام راح قايمها على حنكه عشان يكمل بها
خييته وزى اللي كان مستحلف لها فضل يقبع منها لما استرفاها صافي ولا كان في
بطنه سبع دواوين يبييضوا في ميزانية السنة الجديدة .

فنهايته بعد ماشاف مزاجه مع قزازه الحبر ولع النور وبيص في المراية وكان
التمى حنكه ملحوس زى اللي كان متعين في لحس مصبغة والا خد له هضر على بقه
في شوية وحله والا كيدة قام صحى الولية جماعته وكانت بتبص في خلمته التقت
بقه حشمة زى اللي كان بيوس في جارية غطيس والا كان بيلمع في جزمة واحد
براسمي بدقنه والا كان بيحك بقه في كبوت عربية . قامت قالت له ديهه يا مستخبط

يامدهول على عينك يوه ان شاء الله تتخيل وتنحس وتنحاس يا بعيد دا سخام ايه
 دا ياخى . هو السكر يعمل كده . . ياخوسى . ياخوسى مدعوق السكر على
 اللى بيسكروه . يوهات لك لباس واحنا بايتين من غير عشا والاهات لك
 بدال الخمره دى صابونه كنت غسالت بها حنكك اللى عامل زى طيز العنكبوت
 والا حوش واسكن لك فى أودة زى الناس بدال الحاصل ده اللى تخش فيه
 الكتشينة بجنب . والا احلق وانت عامل زى كبش اسماعيل بدقنك دى اللى شابت
 على نجاسة وبقت زى رغاوى البوظة والاهات لك شوية ششم حطهم فى عينك
 اللى صبحوا من كتر العيا اللى بتشربه زى تكريرة الفجل ولا بقتش تعرف تشوف
 بهم عشرة راكبين على جمل . بقى كده هو كل ساعة سكر . سكر وكل مايجى لك
 كام نص من سمسة والامن غيره تروح تقدفهم للشيطان الرجيم وتخلينا طول
 النهار قاعدين نمص فى صوابنا زى اللى بيرعوا الكلاب بالنص لا قرنين باميه
 نتمصهم ولا حنتين لحمه نلصهم لك على عينك ولا حاجة زى الناس اللى خلتها ربنا .
 هو أنت يا ترى فاهم انك متجوز مره أستاذك لا تاكل ولا تشرب . وكل مايجى تقول
 يمكن ربنا يهديه تقوم انت تلغمط راس الحماره وانت اللى جاى لى بحنكك ملحوس
 ما حد عارف ان كان منعاص طين ولا مجروح وكابسه لك الحكيم بقصرمل والا
 ايه ما تقول لى . يكونش حد كفالك على ذقنك فى مستوقد والا يكونش الميرى
 قابلك فى السكة نمرك بوحله على بقك والا ايه بس . اياك مرافق معزه ومعلمك
 بجالوس طين أحسن تنوه . بقى كل ليله سكر كده موش تعقل بقى وتنقرع وانت
 مناخيرك سوست من كتر الفجر وبسلامته ضرر العقل طلع لك فى ركبك اهو
 وبقي حالك تلف وانت لا بتختشى ولا حاجه وداير عامل لى كده زى غزالجيزة
 اللى يبقوا جعانين ويفرشحوا ع البحر ، قام قال لها روحى ياولية وانت
 عند قولك . والله ان جت سليمة يا ام عبد الملاك وسلمت من الشوية الحبر
 اللى شربتهم دول ولا متش لا بطل السكر وأبقى وادفيس فنجرى فى بيتى ولا
 تبقيش عارفه الخير داخل عليكى منين قامت قالت له حبر ايه وسخام ايه اللى
 شربته . . مهبول والا ايه يبقى ما لقيتش غير الحبر تشربه أيوه اشرب
 لك حاجة تشبعك وأنت بايت من غير عشا والا شوية بلا فى جنتك تسند قلبك
 وأنت عمال تطوح كده زى اللى بيخنقوا القمر ما تقدم كده تشوف لك نصيبه على
 عمرك تطلع به البلاوى اللى فى حنكك قبل ما يفتش فيك واحد عرضحالى ويقول
 ذا شرب الشوية الحبر اللى عمالين نرقص وندعى لهم ، يعنى النشان يا أخى فرحان
 به قوى وقاعد مزقظط كده زى اللى بيحنس العفريت فصاحبنا ما صدق خد
 الكشتين دول فى عضمه وراح يجرى على الحكيم قام قال له اعمل معروف يادكتور

شوف لي دوا أحسن شربت حبر وخايف لا يكون يموت. قام رد عليه الحكيم وقال الحق كل لك فرخين ورق نشاف قبل الحبر ما يسرى في جنتك .

وكان أخاش الحمار في السبب والقذف بالبذاءة المنكرة نكبة على الادب القومي فقد قلدها كتاب الصحف الاسبوعية في قبح المذهب وخالفها بعضهم في طريقة الكتابة فجاءوا باساليب جديدة منها النكت التي كانت تنشر في الشجاعة والسيف من بعدها وهما لاهم عباس وقد كان لا يحسن القراءة والكتابة ولكنه كان شعله ذكاء له بديهة حاضرة وروح من أخف الأرواح وله نواذر ظريفة تذكر منها أنه جلس وأصحابا له أمام مشرب قهوة يتحدثون فجاء شحاذا كبير السن بيده دف ينقر عليه ويغنى بصوت منكر « سهران ما بنام ، سهران ما بنام . . . » فانقلب أحمد عباس من الضجر وصاح في وجهه « ما تروح تنام يلعن أبوك واحنا مالنا » وأنا لا أخرج من أن أصف ذلك الرجل بأنه أديب فقد كان دقيق الملاحظة نقادا بارعا لا ينشر في جريدته الا الجيد من الفصيح والعامي ويعرف مواقع الرصانة والركاكة بنوقة السليم فكانت جريدته آية في الابداع ولا عيب فيها الا ما اشترت اليه من نهش الاعراض والتهجم على الناس بمثل قول جريدة السيوف في أحد الباشوات وهو غنى لم يكن يحسن هندامه ويتمهم بأنه وسخ الثياب بخيل لا يأكل من الادم الا ما يطهى بالزيت : انغاض خدام فلان باشا من سيده ففس له السم من الطعام

ترمى الحتة العجينة في جيب فلان باشا اليمين وتطلعها من جيبيه الشمال لقمة قاضي يجلس فلان باشا على الكرسي وهو يبرشح وتحتة ماجور أخضر رأى بعضهم فلان باشا ماشى في الشمس وطربوشه يبطشش وكان التاجر الكبير يوسف الجمال أو أحمد الجمال سميها متساهيا في السم فقال فيه : نادى الجمال أحد العربجية فقال له العربي : اركب قبل ما البهايم تشوفك لما الجمال يحب يفصل بدلة الترزي يجيب له مهندس من مصلحة المساحة رأى بعضهم الجمال لا فف على رقبته بدل الياقة سير وابور وكان أحد الاعيان متهم بالمبالغة المعروفة بالفشر فقال فيه : يدعى فلان ان في بيته بساط مرسوم عليه جنيته والاولاد يقطفوا منها البرتقان ويأكلوه يدعى فلان ان في مطبخ منزله سكة حد يد يسافر بها الطباخ بين الحلال وبعضها يدعى فلان انه حدف طوبه لفوق ولا نزلتش الا بعد ثلاثة أيام وكانت الصحف الاسبوعية في تلك الايام تحاول أن تكون كالشجاعة والسيف فتسخر سخفا تشتم منه النفوس ، فلا يقام يقام لها وزن ، فتختفى بعد ظهورها بأسابيع ولم تكن الصحف الاسبوعية كلها للهل في تلك الايام ، فقد ظهرت مع الشجاعة والسيف

صحف آخر منذ ثلاثين سنة وأصحابها في حكم الاعمى، وكان يكتبها لهم رجل عجيب يدعى الشيخ الشربلى رأته رأى العين يجلس فى بعض مشارب القهوة بالعتبة الخضراء ويكتب (الجريدة) كلها فى ساعتين وهى أربع صفحات من القطع الكبير وقد حاولت أن أعرف سبب وجود تلك الصحف فلم أستطع لأنى لم أقدر على فهم ما كان الشربلى يكتبه ولا أظنه كان يفهم ما يكتب ولعله كان يكتب لولا دالجن باغة العفارىت سيداتى سادى : فى مذهب داروين أن أصل الانسان قرد ، وان القرد ارتقى مع الزمن حتى صار حيوانا انقرض بعد أن تحول بالارتقاء الى رجل ، ولم تبق من ذلك الحيوان بقية فسمى الحلقة المفقودة ، وقد أخطأ داروين فى زعمه انقراض تلك الحلقة ولو عاش الى سنة ١٩٠٠ لعلم أن تلك الحلقة موجودة بوجود أصحاب تلك الصحف الاسبوعية ، لانهم كانوا وسطا بين الانسان والحيوان وبما اذكركه عنهم ان اثنين منهم اختاراني حكما فى اللغة العربية وقد اختلفا فى هل الصواب فطاحل ولا حطافل فقلت لا فطاحل ولا حطافل والصحيح فطاحل فراحا سعيدين بهذا التصحيح المعكوس ولو كانت الصحافة الاسبوعية وقفا على أولئك الجبال لقلنا عليها يارحم يارحم ولكن حلقات سلسلة التطور الصحفى الاسبوعى ابتدأت بالاستاذ فصباح الشرق فحارة منقبة فالشجاعة فالسيف وجاء بعد ذلك التطاهر من ارجاس المطاحن الشخصية والافداع فتوليت كتابة جريدة السيف حوالى سنة ١٩١٤ فجعلتها صحيفة سياسة وأدب وحولت دقة الهجوم عن الاشخاص الى ناحية الحكومة والمحتاتين وأنصارهم من الجماعات والرجال السياسيين كما يذكر كثيرون من الذين يشرفوننى الآن بسماع هذه الكلمة فراج السيف حتى طبع منه أربعون الف نسخة فى الاسبوع فعلم الأدباء أن تنزه الصحافة الاسبوعية عن السفاسف يحجبها الى الجمهور فطهروها وظهرت الصحف الشريفة تباعا إلى الآن .

ومعاذ الله ان ادعى انى أول من طهر الصحافة الاسبوعية من الادران ، فقد سبقنى عبد الله نديم و ابراهيم بك المولى بى والشيخ محمد النجار أصحاب الاستاذ ومصباح الشرق والارغول وأستاذى الكبير ان محمد مسعود وحافظ بك عوض فقد أنشأ المجلة خيال الظل سنة ١٩٠٦ ، ان صحت ذا كرتى ، ولكننى أغفلت الكلام عنها وعن جريدة السياسة المصورة لانهم لم تعيشا طويلا لأسباب غير السكساد فقد كانتا رائجتين كل الرواج واستقبلهما القراء أحسن استقبال ولو قدر لهما طول البقاء لكانتا هما السابقتان فى سبيل الصحف المصورة ، لانهما أقدم الصحف التى ابتدعت التصوير وعنه ، أخذ السكشول ومجلات دار الهلال وروز اليوسف وآخر ساعة وأنتم تعرفون الباقي .

وقد أكون ناسيا بعض الصحف التي لها أثر في هذا التطور وجل من لا ينسى فلا يحقد على من نسيتته من أصحاب هذا الفضل .

سيداتي ، سادتي : - سمعت كثيرا ان الصحافة اليومية أجدر من الصحافة الأسبوعية بالاجلال والا كبار ، وان الكتاب المشتركين في اصدار الصحف اليومية أرفع منزلة من كتاب الصحف الأسبوعية ، وليس هذا بصحيح ، فان كائنا من كان يستطيع أن يكتب في الصحف اليومية اذا كان على قسط من المعرفة ، وليس يستطيع الكتابة في الصحيفة الأسبوعية الا الأديب المتمكن من اللغة ، الجيد الأسلوب الواسع الاطلاع ، الخبير بالحوادث ، والأخلاق والطباع .

وأقول الصحيفة الأسبوعية وليس في حسابي شيء من الصحف السرية التي نسمع بها ولا نراها والتي لا نسمع بها ولا يعرف وجودها أحد غير ادارة المطبوعات ، فان هذه في حكم العدم ، وليس وجودها دليلا على ان لها كتابا الا اذا كانت الكتابة بعد اهدى مزيد السلام عليكم وكثرة الأشواق الزائدة اليكم الى غير ذلك وإذا سألتهم عنا فله الحمد صحتنا جيدة ، ولكن الصحيفة الأسبوعية التي لها قراء كثيرون وكلمة مسموعة ومقام محمود هي التي أقول ان كتابها من فطاحل الأدباء ، ولا غرو ، فانهم يستميلون اليها القراء بعلمهم وفضلهم لا بالانباء البرقية ولا بالاخبار المزوقة ، وما من كاتب في صحيفة اسبوعية منتشرة الا له قدرة على التحرير في أكبر الصحف اليومية وأعظمها شأنًا وليس كاتب تلك الصحيفة اليومية الكبرى بقادر على الصحافة الأسبوعية الا اذا كان من الأدباء العارفين باللغة والمنطق والنثر والنظم معرفة اجادة واحسان .

ثم ان كتاب الجدم من الكثرة بحيث يخطئهم الاحصاء وليس في البلد من يجيد الكتابة الهزلية الا نفر من عظماء أهل الادب ، واذ كرر لكم الاستاذ الشيخ عبدالعزيز البشري والاستاذ فكري أباطه والاستاذ محمد التابعي فهل في مصر كتاب هزليون غير هؤلاء ؟ كل واحد من هؤلاء يستطيع أن يكون رئيسا لتحرير أعظم الصحف اليومية ويهر القراء بكتابتته الهزلية وليس كاتب جدي في جريدة كبرى أو مجلة عالية القدر يدعي أنه قادر على الكتابة في أصغر الصحف الهزلية .

وليس هذا انتقاصا لزملائنا اليوميين فان مقامهم مشهور وفضلهم غير منكور وكل ما أريد بهذا الاستدراك أن أدفع ما يتهمنا به الجلاء بصناعتنا . وهذا هو الاستاذ انطون الجميل والاستاذ حافظ عوض من كبار الأدباء ولولا انصرفهما الى الصحافة اليومية لكانا من خير الكتاب الهزليين بما لهما من العلم والادب ، حسبي ذكرهما دليلا على حسن النية في هذا البيان ، وأسعد الله مساءكم .

خاصة بحيث يستطيع منع السبابين ونهشة الأعراض مثلاً من معالجة مهنة الصحافة ،
وبحيث لا نسمح لسكاتب بالاخلال بالنظام أو مخالفة الآداب العامة ؟
أم أن نطالقي الحرية الصحافية اطلاقاً تاماً ، والحرية نفسها كهيئة بتنظيم نفسها
وتطورها مع الزمن إلى الأصلاح الأنفع ، فلا يجد السبب المعتدى من يقبل على
قراءة جريدته ، فهو بين أن يستقيم وبين أن يترك المهنة بتاتا ، وأى الرأيين أجدى
علينا وأنفع في ظروفنا ؟ وإلى أميل الآن للرأى الثانى وهو اطلاق الحرية للصحافة .
ولقد عرضت على حضراتكم ما بدا لى من وجوه الرأى فى هذه المسألة ، ولكم
أن تقرروا ما ترون .

حضرة محمد على بك — أوافق على ابقاء المادة (١٤) على أصلها ، والموضوع انما
ينحصر فى النقطة الآتية :

هل يعطى للبرلمان الحق فى سن القوانين اللازمة للصحافة تأميناً للنظام وصوناً
للأعراض أم لا ؟

حضرة على ماهر بك - هذا تكفل به قانون العقوبات ، والذى
أريده ألا يكون للبرلمان ، وخصوصاً فى الأحوال العادية ، الحق فى تقرير
قوانين تبيح للحكومة مراقبة الصحف أو عدم الترخيص باصدارها .
سعادة قطاوى باشا - لماذا نضعف ثقتنا بالبرلمان إلى هذا الحد ، ان البرلمان
من جهة أخرى لا يعسر عليه أن يقرر اعلان الأحكام العرفية ، وحيث أنه يستطيع
القبض على ناصية الصحافة وتعطيل حريتها .
معالى الرئيس - يؤخذ الرأى أولاً على ابقاء المادة ١٤ أو تعديلها كما اقترح
حضرة المكباتى بك .

فتقرر بأغلبية الآراء الموافقة عليها من غير تعديل .

معالى الرئيس - اذن يؤخذ الرأى على المادة الجديدة التى اقترح وضعها حضرة
على ماهر بك .

حضرة عبد اللطيف المكباتى بك - ان من أعظم الخطر على البلاد أن يسمح
لكل انسان بأن يتصدى للصحافة ويجلس فى مجلس الارشاد العام .
حضرة توفيق دوس بك - نعم هذا خطر شديد .

حضرة على ماهر بك - أسلفت أنه لا مانع من تقييد هذا الحق ، كأن
ينص على أنه لا يجوز مزاوله الصحافة للأشخاص المحكوم عليهم بأحكام
تخل بشرفهم .

حضرة عبد العزيز فهمى بك - النص الذى اقترحه حضرة على ماهر بك يتضمن
أمرين : أولهما ان كل انسان له الحق فى مزاوله مهنة الصحافة بدون تصريح ،
والثانى أنه لا يمكن اصدار قانون يجعل الجرائد تحت مراقبة أو عقوبة ادارية .
فالنص الذى عرضه لا يجيء مباشرة مع النص الذى وافقتم عليه ، وعلى ذلك
ينبغي تعديله كما يأتى : « لاجابة إلى تصريح سابقى من أى سلطة كانت . . الخ »
حضرة على ماهر بك - انى أقبل ذلك وأترك للهيئة اختيار أحد
النصين .

معالى الرئيس - تؤخذ الآراء ،
فتقرر بالأغلبية رفض كلا الاقتراحين .
ثم تليت المادة (١٥) وهذا نصها :
« لايسوغ فرض أى قيد على أى شخص متمتع بالرعوية المصرية فى حرية
استعماله لأية لغة فى معاملاته الخصوصية أو التجارية أو فى الدين أو فى الصحف
أو فى المطبوعات من أى نوع كانت أو فى الاجتماعات العمومية » .
فتقررت الموافقة عليها بالإجماع .

* * *

وجاء بمحضر الجلسة الرابعة والعشرين المنعقدة فى يوم الاثنين ٢١
أغسطس سنة ١٩٢٢ ما يأتى :

معالى الرئيس - هل تسمحون بعرض الاقتراحات ؟
حضرة على ماهر بك - لنند تليت المبادئ الخاصة بحقوق الأفراد
مرة واحدة ، فأرى أن تتلى مرة ثانية ، فانى أريد أن أتكلم عن حرية
الصحافة المتعلقة بالمادة (١٤) من تلك المبادئ

حرية الصحافة قانونا معناها حرية اصدار الصحف ، لأن حرية
الرأى والكتابة قد سبق لنا تقريرها ، وحرية اصدار الصحف لا تكون
الا إذا لم توضع قيود وعقبات فى سبيلها ، وأهم القيود الرقابة والرخص .
وليس معنى منع الرقابة ألا تحاكم الجرائد على ما تكتب . كلا . انى
معكم فى أنه يجوز للبرلمان فى ظروف خاصة أن يزيد ان شاء فى الجرائد

الصحافية ، لأننى لا أرضى الفوضى أبدا ، لكن هذا يقع بعد صدور الصحف . أما ما أتكلم الآن عنه فرقابة الصحف قبل صدورها ، وهذه هى الرقابة التى قررت الدساتير منعها ، فليس يصح أن تعرض صحيفة قبل نشرها على هيئة إدارية للتصريح بنشر شيء وتحريم نشر شيء آخر فيها ، هذا لا يجوز مطلقا فى الأزمنة العادية ، ولهذا تقرر مبدأ عدم الرقابة فى بروسيا العسكرية وحتى فى تركيا . وكما أننا لا نريد الفوضى ، فنحن لا نريد الاستبداد . فأرجو أن تقررُوا أن الرقابة على الصحف قبل نشرها ممنوعة .

سعادة حافظ حسن باشا - الرقابة على الصحف غير موجودة حتى فى قانون المطبوعات .

حضرة على ماهر بك - انما أطلب تقرير حرية موجودة الآن فعلا ، لأن الرقابة على الصحف غير موجودة الآن بحكم القوانين المصرية .

حضرة عبد اللطيف المكباتى بك - حضرة على ماهر بك يريد منع الرقابة على الصحف قبل إصدارها ، وهو يريد منع ال « Censor » ، ولكن للبرلمان أن يضع فى قانون الصحف من الأحكام ما شاء غير هذا .
حضرة على ماهر بك - أريد أن تنشر الصحف بدون تقديم لرقيب ، وهذا واقع اليوم بالفعل .

حضرة توفيق دوس بك - وهذا مسلم به من الجميع .
حضرة محمود أبو النصر بك - لكن الرقابة موجودة فى الأحكام العرفية .
حضرة على ماهر بك - فى وقت الأحكام العرفية تتعطل أحكام الدستور وتحرم البلاد من حريات كثيرة .

حضرة توفيق دوس بك - وتقريرنا منع الرقابة على الصحف قبل إصدارها انما نريد به أن يكون فى الأيام العادية .
فتقررت الموافقة على ذلك .

حضرة على ماهر بك - النقطة الثانية أن لكل فرد حق اصدار الصحف بلا حاجة إلى ترخيص خاص، متى توفرت فيه الصفات التي يقررها القانون، حتى لا تتحكم الادارة في العطاء والمنع، ولا تميز بين الأشخاص الذين يتقدمون لها ماداموا حائزين للصفات التي اشترطها القانون .
حضرة توفيق دوس بك - أرى أن لا نقيّد البرلمان فيما يضعه من القوانين للصحف، فقد يجوز أن يعطى للادارة هذا الحق .

حضرة على ماهر بك - انما نريد أن نحول دوز استبدال الادارة ومتى كان الطالب حائزا للشروط المطلوبة قانونا وجب أن يرخص له باصدار صحيفة
حضرة توفيق دوس بك - يجوز ان يقرر البرلمان شروطا أخرى غير الشروط الشخصية .

حضرة على ماهر بك - نريد أن نمنع البرلمان من هذا
حضرة زكريا نامق بك - البرلمان هو الذي يمنع الادارة من الاستبدال في اعطاء الرخص .

حضرة محمد على بك - يرى زكريا بك ان القانون إذا أعطى للحكومة هذا الحق فالبرلمان يراقبها في تنفيذه تنفيذا عادلا . ويرى حضرة على ماهر بك عدم ترك التصرف باعطاء الرخص وعدم اعطائها للحكومة . ولأني أؤيد حضرة على ماهر بك فقد يكون طالب الرخصة من حزب الاقلية ، فترفض الحكومة اعطاء الرخصة، والحكومة دائما من حزب الاكثية فتجد من حزبها مؤيدا لها في عملها وإذا ذاك تستبد الاكثية بالاقلية استبدادا يمنعها من أن تنشر آراءها .

حضرة على ماهر بك - اضرب مثلا يوضح فكرتي : اشترط للدخول في مدرسة الحقوق أن يكون الطالب حائزا للبكالوريا وأن يكون سنه كذا فلا يصح منعه بعد ذلك من دراسة الحقوق، مثل هذا هو ما أطلبه للصحافة .
حضرة عبد اللطيف المكباتي بك - في أول عهد الدستور يدخل الأمة دخلاء كثيرون ، فسيكون يومئذ مصريون حقة يسيرون يصدر عن الصحف لخدمة الأمة، ومصريون بالاسم يدخلون في الصحافة لخدمة سياسة أجنبية ، فلا محل لشل يد البرلمان عن أن تمتد لمنع مثل هذا الأذى عن البلاد .

حضرة على ماهر بك - إن هذا التفريق بين مصرى ومصرى هدم لما سبق تقريره من أن المصريين متساوون في الحقوق والواجبات ، فإن كان الضرر بالمصلحة العامة هو ما تخشى ، فأمامك طريقان : طريق العقوبة في الأحوال العادية وطريق اعلان الاحكام العرفية اذا استفحل الخطر حضرة على المنزلاوى بك - أرجو حضرة على ماهر بك أن ينزع اقتراحه في صيغة نص ويتلوه علينا .

حضرة على ماهر بك - الصحافة حرة والرقابة ممنوعة ولكل مصرى حق اصدار الصحف مادام حائزا للشروط التى يقررها القانون .
حضرة محمود أبو النصر بك - إذن لا خلاف بينك وبين حضرة مكباتى بك
حضرة زكريا نامق بك - هذا مفهوم المادة ١٤ .

حضرة على ماهر بك - المادة ١٤ لم تتعرض مطلقا لحرية اصدار الصحف ، على أننا ما دمنا متفقين على المبدأ فلنقرره وندع الأمر للتحرير ، فإن كان هناك محل لهذا النص بعينه أثبت ، وإن أغنت النصوص الأخرى عنه لم تكن حاجة للاثبات .

حضرة عبد اللطيف المكباتى بك - أنا متفق مع حضرة على ماهر بك إذا هو استبدل (الشروط التى يقررها القانون) بعبارة (فى الحدود التى يقررها القانون) .
حضرة على ماهر بك - هذا قد يسمح للبرلمان أن يضع قانونا يجعل للحكومة حق الترخيص بالصحف وعدم الترخيص بها

حضرة محمد على بك - عبارة (الشروط التى يقررها القانون) إنما نقصد فيها صفات شخصية فالحكم فى وجود هذه الصفات وعدم وجودها هو القانون . أما عبارة (فى حدود القانون) فقد تسمح بوضع قانون يحيز للحكومة اعطاء التصريح أو عدم اعطائه سعادة حافظ حسن باشا - لقد قررنا أنه لا رقابة إلا فى وقت الاحكام العرفية ولم يسكن عندنا قط رقابة بحكم القانون ، أما مسألة التصريح باصدار الصحف عند توفر شروط خاصة فى عليه اعتراض ، ذلك أن الادارة كثيرا ما ترى أناسا تتوفر فيهم جميع الصفات القانونية ولكنهم على جانب عظيم من الانحطاط الخلقى ، فالشخص الدنى الاخلاق ، وإن توفرت فيه الصفات القانونية ، يخشى منه على الاخلاق العامة ،

وهذا أمر يجب ترك تقديره لجهة من جهات الحكومة. للجهات العمومية والترخيص بها شروط، فإذا فرضنا أن حصل خلاف بين صاحب المحل والحكومة ترى الرجل غالباً يفتح المحل بدون رخصة وفي هذه الحالة يكون الحكم للقضاء يدلى كل من الطرفين أمامه بحجته وهو صاحب القول الفصل في الموضوع، وما دام ذلك فعندنا ضمانان : أولهما نظر البرلمان فيما إذا كان هناك محل الرخصة أم لا . والثاني مراقبة القضاء، وذلك خير من ترك الأمر فوضى فيدخل في الصحافة كل من أراد، ولذلك أرى أن يكون النص : (لكل مصرى حق إصدار صحيفة في حدود القانون) معالى الرئيس .. رأى حضرة على ماهر بك أن لكل مصرى حق إصدار الصحف ما دام حاصل على الشروط التي يقررها القانون بلا حاجة إلى ترخيص خاص، ورأى سعادة حافظ باشا أن نترك للبرلمان وضع شروط إصدار الصحف وقد يشترط القانون الذي يضعه البرلمان أخذ رخصة وقد لا يشترط . حضرة توفيق دوس بك - أما حضرة على ماهر بك فلا يرى مجال من الأحوال استصدار رخصة .

حضرة على ماهر بك - النص الذي وضعته لا يحرم البرلمان من كل أنواع المراقبة لتوطيد الأمن وحماية الآداب، فللبرلمان أن يقرر ما شاء في حدود النظام العام

هناك في بلاد أخرى ضمانات للصحفيين، كاشتراط المحلفين في محاكمتهم، حتى في الجنح، وأنا لم أقترح هذا تاركاً للبرلمان أمر النظر فيه، وهناك حظر دفع التأمين ولم أقترح أنا حظره . ثم إن الضمان ضد ما نخشاه سهل . فيمكن النص في القانون الذي يصدره البرلمان على أنه لا يتولى الصحافة غير الأكفاء، ويمكن تشديد العقوبة عند المساس بالآداب العامة، وهذا أفضل أثراً من الترخيص والرقابة، فقد رأينا تحت حكم قانون المطبوعات أن الجرائد التي تعتدى على الآداب لم تمس بسوء، مع أن البرلمان له أن يمنع قوى الأخلاق الفاسدة من احتراف الصحافة حضرة محمود أبو النصر بك .. تؤخذ الآراء على النصين .

معالى الرئيس .. نص حضرة ماهر بك هو الصحافة حرة والرقابة ممنوعة ولكل مصرى حق إصدار الصحف مادام حائزاً للشروط التي يقررها القانون، فهل تأخذ الهيئة به أو تأخذ بالنص الثاني ؟

تقرر الأخذ بالنص الثانى وهو «الصحافة حرة والرقابة ممنوعة ولكل
مصرى حق اصدار الصحف فى الحدود التى يقررها القانون»، على تكون أن
مادة ١٤ مكررة

* * *

وجاء بمحضر الجلسة الرابعة والثلاثين المنعقدة فى يوم الجمعة ٢٩
سبتمبر سنة ١٩٢٢ ما يأتى :

ثم تليت المادة الرابعة عشرة ونصها :

« الصحافة حرة فى حدود القانون والرقابة على الصحف قبل نشرها محظورة »
حضرة على ماهر بك ألاحظ أن لجنة التحرير انقصت شيئاً مما تقرر
فى اللجنة العامة، وهو النص على أن لكل مصرى حق اصدار الصحف،
فاذا أريد حذف ذلك فأقترح أن يكون النص (حرية الصحافة مكفولة)
حضرة عبد الحميد بدوى بك - روى أن بين المادتين ١٣ و ١٤ بعض التداخل،
فالأولى قررت حرية الاعراب عن رأى بكل الطرق ومنها الكتابة فلم يبق
لحرية الصحافة معنى سوى ابداء رأى على صورة مخصوصة وهى اصدار الصحف
وهذا المعنى هو الذى يؤديه صدر المادة ١٤، فذكر عبارة أن لكل مصرى حق
اصدار الصحف . . . الخ بعد ذلك تكرر لا مسوغ له :

فوافقت الهيئة بالاجماع على بقاء المادة على حالها .

ثم تليت المادة الخامسة عشرة ونصها :

« لايسوغ تقييد حرية مصرى فى استعماله أية لغة أراد فى المعاملات الخاصة
أو التجارية أو فى الامور الدينية أو فى الصحف أو المطبوعات أيا كان نوعها أو
الاجتماعات العامة »

حضرة على ماهر بك - اقترح حذف كلمة (مصرى) من المادة فيقال
(لايسوغ تقييد حرية استعمال أية لغة الخ) اذ المفهوم ان الدستور
موضوع للمصريين

فضيلة الشيخ بخيت - وأنا أقترح حذف عبارة (أو فى الامور الدينية) حتى
لاتباح قراءة القرآن بغير اللغة العربية .

معالي الرئيس - يؤخذ الرأي .
فتقرر بالأغلبية بقاء المادة على حالها .

* * *

وجاء بمحضر الجلسة التاسعة والثلاثين المنعقدة في يوم الخميس ٥ أكتوبر سنة ١٩٢٢ ما يأتي :

حضرة على ماهر بك - أريد أن أتكلم عن المادة الرابعة عشرة من باب حقوق المصريين وواجباتهم الخاصة بالصحافة ، ونصها هو : (الصحافة حرة في حدود القانون ، والرقابة على الصحف قبل نشرها محظورة)
تكلمنا عن هذا النص كثيراً ودولة رشدي باشا أبلغنا أمس أن له ملاحظات على هذه المادة ويود أن يبلغها للجنة وهي ادخال تعديلات على النص وزيادة فقرة عليه

أما التعديل الأول فهو زيادة كلمة (العام) بعد عبارة - في حدود القانون - حتى لا تكون الصحافة مقيدة في حريتها إلا بالقانون العام
التعديل الثاني هو حذف عبارة (قبل نشرها) ليكون النص : (والرقابة على الصحف محظورة) أي بصفة عامة .

أما الفقرة التي يريد اضافتها فهي : (ان الصحف لا يجوز أن تكون محلا لعقوبات ادارية)

معالي طلعت باشا - الاضافة الأخيرة لا لزوم لها اكتفاء باضافة كلمة (العام) لأن هذا النص يمنع جهات الادارة من التعرض للصحافة بأي عمل كان .
حضرة عبد اللطيف المكباتي بك - إننا الآن في حالة انتقال ، وأول واجب علينا هو تربية الشعور العام على المبادئ الصحيحة ونشر الآراء السليمة . وحالنا قابل للتطرف ، وأول ما يقبل التطرف هو الصحافة ، ومع الأسف أقرر ان كثيراً من الصحف لا يعمل للمصلحة العامة بل يسير وراء آراء أو أغراض خاصة ، لذلك أرى أن يترك للبرلمان الحرية التامة لوضع الأنظمة التي يرى وضعها للصحافة .
لقد مرت إيطاليا بتجارب عديدة أشبه ما نمر وما ينتظر أن نمر به ، وقد وضعت لنفسها دساتير تقرب من العشرين ، وقد جاء في دستورها الأخير نص حكيم يتعلق

بالصحافة أرجو أن تتخذ نهجاً في وضع نص مثله في دستورنا، وهذا هو نص المادة في الدستور الإيطالي :

(الصحف حرة ولكن للبرلمان أن يقيد التطرف فيها) .
نرى الآن الكثير من صحفنا لا يتبع الطريق القويم، وأخشى أن يزداد ذلك، فأرجو أن يترك البرلمان حراً ليتمكن وضع العلاج الذي يكون ضرورياً لحالة البلاد، وذلك بأن نضع في دستورنا نصاً شبيهاً بنص الدستور الإيطالي .

حضرة الياس عوض بك - المادة بنصها الحالي فيها الضمان الكافي
حضرة عبد العزيز فهمي بك - النص الحالي هو النص الذي أدخل على الدستور التركي في سنة ١٩٠٩ أى عقب الثورة التركية ، ومع ذلك فلا أعارض في التوسع في حرية الصحافة ، فقد كان لي نص عرضته فيها مضمناً أوسع من كل هذا .
والسكتي أعارض في زيارة كلمة (العام) في أول المادة لأنه لا يمكن أن يحجر على البرلمان وضع قانون خاص للصحافة .

حضرة علي ماهر بك - المراد هو منع تسلط الإدارة على الصحف بأي طريقة من الطرق ، فلا يباح للإدارة انذار الصحف أو اقفالها .
حضرة عبد العزيز فهمي بك - نحن متفقون على منع جهة الإدارة من إرسال انذارات إلى الصحف أو وقفها بغير حكم قضائي . وسأنتق مع حضرة علي ماهر بك على وضع الصيغة المطلوبة
موافقة عامة على ذلك وأن يعرض النص غداً في أول الجلسة

* * *

وجاء بمحضر الجلسة الأربعين المنعقدة في يوم الجمعة ٩ أكتوبر سنة ١٩٢٢ ما يأتي :

حضرة عبد العزيز فهمي بك - قررتم في الجلسة الماضية تعديل نص المادة ١٤ من باب حقوق المصريين الخاصة بحرية الصحافة فأقترح عليكم النص الآتي :
« الصحافة حرة في حدود القانون والرقابة على الصحف محظورة وانذار الصحف أو وقفها أو الغاؤها بالطريق الإداري محظور كذلك »
موافقة عامة .

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فِي تِلْكَ

شهد الأدب في عهد وزارة علي ماهر باشا فترة ذهبية ، لم يشهدها من قبل ، وبعث فيه مقامه الرفيع من عناصر النشاط والحياة ما عهد له به من قبل . كان عهد وزارة مقامه الرفيع موسم الأدب ، وعهد الانتاج الفكري المنظم ، وقد مضى عهد الوزارة ، ولكن بقيت آثارها في الأدب والسياسة والاجتماع خالدة لا تفنى .

طلعت الصحف على الناس يوم ٢٠ مارس سنة ١٩٣٦ بمشروع عجيب ، لم يكن أحد يحلم به ، أو يفكر فيه ، وهو مشروع « المباراة الصحفية الأدبية » ، ولم يكد المشروع يذاع ، حتى صار حديث القوم ، والشغل الشاغل للأدباء والمصلحين والصحافيين ، وغمرت البلاد يومئذ موجة ، من النشاط الأدبي الفذ ، فأقبل الجميع يحيون المشروع ، وصاحب المشروع ، وباركون هذه الحركة التي خلقتها على ماهر باشا ، لاهياء الأدب الشعبي ، وتوجيه جهود الأكفاء من أبناء الشعب إلى الانتاج المثمر المنظم ، وانصرف الى المباراة عدد هائل من الأدباء والمفكرين ، يعالجون هذه النواحي الاجتماعية الحيوية ، التي أثارها رئيس الوزراء ، وأثار فيهم الاهتمام بها ، وانصرف اثنان وأربعون رجلا (١) من قادة الفكر والعلم والأدب في مصر إلى دراسة مواضيع المباراة ، ونقدها ، والحكم عليها ، فسجلت هذه الحركة الحية أزهى عصور الأدب في عصر النهضة ، وفيما قبله من عصور .

(١) حضرات أصحاب الفضيلة والمعالي والسعادة رؤساء وأعضاء لجان التحكيم

وما ظنك بنحو ألف وخمسمائة كاتب وأديب يتوفرون على دراسة
أحد عشر موضوعاً حيويًا في الأدب والفن والعلم والسياسة والاجتماع ؟
ما ظنك بهذا العدد الهائل ينصرف إلى الانتاج المثمر ، فيخرج
إلى البلاد خلاصة أفكاره وتجاربه فيما يهمها من الشؤون ؟
ما ظنك بهذا العدد الضخم من الأدباء والعلماء يعالجون مشاكل
الأسرة والفلاح والبطالة ، والنواحي التي تهتم مصر من الأزهر الشريف
والدستور والبوليس والتربية الوطنية ، ثم اللغة والدين والعادات باعتبارها
من مقومات الاستقلال ؟

لقد شاء حضرة صاحب المقام الرفيع على ماهر باشا أن ينتفع بأكبر
عدد ممكن من أكفاء الشعب ، في معالجة ما يهم الشعب من مسائل
وأمر ، وأن يستغل أكبر ما يمكن استغلاله من الكفايات للصالح
العام ، وأن يمنح الفرصة للأدباء المغمورين والمعروفين للانتفاع بخدمتهم
ومواهبهم .

وكانت هذه الحركة المباركة الناجحة باعثاً على توجيه الفكر إلى
تعميم المباريات .

فمن آثارها اقتراح سعادة الدكتور حافظ عفيفي باشا اقامة مباريات
سنوية منتظمة (١) ، في الأدب والشعر والاجتماع والتاريخ والسياسة

(١) قدم هذا الاقتراح في ٨ يولييه سنة ١٩٣٨ ونصه :

« حضرة صاحب العزة مدير إدارة المطبوعات

دفعت المسابقات الأدبية في الموضوعات التي أقامتها الوزارة السابقة إلى
تقدم كثيرين بالبحث وتقليب الآراء والأفكار المختلفة في هذه الموضوعات مما
كان له أثر صالح يدعو في نظرنا الحكومة القائمة إلى تقدير فكرة المسابقة على صورة
مطردة في كل سنة . على أن ضيق الوقت الذي حدد للمسابقة الماضية مع اتساع مدى كل

وتبسيط العلوم ، وقد حول هذا الاقتراح إلى وزارة المعارف

موضوع من موضوعاتها قد أدى بالكثيرين إلى تناول هذه الموضوعات تناولا سريعا أدنى في نوعه إلى البحث الصحفى اليومى منه إلى البحث الفنى أو العلمى الدقيق وقد رأت اللجنة التى تشرفت برياستها، والتى هى إحدى اللجان التى ألفت للفصل فى هذه المسابقات، أن تتقدم إلى الحكومة، نظرا لما ظهر بوجه عام من فائدة الدعوة إلى المسابقة، ومن نتائجها الصالحة، وحرصا على أن ترقى هذه الدعوة خير ثمراتها، رأت أن تتقدم برجاء استمرار هذه المسابقة لتكون دورية سنوية حافزة لبذل الجهد بصورة متصلة يطمئن معها كل باحث لتناول بحوثه تناولا فنيا لا تجنى السرعة عليه، ويتسنى معها أن تكون الثمرات أكبر قيمة وأعظم أثرا فى الحياة الفكرية العامة فلا تقتصر على بحث وجيز فى موضوع من الموضوعات بل تكون كتابا فى هذا الموضوع .

لهذا تتقدم هذه اللجنة بأن تقترح :

- أولا - تقرير خمس جوائز سنوية قيمة كل منها ٢٥٠ جنيه مصرى .
- ثانيا - أن تقتصر أربع من هذه الجوائز على المتقدمين من المصريين وأن تكون الجائزة الخامسة للذين يتقدمون لنوالها من أبناء البلاد التى تتكلم العربية .
- ثالثا - أن تعطى واحدة من أربع من تلك الجوائز للمصرى الذى يؤلف كتابا يستحقها فى واحد من الموضوعات الآتية :

(١) الادب .

(٢) الشعر .

(٣) الاجتماع أو التاريخ أو السياسة .

(٤) تبسيط العلوم .

وأن تعطى الجائزة الخامسة لصاحب الكتاب الذى يستحقها من أبناء العربية جميعا فى أى من هذه الموضوعات .

رابعا - تقدم هذه الكتب مطبوعة سنويا فى موعد تعينه الحكومة قبل أن تجتمع لجان التحكيم بشهرين على الأقل، وذلك لتشترك الصحافة ولتشترك النقاد والجمهور فى ابداء الرأى فى هذه الكتب قبل نظر اللجان إياها .

ومن آثارها أيضا مانشهده اليوم من نشاط وزارة المعارف في شحذا لهمم ، وتشجيع الانتاج الأدبي ، بمبارياتها المعروفة .

ولقد كانت نية حضرة صاحب المقام الرفيع على ماهر باشا متجهة إلى جمع مواضيع المباراة ودراستها دراسة يكون من ورائها الانتفاع بما فيها من تجارب وآراء ، لكن توالى الحوادث السياسية عطلت هذه الرغبة الكريمة النافعة ، حتى شاء الله تعالى أن يوفقني إلى بعثها (١) من جديد ، في هذا العهد المبارك الميمون : عهد مولانا حضرة صاحب الجلالة المليك المعظم الصالح المقدى المحبوب نصير الأدب والأدباء « فاروق » الأول حفظه الله تعالى ذخرا لمصر والمصريين .

لأنه منكم

أغسطس سنة ١٩٣٨

ولم تجعل اللجنة أول قصدها من تقدير قيمة هذه الجوائز الفائدة المادية التي تعود على المؤلفين ، فهي تقدر أن طبع كتاب صالح طبعا متقنا قد يستنفد هذه الجائزة ، وإنما قصدت - على المعاونة على طبع الكتاب - إلى الأثر المعنوي الذي يترتب على منح الجائزة سواء في نفس المؤلف أو عند الجمهور .

ولاني أرجو من عزكم التفضل بعرض هذا الاقتراح على دولة رئيس الحكومة ووزير الداخلية ، وأمل أن يستحق عنايته ورعايته .

وتفضلوا عزكم بقبول فائق الاحترام «

(١) نشرت رسالة الفائز بالجائزة الأولى في كل موضوع ، وملخصا لكل من رسائل الآخرين .

المباراة الصحفية الأدبية بيانات من إدارة المطبوعات

(١)

لما كان من أعز أماني الوزارة أن ترى في أقرب فرصة متاحة نهضتنا الصحفية تمضي قدما لا تلوى على شيء ، متجهة نحو الغاية الثقافية التجديدية التي يرومها كل مقدر لأهل هذه الصناعة الشريفة ، وأن تساهم من قبلها مع العاملين من رجالاتها في مساجلة الأقلام ومباراة اصحاب البيان ، وأن تعمل بقدر المستطاع على تمحيص الآراء بين ذوى المواهب والكفايات ، وأن تعرض على بساط البحث والدرس الموضوعات الاصلاحية الثقافية العامة ، فانها ترى لزاما عليها نحو الصحافة والصحفيين ، والكاتبين والباحثين أن تخصص من ناحيتها جوائز للمجيدون والمحسنين ، تنشيطا للأقلام ، واثارة للافهام ، وإثارة للحساس العلى ، وانهاضا للبحث الأدبي ، واطلاقا للعنان العقلى ، وزيادة فى الانتاج الثقافى ، وتوخيا للاصلاح الاجتماعى .
لذلك يسر الوزارة أن تذيع بين الناطقين بالضاد ، من كتابنا وأدبائنا ، أنها قد قررت جوائز تمنح للفائزين فى الموضوعات العشرة الآتية :

- (١) رسالة الازهر فى القرن العشرين .
- (٢) اللغة والدين والعادات باعتبارها من مقومات الاستقلال .
- (٣) أثر الحافظ الشخصى فى تطور الاصلاح الاجتماعى والوسائل العملية لتوجيهه للخير العام
- (٤) البطالة ووسائل علاجها والتعليم الاقليمى وأثره فى علاج البطالة .
- (٥) التربية الوطنية الاستقلالية وأثرها فى بناء الامة .
- (٦) عدة النجاح لرجل القرن العشرين .
- (٧) تدعيم الحياة الدستورية والوحدة الوطنية وتكون الوطنى المستنير .
- (٨) ترقية الفلاح اجتماعيا . (٩) استثمار نهضة المرأة المصرية للخير العام .
- (١٠) وضع تشيد وطنى قومى .

وقد تقرر للفائز الأول فى كل من الموضوعات المتقدمة مائة جنيه ، وللثاني خمسون جنيها ، ولكل من الثالث والرابع خمسة وعشرون جنيها .
ويمكن لحضرات الكاتبين نشر ما يعين لهم فى الموضوعات المتقدمة إما فى الصحف السيارة أو غيرها من المجلات العامة على أن يرسلوا صورة ما يكتبونه إلى إدارة المطبوعات .
أما مدة هذه المباراة فقد تحدد لها خمسة عشر يوما تنتهى فى ١٥ ابريل سنة ١٩٣٦

وسمعان الوزارة قريبا عن هيئة التحكيم في كل موضوع من هذه الموضوعات .
١٩ مارس سنة ١٩٣٦

(٢)

الحاقا لمشروع حضرة صاحب الدولة على ماهر باشا الخاص بالمباراة الصحفية الأدبية تشرف ادارة المطبوعات بأن تديع على حضرات الصحفيين والكتابيين بأن اختيار دولته قد وقع على حضرات أصحاب الفضيلة والمعالى والسعادة الآتية أسماؤهم بعد رؤساء اللجان التحكيم كل في الموضوع الذى يخصه وترك لكل من حضراتهم حرية اختيار زملائه أعضاء لجنته . وستديع الادارة قريبا أسماء الجميع ، كما أنها ستديع ما فديتراى لهذه اللجان من توجيهات وارشادات وقواعد وأسس .

وقد تفضل دولة الوزير فأمر بامتداد مدة تقديم الموضوعات الى أمد نهايته ١٠ ابريل سنة ١٩٣٦ فى غير تحديد لحجم ما يكتب وفى مطلق الحرية للكتاب فيما يريد ابداءه من آراء ومقترحات وأن التفضل يكون للرسالة العملية النتائج وليس ثمت من حاجة الى التطويل فيما هو ظاهر جلى وأن العبرة كل العبرة فى حسن التصوير ودقته والامام الصحيح بشئى نواحى الموضوع العملية الانتاجية ، كما أن دولته قد أشار بترك الحرية المطلقة لحضرات المتقدمين من الصحفيين والكتابيين فى أن يرجئوا نشر رسائلهم الى ما بعد ظهور نتائج المباراة أو أن ينشروها من الآن فيما يختارون من صحف ومجلات . كذلك أمر دولته أن تطبع الرسائل الفائزة فى كتاب خاص رغبة فى اذاعتها والاستفادة من وجاهتها ونشرا للثقافة وحسن الافادة ، وأن يداع منها من محطة الاذاعة الحكومية اللاسلكية ما تشير به لجان التحكيم ، تعميما للفائدة بأوسع ما يكون وترجو ادارة المطبوعات ، رغبة منها فى عدم اضاعة الوقت ، أن يتكرم حضرات الراغبين فى دخول هذه المباراة بارسال خمس صور مما يكتبون فى الموضوع الذى يختارونه الى حضرات أصحاب الفضيلة والمعالى والسعادة رؤساء اللجان ، كل فيما يخصه ، وهم حضرات :

الموضوع الاول : رسالة الأزهى فى القرن العشرين .
رئيس لجنة التحكيم : حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغى شيخ الأزهر الشريف والمعاهد الدينية
الموضوع الثانى : اللغة والدين والعادات باعتبارها من مقومات الاستقلال
رئيس لجنة التحكيم : سعادة الأستاذ أحمد لطفى السيد بك مدير الجامعة المصرية

الموضوع الثالث : أثر الحائز الشخصي فى تطور الاصلاح الاجتماعى والوسائل العملية لتوجيهه للخير العام .

رئيس لجنة التحكيم : الاستاذ الكبير مكرم عبيد نقيب المحامين
الموضوع الرابع : البطالة ووسائل علاجها والتعليم الاقليمى وأثره فى علاج البطالة
رئيس لجنة التحكيم : حضرة صاحب السعادة أحمد عبد الوهاب باشا وزير المالية .
الموضوع الخامس : التربية الوطنية الاستلالية وأثرها فى بناء الامة .

رئيس لجنة التحكيم : الاستاذ الكبير محمود فهمى النقراشى
الموضوع السادس : عدة النجاح لرجل القرن العشرين
رئيس لجنة التحكيم : حضرة صاحب السعادة الدكتور حافظ عفيفى باشا
الموضوع السابع : تدعيم الحياة الدستورية والوحدة الوطنية وتسكين الوطنى المستنير .
رئيس لجنة التحكيم : حضرة صاحب العزة الدكتور بهى الدين بركات بك
الموضوع الثامن : ترقية الفلاح اجتماعيا .

رئيس لجنة التحكيم : حضرة صاحب السعادة محمد طلعت حرب باشا
الموضوع التاسع : استتار نهضة المرأة المصرية للخير العام
رئيس لجنة التحكيم : حضرة صاحب السعادة على الشمسى باشا
الموضوع العاشر : وضع نشيد وطنى قومى
رئيس لجنة التحكيم : الاستاذ الكبير الدكتور أحمد ماهر

٢٣ مارس سنة ١٩٣٦

(٣)

الحاقا لمشروع حضرة صاحب الدولة على ماهر باشا الخاص بالمباراة الصحفية
الأدبية وموضوعاتها العشرة السابق اذاعتها .

تتشرف ادارة المطبوعات بأن تذيع أيضا أن دولته قد أمر باضافة الموضوع
الآتى ليكون ضمن موضوعات المباراة المتقدمة ، وهو :

سلامة الدولة فى حفظ الأمن والنظام واحترام القانون . البوليس - وهو من
حراس القانون - صديق للشعب ، ووجوب مساعدة الشعب له فى أداء واجباته .
وستذيع الادارة قريبا أسماء حضرات رئيس واعضاء لجنة التحكيم فى هذا
الموضوع الذين سيتمفضلون بقبول المساهمة فى هذه الخدمة الثقافية العامة .

٢٦ مارس سنة ١٩٣٦

لجان التحكيم

الموضوع الاول

رسالة الازهر في القرن العشرين

لجنة التحكيم

- ١ - الرئيس - فضيلة الاستاذ الاكبر الشيخ محمد مصطفى المراغى
- ٢ - معالى الاستاذ عبد العزيز فهمى باشا (٣) فضيلة الاستاذ الشيخ عبد المجيد سليم (٤) معالى الاستاذ مصطفى عبد الرازق بك (٥) حضرة الاستاذ امين الخولى - أعضاء

الموضوع الثانى

اللغة والدين والعادات باعتبارها من مقومات الاستقلال

لجنة التحكيم

- ١ - الرئيس - سعادة الاستاذ أحمد لطفى السيد باشا
- ٢ - سعادة الاستاذ جعفر ولى باشا (٣) سعادة الاستاذ الدكتور بهى الدين بركات باشا (٤) حضرة الاستاذ طه حسين بك (٥) معالى الاستاذ مصطفى عبدالرازق بك - أعضاء

الموضوع الثالث

أثر الحافز الشخصى فى تطور الاصلاح الاجتماعى والوسائل العلمية لتوجيهه للخير العام .

لجنة التحكيم

- ١ - الرئيس - سعادة الاستاذ مكرم عبيد باشا
- ٢ - معالى الدكتور أحمد ماهر (٣) حضرة الدكتور على مشرفة (٤) حضرة الاستاذ عبد الوهاب عبدالرازق (٥) حضرة الاستاذ محمد صبرى أبو علم - أعضاء

الموضوع الرابع

البطالة ووسائل علاجها ، والتعليم الاقليمي وأثره في علاج البطالة .

لجنة التحكيم

- ١ - الرئيس - سعادة الاستاذ أحمد عبد الوهاب باشا
- ٢ - سعادة الدكتور حافظ عفيفي باشا (٣) حضرة الدكتور فؤاد سلطان بك (٤) معالي الدكتور أحمد ماهر (٥) حضرة هنري نوس بك - أعضاء

الموضوع الخامس

التربية الوطنية الاستقلالية وأثرها في بناء الامة

لجنة التحكيم

- ١ - الرئيس - معالي الاستاذ الكبير محمود فهمي النقراشي باشا
- ٢ - حضرة الاستاذ الدكتور طه حسين بك (٣) حضرة الاستاذ أحمد أمين (٤) حضرة الاستاذ ابراهيم عبد الهادي (٥) حضرة الاستاذ أحمد حسن الزيات - أعضاء

الموضوع السادس

عدة الاجاح لرجل القرن العشرين

لجنة التحكيم

- ١ - الرئيس .. سعادة الدكتور حافظ عفيفي باشا
- ٢ - معالي الدكتور محمد حسين هيكل باشا (٣) سعادة الأستاذ محمد محمود خليل بك (٤) حضرة الأستاذ خليل مطران بك (٥) معالي الأستاذ مصطفى عبد الرازق بك - أعضاء

الموضوع السابع

تدعيم الحياة الدستورية والوحدة الوطنية وتكوين الوطني المستنير

لجنة التحكيم

- ١ - الرئيس - سعادة الأستاذ الدكتور بهي الدين بركات باشا
- ٢ - سعادة الأستاذ أحمد لطفي السيد باشا (٣) سعادة الأستاذ يونس صالح باشا (٤) حضرة الأستاذ محمود حسن بك (٥) حضرة الأستاذ الدكتور محمد عبد الله العربي بك - أعضاء

الموضوع الثامن

ترقية الفلاح اجتماعيا

لجنة التحكيم

- ١ - الرئيس .. حضرة صاحب السعادة محمود عبد الرازق باشا
- ٢ - حضرة صاحب السعادة جعفر ولي باشا (٣) حضرة صاحب السعادة سيد خشبه باشا (٤) حضرة صاحب العزة طراف علي بك (٥) حضرة صاحب العزة علام محمد بك - أعضاء

الموضوع التاسع

استثمار نهضة المرأة المصرية للخير العام

لجنة التحكيم

- ١ - الرئيس - حضرة صاحب السعادة علي الشمسي باشا
- ٢ - حضرة الدكتور درية فهمي (٣) حضرة الأستاذ الدكتور طه حسين بك (٤) معالي الأستاذ الدكتور محمد حسين هيكل باشا (٥) معالي الأستاذ مصطفى عبد الرازق بك - أعضاء

الموضوع العاشر

وضع نشيد وطني قومي

لجنة التحكيم

- ١ - الرئيس - معالي الدكتور أحمد ماهر

٢ - سعادة الأستاذ مكرم عبيد باشا (٣) سعادة الأستاذ عبد القادر
حمزة باشا (٤) حضرة الأستاذ خليل مطران بك (٥) حضرة الأستاذ
محمد عبد الوهاب - أعضاء

الموضوع الحادى عشر

سلامة الدولة فى حفظ الأمن والنظام واحترام القانون والبوليس - وهو من
حراس القانون - صديق للشعب ووجوب مساعدة الشعب له فى إداء واجباته .

لجنة التحكيم

- ١ - الرئيس - حضرة صاحب السعادة محمد لبیب عطية باشا
- ٢ - حضرة صاحب السعادة عبد السلام الشاذلى باشا (٣) حضرة صاحب
العزة سيد مصطفى بك (٤) حضرة الأستاذ أمين سامى حسونه (٥) حضرة
الأستاذ الدكتور محمد عبد الله العربى بك - أعضاء

أول ابريل سنة ١٩٣٦



تقارير لجان التحكيم

(١)

الموضوع الأول

رسالة الأزهر في القرن العشرين

قررت اللجنة أن هذه المباراة ليست رياضة فنية للأقلام ، يقصد منها الى زيادة الثروة الكلامية ، بل هي إن اتخذت من الأدب وصفا ، فانما تعنى منه ما يتصل بالحياة ، ويقوم فيه الكتاب مقام قادة الفكر ورواد المستقبل .

وموضوعات المسابقة انما هي مشا كل اجتماعية ، تمس أسس الحياة المصرية ، ليتها لكل ذى خبرة أكسبه البحث الاجتماعى ، والتوافر الشخصى على بعض هذه الشؤون أن يدلى فيها بالرأى ، ويهدى المشورة لأولى الشأن ، فتكون الشورى فى الاصلاح يستعان فيها بخبرة الخبير ، ولو كان من غير رجال الحكم ، بل لو كان من المغمورين .

ومن هنا رأت اللجنة أن موضوع رسالة الأزهر فى القرن العشرين ، انما يقوم على النظر الدقيق فى تلك التركة التى خلفتها عشرة قرون ، موصولة السبب بحياة مصر الاجتماعية : سياسية ، وخلقية ، وفقهية ، وغيرها ، وحياة مصر الدينية : اعتقادية ، وعبادية ، وتشريعية ، وحياة مصر العلمية ، سواء فى ذلك علوم الدين أو علوم الدنيا ، ثم لها مثل هذه الصلة بالعالم

الاسلامى ، فالكاتب الاجتماعى المتحدث عن رسالة الأزهر إنما يعرض فيها لنواح ثلاث :

١ - اجتماعية عامة .

٢ - دينية - اجتماعية خاصة .

٣ - علمية .

ولكل ناحية تفاصيلها التى كونت اللجنة فيها رأيها .

وبعد ما استوى للجنة هذا رأى قدرت ما لديها من مقالات ، فأثرت ،
بعد التحرى ، أن تعدل توزيع الجوائز ، ولما رأته من مقارنة المثل المرجو ،
وما لاحظته من ذهاب بعض الكتاب الى جهات فى البحث متكاملة ، ينتفع
بكل مقال منها فى جهة ، فأقرت النتيجة التالية :

١ - الأستاذ أحمد خاكي المدرس بمدرسة الأمير فاروق الثانوية

جائزة مقدارها ٨٠ جنيها

٢ - الأستاذ عبد العزيز عبد الحق مدرس التاريخ بمعهد الزقازيق

جائزة مقدارها ٤٠ جنيها

٣ - الأستاذ أحمد توفيق عياد شارع الشيخ عبد الله رقم ٢٤ -

عابدين مصر

جائزة مقدارها ٢٠ جنيها

٤ - الأستاذ مصطفى صادق الرافعى - طنطا

جائزة مقدارها ١٥ جنيها

٥ — الأستاذ الشيخ عبد الله عفيفي المحرر العربي بديوان جلالة الملك

جائزة مقدارها ١٥ جنيها

٦ — الأستاذ محمد الهياوي بشارع الجامع الاسماعيلي رقم ٢٦ بالقاهرة

جائزة مقدارها ١٥ جنيها

٧ — الأستاذ الشيخ محمد عرفه مدرس بكلية اللغة العربية

جائزة مقدارها ١٥ جنيها

شيخ الجامع الأزهر

٢٨ ابريل سنة ١٩٣٦

(محمد مصطفى المراغي)



رسالة الأستاذ احمد خاكي

(١) في أصول الاسلام

يتصل تاريخ الأزهر إتصالا وثيقا بالحركات الفكرية التي قامت في مصر منذ السنة التي أنشئ فيها . ويتمثل فيه من ناحية أخرى مبادئ الاسلام وما كان لها من سلطان في أيام العز والمنعة ، وجدير بنا إذ نقرب الأزهر ورسالته في القرن العشرين أن نجعل النظر في تلك المبادئ فنراها صحيحة صريحة تحت النور الذي تمليه علينا مطالب الناس وحاجاتهم في العصر الحاضر . ولا نرى خيرا من أن نلقى بنظرة عاجلي على الأصول الأولى التي ارتكن عليها الاسلام في تنظيم الجماعة الاسلامية . فقد كان لهذه أثر عميق في نظم الأمم المسلمة : أثر طبعها بطابع الاسلام الخاص وصحبها على طول العصور التي ازدهت فيها الخلافة ، وما يزال يتخلف بعضه الآن في أسس الدول التي كونها الاسلام .

حينما أرسل النبي صلى الله عليه وسلم كان العرب قبائل متنافرة متدابرة . وما حانت وفاته حتى كان هؤلاء أمة واحدة لها نظام يشمل الناس جميعا . هذا التأليف بين قلوب العرب كان آية الاسلام الكبرى . وقد نزل القرآن بأحكام تنظم هذه الجماعة . وكان الاقتناع بجلال هذه النظم شيئا يتصل إتصالا وثيقا بالايمان . وحاط أحكام الاسلام منذ المبدأ شيء من القداسة التي استمدت من آيات الدين الحكيم . بل لقد كان الملك السياسي دائما يجمع في صعيد واحد كلا السياسة والدين . فكانت الخلافة على طول عصورها تتشعب بوشاح الدين بما كان لها من تقاليد تنشأت من تاريخها الطويل . ونزلت من أصلها حينما جمع النبي العرب كافة تحت راية القرآن . ولم يفرق الاسلام حينما بدأت تلك الجماعة بين ما يخصه الآن من شئون الدين وما نخاله من شئون الدنيا . بل جمع بين هذه وتلك . والزكاة التي هي إحدى قواعد الاسلام الخمس كانت تشريعا أتى به التنزيل . ولزكاة عند

المشرع الحديث قاعدة من قواعد النظام الدينى . فالى جانب العقائد التى ثبتها الاسلام فى قلوب المسلمين تنزل شرائع . ووصل ما بين هذه العقائد وتلك الشرائع . وكان أساس كل ذلك هو السعى لخير الجماعة . ولا يمكن أن تسيطر الشريعة إلا إذا كان لها أساس من الايمان .

ولما تكونت الجماعة الأولى فى حياة النبي صلى الله عليه وسلم ذهبت سابقة من سوابق الاسلام ، وكانت تلك العقائد وهذه الشرائع هى القوائم التى قامت عليها المجتمعات المسلمة فيما بعد . وللمسلمين بعد ذلك تاريخ طويل حافل بنظم استمدت من أصول الدولة فى الاسلام . وقد كان الدين فى تاريخ هذه المجتمعات دائماً محور التقدم . بل لم يكن المسلمون يفرقون بين سلطان الاسلام السياسى والاجتماعى ، وبين سلطانه الدينى . وقد كانت مصر إحدى دول الاسلام التى تمثلت فيها هذه النظم .

والأزهر معهد دينى كانت رسالته دائماً رسالة الاسلام وقد اتصل بحركات الفكر التى قامت بمصر . ولأن نستطيع أن نقدر رسالة الأزهر فى القرن العشرين حتى نقبين إلى أى مدى تغلغل أثر الأزهر فى الحياة المصرية فى القرن الماضى . وجدير بكل رسالة فكرية أن تقوم فى أساسها على التقاليد التى صحبت المعهد الذى أنشأه . بل خليف بها أن تسير مع تقاليد البلد التى تنشأ فيها . على أننا سوف نكتفى بالتاريخ الحديث دون تاريخ الألف سنة التى مرت على الأزهر

(٢) الأزهر وزعامة الفكر

حينما خطا نابليون أرض مصر فى سنة ١٧٩٨ كان يقدر ذلك الشعور الدينى العميق حق قدره . وكان يرى أن مصر لا تنال إلا بالاستلانة والاسترضاء . وما هو إلا أن قضى زمنا وجيزا حتى تبين أن علماء الأزهر هم قادة الشعب . وأنه لن يستقيم له أمر حتى يستطيع أن يرضى هؤلاء . ولقد كان نابليون يقدر هذا الوزن السياسى للدين الاسلامى ، حتى لقد قيل إنه كان يضع القرآن الكريم جنباً إلى جنب مع كتب السياسة . وقد أدرك أن التفكير السياسى والاجتماعى عند المسلمين المصريين يصدر عن كتابهم الكريم . فكان عليه بعد ذلك أن يسترضى

علماء الأزهر حتى يسلس له قياد الأمة بأسرها . وقد حفزته هذه الفكرة إلى أن يضرب علي النخبة الدينية طول مقامه بمصر حتى لقد أوشك أن يدعى أنه مسلم وأن الفرنسيين كلهم مسلمون . وحتى لقد قال حينما ولي الأمر في فرنسا إنه كان مسلما في مصر وكاثوليكيًا في فرنسا الخير الشعب . ويصوره بعض المؤرخين جالسا إلى علماء الأزهر يبادلهم الحديث والرأى في عقائد الاسلام وشرائعه ، ويذهب آخرون إلى أن قانونه قد تلون بألوان من الشرع الشريف .

وقد كان للأزهر سابقة خلال الفترة التي لبثها نابليون في مصر : سابقة أولته الرعاية الدينية والاجتماعية والسياسية في وقت معا . ذلك بأن الحاكم الفرنسي ضم ديوانا ، يمثل المصريين كي يستعين به علي حكومته . وكان قوام هذا الديوان شيوخ الأزهر . وقد كان في إنشائه إشراك ، ولو صوري ، للمستثمرين من أبناء الأزهر في حكومة مصر . وليس يذهب بنا الغلو إلى الحد الذي نخال أن مثل ذلك كان حكما دستوريا صحيحا . وإنما نرى فيه اعترافا ضمينا بما كان لسلطة الأزهريين على العامة وبما كان للظروف المحيطة من قوة اضطرت نابليون — وهو أبعد الحكام عن التفكير في الحكومة الدستورية — أن يلجأ إلى معونة هؤلاء . وفي الحق لقد كان هذا انتصارا أدبيا بليغا للأزهر وبداية حسنة لولقيت رعاية لا نتجت نتاجا طيبا .

فرغما عن أنه لم يقم في أذهان العامة لا دستور ولا شبه دستور إلا أن الخاصة من المصريين قد انتهوا إلى أن آراءهم جديرة بالتقدير والاحترام . ووسط الزوابع السياسية التي تلت عصر نابليون وسبقت ولاية محمد علي قام الأزهريون بثبتون حق الشعب ويؤيدون ما يذهبون إليه بنصوص من الدين الخفيف . ولقد كان للسيد عمر مكرم نقيب الأشراف حينئذ المكانة الأولى بين ممثلي الشعب . وكان الشعب غاضبا على خورشيد باشا راغبا في تولية محمد علي . وفي تاريخ الجبرتي نقاش بين السيد عمر مكرم وبين عمر بك أحد أنصار خورشيد باشا . فقد كان عمر بك يذكركه بالآية الكريمة : « أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم » . فلم يكن من السيد عمر إلا أن قال : « أولو الأمر العلماء وحملة الشريعة والسلطان العادل » . ألسنا نحس في ذلك الرد وحده تلك القوة الوليدة التي شعر بها زعماء الأزهر ؟ وألسنا نستطيع أن ندرك خصاصة محمد علي حينما اجتذب هؤلاء الشيوخ

إلى جانبه فتغلب على القوى التي كانت تنافسه ؟ وسليطان هؤلاء الأزهريين هو الذي ظاهره على الممالك ، وهو الذي أرغم الخليفة على أن يعترف بولايته . كانت هذه إذن سابقة للأزهر أعلنت من مكانه فظل زعيما للجماعة المصرية بعد ذلك . وما برح الأزهر يسير الحركة الفكرية في مصر حتى تمتدح في أواخر القرن التاسع عشر عن حركة شاملة من حركات الإصلاح توجهت ضد العناصر الدخيلة التي مشت بالسوء في أمم الشرق . وقد رفع لواء هذه الحركة جمال الدين الأفغانى والشيخ محمد عبده . .

ولعل خير ما يذكر من أيادى الأستاذ الامام أنه خرج الى فلاسفة الغرب يرد الحجة بالحجة ويقرع البرهان بالبرهان . ولم يكن الجدل الذي نشب بينه وبين هانوتو الا ناحية من الصراع الفكرى بين الشرق والغرب ، وكان المؤرخ الفرنسى يفتعل الذرائع والمبررات التي تحال ما اقترفته السياسة المادية التي استحوذت لنفسها كل ما تحرمه الشرائع والقوانين . ولم يكن الامام المصرى في ردوده الا مدافعا عن أصول الاسلام الأولى يلحق البينة بالبينة ويميز بين ما هو من صلب الدين وما هو دخيل على الدين .

على أن ذلك الكفاح الذى تولاه الأستاذ الامام والذى خلق بعد ذلك مدرسة بأسرها من مدارس الفكر لم يزل حتى أصاب ساعدا قويا في أفراد من المتخرجين فى الأزهر ثاروا على حكومة الدخلاء . واتصلوا بالجيش آملين أن يحققوا بعض مثالبهم العليا : فكانت الثورة التي اتصلت باسم عرابى باشا . وقد جنح التفكير الأزهري في هذه المرة إلى ثورة عسكرية لم تكن موفقة ، لأنها لم تكن من طبقة الأزهر . وعرابى نفسه كان أزهريا لكنه لم يكن بالأزهري الرشيد . وقد جمعت هذه الثورة العسكرية إلى العناصر الواهية التي أنهكتها كثيرأ . من العناصر السامية التي خلفت في مصر أثرا بليغا . وكانت رغما عما اتت بها من بوهم نهضة قومية ما زالت تنمو حتى كانت شاملة بعد الحرب الكبرى . ولسنا ننسى أن الأزهر كان محطاً لركاب هذه النهضة .

(٣) نقالبر الازهر

تلك صفحة من تاريخ الأزهر كان حقيقة بنا أن نعرضها قبل أن نقرر الرسالة

التي يلتزم بها في القرن العشرين، ونرجو أن نكون موفقين في أن نستخلص منها
تقاليد وسوابق تحدد العلاقة بين الأزهر كمعهد ديني . وبين المصريين كجماعة
وأمة . فالأزهر كان مركزا للزعامة في أوائل القرن التاسع عشر، وقد ظل
مصدرا للزعامة حتى بداية القرن العشرين . وقد ظهرت قوة الأزهر في الحالات
التي احتكت بها مصر بالدخلاء الأجانب : ظهرت تلك القوة امام الفرنسيين
بزعامة السيد عمر مكرم . ثم انتظمت في جسم الأمة حتى وضحت مرة أخرى
بزعامة الشيخ محمد عبده . وكانت موجهة في هذه المرة الى الذين بسطوا أقدامهم
في الدين من الفلاسفة والمؤرخين الاجانب . ثم كان لها بعد ذلك وجه قومي
بقيادة عرابي وانتهى سلبيا شاملا بزعامة زغلول . وقد حاولت الحركة الأولى
أن تتخلص من دخلاء الشر كس وحاولت الثانية أن تستقل عن كل أجنبي .

كيف استطاع معهد واحد أن يقود أمة بأسرها خلال قرن كانت فيه
مسرعا للطمع الأجنبي ؟ وكيف أمكن له أن يصمد لعدوان الاجانب ؟ ثم أي
قوى هذه التي واثت الأزهر حتى وقف رابضا أمام الأغرار والمتفهبين من
كتاب الغرب ؟ إننا نرى أن تلك القوة ما كانت إلا قوة الاسلام نفسه . وهذه
الحركات التي دبت فيها الحياة في مصر أول القرن التاسع عشر ما كانت إلا بقية
صالحة من تلك الحياة التي سرت في أمم الاسلام . وما اتبعت مصر الأزهر إلا
لأن الشعور الديني فيها كان قد ائتمف بالشعور القومي . ولولا تلك الثقافة
الدينية التي نشرها الأزهر ما فكر المصريون في المقاومة ، ولا املوا في التقدم

« والمصريون قوم دينيون » . قال هيرودوتس ، ذلك حينما تحدث عن أسلافهم
الأوائل ، وقال عنهم مثل ذلك « ستان لين پول » ، حينما عاش بينهم في أوائل
القرن التاسع عشر . وقد كان الدين في مصر القديمة مصدرا للتقدم المادي وكان
الاسلام هو القوة الدافعة في أمم الاسلام بل لقد كان روح التقدم نفسه . وما
بلغت أمم الاسلام ما بلغت من شأوا إلا حينما تألفت القلوب حول الدين . فنحن
إذن كمصريين نضم حماسة دينية بين جوانحنا تكاد تكون غريزية فينا — وقد
ورثنا كمسلمين تلك القوى الحية التي حركت الجماهير وارتقت درجات بالعالم
الانساني . وقد كانت الأزهر موطن هذه القوى الحية وفيه إذن تتجمل عدتنا

وعتادنا ، إذ نفكر في التقدم واذ يحدونا الامل إلى الحياة الراضية المطمئنة .

لقد رأينا كيف كان الأزهر مصدرا للزعامة والكفاح . وقد رأينا كيف استعان الفكر المصري في كفاحه السياسي والديني والاجتماعي بسلطان الأزهر ، ففضى على المبادئ الخربة التي تربصت بالشرق الدوائر . وقد تزعم شيوخ الأزهر المصريين ، لأن هؤلاء كانوا يستوحدونهم الشعور الديني وكان يتمثل في خلقهم وارشادهم تلك القوى الحية التي نماها الاسلام وقواها . فان نحن أردنا أن نضرب بسهم في سبيل التقدم وجب علينا أن نرجع إلى أصول الاسلام الأولى فنحجي تراثه . وتلك الرجعة إلى ديننا الحنيف هي من رسالة الأزهر لجمتها وسداها . وجدير بالأزهر إذا أراد إحياء لذلك المجد الأثيل أن يعود سيرته الأولى من حيث الكفاح والزعامة وأن تتمثل فيه كل المثل العليا التي بسطنا القليل منها فيما تقدم . وبذلك يستطيع أن يلهم الناس دينهم خالصا نقيًا . بل خليق به بعد ذلك — إذا أراد أن يكون في الرأس — أن يتصل اتصالا وثيقا بالحركات الاجتماعية التي تدب بين المصريين . وقد بينا كيف كانت رسالة الأزهر دائما مزدوجة: فهي دينية من ناحية وهي اجتماعية من ناحية أخرى . ذلك بان الاسلام كما أسلفنا دين يجمع بين العقائد والشرائع ، يسعى لخير الجماعة في شتى الصور ويؤلف بين خلق الفرد خاصة وبين الامة بوجه عام

لقد كان اهتمام الأزهر بالحركات الاجتماعية في مصر وحدها أساسا لزعامته التي ظل الجميع يعترفون بها حتى أواخر القرن التاسع عشر . وفي اليوم الذي يعتزل الأزهر فيه الحياة العامة يضحى بكثير من سلطانه الذي كفله الدين نفسه ، والذي عني له المصريون خلال الاحداث التي اكتظ بها تاريخهم الطويل الحافل . ويعتزل الأزهر الحياة العامة إذا هو اطمأن إلى القيود التي تعوق التقدم ، فان ذلك لا يتفق مع روح الاسلام نفسه . ومصر — ككل جزء من أجزاء الارض — ما زالت تنشد الايمان والخير والحرية . لكن المصريين إذ يتشبثون بتلك المبادئ يتلفتون ذات اليمين وذات اليسار يريدون أن يجدوا ملجأ يطمثون اليه ويعتصمون به ، ونحن المصريين نربأ بنفوسنا أن نجنح إلى مبادئ الغرب فنأخذ من حضارتها وحدها نبراسا . ونحن نشفق أن يطوح الهوى بالمصريين فيقصي جلهم

عماديه عليهم الدين وما تجود لهم به تقاليد الاسلام . والازهر في القيام بذلك
مخطط الآمال ومطمح الانظار . فهو الذي سوف يعيدنا إلى حظيرة الدين وهو
الذي سوف يبعث الطلائفة والرضى إلى نفوسنا الجزوعة الملوعة . ودو الذي
سوف يلائم بين مبادئ الاسلام السامية وبين مقتضيات العصر الحاضر . فاذا
هو ساهم في حياة مصر العامة استعاد تلك الزعامة الروحية التي صاحبته زمنا غير
وجيز ، وكسب ثقة الجماهير التي توشك أن تنزعزع .

(٤) التقدم المادى والتقدم الروحى

لقد كان تقدم المصريين في السنوات العشرين الماضية أسرع بكثير من تقدم
الازهر . ففي كل ناحية من نواحي الحياة تولدت قوة تدفع بالمصرى إلى الامام .
في الصناعة قام « بنك مصر » وشركاته بعبء فادح . وفي الزراعة أدت الجمعية
الزراعية الملكية واجبا خطيرا . وفي العلوم أنشئت الجامعة المصرية فكان انشاؤها
مبدأ لعصر زاهر ، وقد دفعتنا كل تلك المنشآت في طريق التقدم المادى ، ونخشى أن
تكون قد وهنت العلاقة بين الازهر وبين الناس حتى أصبح يزور عنه الكثير ، وبحسب
الكثير شططا انه عائق للتقدم . ولكن رسالة الازهر يجب أن تدوى في آذان أولئك
وهؤلاء ، فان التقدم المادى إذا لم يصحبه التقدم الروحى انتهى إلى ما هو شر من
التأخر . وقد بينا أن طبيعة الازهر وتاريخه كان كلاهما عاملين من عوامل التقدم في
مصر . وقد وضعنا أن الدين نفسه ينظر إلى الامام ويرغب فيما هو خير
وأبقى .

فجدير بالازهر إذن أن يساهم في كل نواحي الحياة المصرية . وأن يكون - كما
كان في القرن التاسع عشر - قوة دافعة تستمد من قوة الدين . والحق إن زعامة
الازهر لنواحي النشاط في مصر سوف تنتج خيرا شاملا . ذلك لأن التقدم
المادى ينتهى دائما بكفاح يخلو من المثل الأعلى . و كل كفاح يخلو من المثل العليا
يؤدى حتما إلى الفناء ، كالنار تأكل نفسها . وقد تقنعنا نظرة عجلت الى تاريخ
أوروبا بكل ذلك ، فقد تناست بمالكها في نزاعها بعضها مع البعض كل المثل
العليا التي جاء بها دينها . وهى لا تزال تناساها الى اليوم في نزاعها مع
القارات الاخرى

ونحن نشفق أن يؤدي بنا التقدم المادى إلى ما وصلت اليه أوروبا ونضن بانفسنا ونحن أمة أن يكافح بعضنا بعضا وأن نذوق ألوان العذاب فى سبيل المادة .
ونحن نشفق على الدولة وما يحيط بها من سلطان أن تتحيقها مبادئ الهدم وأن تأخذ منها معاول الفناء . ونحن نخشى - إن نحن تقدمنا ماديا ولم نعن بمبادئ الروح - أن نجد أنفسنا وقد انقلبنا أعداء وقد كنا بنعمة الله اخوانا . وقد وقع كل ذلك للمالك قبلنا . وما أظن إلا أن روسيا أقرب مثل يواتينا فى معرض حديثنا ، وسوف نعود إلى تفصيل ذلك فيما بعد ، وقد حوى الاسلام فى أصوله مبادئ التقدم نفسها ، فعلى الأزهر أن يحيى تلك الأصول . نحن نرجو أن تقوم حركة واسعة بقيادة الأزهر تنفخ فى الحكومة والدولة والمجتمع روح الاسلام .

(٥) روح الاسلام والنقزم

وأى مبدأ ذلك الذى يسرى فى أصول ديننا وفى تاريخه الطويل ؟ نحن باننا فى حاجة إلى تبيان تلك الروح التى سوف نتكلم عنها خلال حديثنا . لو استطعنا أن نضم أصول الدين فى كلمة أو كلمتين لقلنا إنه يتمثل فى التأليف والانسجام . ذلك بأن للأفراد والجماعات رغبات وأطماعا تملي عليهم مذاهبهم التى يقومون دونها مجاهدين . وإذا نحن استعرضنا أماننا تاريخ البشر رأينا كل عصر من عصوره يمتاز بمذهب من تلك المذاهب . بدأت أثينا فى القرن الخامس قبل الميلاد بمبدأ حرية الفرد ، وقامت روما تدعو الى النظام بما يتطلبه من شدة وعنف ، ثم جاءت العصور الوسطى فكانت الوحدة فى الدين غاية الفرد والجماعة ، ولما تصرمت هذه وجاء عصر النهضة قامت الممالك تنصب على رؤوسها ملوكا ، فضم الملك سلطة الشعب بين يديه . وحينما انقلبت الشعوب على الملوك قامت الثورات بما مجدت من حقوق الشعب . ولم تزل حتى رأينا مبدأ القوميات يعمل فى الافق السياسى . وما زال مبدأ القوميات شغل الدولة المشاغل لاننا لم نصل بعد إلى تحقيق المذهب العالمى . وإنما نرجو أن يتحقق . وكل هذه المذاهب قامت للظروف التاريخية التى أحاطت بكل مملكة من الممالك ، ولكنها كانت نتيجة لاطماع الأفراد ولعقلية الجماعات .

على أنه قد ولد كل مبدأ من المبادئ وهو يحمل في صميمه عوامل فتنائه ،
ولقد كان الاثنيون يشيدون بذكر الحرية حينما حوت أثينا أكثر من مائة ألف
من الرقيق . وقد انتهت الحرية الاثينية إلى نوع من الاباحية المدمرة . وانقلاب
النظام الروماني إلى ظلم ، وانتجت وحدة الدين في العصور الوسطى تلك الهوة
السحيقة بين الشرق والغرب ، وانتهت بالحروب الصليبية بين الاسلام والمسيحية ،
واعتمد الناس إبان النهضة أن سلطة الملوك وهبت لهم من عند الله فاعتسف الملوك
في حكوماتهم . وانتجت الثورة المذاهب الديمقراطية التي حطت من قدرها عقل
الجماعة . أما القومية فما زالت حتى أصبحت معتدية جائرة حتى في عصرنا الحاضر
وقد خلف كل مذهب من هذه أصولا مازال لها وزن في الشرائع والقوانين ولكن
التأدي في الاخذ بكل مذهب على حدة والاسراف في الاقتناع به والنفور إلى
الذود عنه . كل ذلك كان لعل في انقلابه

ان التوفيق بين خير ما تخلف من كل تلك المبادئ من شأن المشرع المقنن . لكن
المشرع لا يستطيع أكثر من أن يثبت قانونا . ولا يكون القانون جديرا باسمه ان
لم يلق الطاعة من جانب الناس ، ومادامت الطاعة لا تنشأ في نفس الانسان إلا بالاقتناع
فهو إذن صفة نكسها من الدين . وعلي ذلك فوظيفة الدين هي التأليف بين خير
تلك المذاهب وأنبىل مستجاتها . وإذا أثبت التاريخ ان الإفراط كان أساس تدهور
المبادئ مهما كانت نبيلة فجدير بنا أن نعتدل في الاخذ بها . ونحسب ان الاسلام
بما حوى من أحكام ضمين بأن يتألف كل تلك المذاهب على ألا ينتقص أحدها
من الآخر . وقد كفّل الاسلام الحرية بما رفع من مقام الانسان ، والنظام بما أتى
من أحكام الشرع . وجعل طاعة الله ورسوله وأولى الأمر واجبات تقوم بها ونحن
راضون . وبذل النصيح لأولى الأمر بأن يترفقوا بالناس . ثم انه قد جعل الناس
كلهم اخوة فكان خير الناس عند الله اتقاهم ، فضمن بذلك حق العامة أمام الخاصة
كل هذا أتى به الاسلام ونزله مبادئ دستورية يستطيع الفقهاء ان يلائموا بينها
في بيئاتهم . وبذلك كفّل للانسان أن يتقدم دائما . ولست أرى تقدما أرشد من هذا
الذي يقوم على مثل هذه المبادئ . على ان التوفيق بينها أجمعين كان دائما أس
اللتقدم عند دول الاسلام

يقول النفسيون ان الانسان لا يبلغ حدا من السكالم إلا إذا وازن بين القوى والملسكات التى يكسبها وقد ذهب إلى ذلك افلاطون ، وقال مثل ذلك قوم آخرون قبل ان يدرس علم النفس . لكن التوازن بين قوى الانسان وملسكاته أصبح حقيقة علمية فى العصر الحديث . وينشأ كثير من أنواع الجنون إذا اختل هذا التوازن . بل نحسب ان الانسجام محبب إلى النفس من الوجهة الجمالية . وقد حاول كثير من الفلاسفة - وقد كانوا موفقين - ان يبحثوا فى مثل هذا التوازن فى المجتمع . ويحدث جنون الفرد إذا هو أفرط فى الأخذ بفكرة من الأفكار أو خيال من خيالاته . وهكذا يحدث جنون الجماعة إذا هى أخذت بمبدأ واحد تبادت فيه - مهما كان هذا المبدأ سليما - وما نظن الا ان الاسلام كفيل بأن يؤلف بين كل تلك المبادئ فيرسل الانسجام فيها رسالا .

(٦) رسالة الأزهر الى العامة

ولكن ماهى الوسائل التى يتخذها الأزهر حتى يبذل للجماهير الدين خالصا ، وحتى يقرب بين أبنائه وبين الجماعة فى مصر . إن أول ما يعيننا فى هذا السبيل هو القضاء على البدع والضلالات التى سرت إلى الدين وتسربت بسرباله ثم شاعت بين العامة حتى غم عليهم فاختلف الخبيث بالطيب والحق بالباطل . ولقد أساء كل ذلك إلى الدين أكثر من أى شىء آخر . وما نحسب أننا فى حاجة إلى تعداد تلك الترهات . فى جناز العامة وفى أفراحهم ، وفى صحتهم وفى مرضهم ، وفى كل ناحية من حياتهم المعاشية عادات ورثوا بعضها عن أسلافهم الأوائل وعقائد أقدماء الجاهلاء إقحاما فى جسم الدين . ويحسب العامة كل هذه من الدين ويدبر الخاصة عن الدين لأنهم يحسبون أنها كل الدين . فنحن نرى لزاما على الأزهر والمتخرجين فيه أن يجودوا بالوعظ والأرشاد لأولئك وهؤلاء ، فيردوا العامة إلى الصواب ويوجهوا الخاصة وجهات التقدم التى أسلفنا الحديث عنها .

على أن الوعظ فى مصر يجب أن يتخذ وسائل عامة تكون أكثر شيوعا مما تعلمه الآن منها . وتقوم الدعاوة فى العصر الحديث على وسائل شتى أتتجها العلم - ولعل الصحف والراديو والسينما هى خير تلك الوسائل وأوسعها ذيوعا . والأزهر

إذا أراد أن يدعو الناس عامة إلى مبادئ الدين الحنيف فليخلق به أن يتخذ من هذه الوسائل الثلاث وسائط بينه وبين الجماهير . هذا إلى أن مثل هذه يمكن أن يأخذ هو بجمعها بين يديه فيكون هو المشرف على تحرير صحافته ويكون هو المشرف كذلك على محاضرات الدين التي تلقى على متن الأثير وعلى قصص الأخلاق التي تشعها الشاشة البيضاء . فيندس نور الدين في الأركان المظلمة التي تنمو فيها الجرائم والشور .

وينقاد العامة في مصر الآن إلى نوع من الزعماء الدينيين، لانخال الكثرة منهم إلا مرتزقة يستغلون أوهام العامة ويعبشون بخيالهم الساذج : قوم اختلقوا لأنفسهم أسماء وتفرقوا شيعة وطوائف ، ينصب القوي منهم نفسه رأساً على الباقيين فيتخذونه ولياً من دون الله ، ويتبرك الأطفال والعجزة بأطراف ثيابه ويشرب المرضى ماء وضوئه سائغاً !! ويضرب الكثير من هؤلاء في القرى والديساكر يتخذون لهم شيعة قد تربو بعض أحيان على الآلاف وتآتمر العامة بأوامرهم وتنتهي بنواهيهم . والكثير من هؤلاء بقية غير صالحة من الدراويش الأتراك الذين استغلوا الغرائز الدنيا عند الانسان ووصلوها بالدين . فهم يقومون بحركات شبيهة بالرقص وهم يوقعون على المزممار والأرغول وهم يصعدون الآهات والأناث ذاكرين اسم الله، والله منهم براء .

تلك هي الزعامات الدينية التي تغلغت بين العمال والمزارعين . فإذا استطاع الأزهر أن ينظمها كان في ذلك الخير كل الخير . فما لهذا تنزل الاسلام ! والعقائد إذا قامت على تلك النواحي الضعيفة من حياة الانسان كانت مزعزة تعصف بها ريح الشك . ونحسب أن تنظيم هذه الزعامات الدينية لا يقع إلا إذا استطاع الأزهر أن يوحدها جميعاً وأن يضرب بقوة على أيدي هؤلاء . ولا نظن أن الحكومة تقصر عن مظاهرة الأزهر في مثل هذا الإصلاح . فحدير بسلطة التشريع أن تسكفل للأزهريين المستنيرين أن يكونوا هم وهدم الوعاظ والمرشدين . فتحول بذلك دون المرتزقة ممن يستغلون أحلام العامة ، وتقضى على تلك البدع التي رانت على أفئدة قوم ونفرت قلوب آخرين .

(٧) الازهر وحرية الرأي

أما الوسيلة الثانية التي نراها كفيلة بأن ترهف الشعور الديني في المجتمع المصري فهي حرية الرأي . وقد أصبحت الحرية مبدأ على قدمه يحكم الشرائع ويملي العدل والحق علي القضاة والمشرعين . وقد كفل الاسلام حرية الفكر وهو ما يزال في مهده الأول وقد تنزلت سورة كريمة في ذلك فقد جاء في الذكر الحكيم : « بسم الله الرحمن الرحيم . قل يا أيها الكافرون ، لا أعبد ما تعبدون ، ولا أتم عابدون ما أعبد ، ولا أنا عابد ما عبدتم ، ولا أتم عابدون ما أعبد ، لكم دينكم ولي دين » ، وبذلك اختط الاسلام نهجاً واضحاً لحرية العقيدة . بل إن تاريخ النبي صلى الله عليه وسلم صفحة من الجهاد في سبيل تلك الحرية . ولولا ذلك لما استطاع أن يحطم تلك الأغلال التي وجد العرب آباءهم يتقيدون بها طوعاً . ولقد قدر الاسلام تلك الحرية تقديراً في حياة النبي نفسه حتى لقد أمر الله المسلمين بالقتال في سبيل الذود عنها إذا اعتدى عليها المعتدون . وقد كانت هذه الفكرة السامية عن الحرية هي التي شددت أزر النبي وثبتت جنانه في كفاحه مع قريش . وهي بعد ذلك التي نشرت دعوة الاسلام إلى سائر الأقطار وكفلت للمخلوبين حرية العقيدة . بل لقد كان للحرية الفكرية سابقة ساريت نشأة العلوم في الاسلام . ولن ينمو العلم ولن يزدهر حتى يغرس في جو صالح من الحرية . وكذلك فتحت تلك الحرية للمسلمين باب الاجتهاد . فقام الأئمة ينتجون تلك الثقافة الفقهية الذاخرة ، التي يفيض بها كتب الشرع . وقد امتازت هذه الحرية الفكرية منذ المبدأ بأنها كانت تخلو من الحقد والضغينة . وقد جاء في القرآن الكريم : « ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن » . وكذلك تسامت الحرية حتى انضمت إلى أصول الدين الأولى وعاشت المذاهب في جنبها جنباً إلى جنب : كلها وجهاً ونظراً شتى تستمد أصولها من القرآن والسنة . ولم تنقلب هذه المذاهب شراً إلا حينما أفسدت أطباع السياسة والحرب . فكانت ذرائع للشحناء والبغضاء واستغل بذلك الدين في غير ما وضع له .

والعالم اليوم يقدر حرية العلم لأنه يراها شعبة من الحرية السياسية التي كفلها

القانون في حدوده . فنحن إذ نأخذ بحرية الفكر نرجع إلى أصل من أصول الاسلام ونسائر عناصرها ما من عناصر القانون في العصر الحديث . هذا إلى أن الأزهر في تاريخه الطويل سار في دراسته على طريقة كانت كفيلة بأن تشجع الاجتهاد وأن تحوط حرية العقيدة بسياج من الجلال . وقد أتى علي الأزهر حين من الدهر كان طلاب العلم يجلسون فيه إلى شيوخهم في حلقات ينتقلون من الواحدة إلى الأخرى في غير تقييد بالمظاهر . وكان الأزهريون شيوخاً وطلاباً مولعين بالنقاش والمحااجة، وكانت مناقشاتهم - علي ما كان يعتورها بعض أحيان من لجاج - تمتاز بالدقة التي تنتجت عن المنطق المدرسي القديم . ويبشر بمثل هذه الطريقة المربون في العصر الحديث في أوروبا . ويذهب الكثير منهم (مثل برتراند رسل) إلى أن الوسيلة المثلى للتربية الجامعية يجب أن تضمن للطلاب الحرية في المناقشة ابتغاء الحق . ويصبح التعليم بغير ذلك شكلياً محضاً يفرض على الطالب فرضاً من غير أن يرى في نفسه رغبة ولا ميلاً إليه . وإذن فخلق بالأزهر أن يأخذ بفكرة الحلقات مهيبة ويجعلها قوام الدرس في مختلف طبقاته . فيكون البحث الشخصي هو معيار التقدم في دروس الدين ويفتح بذلك باب الاجتهاد على مصراعيه، فتحيا تقاليد الاسلام التي تنشأ عليها والتي اتبعها في عصوره الاولى .

إن شر ما يشوب التعليم الجامعي في العصر الحديث نقيصتان : أولاها شكلية التعليم وثانيتهما عدم الدقة . ولسنا نرى علاجاً لهما إلا في الأخذ بحرية الفكر ، فإذا كانت وسيلة هذه الحرية تقليداً من تقاليد الأزهر فأحر بنا أن نتبعه حتى يصبح قاعدة لها سلطان على سائر المعاهد . بل حري ألا يعنى الأزهريون عناية خاصة بتلك النظم المفتعلة التي يفتننا بهرجمها . ونرجو أن لا تكون إجازات الدراسة غايات ليسعى إليها الأزهريون لأن هذه قد أماتت الذكاء في المعاهد الأخرى وهي التي خلقت الشكليات التي قد برم بها كتاب الغرب . هذا إلى أن الحوار كفيل بأن يقيد الانسان بحدود تلزمه الدقة في البحث والتجري عن كل ما يقول وكل ما يخطر له .

وخلق بالأزهر بعد ذلك ألا يتهيب سلطان العلم . وخلق بتلك الحرية الفكرية التي ندعو إليها أن تشمل العلم كما تشمل الدين . وقد يما رمى الأزهريون بالتعصب لأنهم أعرضوا عن منتجات العلم ولا أنهم تولوا عن أبسط أصوله في

دراساتهم . فاذا ساهم الازهر مع المعاهد الأخرى فى البحث العلمى سائر ناحية جليلة من نواحي التقدم فى مصر وكسب ثقة المجتمع الذى يعيش فيه . وما أحسب أننا فى حاجة إلى التذليل على أثر العلوم فى الدولة الحديثة . فنحن نعيش فى عصر يحكم العلم فيه أقل حاجتنا وأجلها . ونحن فى غدونا ورواحنا ، وفى حركتنا وسكوننا ، نرتطم بنظم حاكمها العلم . فى الاقتصاد تنقيد بالقواعد والقوانين التى يملئها علينا المالىون والخبراء . وفى التشريع نخضع لما يثبتته العلماء المشرعون . وفى الأدب نخشى سطوة النقاد والنفسيين . وفى مثل ذلك فى أدق شئون الحياة : فى المصنع والحقل والطريق والمنزل والبر والبحر . فالازهر إذن سوف يشجع ذلك البحث العلمى الذى لا نستغنى عنه . ومثل تلك البحوث تساعدنا على معاشنا ، ولا نظن الشارع يحرمها . وقديما كان التقدم العلمى ثمرة من ثمرات الاسلام ، وحسبنا دليلا على ذلك ما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم إذ قال : « تعلموا العلم فان تعليمه لله حسنة ودراسته تسبيح والبحث عنه جهاد وطلبه عبادة وتعليمه صدقة . وبذله لأهله قربة » .

على أن الازهر من ناحية أخرى يجب أن يقف دائما بين العلم والدين فهو عامل مخفف يلائم بينهما . ذلك بأن العلم إذا اشتط أنتج نتيجة باهظة . والدولة إذا قامت على أسس علمية من غير أن تعنى بعواطف الانسان كان مصيرها الفوضى . إن تنظيم الدولة علمياً لا يستقيم إلا إذا لقيت طاعة من جانب الحكومة والطاعة شىء يمت بسبب وثيق إلى العاطفة والوجدان . وتهذيب العاطفة والوجدان شىء يختص بالدين . وإذن فالدولة لا يمكن أن تكون دولة إلا إذا استطاعت أن ترضى النواحي الدينية فى نفس الانسان كما ترضى نواحيه العلمية والعقلية . والدين إذن لازم للعلم لزوم العلم لنا . والازهر إذا تزعم المصريين فى حلبة العلم استطاع أن يدرأ عنهم مثل ذلك الاشتطاط العلمى الذى يحدد الاصول الأولى للنفس الانسانية . وإن يستطيع أن يقوم بذلك حتى يفرق بين عناصر العلم فيميز بين الحميد والسكرية . ويشجع العناصر التى تتمشى مع أصول الدين وبقيةضى على العناصر الخبيثة التى تؤول إلى الفناء .

تلك عندنا إذن رسالة الازهر فى مصر . نرجو أن نكون قد بسطناها فى الإيجاز ، وإذا نحن ألقينا نظرة عجل على ما قدمنا تخيلنا الازهر وهو يحاول أن يبشر

بالإسلام . وأن يندفع بالناس إلى الأمام دائماً : يحفزهم الدين الخفيف وأصوله الأولى التي أسهبنا في الكلام عنها . فهو يحاول أن يخلق حالة من التوازن بين أنواع النشاط في مصر ، وقد أسلفنا أن هذا هو أساس التقدم في الإسلام . فعلى الأزهر أن يخطط طريقاً وسطاً بين حدى التفريط والافراط وأن يوفق بين التعصب وحرية الفكر وأن يلائم بين النظام والحرية وبين العلم والدين وبين القديم والحديث . هذا وعليه أن يؤلف بين قلوب العامة والخاصة . ونحسب أن هذه الحالة من توازن الأفسكار والقوى هي الحالة المثالية التي يرجوها المشرعون والفلاسفة . وما نظن أن دستوراً أفصح إلا بهذا التوازن الذي يتألف الأضداد ويكافئ بينها . وهذا التكافؤ وحده هو الذي يعضن لنا تقدماً مطرداً في مختلف غايات الحياة . وما نحسب أن أمة أفرطت في الأخذ بمبدأ واحد إلا كان مصيرها الفوضى . وقديماً أساءت الحرية إلى أثينا حتى انقلبت شراً مستطيراً . وكذلك قل عن النظام في روما وعن التعصب في العصور الوسطى وعن الارستقراطية في فرنسا قبل الثورة وعن العلم في العصر الحديث . وأمة تستطيع أن توازن بين كل تلك القوى جدير بها أن تبلغ حداً من النكال . ويمتاز الدستور الانجائزى بشيء من ذلك التكافؤ طبعه منذ أقدم العصور وكان هو السر في نمائه . فايت الأزهر يخلق عندنا مثل تلك الحالة من التوازن فيسكن إليها الأفراد والجماعات ويجدون فيها كلا الهدى والبرضى 11

لو أن الأزهر قام بكل تلك الأعباء التي فصلنا لوصل ما بينه وبين المجتمع المصرى ولأصبح كما كان مركزاً لحركة فكرية سامية . وما نخال إلا أنه سوف يجمع حول الدين مدرسة من مدارس الفكر تلاحى عنه وتقوم دونه . ويتجلى بذلك من ذلك الطابع الشكلى الذى يكاد يجعله معهداً من معاهد الحكومة . وقد رأينا أن مثل هذه المدرسة سوف تشمل العامة والخاصة على السواء . ومثل ذلك يخلق مبادئ تسيطر على نفوس الناس وتجمعهم فيها المثل العليا في الإسلام وليس هذا إلا سبيل التقدم .

على أن الأزهر إذا استطاع أن ينشئ في مصر مدرسة مثل هذه من مدارس الفكر تقود المستنيرين إلى مثل الاسلام العليا وإذا استطاع أن يغذى المصريين بما تهفو نفوسهم إليه من الهدى والرضى، فإن عليه أن ينشئ إلى العالم بأجمعه فيرسل في أنحائه تلك المبادئ مساطعة ناصعة ليهتدى بهديها أولئك المتشككة من أهل الغرب ويجد فيها البكافة منهم تلك الطمأنينة التي ما زال ينشدها الجميع. قد يكون هذا العبء ثقيلا وقد ينوء به معهد واحد وانكسنا نضرب بنظراتنا في المستقبل البعيد فنرى أن الغرب ما زال في حاجة إلى الشرق. وقد كان الشرق دائما مبعث الدين واليقين وما نظن إلا أنه سوف يؤدي هذه الرسالة مرة أخرى، وقد تنزل الاسلام للناس كافة فعلى الأزهر إذن أن ينشر رسالته بينهم أجمعين وأن يجاهد في سبيل ذلك في نهضته هذه كما جاهد مرات خلال تاريخه الطويل

ويقف العالم اليوم في مفترق من الطرق يكاد الشك يتحيف اليقين والباطل يزهد الحق، ففي أوروبا اليوم مذاهب تكاد تأتي على الأخضر واليابس مما أنتجته الحضارة، والعالم مشبع بمذاهب تلاحي عنها جماعات كل منها تسرف فيما تذهب إليه وقد يعلو بعض تلك المذاهب في قوم حتى تبلغ حد المثل الأعلى وقد تنحط هي نفسها عند آخرين حتى يكون ذكرها وحدها إثما وعدوانا. علي أن هذا التماهي ان هو إلا نتيجة من نتائج الحضارة التي اتصلت بنهضة أوروبا الصناعية منذ القرن التاسع عشر فأصبح العالم كله يعج بالتفكير في المادة دون الروح ويتلفت المصلحون في أوروبا اليوم فلا يجدون خلاصا مما هم فيه إلا باعتناق دين جديد ينتج حالة من التوازن يطمئن لها الجميع. وما نظن الا أن الاسلام سوف يكون له أثر عميق في نفوس الغربيين ونظمهم لو أنه نال حظا من الدعاوة بحيث يقتنعهم بمبادئه ويبدل لهم من أصوله وينير لهم الطريق نحو مثله الأعلى

لقد حاولت المسيحية أن تنفذ إلى قلوب أهل الغرب، لسكن المسيحية نفسها نبذت خلال النزاعات التي قامت في سبيل المادة. والإمام التي كان يبشر بالحب والسلام قسيسوها في كنائسهم لم يكن يتورع أفرادها عن أن يقتلوا أدنا الآثام في سبيل

استعباد الآلاف من الأمم الأخرى . وكانت مصالح الأفراد الخاصة تملى على المستعمرين سياستهم فقد كان يملك هؤلاء سندات الشركات وأسهمها فكانوا يجذبون الحرب ويشجعون الفتح . وقد تناست تلك الأمم المسيحية تعاليم المسيحية وأصبحت أصول الدين الأولى ستارا للسعى وراء المادة وانقلبت آية الوطنية إلى ماهو شر من الوحشية . وعيننا حاول المصلحون أن يربطوا العالم بأجمعه برباط ديني مقدس فقد أخفقت تلك المحاولات

في سنة ١٨١٤ قام الاسكندر الأول امبراطور روسيا يضع حلفا مقدسا تخضع الأمم لنصوصه . وكان العالم قد أنهكتته حروب نابليون وكان يريد الجميع أن يتشبهوا ببقية باقية من الحياة الروحية التي كادت تذهب هباء . لكن الحلف المقدس الذي تواضعت عليه الأمم المسيحية ولد ميتاً . وقد قال عنه لورد كاسلريه مثل انجلترة وهو يسخر إنه خليط من اللغو والتصوف . وعلى ذلك فلم تكن أوروبا جادة في الأخذ بمبادئ الدين . بل لقد كان النفاق يتجلى في السنة بعد السنة حتى ابتكرت معاهد ترجع بالانسان إلى أصول الدين وتبرر في نفس الوقت كل الجرائم التي اجترحت ضد الدين . وما عصابة الأمم في يومنا هذا إلا مثالا من أمثلة هذه المعاهد

لقد كان فشل الحلف المقدس فشلا للمسيحية نفسها فقد ذهب السياسيون بعد ذلك إلى الحد الأقصى من التعسف والاشتطاط . وقام «دارون» بفصل نظرياته فاتخذ السياسيون منها مبررا إذ بشروا بالحرب والخديعة قائلين ان البقاء للأصلح وإن الحرب نفسها ماهي إلا صورة للكفاح الذي يقع بين عناصر الطبيعة في سبيل البقاء . وانقاد الناس وراء تلك النظريات انقياد الأعمى . وكانت النتيجة فشلا ذريعا لمبادئ التعاون والسلام

ولكن أوروبا نفسها دفعت الثمن باهظا لكل ما أسلفنا . فلقد أصبحت مرجلا تغلي فيه المبادئ والثورات . وكأنما تلفت لتجد نفسها بعد الحرب العظمى على كف غمرت لا تستقر على حال . وهذا الكفاح الذي سلم به السياسيون والفلاسفة قد امتد حتى أصبح اليوم شديدا بين الطبقات أولا وبين الأمم ثانيا . وانتج هذان النوعان من الكفاح الشيوعية بما تحتويه من جحود صريح للدين والقومية الهدامة

بما جاءت به من نكران لمبادئ التعاون الدولي . وقد أصبحت الشيوعية نفسها الآن ديناً يعرقل المسيحية ويكاد يضعها في بلادها . وأصبح قبر لينين مقدساً يحج إليه العامة من كل صوب في روسيا بل لقد أصبحت الدولة في بلاد كإيطاليا وألمانيا معبودة من دون الله ، وفي سبيل تلك التقاليد القومية العنيفة اضطهدت المسيحية وحلت محلها الفاشية والنازية .

وقد كان الكفاح في سبيل المادة هو الأساس لكل ما وصل إليه الفرد والدولة من انكار الدين . وقد جر انكار الدين في ذيله انكاراً لكل ما أتى به من مثل علياً . وحسبنا ان نستعبد هنا ما قاله الزعيم غاندى في ذلك وهو من أشد الناس انتصاراً للمبادئ الروحية السامية ومن أحدهم نقمة علي كل ما يتصل بالمادة : « لا تمثل أوروبا اليوم روح الله ولا روح المسيحية وإنما تمثل روح الشيطان . وإنما يفلح الشيطان أكثر ما يفلح حينما تلوك شفتاه اسم الله . ان أوروبا اليوم مسيحية بالاسم لا إله عندها إلا إله المال . . . »

« ولقد أبانت الحرب الأخيرة في أجلى صورة هذه الطبيعة الشيطانية التي تمس الحضارة المسيطرة على أوروبا . فباسم الفضيلة قد استباح الغالبون كل قاعدة من قواعد الخلق العام . وباسم الفضيلة أيضاً لم يتورع هؤلاء من أن يجترحوا أسفل الكذبات . علي أن الباعث على كل اثم من تلك الآثام لم يكن لا الدين ولا الروح وإنما كانت المادة في أبشع صورها »

ولم يكن غاندى وحده من الساخطين على تلك المادية التي استباحت الدين وإنما شعر بذلك المصلحون الأوروبيون أنفسهم فبشروا بنهضة في المسيحية تحاول تنصير أوروبا من جديد . ولكن لم تتعد اصلاحاتهم حد المظاهر والصور وكانت العلاجات التي ابتكروها لا تكاد تنفذ إلى خبيثة النفس . ونحن لانؤمن مع تاجور شاعر الهند بذلك العلاج الذي يفرض على الناس فرضاً بل نحن نؤمن بالآلية الكريمة : « لا يغير الله ما يقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » فيجب ان تتغير عقلية الأوروبيين وإحساسهم حتى يطمئنوا إلى عقيدة جديدة تؤمن بتلك العلاقات التي يلزمنا المجتمع اياها ويجب ان يخلص الإيمان من كل العلاقات التي تحط من معنويته في نفس المؤمن . وقد كان شر ما عزعزه في قلوب الأوروبيين انه اتصل

اتصالا وثيقا بحياتهم المادية فأصبح ذريعة يتخذونها في جهادهم المادى . خذ مثلا مبدأ الرحمة الذى نزل به المسيح عليه السلام . إن الأوروبيين يؤمنون بالرحمة فيما يختص بالضعفاء منهم والمعوذين . لكنهم فى مواجهة الشعوب الشرقية انقلبَت الرحمة فى نظرهم الى الضد منها . فقد حسبت الجماهير المفتونة ان فتح البلاد المتأخرة واستغلال أرضها هو نفسه إحدى نواحي الرحمة . ولسنا ننسى ان سياسيين من الانجليز ادعوا مثل ذلك عن مصر حينما ذهبوا الى ان مصر وانجلترا قد ارتبطتا برباط من عند الله وأن ما وصله الله لا يستطيع أن يفصمه البشر

(٩) الأزهر والزعامة العالمية

ماهى رسالة الأزهر والظروف المادية محيطة بنا كما ترى ؟ ان على الأزهر أولا أن يضع نفسه درعا بين الاسلام وبين مثل تلك المبادئ الخربة التى أدت بأوروبا الى هذا الجحود . وقد أسلفنا الكلام عن الوسائل التى يمكن بها أن يغرس العقيدة الدينية فى نفوس الناس بمصر وإذا نحن أفلحنا فى ذلك فسوف تتكسر موجات المادية من غير أن تحدث سوما فى عقائدنا . ونحن نرى ذلك فى أمم الاسلام فى العصر الحديث . فأما عن الشيوعية فقد فشلت فشلا تاما حيث كان الاسلام : لا لأن الحكومات نفسها قد صدتها بل لأن الشيوعية والاسلام ضدان لا يأتلفان . ولأن فى أمم الاسلام بقية من التوازن الذى حفظ العامة عن أن ينفسوا على ذوى اليسار منهم وارتقى بذوى اليسار عن أن ينقموا على ذوى المثرية ، بل ونحن نرى أن مبادئ القومية العنيفة التى تتمثل فى المانيا وايطاليا لا تستقيم مع روح الاسلام . وقد امتاز الاسلام منذ اللحظة التى تنزل فيها بتلك النظرة العالية التى حُببته الى قلوب الناس كافة . ثم ان على الأزهر ان يغير من عقائد هؤلاء القوم مثل ما يغيرها بالمصريين أنفسهم ولقد أعرض هؤلاء عن الاسلام لأنهم لم يعرفوه وتطير بعضهم به للدعاوة السيئة التى أطلقت السنة الكتاب منهم عن جهالة . وفى كتابات رينان وهانوتو يرى المسلم كيف تقلب الحقائق وكيف تفسخ حوادث التاريخ . ولم يكن هانوتو يحسب المسلمين إلا دراويش كسالى يتكئون على الآرائك وعلوف على الخلفاء الأتراك رغباتهم . وقليل من الغربيين الآن من لا يعتقد أن المسلمين لا يعبدون محمدا .

وكثير منهم قرأ ألف ليلة وليلة ولم يقرأ القرآن ! ويحسب هؤلاء ان المسلم لازال يقتنى بيتا تملؤه الجوارى . ويذكر كاتب هذه السطور سيدة كانت تلقى شيئا عن الاسلام في مؤتمر ديني في أدنبره سنة ١٩٣٣ فآلقت على السامعين أشنع ما يتصوره العقل من التهم التي وجهتها ضد الاسلام . فزعمت بأن الأقباط في مصر يعيشون في بيوت تحت الأرض خوفا من جور المسلمين وانهم يشمون الصليب على أيديهم حتى يتعرفهم أهلوهم اذا فتك بهم المسلمون في الطريق العام . بل لقد كان يذهب بعقولنا حينما كانت السيدة تتحدث عن ذلك في صراحة الواثق . ولم يشك في كلامها أحد حتى قام البعض من المصريين السامعين يدحض كلامها

فلنضرب المثل لهؤلاء بأن يكون المجتمع المصري مثلا عاليا من أمثلة النظام . فاذا استطاع الأزهر ان يخلق حوله مدرسة من مدارس الفكر يحول المصريين إلى شعب مؤمن خير كان ذلك رداً بليغا على تلك المقالات الشائنة التي يلو كها هؤلاء إفكاً وبهتاناً . وليس أحسن من المثل في الاقتناع . فلو أردنا أن نهدي أهل الغرب إلى الدين الحنيف فخير ان نبدأ بأنفسنا فننظم الجماعة في مصر حسب أصوله . ثم ننشئ على العالم بعد ذلك فننعه بحلال هذه النظم . ونستخدم في سبيل هذا الاقتناع وسائل الدعاية المختلفة التي ابتكرها العلم الحديث

وقد أسلفنا ان الصحافة أولى هذه الوسائل فخرى بالأزهر ان يذيع الدين بين الناس بمختلف لغاتهم وأن يكون صلة بين الاسلام وبين كل صقع من الأصقاع في الشرق والغرب . وليبدأ بالشرق أول ما يبدأ حتى يستطيع ان يوجد جهوده ليغزو الغرب بعد ذلك فيذعن القليل أو الكثير ممن تولوا عن مبادئ الدين . نحن نؤمن أشد الإيمان بأن الشرق سوف يمد يده مرة ثانية يحاول ان ينقذ الغرب من الحماة التي يتردى فيها . ونحن نؤمن بأن الدين الجديد الذي يفتقده أهل الغرب إنما هو روح الاسلام : تلك الروح التي تأخذ من كل مبدأ بخير ما فيه ثم تختط طريقا وسطا غير مفرطة ولا مسرفة

ان اختلاف النظم والمذاهب في قيمتها لدى الأفراد والجماعات كان السبب الأساسي في حالة القلاق التي ضربت بجرانها على العالم الغربي . فالاشتراكيون يرون ان قيمة الحياة في النظام الاشتراكي والقوميون يرون ألا قيمة للحياة نفسها إذا

لم تشد بلادهم على كل بلد عداها وقل مثل ذلك في الديمقراطيين والفرديين وعباد العلم وعباد الثورة. ولكن سوف يطمئن أولئك وهؤلاء الى مذهب واحد يؤلف بينهم ولا يرى ذلك المذهب إلا الدين نفسه. والأسلام قيمة هذا التأليف الذي يوحد بين الجماعات. وقد قام بذلك العبء في التاريخ الماضي فهل يستطيع الأزهر أن يحمل هذا العبء في التاريخ الحديث ؟

(٢)

ملخص رسالة

الاستاذ عبد العزيز عبد الحق

تحدث عن ماضى الأزهر وتقاليده ، والأطوار التى مر بها ، وحالة المسلمين فى الوقت الحاضر من حيث حياتهم الدينية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، وتطرق الى ذكر النزعات الفكرية والخلقية وغيرها التى تسود العالم بتأثير انتشار ثقافة الغرب وحضارته ، ثم أشار إلى حياة الأزهر فى نشر الثقة الشيعى فى العهد الفاطمى وكيف اتخذ الفاطميون مركزاً لدعائهم الدينية ، وانتهى من هذا الى أن الأزهر يقيد فى القيام بدعاية اسلامية فى العالم ، وأن رسالته فى القرن العشرين ، إحياء تراث الثقافة الاسلامية . والتوفيق بين الثقافة الاسلامية وما جدم من التقدم العالمى فى النواحي المختلفة منذ العصور الوسطى حتى القرن العشرين لأوروبا ، والعمل على الدعاية للإسلام فى مصر والعالم الاسلامى وغيره وعرض الاسلام عرضاً صحيحاً لأوروبا ، والدفاع عنه بترجمة المؤلفات القيمة التى يضعها المستشرقون والمقالات التى تنشر بالمجلات الدورية الخاصة بالإسلام والتى تطبع بأوروبا ، ثم الاستفادة من هذه الأبحاث والرد على ما بها من شبه ومطاعن ، وإيجاد ثقافة قومية متجانسة ، ثقافة مصرية إسلامية تقوى من وحدة الأمة وتماسكها

(٣)

ملخص رسالة

الاستاذ أحمد توفيق عباد

استعرض تاريخ الأزهر منذ إنشائه فى أيام المعز لدين الله الفاطمى لنشر

الدعوة الفاطمية ثم اتخاذها وجهة جديدة في غايته بعد انقضاء الفاطميين . وتوفر علمائه - بمختلف مذاهبهم - على الحرية في البحث وعدم التعرض للمعتقدات ، والعمل على نشر اللغة العربية وتوطيدها وشد أزرها وتدعيم أسس الديانة الإسلامية ووقوفها تسند الإسلام بكل ما انبعثت فيها من المجهودات العقلية والروحية ، ومواجهة الديانة المسيحية التي كانت تعمل ولا زالت تعمل على اغتيال الإسلام وطرده من مصر لتعود الديانة القديمة إلى أصلها ، وتيسير نظام التعليم فيه ، وتخريج المدرسين والعلماء الذين يتولون إرشاد الناس وهدايتهم

ثم أشار إلى الأطوار التي مر بها الأزهر ، وانحطاط درجة الاشتغال بالعلوم الإسلامية وانصراف علمائه إلى وضع الشروح والتفاسير على ما بين أيديهم من مؤلفات ومصنفات علمائه المتقدمين ، ثم انصرافهم إلى المناقشات اللفظية التي لا تؤدي إلى نتيجة عملية لها اتصال بالحياة أو بالعالم الخارجي

وانتهى من هذا إلى أن رسالة الأزهر في القرن العشرين إحياء تعاليم « أهل التجلي والكشف » الذين يتزعمهم حجة الإسلام الامام الغزالي ، ثم إحياء تعاليم أهل الوحدة « الذين يتزعمهم الفيلسوف الديني ابن العربي » ، ثم اتصال علماء المسلمين بغيرهم اتصالاً علمياً وذلك بتعرف اللغات الحية التي يكثُر فيها الإنتاج العلمي والتي يتناول بها العلماء مسائل الإسلام ومسائل اللغة العربية ، وأن يكون لأهل الأزهر نصيب من هذه اللغات ، فانها تساعد على معرفة الأسلوب الحديث في التأليف والتفكير وطريقة عرض المسائل على أنظار المتعلمين ، وبذلك يستطيع أن يبعث ماضى مصر الإسلامية من جديد وأن يجعل من الدعوة الإسلامية دعوة إنسانية عامة ، ويؤدي واجبه الحق في المحافظة على الدين الإسلامي الحنيف وصيانته من ألسنة السوء ومساعدته على التطور والارتقاء

(٤)

ملخص رسالة

المهرم الأستاذ مصطفى صادق الرافعي

تحدث عن الأزهر ومثله في الثبات والقدم بالهرم ، وجعل من كل عالم من علمائه حجراً معنويًا قام عليه بناء الأزهر ، كما قام الهرم على أحجاره المادية ، ثم

أسترسل فقرر ما يأتي :

رسالة الأزهر أن يحدد عمل النبوة في الشعب ، وأن ينقى عمل التاريخ في الكتب ، وأن يبطل عمل الوثنية في العادات ، وأن يعطى الأمة دينها الواضح الميسر وقانونها العلمي الذي فيه سعادتها وقوتها . ولا وسيلة إلى ذلك إلا أن يكون الأزهر جريئاً في قيادة الحركة الروحية الإسلامية ، جريئاً في عمله لهذه القيادة ، آخذاً بأسباب هذا العمل ، ملحاً في طلب هذه الأسباب ، مصراً على هذا الطلب . وكل هذا يكون عبثاً إن لم يكن رجال الأزهر وطلبته أمثلة من الأمثلة القوية في الدين والخلق والصلابة لتبدأ الحالة النفسية فيهم ، فإنها إن بدأت لا تقف ، والمثل الأعلى حاكم بطبيعته على الإنسان ، مطاع بحكمه فيها محبوب بطاعته له . والمادة المطهرة للدين والأخلاق لا تجدها الأمة إلا في الأزهر ، فعلى الأزهر أن يثبت أن فيه تلك المادة لاظهار عملها لا بالصاق الورقة المكتوب فيها الاسم على الزجاج ، ومن ثم يكون واجب الأزهر أن يطلب الاشراف على التعليم الاسلامي في المدارس ، وأن يدفع الحركة الدينية دفعا بوسائل مختلفة ، أوها : أن يحمل وزارة المعارف على اقامة فرض الصلاة في جميع مدارسها ، من مدرسة حرية الفكر . . . فنازلاً ، والأمة الإسلامية كلها تشد رأى الأزهر في هذا . وإذا نحن استخرجنا التفسير العملي لهذه الآية الكريمة و ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ، دللنا الآية بنفسها على كل تلك الوسائل ، فما الحكمة هنا إلا السياسة الاجتماعية في العمل ، وليست الموعظة الحسنة إلا الطريقة النفسية في الدعوة .

العلماء ورثة الأنبياء ، وليس النبي من الأنبياء إلا تاريخ شتات ومحن ومجاهدة في هداية الناس ؛ ومراغمة للوجود الفاسد ، ومكابدة التصحيح للحالة النفسية للأمة ، فهذا كله هو الذي يورث عن الأنبياء ، لا العلم وتعليمه فقط وإذا قامت رسالة الأزهر على هذه الحقائق وأصبح وجوده هو المعنى المتمم للحكومة ، المعاون لها في ضبط الحياة النفسية للشعب وحياتها وأمنها ورفاهتها واستقرارها - اتجهت طبيعته الى اداء رسالته الكبرى للقرن العشرين ، وهذه الرسالة هي بث الدعوة الإسلامية في أوروبا وأمريكا واليابان بلغات هذه الأمم في السنة الأزهرية مرهفة مصقولة لها بيان الأدب ودقة العلم واحاطة الفلاسفة وإلهام الشعر

وبصيرة الحكمة وقدرة السياسة ، ولا ينسجم له ذلك الا بفتح باب الاجتهاد
وتتقية التاريخ الفقهي وتهذيب الروح الاسلامي والسموية عن المعاني الكلامية
الجدلية السخيفة ، واستخراج أسرار القرآن الكريم ، واستفاضة الأزهر على
العالم العربي بكتبه ودعائه ومبعوثيه من حاملي علمه ورسوله الهامه.

(٥)

ملخص رسالة

الاستاذ عبد الله عفيفي بك

استهل رسالته بالنعي على أن مالية الأزهر الحاضرة لا تفي بما يتطلبه الأزهر
في رسالته الحديثة من جهد وذيوع ، ولهذا رأى أنه واجب على المسلمين في مشارق
الأرض ومغاربها أن يساهموا في إعانة الأزهر إعانة مالية ليلبغ غايته من أداء
الرسالة الاسلامية ، لأن المسلمين جميعا يعلمون أن الأزهر تراثهم الديني ومنهلمهم الروحي ،
وأن مصر لا تستأثر به عنهم ولا تغلق بابيه دونهم ، لأنه ما من بلد من بلادهم إلا
وللأزهر عليه يد بادية الأثر واضحة الخبر ، فإذا آمنوا بعد ذلك بأن الأزهر
عنوان الوحدة الفكرية الاسلامية وأنه سيكون بحول الله وقوته عنوان الوحدة
الروحية العالمية ، فقد بذلوا له كل شيء ونزلوا له عن كل شيء ، واستشهد على ذلك بأن
جميع الرسائل الدينية في بقاع الأرض إنما تقوم بأموال الأشياع والنصراني في
كل مكان ، وإذن يجب أن تساهم حكومات الاسلام في العالم وأمارات الاسلام
في الهند وجماعات الاسلام وأفراده في كل مكان ، في رفع دعائم الأزهر العظيم
وإعلاء شأنه وتمكينه من إذاعة كلمته وإبلاغ رسالته ، وهؤلاء إن فعلوا لا يبذلون
براً ولا صدقة لسكنها ضريبة مقدسة يؤدون لها لقاء ما يؤديه لهم وللإسلام من
أعظم العون وأصدق الجهاد ، وهم بما يؤدون من هذه الضريبة إنما يشترطون الكثير
باليسير والجوهر الخالد بالعرض الزائل ، وفي تقديم هذه الضريبة إقرار اننفوذ
الأزهر على العالم الاسلامي وتمكين له من أداء أمانته وتبليغ آيته
ثم قال : ولا يرتاب أحد في أن للأزهر وحده الفضل كله في صيانة هيكل
الدين الاسلامي وهيكل اللغة العربية صيانة كان لها الأثر الأول فيما هما فيه الآن
من نمو وسمو ، وفيما يبقيان من سيادة وسلطان وقوة واستمكان

وقد جعل لرسالة الأزهر ثلاث وسائل وثلاث غايات : جعل الوسيلة الأولى وجوب تحرير علوم الاسلام وآداب الاسلام وفلسفة الاسلام بأسلوب سافر مجلو يشرح صدور الناس للدراسة الاسلامية العالية ، مما يتفق مع مزاياه في السماحة والوضوح ، وكال العقل وسلامة الفطرة ، ويرى من حق الأزهر أن يححر الأدب العربي كما يجب عليه أن يححر الدين الاسلامي : وأن يقومه ويحلوهم للناس رائعا قويا سائغا مصقولا كأدب الرعيل الأول من أعلام الاسلام ، ومن أوجب الواجبات علي الأزهر في القرن العشرين أن يكون له طراز خاص في الأسلوب الديني والأسلوب الأدبي ، كما كان لكل عصر طراز خاص في هذين الأسلوبين

ويرى في الوسيلة الثانية أن على الأزهر تيسير مصادر الدين لغير العرب والعالمين ، وهي وسيلة على خطورتها لا بد منها ، ليؤدي الأزهر أمانته ، ولا سيما وقد تأهب بالعمل علي ترجمة القرآن الكريم ، فما عمل بعد جمع القرآن أفضل من اذاعته بين الأمم القوية ، وهي الخليفة لقوتها وفتوتها وعلمها واستنارتها أن تعمل بروحه وأن تسعى الى غايته وأن تريد به ما يريد الله منه ، وليست ترجمة القرآن الكريم هي كل ما نريد من تيسير الاسلام لغير العرب في العالمين ، بل أن الذي نريده ويريده الاسلام أن تنشر الثقافة الاسلامية كلها باللغات الأجنبية صافية جلية نقية ، فان عامة الغربيين وأكثر خاصتهم لا يؤمنون بأن للاسلام أصولا راسخة ، وشريعة واضحة ، وطريقة بيّنة ، وثقافة عالية ، وأدبا رائعا ، وروحا قويا كريما

وجعل الوسيلة الثالثة خاصة بتكوين الأزهرى الصالح لتأدية الرسالة ، وأراد به الأزهرى الفدائي الذي يهب بروحه ونفسه ، ومعناه وحسه ، وتفكيره وتدبيره ، وتصريفه وتقديره ، وجهده وقوته ، وعلايته وسريته ، لله رب العالمين ، علي ألا يلتحق الطالب بالكليات حتى يقسم يمين الفداء ، وذلك بأن يعطي الله عهده وموثقه أن يرصده لروحه ، وأن يبيعه نفسه ، وأن يفنى في سبيله مآربه ومطالبه ، وأن يضع حجرافي بناء الألفة والوحدة بين المسلمين ، وبذلك يشعر بعظم أمانته ، وسمو رسالته ، ونفاضة قيمته .

وكذلك يجب العمل علي تكوين الأزهرية الصالحة لتأدية الرسالة ، وأن يكون لها في الأزهر حلقة خاصة للتلقى والافادة ، بل يجب أن ينشأ للنساء معهد ديني خاص

لتخريجهم ، فما وجد الدين قلبا أرق من قلب المرأة ، وسريرة أشف من سريرتها
وأما الغايات الثلاث ، فهي : بث روح الدين في المسلمين ، وتوحيد الأواصر
المذهبية والأدبية بينهم ، وإذاعة دين الله في العالمين .

(٦)

ملخص رسالة

الاستاذ محمد الزهرى

تحدث عما كان عليه الأزهر في ماضيه المضطرب بين الأخذ بعلوم الدنيا والدين ،
وبين الوقوف عند علوم الدين وحدها ، ومر في كلامه بالفترات التي اعتورت الأزهر
وشيوخه من حظر ما هو مباح ، وتحريم ما ليس بالمحرم من علوم الفلسفة
والرياضيات والعلوم العقلية وما إليها ، واكتفائه في بعض أدهاره على دروس الحديث
وال تفسير وعلم الكلام وتقسيمها على الأزمنة في اليوم والليلة ، وأبان أن رسالة الأزهر
إنما هي رسالة إلى الإنسانية قاطبة لا يحل منها ولا يحط عنه تكاليفها ما تعاوره
من التخصير في تحصيل وسائلها حيناً والفتور عن تبليغها حيناً آخر
ثم قال : فنحن لا نجد للأزهر رسالة مفصلة إلا أن يتزود له كفاية الزاد من
لب العلم وصفاء جوهره ، ولا نحسبها بالغة أمرها إلا أن يبرأ الأزهر إلى نفسه من
القنوع بالقشر المتبدل والعرض الزائل ، بل ليس بهذا وحده تتأتى ضمانته الفلاح ،
فلا بد للعلم من حارسه ، ولا بد لحارس العلم من وعاء يحويه ومكان لا يجتويه ،
حارس العلم فيما نعتقد هو الخلق الفاضل في مكانه من النفس المطمئنة وعند وعائه
من القلب السليم ، واذن ففي القلوب الواعية والصدور الرحبة مستقر العلم ،
وطريق العلم إلى هذا المستقر عقول الناس وماكاتهم ، فإذا لم تعتد العقول بعديها
من صحة الفهم ونفوذ الإدراك لم يكن الذي تعيه علما ولكنه يكون إذا طاب مذاقه
مدخلا من مداخل العلم ، وإذا لم تترب المملكات في معاناة البحث وبالتمرس في حل
العقد واستنباع الزلال العذب بتفليق الحجارة عنه حتى يصبح مرانها على ذلك طبعها
لها وعادة فيها لم يكن الذي تبلغه من الفهم قدرة على الفهم ولكنه يكون ، إذا حسن الظن ،
سببا من أسباب القدرة ، فإن مضى الأزهر بأبنائه في سبيل العلم وتربية المملكات ثم

وقف بهم دون هذه الغاية فقد عرق نفسه وأنكر أمسه . ورعى الدين والعلم بأشباه
العلماء فمالوا في الدين والعلم بهوهم فضلوا وأضلوا .

وعلى الأزهر بعد ذلك حق الوفاء لماضيه ، والبر بسلفه ، وللأمة عليه حق
أوجب من هذا الحق ، وكلا هذين الحقين متوقف على بقاء الصلة بين الأول والآخر ،
ولا بقاء لهذه الصلة إلا أن يحسن الآخر فهم الأول

ويرى أن وسائل تمكين الأزهر من حسن القيام بأداء رسالته تجمل فيما يلي :
أخذ الطالب - عند التحاقه بالأزهر - بالرفق والأناة ، فلا يلقي إليه ما لا يقوى
عقله على فهمه ، ومتى تفتح ذهنه واستوى استعدادده حسن إذن نقله إلى شيء من
معتقدات الكتب وعوائص المسائل لتتربى فيه ملكة الفهم والتحصيل ، على ألا
يستغرقوا به في ذلك أطول الزمن . ولا يصلح ابن الأزهر لأداء رسالة الأزهر
ما لم يكن قادراً على الإبانة بقلبه والافصاح بلسانه ، فيجب ألا تقوم اللغة العربية
في الأزهر قيام العلم الجاف الحشن المحبوس على قواعد النحو والصرف أو المحصور
في علوم البلاغة ، بل يجب أن تقوم هذه اللغة بين الأزهرين مقاما يكشف لهم
عن أسرارها ويسقينهم العذب السائغ من بلاغتها وسحر أسلوبها ، وأمثلة السبل
إلى ذلك أن تدرس اللغة وفقهم وأدبها وتاريخها درس تذوق واستشعار ، لا درس
حفظ واستظهار . وليس من التهجيم أن يقال إن الناس أصبحوا لا يفهمون كتاب
الله في هذا الزمن حق فهمه ، فليس بين يدي طالب الفهم من كتب التفسير ما يعين على
هذه الغاية الواجبة ، فلا بد إذن أن تتوفر للأزهر حاجتان ، ليس أعلق منها برسألته
المنتظرة ، إحداها تفسير القرآن الكريم تفسيراً يقطع الشك في أن كتاب الله جاء
سابقاً ثم جاء العلم وجاءت العقول آخر الزمن تدب على طريقه ديب النمل ، ويقرر
الائقين بأن لكتاب الله فضل سبق إلى غاية ما وصل اليه العلم ونهاية ما بلغت طاقة
العقول . والثانية تناول حقائق العلم بالدرس ومتابعة سيره فيما لا يزال ناصباً له
، ومجتهداً فيه ، فليس إلا بهذا الدرس وهذه المتابعة يفهم الأزهر كتاب الله حق فهمه
فيؤدي رسالته حق أدائها

(٧) ملخص رسالة

الاستاذ الشيخ محمد عرفه

تحدث عن أن الأزهر معقد آمال المسلمين من ممالك الاسلام القريبة والبعيدة ومحط رجائهم ، وهو من العالم الاسلامي كالقلب من الجسد ، وهو ليس المصريين وحدهم بل لأمم الاسلام جميعاً ، فمن قتله فكأنما قتل أمم الاسلام جميعاً ، ومن أحياه فكأنما أحيى الناس جميعاً ، منزلة بواها إياها ماض مجيد وعشرة قرون قضاهما يجاهد في سبيل العلم والفضيلة والدين

فرسالة الأزهر في القرن العشرين هي فهم الدين الاسلامي وتفهم المسلمين إياه على وجهه الصحيح وتنقيته من الزوائد والشوب وتصفيته من الكدر ، ليعود حلولاً جناه وعذبا مشربه ، وبذلك يتمكن من أن يقوم بما يأتي :
١ - إحياء أمم الشرق باحياء الأخلاق فيها ، وذلك باحياء الدين وعمارة نفوسهم باليقين

٢ - إصلاح الأسر الاسلامية بتنظيم الزواج والطلاق فيها ، وجعل رباط الزوجية متيناً جداً أمين بما هو عليه الآن

ج - صياغة المعاملات الاسلامية على رجة يتفق مع النظريات الاقتصادية ولا يخالف روح الدين

د - صبغ الروح الاسلامية بالصبغة الاستقلالية باعتناق العقيدة التي تجعل المرء حراً مختاراً مسؤولاً عن كل ما يعمل بقدر ما أعطى من حرية واختيار

هـ - بعث العقول من مراقدها وإنهاض قوى الانتاج العقلي من سباتها وإجلال العقل الانساني واحلاله منزلته العليا في الوجود التي ليس بعدها منزلة ، والتي جعلت الدين رتجاً كم اليه فيما شجر من خلاف بينه وبين الناس ، والتي جعلت من مبادئ الاسلام أن يؤول النقل إذا تعارض مع العقل

و - ربط حديث الأمة بقديمها ، فيحافظ على اللغة العربية وعلى علوم الأوائل ويعرضها على الجيل الحاضر في معرض حسن جذاب يشوق إلى قراءتها والتمتع بها .

(٢)

الموضوع الثانى

اللغة والدين والعادات باعتبارها من مقومات الاستقلال

حضرة المحترم مدير المطبوعات

أتشرف باخبار حضرتكم بأن لجنة المباراة فى موضوع اللغة والدين والعادات، رأت بالاجماع منح ثلاث جوائز قدر كل منها ٢٥ جنيها فقط لكل من حضرات الأساتذة احمد وفيق ، زكى مبارك ، يوسف محمد .

وأرسل مع هذا الموضوعات التى وقع عليها الاختيار ، وبقية الموضوعات وتفضلوا بقبول تحيتى واحترامى ؟

٢٣ ابريل سنة ١٩٣٦

مدير

الجامعة المصرية

« اصمحر لطفى السيد »

رسالة المرحوم الأستاذ الصمغوني

كلمة اجمالية

موضوع « اللغة والدين والعادات باعتبارها من مقومات الاستقلال ، موضوع قديم . ولكنه يبقى جديداً ما بقيت القوة والضعف والمطامع والشهوات من ناحية ، والوطن والقومية من ناحية أخرى .

إن اللغة والدين والعادات عناصر جوهرية بين عناصر الوطن والقومية ، والاستقلال صفة للوطن والقومية ، فإذا استمرت عناصر الوطن أو القومية قوية أو ضعفت أو انحلت ، استقامت الصفة أو وهنت أو زالت تبعاً للأحوال ، ولذلك قيل إن هذه العناصر من مقومات الاستقلال .

ولما كان الأمر كذلك فقد وجب أن نبدأ بتعريف الوطن لأنه أساس القومية ، حتى نستخلص من هذا التعريف نتيجة نستبين منها أن اللغة والدين والعادات عناصر بين تلك التي يتكون منها الوطن ، ولا معدي عن عدها من مقومات الاستقلال باعتباره صفة لكائن هي عناصره ، فإذا تم ذلك تنتقل إلى معنى القومية ، ومن ثم تم الكلام عن كل من اللغة والدين والعادات كمقومات الاستقلال .

الوطن

الوطن نوعان : وطن مادي ، وآخر روحي ، فما هو تعريف كل منهما ؟

الوطن المادي

يقول « فاجيه » في تعريف الوطن المادي إنه « ارتباط الإنسان بذلك الجزء من الأرض الذي ولد فيه وله صلات به أحكام وأوثق من تلك التي تربطه بغيره من أجزاء العالم . فالوطن مبدئياً وأصلياً هو حب المعلوم ، والقلق على المجهول ، إنه حب الأفق الذي تستشرفه العيون عادة ، وتتألم له النفوس كلما تغير ، وتجزع عليه كلما تبدل . »

وعندنا أن الوطن هو ذلك الجزء من الأرض الذى يحدث مع الزمن تفاعله فى النفس والجسم بانبساطه وارتفاعه أو انخفاضه ، بنباته وحيوانه ومائه وجوه بطبيعة ذراته وألوانها، فلا يكون هذا الحدث إلا سحراً فى العيون ، وتسليطاً على الاحساس . وسيادة تملك العاطفة ، وتحكما فى الوجدان، ولخاصاته الغذائية جاذبية فى البطون . تصلب معها الإرادة أو تلين ، ولمائه انعاش يشد الأعصاب أو يرخيها ، واسمائه انعكاس على النفس يكسبها الصحو أو الاكفهرار ، ويطبعمها بطابع المرح والطرب . أو السامة والملل ، ولهوائه نشوة تذهله عن الواجب أو تستحبه على التوائب نجوم ، ولشمسه لفحة تغري بالكسل أو تستثير العزائم ، وللغته رنين خاص فى الأذان يستغفر النفس ويحلق بها فى آفاق خاصة . وللمعتقدات تسلط على الأفئدة يستمويهها ويدفعها إلى السير فى اتجاه خاص ، ولعاداته سلطان على القانون والنظام والمعتقدات فيكون منها الخلق الذى يقتاد الانسان فى وجهات معينة ، فيتولد عن كل ذلك علاقة متينة بين الانسان ووطنه لا انفصام لها إلا بالموت ، أو بالغية المنقطعة التى تبيح تكوين حلقة جديدة من الخلق تقوى على ارخاء ذلك الرباط ثم حله ، وهذه العلاقة هى الوطنية التى تحن دائما إلى الوطن ، وتغرى بالبذل فى سبيله ، والرثاء لحاله ، إن أعيت الوطني الحيل وحالت الظروف دون البذل والتضحية فى سبيل إنقاذه .

لقد كان الرجل فيما مضى لا يشعر بالطمأنينة إلا فى قريته أو على مقربة من قريته ، ذلك بأن فى هذه القرية الأقربين والاصهار والحلفاء والانصار والأصدقاء . أما خارجا عنها فلا يجد غير الأعداء الألداء ، فاذا ما ارتاد النواحي الواقعة على بعد من القرية أو على مقربة منها ، ثم عاد قاضا غلباطاً ، وتدفق بشراً بلقاء تلك الأكوام المكدسة من الوقود الجاف فوق الأسطح، والتمتع برؤية الجاموس والبقرة فى أماكنها القديمة ذلك بأن فى هذه المناظر معنى التقاليد والعادات التى لا مناص من العثور على أثرها مهما تطورت المدنية ، لأنها العنصر الجوهرى الذى تقوم عليه كل وطنية .

هذا هو الوطن الصغير فى القرية أو فى الخط أو الحى ، أما الوطن الكبير فإهو إلا الاطار الذى يحيط بالوطن الصغير ، فتصور أنك عائد إلى الوطن من سياحة طويلة وأنك تشرف على شاطئ بلادك ، وأن السفينة تكاد تلقى مرساها، فأى شعور يدب

في أعماقك ، وأى عاطفة تهتاج حناياك ، وأى حنو تحسه يتدفق من الأعماق وينسلك في شرايينك وأوردتك تياراً كهربائياً يغزو الفؤاد ويحاق في جو غير جو الساحل ؟ هو جو الحقل ، وجو المنزل العائلي ، فلا ترى على الشاطئ الإسكندري كوم الدكة ورأس الثين والرمل ، أو لا تنظر على شاطئ بورسعيد شمال دلسيس ، ورضيف الميناء « والكازينو » وحى العرب ، ولا تبصر هنا أو هناك البحارة وبوليس الميناء أو عمال الجمارك أو الخالين ، إنما تنظر الساقية والبقرة ورجل المقاتة ، أو المنزل أو القصر ، وتبصر الأشقاء مقبلين على باب الدار لتحييتك ، والآب والأم مهرولين لتقييلك . وترى الابن ممسكا بعنقك ملتقاً بأقدامه حول ساقك ، والقبيلات الحارة تنطبع على وجنتيك ، وأمه من خلفه تحاول عبثاً أن تحمل الابن على أن يقسط في التدليل على حبه ، وألا يسرف في شغفه بوالده حتى لا يطفئ تحمسها لرؤياه ، وقصارى القول إنك ترى مدينتك أو قريتك أو حيك بدارك وأسرتك في « فلم » يدور على الشاطئ بدلا من حقيقة الشاطئ .

إن فكرة الوطن إن لم تكن غريزة في بادية الرأى فهي فكرة يثبته في النفس جميع العوامل التي يمكن أن توظف فكرة المصلحة المشتركة ، أو الحياة المشتركة على الأقل ، فهل إذا أنت حضرت عيداً أقيم تكريماً للظافرين باستقلال بلدها ، أو حضرت حفلة من الحفلات القومية التي تقام بمناسبة فتح أو ظفر ، أو عملت في الحقل مع هؤلاء الذين يجنون القطن على نغمت الأناشيد الشعبية اللذيذة ، ألا يبعث بعض ذلك وكل ذلك في نفسك القوة على التفكير في أن هناك أسرة أكبر من الأسرة العادية ، وأن هناك إخاء أوسع من الإخاء العائلي ؟ بل هل لا يستحسك هذا الموقف على أن تكشف نفسك بأن هناك شيئاً إن لم يكن أقرب إليك من بنيك بامتياز على الأجنبي المريب ، أو العدو المرهوب ، فمن خاصيته أن يلبس الجميع ثياباً ذائعة يمكن لأي إنسان أن يعرفها بسميها التي تكسبك عطفاً ورفقاً وإنسانية ؟ هذا الشيء هو الوطن الأصيل ، الوطن المادى ، ولذلك ننتقل إلى الكلام عن الوطن الروحي

في الوطن الروحي

يتكون الوطن الروحي من اختلاط الوطن المادى بالذكريات والتقاليد ، ولما

كانت الذكريات والتقاليد في معنى المقبرة ، فان المقابر قد صارت العنصر الجوهرى الأساسى لتكوين الوطن ، وفي هذا المعنى قال لامارتين : إن جسد الأوطان من رفات الأموات ،

فالوطنية إذن هى المعنى المتقدم على أن تكون اتحاداً بين أرواح الموقى وأرواح الأحياء ، وفي هذا الاتحاد الروحى يدخل إحساس قائم على وحدة الدم ، وآخر قائم على وحدة التربية ، وفاق وحدة التفكير والفكرة ، ووحدة العواطف المتعاقبة المتوالية ، يضاف إلى كل ذلك وحدة إحساس الاعتراف بالجميل ، فإذا قلت آباؤنا الذين بنوا مجد مصر ، وآباؤنا الذين شيدوا القناطر الخيرية ، وآباؤنا الذين بنوا الجامع الأزهر .. الخ ، هل تدرى على التحقيق آباء من هؤلاء الذين بنوا هذه المفخرة ؟ لا وإنما تكون هنا الوحدات التى ذكرناها ماثلة فى هذا الجمل الذى هو أقوى عامل من عوامل الوطنية ، مادمت لا تستطيع أن تفرق بين ذكريات والدك وذكريات والد جدك ، وفى ذلك أيضاً ما يدعو إلى التضامن فى الذكريات وفى تقديسها ، وفى الاقرار بالجميل ، وفى هذا التضامن معنى الوطنية الصادقة التى لا تعرف التخصيص وإنما تعرف التعميم إجتناباً للفشل والانقسام فمن مقام الذكريات ، حتى ذلك المكان القدسى الذى يرقد فيه الأسلاف ، يتولد فى مخيلة الانسان ذلك الشعاع الوضاء الرحيم العطوف ، الذى يحمل أمل الحاضر إلى ارواح لم تتجسد مادة ، لا تزال فى عالم الوضاعة والنور ، أرواح الخلف .

ففى وسط هذه المرحلة القائمة بين الذكرى والقبر ، يقف المرء ليقول لنفسه : لا قدس هؤلاء الذين مهدوا إلى هذا المكان من العالم ، ولقدس جميع الذين مهدوا لنا هذا المكان من العالم ، لأن من سيتولد عنى ، ومن سيتولد عنا سيؤدون واجب التقديس هذا نحونا ، ولذلك حق على أن أحبهم مقدماً ، لأنى أشعر من الآن بهذا الحب الذى يقضى بالدفاع عما أقدس من أرض وذكرى

ولا مشاحة فى أن هذا الحب مقص إلى تضامن آخر غير تضامن الحاضر مع الغابر ، وهذا التضامن الجديد هو تضامن الحاضر مع المستقبل ، تضامن ما هو كائن مع ما سيكون ، أى الاشفاق على الوطن فى الحال والمستقبل وصيائته من الاعداء . ولذلك نرى أن نضيف إلى كلمة لامارتين كلمة نيتشه : « هناك سنكون

أحراراً وهناك سيكون الوطن ، ، وإذا أنت أردت أن تسمع كلمة لامارتين مندمجة في كلمة نيتشه فاصغ إلى قول جوريس : « يربطك هذه الأرض كل ما تقدمك وكل ما تأخر عنك ، ما أنشأت وما تنشئه ، الماضي والمستقبل ، جمود المقابر وزلزلة المهادر .

نقد الفكرة

إن حب البلد الذي ولدنا فيه والتضامن الذي يشعر به الكائنون مع من كانوا من جهة ومع من سيكونون من جهة أخرى يكفيان لوجود وطنيه كاملة حية أبدية ،

كان « فولتير » الكاتب العظيم الذي لا ينكر فضله على النهوض بالإنسانية وإشباعها بروح الحرية السياسية ، رجلاً من بين رجال عصره الذين امتازوا بالتجرد من هذا الشعور حتى لقد بلغت به السخرية من الوطنيين أن قال : « أريد من الناس أن يتفضلوا على بأن يحيطوني علماً بمكان وطن إبراهيم ؟ ، مع أنه لا نزاع في أن وطن إبراهيم كان قبيلته . لا نزاع في أنه كان آباءه وإخوته وأبنائه وأحفاده ومواطنيه الذين تعلق بهم وهام بحبهم من غير شك .

لقد أصر « فولتير » على التمسك بفكرته ، ولم يطأوعه عقله الكبير في أن يتصور الوطن الذي يمكن أن يكون ليهودي ، حتى لقد تسامل في تهكم « هل يهودي » من مدينة « كوامبر » يكون وطنه كوامبر ؟ ألا إنه لا يجد هناك إلا مضطهديه وإلا مطاردية ، أم هل وطنه بيت المقدس ؟ لقد طرأ سمع هذا اليهودي صوت غامض يقول له : إن أسلافه قد سكنوا فيما مضى هذه الأرض المخصصة للبلقع تحيط بها صحراء جرداء كريمة بسط الأتراك سيادتهم عليها وعلى هذه المدينة الصغيرة التي لا تجديهم فتيلاً . فبيت المقدس ليست وطنه . وليس لهذا اليهودي أي وطن في العالم . ولا يملك شبر أرض فيه ، ولقد تسامل « اميل فاجيه » أمام هذا القول عن حكمة الإشاعة التي تداولتها الألسن وتناقشتها الأجيال ، ودارت حول أن اليهودي أشد الشعوب وطنية وأمتهم تعلقاً بكل ما هو يهودي . فما كان منه إلا أن أجاب بأن علة ذلك أن الوطن هو التقليد ، والوطنية هي التضامن في

تقديس التقليد . فوطن ذلك اليهودى ليس « كوامبر » ولا بيت المقدس . وانما هو « اسرائيل » ، فالأمر الذى يخرج إلى الوجود وطنية صحيحة ، وينمى قوتها الرهيبة . هو أنها ليست مرتبطة ضرورة بمكان . وانما في مقدورها أن ترتبط ارتباطاً وثيقاً . نس . والارتباط بالجنس وحده قوة كاسحة لا تقاوم .

ولم يكتب « فولتير » بها تقدم . بل زاد عليه : « إن كلمة الوطن تكون كلمة لا ثقة بالاغريقى وجميلة الواقع فى محه عند ما يحمل بتاتا أن قد وجد فى بلاده . رجل يدعى « ملتياى » أو آخر يسمى « أجيزيلاس » . ولا يعلم إلا أنه عبد الإنكشارى . عبد الأغا . عبد الباشا . عبد الوزير . عبد الباد شاه الذى نسميه التركى الأعظم فى باريس » . فولتير يلمو بالمصائب إذ يجرى هؤلاء الشعوب الذين أقاموا أسطح برهان على أنهم رسل الوطنية من وطنهم وينتزع الذكريات من هؤلاء الشعوب الذين استمدوا وطنيتهم من ذكرياتهم دون سواها فما غامرت اليونان بحياتها لتكون أمة إلا لأنها وثقت بأنها معلالة أمثال « ملتياى » . وأضراب « أجيزيلاس » كما برهن « فاجيه » على ذلك .

وتنادى « فولتير » واسترسل يقول : « وهل يجرؤ القساوسة أيضا على أن يقولوا إن لهم وطناً ؟ يقولون إن لهم وطناً فى السماء ، فيا لسعادتهم ! أما أنا فيكفينى أن لا أجد لهم وطناً فى الأرض . »

ولكن « فاجيه » يرى فى الوطن السماوى اشتقاقاً من الوطن الأرضى . فضلاً عن أن فى الوطن السماوى مظهرأ من أجل وأجلى مظاهر الاحساس الوطنى . إذ يتضح منه أن وطن القسيس هو نظامه الذى يتعلق به أو نقابته التى يرتبط بها ارتباطاً وثيقاً يحاكي فى قوته قوة ارتباط اليهودى باسرائيل . واليونانى ببلاد الاغريق . فالوطن هو إذن كما يقول فاجيه : « تعاقب الناس فى حظيرة نظام اجتماعى يعيش بالذكريات والتقاليد والاخلاص لهذه الذكريات والتقاليد . فالقسيس هو إذن مثال الوطنى الذى أنشأ بنفسه وطناً لنفسه . وإذا خرج معنى هذا الوطن عن المعنى الصحيح للأوطان فانه وطن على أية حال . ووطن قوى جداً ، وحى للنهاية » . أما وقد عرفنا الوطن على أنه صلة تربط الانسان بالجزء الذى يعيش فيه من العالم . وتحمله على تقديسه والذود عنه إذا ما اعتدى عليه معتد حتى يستأثر بالسعادة

فيه حراً من القيود المذلة ، فقد وجب أن نعرف قوام هذه الصلة ونناقشها في دائرة اللغة والدين والعادات

اللغة

اللغة عامل أساسي في تكوين الوطن والوطنية ، بل لقد رأى البعض أنها أهم عامل من عوامل تكوين الوطن والوطنية ، مادام معنى ذلك هو تعاقب الناس في حظيرة نظام اجتماعي يعيش بالذكريات والتقاليد والاختلاص لهذه الذكريات والتقاليد ، وإلا فكيف يفهم الخلف ذكريات السلف والتقاليد ، وكيف يخاص لهذه الذكريات والتقاليد على بحر الأيام إن لم تكن هناك أداة واحدة لوحدة الفهم ووحدة المشاعر ووحدة الاحساسات ، ونريد بها اللغة

ولكن في العالم حالات تحول دون الاغراق في تقدير اللغة على أنها أهم عامل من عوامل تكوين الوطن والوطنية . فأهالي الولايات المتحدة الذين يرجع أصلهم إلى جنسيات مختلفة تتكلم لغات متعددة ولهجات متباينة تجعلنا نقف هنيئة للتفكير في قيمة اللغة من ناحية تدخلها في تكوين الوطن والوطنية ، لا سيما إذا راعينا أن أهالي الولايات المتحدة رغم تعدد لغاتهم ولهجاتهم قد أمسوا مضرب الأمثال بوطنيتهم بسبب تاريخهم الذي فاض بطولة وتدفق فروسية جعلتهم بهيبتهم ، والأهم يباهون ، حتى صار كل فرد منهم « واشنطن » لفرط تسمكه بهذا التاريخ الرائع الخلاب . وإذا كان قد ترتب على هذا التاريخ أثره الجليل في النفوس فإن هذه الوطنية العميقة المتأصلة قد غزاها ونماها بالهذه البلاد في العالم من مكانة أباغ بسحر عزتها وأنفتها من سحر العزة والأنفة مضافاً إلى ما فيها من نظم يعدون الانتساب إليها قوام الشرف العالمي والكرامة الإنسانية

إن كل ذلك قد جعل جوهر الوطنية الأمريكية يشع نوراً وضاء يرسم أمام الأمريكي أينما حل وأينما سار آية الخلود والمجد . نحن أكبر جمهورية عرفها العالم بشقيقه الجديد والقديم ، فوحدة اللغة ليست إذن ضرورة لقوم كهؤلاء ولكن هذا الرأي على شيء من المغالاة أيضاً ، لأن الباعث الصحيح على هذه الوطنية هو أن غالبية سكان الولايات المتحدة من الجنس الانجلوسكوني ، أما الأقلية فهي من أجناس متعددة ، هي أقليات تافهة بالنسبة للأغلبية . وأخلاقها ليست بالمتانة

والصلابة التي يمتاز بها الخلق الانجلوسكسوني ، ولذلك فهي تلتزم الخضوع لما يرسنه هذا الجنس من أوامر ونواه

وكذلك الشأن بالنسبة لسويسرا . فهي تتكلم ثلاث لغات ، ومع ذلك فانها أشد شعوب الأرض استمساكا بوطينتها ووحدها التي تألفت من ذكرياتها التاريخية ، وتعلقها بدستور سياسي وافق على العمل به جميع الأحزاب التي تألفت منها هذه الأمة . وهذا يجب أن نقول إن هذا التماسك البادي على الوحدة السويسرية يرجع إلى اعتبارات سياسية . وإن تعدد اللغات في سويسرا لا يمكن أن ينتقص من قدر اللغة على اعتبارها من العناصر الجوهرية في تكوين الوطنية

ولكن اللغة رغمًا من كل ذلك لا تزال وستبقى رابطة قومية لا انفصام لها ولا تضعضع لقوتها . أفهل من عامل أقدر على أن يحمل الانسان أجنبيًا عنك كالصعوبة في فهم كلامه والتفاهم معه ؟ وهل لا يحس الانسان تلك الهوة العميقة المفزعة التي تفصل بينه وبين محدثه إذا هو عاج التفاهم معه دون أن يقوى على ذلك ؟ وما هو المعنى الذي تريده تلك السيدة الأجنبية التي تزوجت وطنيًا حبا وعاشرته عشر سنوات أو يزيد عند ما تعلن بعد فوات هذا الوقت الطويل أن التعارف اللغوي الذي يرفع التكليف بينها وبين زوجها لم يتم ؟ أليس معناه أن الفارق في اللغة فارق بين تعانق الأرواح وتشابكها وتشاكلها واندماجها ؟ وما هي روح الوطن إن لم تكن تعانق أرواح الوطنيين وتشابكها وتشاكلها واندماجها في سبيل الدفاع عن استقلال البلاد بمختلف طرق الدفاع ؟

ثم ألا رأيت الى اللغة وكيف تبندع طرائق التفكير وتحملها من جيل الى جيل حتى تفرض على الاجيال المستقبل طرائق تفكير الاجيال البائدة ؟ إن اللغة هي إذن قالب تسن فيه الافكار ، وأرحام تصب فيها وسائل الكلام ، وشارات ابدام الاحساس ، وعلامات التعبير عن الحركات والسكنات والايماء ، فالطفل الذي تعلم كلمة يرث فكرة تقليدية ، فماذا عسى يكون الحال مثلا لو أن وجود كلمة « السيادة » أو « المملكة » قد انعدم في اللغة العربية أو أنه جاء بلغة أجنبية ؟ أما كان نتيجة هذا المنتص أن يقل عدد جنود الحق وسلاطان الامة فلا يتسع بحاله إلا أمام الشياطين الذين تسول لهم أنفسهم هضم الحقوق وسلب النفوذ واغتصاب السلطان ، فلا يقوى ابليس إلا على أن يوسوس في صدور الناس ليزين لهم حب

الخضوع ، والولوع بالخنوع ؟ فوجود الكلمة أوجد الفكرة ، ووجود الفكرة تأصل في النفوس ورسخ بمرور الزمن حتى استعصى اجتثاثها . لان الكلمة فرضت الفكرة ، والفكرة التي تتطلب أن تكون شيئاً قد تحولت الى مادة بتحقيقها وما دام الأمر كذلك فإن التضامن الصحيح ، ذلك الذي يمثل في تلك الصلات التي تربط الأحياء بالأموات على الأقل هو من مميزات اللغة التي تخلقه بدورها وتصونه وتحافظ عليه وتطيل في أجله وتخلده . ألا ترى الى اللغة وكيف كانت وحدتها أحد الاسباب التي استبقت حياة ايطاليا وحفظتها من التمزيق والتوزيع بين الغالبيين ؟

لقد اجترأ أحد الساسة على أن يشهر بايطاليا باعثة الفنون والعلوم الى حد أن وصفها بأنها تعبير جغرافي ، ولكن هذا السياسي لم يصب كبد الحقيقة . فقد طاش سهمه وتبدد حلمه . اذ برهن الزمن على أنها كانت أكثر من اصطلاح جغرافي بما أنها عاشت وسط الرعاع والاهوال وبددت طبقات ظلمات الاستبداد وهي الآن في أجواز الصحو وحده تعمل وتجد في سبيل استرداد العظمة الرومانية القديمة . وكل ذلك راجع إلى وحدة اللغة أساس وحدة التفاهم الانساني المشتقة من وحدة الله .

وكذلك كان خطب اليونانيين ، فمن الاسباب التي دعت إلى الاحتفاظ بكيانهم انهم لم ينسوا لغتهم ، ولما كانت اليونان لم تنس لغتها لأن لها في بطون التاريخ ذكريات لا تعد ولا تحصى ، فان واقعة التخاطب بهذه اللغة نشطت مدفوعة بالذكريات التي أجرت فيها دم الشباب وخلدتها .

فاللغة القومية إن لم تكن روح الأمة فهي على الأقل مجرى ذكائها واحساسها ، مثلها كمثل المؤلف وانشائه ، طريق تسير فيه للفكرة ، لا الفكرة ذاتها . ومن هذا نعلم أن اللغة سلاح المغلوب في غزو غالبه وإخضاع قاهره .

إن الفاتح مرغم عادة على أن يتعلم لغة للبلاد التي يغزوها ، حتى يتم تفاهمه مع أهلها ويستمعوا إلى أوامره ونواهيها ، ولكن تكلمه هذه اللغة يطبعه بطابع تفكيرها وعاداتها . واذا نحن أردنا أن نفهم مدى هذا الطابع واجب علينا أن نقف على مقياس القوة الانسانية في الشعوب ، بل مقياس قوة طبائع الشعوب . ولنعرف ذلك يجدر بنا أن نعلم أن هناك حالتين ، فاما أن يوطن الفاتح نفسه على

أن يسكره المغلوبين على أن يتعلموا لغته ، وإما ان برغم نفسه على التكلم بلغتهم ،
وفي الحالة الأولى يكون الفاتح غازيا بمعنى الكلمة ، أى منشئاً ومكوناً ومصوراً
وملوناً ، وهذا مستحيل في العصر الحاضر . وفي الحالة الثانية لا يكون الفاتح إلا
ظافراً في يومه مغلوباً في غده ، لأنه ينشئ نفسه ويكونها ويصورها ويلونها من
جديد ، اللهم إلا إذا جعل من عماله سياحاً متنقلين ، وهذا ما يزعم سياسته
ويمكن البلاد المفتوحة من أن تزلزل أقدامه يوماً بعد يوم حتى تقتلعها .

نستطيع أن نعرف الشعوب ذوى الشكيمة والبأس من قوة تمسكها بلغتها
وشدة تعلقها بها ، بحيث لا تمر بها لحظة إلا وتعمل الفكرة في الرقى بها ، حتى إذا هم
تركوها فأنها لا تتركهم ، لان هناك اندماجا تاما بمعناه الصحيح ، لا اندماج
لغة في أفراد وانما اندماج أفراد في لغة ، اندماج زائل في خالد ، فاللغة تمجس
الشعوب ثم تصبهم في القالب الوطنى الذى لا يشبهه قالب آخر .

وإذا نحن أدركنا التاريخ على أعيننا علمنا أن الفترة الزمنية التى يقوى فيها أى
شعب ويسعد حالاً هى نفسها التى يشمخ فيها بأنفه اعجاباً وتبها بلغته . ولذلك نراه
يسهر على صيانتها في غيرة ، ويطارد كل من يحاول العبث بها أو اتضاع قدرها ، رغبة
منه في أن تكون لغة فنية طاهرة جميلة موسيقية جذابة . وهذا هو الواقع في فرنسا
وانجلترا وألمانيا وإيطاليا الخ . وما كان قديماً في أثينا وروما وبلاد العرب والاندلس
والعراق والشام الذين لم يستنكروا تضامهم مع الماضى والمستقبل ، ولم يحاولوا
القضاء على الذكريات والتقاليد والعادات الوطنية أو الروح الوطنية والوطن .
فحافظوا على كرامة الاحياء وأراحوا في القبور الآباء .

ولهذا الاعتبار عدوا النحاة وطنيين ، بل عدوهم حماة الوطن ، فمن استحق
تقدير اللغة استحق تقدير الوطن ، وإذا نحن أقمنا وزنا لهذا الاعتبار فان في الأرياف
اعتباراً آخر لا يقل أهمية عن ذلك ، لأن في هذه النواحي من الوطن نخوة لا يقبلون
إلا أن يتكلموا بلهجات أقاليمهم ويمجون تكلم غيرها من اللمجات ، ما دامت
أجنبية عن مقاطعتهم وما دام آباؤهم لم ينطقوا بها من قبل ، ولا غرابة ، فان اللبجة
لغة هي طرف اللسان أو الملازمة ، وفي ذلك معنى الدوام ، والدوام من صفات الوطن ،
فتمسك هؤلاء النحاة الريفيون بلهجاتهم تمسك ببقاء أطراف ألسنتهم أى تمسك
بالدوام ، ومن ثم تمسك بالوطن والوطنية ، ولذلك كان من الطبيعى أن يحتفى بـ

هذا في حب ذلك . وأن يكون واسطة لدوام الوطن والاستقلال .
وقصارى القول : إن اللغة هي التقليد ، هي اللباس بل هي أكثر من لباس ،
هي القالب ، بل هي أكثر من قالب ، هي قلب التقليد ، أنها تهبه كل توقيعاته ،
وكل هزاته التي تنفذ الى الروح وتعود منه ذهابا وإيابا حتى ينتهى الأمر بها الى أن
تشكل الروح الذى تلهمه فى الشكل الذى تريد ، وما دامت هي التقليد فهى خلق ،
والخلق القومى أساس الاستقلال ، ومن الواجب العناية والاستمسك بها واحدة لا تعدد
لها فى وطن مع العمل دائما على جعلها متلائمة وحاجات الوطن العلمية والفنية
والأدبية والصناعية والتجارية عن طريق تنظيم المجمع اللغوى على أحدث طراز ممكن ومدّه
بالمال الكافى لسد حاجاته وإطلاق يده فى تحقيق كل ما ينهض بالخلق القومى والاحساس
الوطنى . ومضى تبين ذلك فقد وجب أن ننتقل إلى الكلام عن عنصر الدين

الدين

الدين عقيدة عامة تربط الوطنى بالوطنى برابط معنوى قوى يتناهى أمره إلى
أن يكون تضامنا محكما بين الجماعة عند ما يمر عليه الزمن الضرورى لأن يكون خلقا
قوميا .

الدين مجموعة فضائل تلوح للعين المجردة وكأنها نظام سياسى الغرض منه إيجاد
وحدة فكرية سامية . والخلق القومى لوحة تضمنت فضائل الشعب ونقاؤه وحسن
حظه وسوء طالع ، ونجاحه وفشله ودهورة مصيره ، وكل ذلك أثر من آثار النظم
مجتمعة ، والنظم أثر من آثار العادات والمعتقدات ، وهذه بدورها أثر من آثار الخلق ،
لأن الأسباب والنتائج فى عالم الاجتماع والسياسة تتضامن فى العمل ، فالخلق تنتج
النظم التى تتألف منها الأخلاق بدورها ، فإذا انقضت عدة قرون اندمج كل منها
فى الآخر وأصبحا كلا لا يتجزأ بحيث لا ترى النظم إلا الأخلاق محسوسة مرئية
ثابتة مستمرة . ولكن من الواجب ألا ننسى أن النظم ليست إلا سببا خارجيا
يؤيده سبب داخلى هو الخلق الذى ينتقل بالوراثة . ومن أجل هذا رأى كثير من
الفلاسفة أن الدين عنصر من عناصر الوطنية ، ودعامة من دعائم الاستقلال .

لقد قامت الجماعات فى بادئ الرأى على قاعدة المصلحة المشتركة ، ولكن الدين
جاء بعد ذلك فممكن لأواصر الألفة بين أعضاء الجماعة ، وضاعف روابط الاجتماع

وزادها توثيقاً وإحكاماً ، إذ كان من النادر ألا ترى سلطان الدين قد اقترن بسلطان السياسة وازدوجا حتى جب سلطان الدين سلطان السياسة إلى حد يتفاوت باختلاف وتباين الأحوال ، بحيث صرنا نرى حق الشعوب الأولية حقاً مقدساً في بداية الأمر ، وهذه القداسة كانت نتيجة لازمة ، أما بسبب المصدر ، وهو الأب ، وإما بسبب قداسة الزعماء اللذين نيط بهم أن يحلوا محل الأب في تسكييف السلطان ، وأن يعملوا على احترام الوساطة بين أعضاء الجماعة وبين المعبودات ، أو بسبب اجتماع الناحيتين في شخص واحد أو شخصية واحدة ، ولهذا كان الرئيس دائماً شخصية دينية ، أو كانت حكومته على الأقل تختمى خلف ستار ديني يجعلها أكثر احتراماً في أعين رعاياها . ولهذا رأينا اليونان الأقدمين قد عجزوا عن التفرقة بين فكرة الجماعة السياسية وفكرة الجماعة الدينية ، ولكن الدين كان رابطة اجتماعية لها أهميتها الخاصة في نظرهم .

لقد كان الدين في اليونان القديمة رابطة اجتماعية بسبب طبيعته القومية أو بسبب طبيعته المحلية بمعنى أصبح ، وهي طبيعة ساعدت مساعدة جميلة الشأن في تكوين أنفاذ القبيلة وبطونها وعشائرها ، ثم القبيلة ذاتها ، ولما تم ذلك عاونت هذه الطبيعة في تكوين المدينة ، ولذلك فإن الدولة والدين لم يشتبكا قتالاً أو نهزال كما وقع في أوروبا ، بل على العكس قد رأينا هناك فكرتي الدين والوطن مترادفين تقريباً ، ولشكل منهما نفس القوة ونفس الذبوع والانتشار ، حتى لقد وجد الفرد أن من المتعذر عليه أن يجد لنفسه دستوراً وحقوقاً خارج حدود المدينة وميادين آلهته .

ولقد كتب « رينان » يقول بصدد دين أثينا : « كان دين أثينا هو نفس أثينا ومؤسسيها وقوانينها وعاداتها وعرفها ، فهو دين لم يكن بحاجة إلى قواعد جامدة ، إنه إذن كان دين الدولة بكل ما في الكلمة من قوة ، بحيث لا يكون الفرد أثينياً إذا هو لم يقيم هذه الشعائر ، فالدين كان إذن عبادة « الاكروبول » مشخصاً ، والجلف بمذبح « أجلور » لم يكن له معنى غير القسم بالموت في سبيل الوطن . (راجع رينان — ما هي الامة ص ٢٢ .) واذن فلا عجب ولا استغراب اذا علمنا أن « ارسطو » قد اعتبر الوظائف الدينية تكليفاً مدنياً في مرتبة منصب القضاء ومن البديهي أن هذا الشعور الديني القومي ، بل من البديهي أن عبادة الوطن

بهذه الطريقة كانت تضمن على الدولة قوة دونها أى قوة اديية اخرى ، ولذلك كانت الفكرة الدينية الروح الملهم والمنظم والحافظ على رد غارة المغيرين على الوطن عند الاقدمين ، حتى لقد اعتبرت عند العصريين من مقومات الاستقلال .

ولكن اذا كان الدين من مقومات الاستقلال باعتباره عنصراً من عناصر الخلق والوطنية إلا أنه قد يكون في بعض الاحيان عنصراً ضاراً تبعاً لوحدة الدين أو تعدده في دولة .

لقد كان الدين واحداً في أثينا ، وكان مرتبطاً باصوله ومبادئه ارتباطاً وثيقاً ولذلك قويت الوطنية ، وقويت حمية الدفاع عن الوطن ، وعجز الاثينيون عن التفرقة بين حب أثينا وحب الاله د اتينييه ، ودمجوا الاله في المدينة ، والمدينة في الاله ، وأحبوها جملة ، وأسماها اسماً واحداً ، وهكذا صار الدين وطناً ، والوطن ديناً ، ولم نرى أثينا حرية دينية لان معنى هذه الحرية كان الحرية نحو الوطن وإحلال الحرية محل الوطن ، وهذا هو الانتفاض على الوطن أو الثورة ضده ، وفي هذه السبيل حق القتل أو النفي على الفلاسفة امثال دأناجزاجور ، و دسقراط ، و دأرسطو ، لان الوطن والدين شيء واحد ، وهادم الدين هادم الوطن ، فالدين إن لم يكن واجهة الوطن في أعين الشعوب فهو قلبه .

وهكذا كان الحال في أثينا ، ولكنه لم يكن كذلك في جميع بلاد اليونان القديمة ، ذلك بان كان لكل مدينة - أى دولة - من مدن اليونان القديمة آلهة خاصة لحمايتها ، والالهة الذين كانوا يحمون كل مدينة كانوا ينفضون أيديهم من الدفاع عن المدن المجاورة ، فكانت النتيجة أن كل وطني يخرج بعيداً عن حدود أرضه القومية يفقد مزية الانتفاع بحقوقه ، ويمسى أعزل من وسائل رد عادية للصوص عنه ، فيعجز عن دفع المظالم ووقف سوء المعاملة ، الا اذا كان هناك اتفاقية تغاير ذلك إن هذا النظام الذي قام في بلاد اليونان على قاعدة الخلط بين العدالة والدين كان نظاماً قصير النظر جداً ، لان أعماله ومهامه لم تتخط حدود المدينة ، ولذلك فان الاستعانة بالآلهة لم تتوافر الا داخل هذه الحدود ، ولم يكن في وسع وطنيي مدينة أن يستظلوا برعاية آلهة مدينة اخرى ، بيد أن هناك ما هو أغرب مما تقدم ، فعندما تعلن الحرب بين مدينتين تدخل الآلهة في هذا النضال ، وتشتبك في المعمران ، وتصبح أعداء . وهكذا قاتل آلهة تروادة آلهة اليونان ، فانتهى الامر باحقاد الجنود

وعداوات الدول الى أن ادعمتها الاحقاد والعدوات الدينية واذلتها ، فاذا كان الدين قد قوى كل مدينة في اليونان القديمة ، فانه قد حال دون خروج كل مدينة من حظيرتها الضيقة ، وإذن يكون الدين الخرافى عائقاً قوياً في سبيل الاتحاد العام ، وعقبة كأداء أمام أى اتحاد استقلالى ، أو أى وحدة في صورة دولة قوية كبيرة تتكون عن طريق ادماج المدن الصغيرة بعضها في البعض الآخر

ومع ذلك فان الرق المطرود الذى طرأ على الفكرة الدينية اليونانية قد أدخل مع الزمن شيئاً من المرونة على العقيدة الدينية المحلية ، فبعض العقائد وبعض المعبودات أصبحت شائعة شيوعاً تناول كثيراً من المدن ، ان لم يكن تناول اليونان كلها ، إذ تكونت اتحادات دينية وذهب بعض الفلاسفة إلى حد الدعاية لمعبود واحد ولقد اتعظ الرومان بموقف مدن اليونان وآلهتها ، ولذلك رأينا روما تنجح في أن تتخذ آلهة المدن التى فتحتها آلهة لها . أوفى أن تبيح لهذه المدن أن تتخذ لنفسها آلهة من بين آلهة روما . فكانت النتيجة أن آزرها مدد استخاضته من قوة السياسة المرنة المتسامحة ، وسرعان ما تناسلت كل مدينة آلهتها ومعبودتها ، وبخاصة في اليونان . وإذا لم تكن المدن تناسلت معبوداتها وآلهتها ، فانها قد أنزلتها على الأقل منزلة ثانوية وعبدت الاله « روما » والاله « قيصر » فكان هذا الامر مبدأ وحدة وتماسك جزيل النفع ، جليل القدر ، غلقت عليه حكومة روما أهمية جوهرية

على أنه إذا كان اندماج الدولة في الدين قد تغير في مظهره قليلاً فانه قد تم حتى أصبح من المتعذر أن نجد في الخارج تبعية رسمية مطلقة تحاكي تبعية روما للآلهة ، ولذلك فان الشعائر العامة تميزت عن الشعائر الخاصة تماماً ، وهذه شعائر ما كانت الدولة تعيرها أى اهتمام ، على عكس الشعائر العامة ، فان الدولة قد قست بسببها في معاملة الوطنيين والشعوب إذ جعلت الاشتراك في الحفلات الدينية الرسمية فرضاً يدل أدائه على أنه مظهر ولاء للامان ذاته ، أما التناول عن أداء ذلك الفرض فقد اعتبره الرومان موقفاً عدائياً ضد الوطن

فان روما القديمة لم يعرف التفرقة بين حب الوطن وحب الدين ، ولذلك أحبهما كتلة واحدة لا انفصام لوحدة عناصرها ، ولا تمييز بين ذراتها ؛ وإذن فانه قد أحب أمته الالهية وآلهته القومية

فاذا قام في الوطن أديان متعددة ، فانك ترى والحالة هذه أن الوطن الدينى لا يتأخر عن الاعتماد على الوطن القومى ، لأن الدين وطن ، والحرية الدينية ما هى

إلا أن يؤثر بعض الأهلالي إحساسهم الديني على إحساسهم القومي ، وينسوا وطنهم القومي نسياناً تاماً في سبيل العمل على نصرة وطنهم الديني . ولو أن هؤلاء الفلاسفة جعلوا حب الوطن من الإيمان ، ولم يجعلوا الإيمان من حب الوطن ، وتمسكوا بذلك لما قامت حرب أهلية ولألقى الوطن الديني الأصغر سلاحه أمام الوطن الديني الأكبر ، ولتحصن الوطن القومي في أحضان الوطن الديني الأكبر . ولما رأينا كاثوليكى فرنسا في القرن السادس عشر يستنجد بالأسباني ليحارب البروتستنتى الذى كان يستنجد بالألماني لمحاربة الكاثوليكى . إن كلا الفريقين كان له وطن كالأثينى أو الرومانى أو المسلم فى بدء عهد الإسلام الزاهرة . غير أن هذا الأخير كان يحب وطنين مختلفين ولكنه جعل الوطن الدينى أعم . على نقيض الأثينى والرومانى فقد كان لكل منهما وطنان وإنما مندجان فى بعضهما ومكونان وطناً واحداً . ولهذا الاعتبار أكره الفرنسى على أن يختار بين الحبين ويميز بين الوطنين ويستنجد بالعدوين .

قالدين فى نظر الغربى على حسب الظروف : إما أن يكون عاملاً من عوامل الوطنية كما كان الشأن فى صدر الإسلام ، أو عاملاً من عوامل الانحلال كما كان الأمر فى عهد الشيعة والسنيين الذين اختلفوا كما اختلف البروتستنت والانجليكان الخ مع الكاثوليك فأدى هذا الخلاف إلى تمزيق الوطن ، أو كما كانت الحال فى مصر فى بداية أيام غورست حيث كادت نار التعصب تلتهم مصر ، ولكن قدر الله وكشفت الديسيسة وحبطت فى مكنها بعد أن ساط الحكماء المضخات على النار قبل أن تبدلح فى الأحطاب الجافة . وهذا ما يفسر لنا رأى «منتسكيو» ذلك الحكيم الفرنسى الذى دعا إلى مقاومة دين يحاول الدخول فى الدولة لمنافسة دينها العام ، ثم نادى بالتسامح إذا ما تم أمر دخوله فى الدولة . فمنتسكيو كان رومانياً يدعو إلى التمسك بالدين الواحد قبل أن يزاخه دين آخر ، على اعتباره أداة خلاص من عدو الوطن ولأن وجود دينين معناه حرب أهلية ، حرب الوطن الدينى مع الوطن القومى ، ولكن منتسكيو كان مع ذلك الرجل المشايخ للحرية عند ما تسامح مع الدين الأجنبى بعد دخوله واستقراره حتى يعوق الهجرة التى تترتب على اضطهاد الأديان ويحول دون تحويل القوة القومية إلى قوة معادية للوطن تستلزم تدخل الأجنبى حتى لا تنتقل عدوى الثورات إلى بلاده .

ولكن أفكار رجال الدين تغيرت على مجرى الدهر ، وشاعت فكرة الحرية حتى لقد قامت النضالات خلال القرون الوسطى في سبيل فصل السلطة المدنية عن السلطة الروحية ، وسمعنا كاليفان يقول خلال القرن السادس عشر : « لا يمكن مطلقاً أن يدرك الملوك وغيرهم من كبار الحكام سلطانهم فوق الأرض باستخدام الخبث والشر الذائعين بين الناس »

« ولقد نظم الله بوليس هذا العالم ، فكل امارات العالم كصورة وسراب من مملكة سيدنا المسيح . . . » ومن يحمل أن هذا النظام قد أمر الله به ؟ ان كل شيء في هذا العالم تقتاده قدرة الله وتحكمه ، ولقد احتفظ المولى سبحانه وتعالى بحقه في العناية الخاصة بهذا النظام ، نظام الممالك والامارات والدول والملوك ومدبرى العدل ، وكل هذه الاعمال أعمال الله التي تستطيع أن تلاحظ فيها وجود الخالق ومجده . . . و من شأن هذا أن يزيد في حبنا لبوليس هذه الدنيا ، وبذلك قام الدليل على طيبة ربنا وحبه الأبوى ،

ولكن كاليفان لم يكن له عزم في سبيل مطالبة السلطة بتطبيق القانون الطبيعي وهو قانون يتفق ونظام الطبيعة الذي خلقه الله .

ان نظام الطبيعة هو أساس الجماعة الانسانية . ولا قيام لأى شيء بدونه ، لا قيام للانسانية ولا للجماعة بغيره ، فالقانون الأدنى ليس شيئاً آخر غير الدليل على وجود القانون الطبيعي والاقتناع ، انه القانون الذى نقشه الله فوق نفوس الناس أجمعين « ان القانون الطبيعي خالد ، مصون ، لا ينهدم ، فاذا سن أى مشروع فى قالب الفضيلة ما أدلنه الطبيعة رذيلة ، أو اجترأ ظالم غشوم مختال على أن يحاول ذلك فلا مناص من أن يتجلى النور ويسطع ويستظهر إذا هو توارى لحظة ،

وخلاصة هذا القانون الطبيعي نجدها فى الوصايا العشر لسيدنا موسى ، وهى : « يوجد قانون طبيعى ، ويقوم هذا القانون على أمتن أساس يمكن أن يوجد ، وهو الواجب الطبيعى للانسان ، وفى الواقع إن الواجب والحق يؤلفان دائماً وجهى مدالية ، لذلك كانت فريضة عبادة الله أول واجب على الانسان تمخض فولد أول حق جاء مصدر جميع الحقوق . . . ولقد تأسس على اعلان حق العقيدة فكرة حق الانسان العام الذى استوجب اعتراف المشرع به ، ومن هنا تتبين الأصل الدينى دون الأصل السياسى لفكرة الحقوق الفردية الطبيعية المقدسة التى لا يطرأ عليها

أى تغيير أو أى تحوير . ومضى كان القانون الطبيعى الذى اشتقه كالفان من الدين يقوم على الواجب الطبيعى للانسان فقد حق القول بان الدين من مقومات الاستقلال ما دام يحض على اداء الواجب الطبيعى وهو الدفاع عن الحرية والاستقلال .

على أن الدين لم يسكن من مقومات الاستقلال فى الداخل بل كان أيضا من مقومات الاستقلال فى الخارج ، واذا أنت راجعت كتاب « اسمان ، الموسم باسم » نظرية التدخل الدولى عند بعض الكتاب الفرنسيين فى القرن السادس عشر ، وجدت هذا المؤلف يقول فى صفحة ٢٤٣ وما بعدها بصدد كتاب « دوبليسى مورنيه » - الانتقام من الظلمة - : « لقد دعا دوبليسى مورنيه الامراء الاجانب لمساعدة بروتستانت فرنسا ووبخهم على جهودهم ، ذلك بان الواجب يقضى عليهم بالتدخل ، فلماذا يتدخلون ؟

« يتدخلون أولا لان كنائس الاصلاح الدينى رغم تعدد مذاهبها هى كنيسة الله الحقيقية : بل إنها المسيحية ذاتها ، انها الكشركة نفسها ، فالامير مرغم على أن يمتشق الحسام عند الحاجة ليدافع عن كنيسة بلاده الى جانب دفاعه عن الكنيسة العامة أيضا ، ومضى كان الامر كذلك فقد وجب عليه أن يدافع عن أعضاء هذه الكنيسة الخاضعين لامراء آخرين . »

« ويتدخلون ثانيا لأن جميع المسيحيين البرتستانت اخوان بما أنهم أبناء ابن سماوى واحد ، يجب عليهم أن يتعاونوا وأن يتبادلوا الدفاع بالساعد والعصا على اعتبارهم اخوانا . »

إن فى هذا المبدأ انبثاق فكرة اخاء انسانى تخطى حدود المدن والممالك ، ولكن هل الظلم حالة من أحوال التدخل المشروع ؟ لقد قرر الكتاب البرتستانتى ان الواجب يقضى على الامراء والشعوب الأجنبية ان تتدخل للدفاع عن رعايا أمير ظالم . حتى وان كان الظلم سياسيا شأنهم فى ذلك شأن من يدافع عن المضطهدين فى سبيل الدين .

وبحكم استمرار هذه العادة اصبح التدخل فى سبيل نصرة الشعوب المسيحية المضطهدين وتحقيق استقلالهم مشروعا ، ولكن هذا العطف الدينى ليس من أسباب التدخل إلا فى دائرة ضيقة

فالدين اذن من مقومات الاستقلال داخليا وخارجيا ، ولذلك يجدر بنا العناية

به والعمل على بث فضائله وصيانة وحدته على اعتباره ديناً عاماً والتسامح مع باقي الأديان وإطلاق الحرية لمعتنقيها، وإذا أنت راجعت معاهدات الصلح ولاسيما معاهدة سان « جرمان آن لي » وجدت نصوصاً كثيرة خاصة بهذا التسامح وعلى الخصوص ما كان منها متعلقاً بتشيكوسلوفاكيا . ويجدر بنا بعد ذلك أن ننتقل إلى الكلام عن العادات باعتبارها من مقومات الاستقلال

العادات

العادة قاعدة تحكم مظهر الإنسان . فهي أساس القوانين باعتبارها قاعدة تحكم مظاهر الحياة الاجتماعية . فالعادة هي قانون طبيعي غير مسنون ، تنتقل من فرد إلى فرد بحكم قانون الوراثة إلى أن تتأصل في النفس وتكتسب اتساعاً وعمقاً في كتلة الجماعة فنزغ المشرع على أن يسنها قانوناً وضعياً ، أو تبقى خلقاً عاماً قومياً لا يجزأ المشرع على تضيق دائرة سلطانه ، وإذا هو حاول ذلك كان نصيبه الفشل وكتب لأثر قوانينه العفاء حتى وإن بقيت مسطورة

ألا رأيت حكم العادة التي استحالت خلقاً في الرجل الفرنسي ؟ اننا نرى الرجل الفرنسي الذي يعيش في هذا العصر هو نفس الرجل الفرنسي الغولي الذي عاش أيام « يوليوس قيصر » فإذا نحن راجعنا « سترابون » و« ديودور الصقلي » وجدنا مميزات الخلق الفرنسي في التعلق بالأسلحة والشغف بكل ما يلبع ، وخفة الروح ، والطيش الشديد ، والزهو البليغ ، والمسكر والخداع وذلاقة اللسان ، وسهولة الاغترار بالعبارات الخالية ، أما إذا نحن رجعنا إلى مذكرات « يوليوس قيصر » فإننا نعث على آراء وأفكار خاصة بالشعب الفرنسي تكاد تكون بذت اليوم ، فقد قال قيصر : « فاض أهل الغول بحب الثورات ، فالأخبار الكاذبة تثير عواطفهم وتقودهم إلى إقرار أعمال هامة لا يلبثون أن يعضوا بنان الندم عليها ، أما الفشل فيلقى إلى ربهم الخور ، وبنهك عزيمتهم ، فبنسبة اسراعهم إلى الشروع في الحرب التي لا مسوغ لها تسودهم الرخاوة ساعة الكارثة ، ويذهب عنهم كل نشاط وهممة ، ويخمد فيهم كل مجرود وعزمه ، (راجع الجزء الرابع من مذكرات قيصر ص ١٣ و ١٤ و سترابون جزء ٤ ص ٤ و ديودور الصقلي جزء ٥)

أما إذا أنت أردت أن تبحث عن المثل العجيب للخلق القومى الذى قام أساسه

على العادة فامامك صفحات التاريخ الاغريق القديم فهناك تجد كيف كانت حال
أهل بيزنطة .

لقد قال « أمبير » Ampère بصدد من هذا « ان جوهر الخلق الاغريق لم
يتغير على ممر الايام ، وتقلبات الازمان فهو هو بفضائله ونقائصه حتى الآن » .
ومعنى هذا أن أثر العادة في الاغريق الاول لم يتبدل ، وانه انتقل بطريق الوراثة كما
هو . ولما عثر بوكفيل ، في المورة عن نماذج آ بيل (Abel) و « فيدياس » Phidias
لاحظ بعد فحصها أن الخاصيات الجوهرية للعادات تنتقل أيضا بانتقال الخلق إلى
ظاهر الصناعات فالارقاديون (أهل Arcadie) يعيشون حتى الآن عيشة الرعاة ،
لان فكرة الحياة بهذه الطريقة لاتزال حية في أعماقهم تعمل في نفوسهم عمل
«الدينامو» المحرك ، أما جيرانهم أهل اسبرطة فانهم لا يزالون مولعين بشهوة العراك
والقتال ، فياضين بالغضب والحقد والحفيظة والصخب ، أما البيزنطيون فانهم قد
احتفظوا باللغة والتقاليد والعادات والمهارة التي لم تعزبأية قوة ، ولذلك فان هذه المهارة
تقلب مكرراً سيئاً ، أما حب جمال اللغة والمناقشات الرائعة فقد صارت للغو
البيزنطى أو الثثرة والسفسطة البيزنطية ، وأما المرونة اليونانية فقد استحالت كياسة
خاتلة ، فيوناني اليوم هو يوناني عصر « بيريكليس » ولكنه جف وأمسى هشاً ،
ذلك بأن « الاجناس تتغير كلما تقدمت في السن ، وهذا التغير إما أن ينطوى على
صلاح أو فساد ، ولكن معدن الاجناس لا يبدل ، ولذلك تحتفظ بطبيعتها الاولى ،
وتحمل دائماً في الاعماق علاماتها المميزة ، ومادامت الاجناس تحتفظ بطبيعتها ، فانها
تحتفظ بفكرتها وعاداتها وعرفها ونظمها السياسية والدينية .

كذلك نرى بالاختبار والملاحظة أن سلالة سكان الجبال أو شواطئ البحار
أو فرسان الصحارى يميلون إلى سكنى الجبال وشواطئ البحار أو ينزعون إلى
الفروسية . وإذن تكون العادات من مقومات الاستقلال إذا انطوت على فضيلة
الحرية والاستقلال وتأصلت في النفس وانتقلت بالوراثة عن طريق الدم الاصيل
دون اختلاط الانساب ، ذلك بان اختلاط الدم بما يغير الخلق القومى ، وبالتالي مما
يغير عناصر هذا الخلق ومن بينها العادات والعرف والنظم . فاذا ماتدهور الخلق
باختلاط الدم تدهورت هذه العناصر ، أى تدهورت فكرة الدولة التي لاتخرج
عن أنها فكرة نظام ، والعكس بالعكس تماماً .

علي أن هناك عاملا آخر من عوامل الاحتفاظ بالعادات القومية، وهو الحرص على الوسط الذي نمت فيه العادات القائمة على فضيلتي الحرية والاستقلال، أو خلق وسط يساعد علي ذلك، أو وسط يرقى بالعادات النبيلة.

ان البيئة تؤثر في الجسم والنفس تأثيرا عميقا، إذ هي تشكلها في صورة خاصة علي مجرى الزمن، وهي صورة تجيء بمثابة تغيرات مضمونة البقاء، لذاتيات للفرد ظروف ملائمة للتطبع بها، فإذا تمكنت هذه الظروف من أن توجد في النفس هذه التغيرات، استطاعت هذه التغيرات أن تتسلسل، ذلك بأن سلطان الوراثة يحافظ بطبيعته، وهو يرمي دائما إلى أن ينقل إلى الخلف طبيعة السلف كلها، سواء أكانت رقا إلى الامام، أم تدهورا طبيعيا أم فكريا أم جثائيا أم عقليا . . . الخ

فكيف نحافظ علي أقوم العادات وكيف نسميها؟ ان أهم عامل من عوامل الاحتفاظ بهذه العادات وتنميتها بعد الكف عن اختلاط الدم الضعيف والعمل على اختلاط الانساب القوية هو خلق وسط ملائم لانماها، وأول وسيلة لذلك هي معرفة تاريخ الوطن لان تاريخ الوطن هو الوطن.

تاريخ الوطن هو الوطن

يتكون الوطن من تاريخ البلد مضافا إلى الأرض والعادات والتقاليد، ولقد قال «إميل فاجيه» بحق «إن الوطن هو تاريخ الوطن، وإذا لم يكن المؤرخ وطنيا فإنه مع ذلك يبذر الوطنيين». وقال الشاعر أبو بينيه «رفات الشهداء بذور كريمة». وكذلك ذكريات السلف التي دونت في بطون السكتب التاريخية هي بذور كريمة تنبت في البلد الطيب نباتا طيبا ولا تنبت في الخبيث نسكدا، فرجل اليوم مشدود إلى أسلافه بوثائق محكمة العري ماثلة فيما يقوم به وهو متأثر بما وقع علي عينية من مرثيات ومشاهدات وأعمال تجمعت في لوحة وضاعة تهديه إلى اقتفاء أثر السلف وتقصى خطاهم.

ولقد يكون في الامكان الاعتراض على هذا الرأي بما ارتكب السلف من جرائم وما احتقب من مثالب ونقائص ومعائب ومخازي لاتحمل على حبهم ولا يحمل معها التعلق بهم، وليكننا نسمع هنا وحي الكرامة والهام العزة، ولا نحس وخز

الاهانة ، وحز الجريرة ، لان ذلك الوحي وهذا الالهام يشرفان دائماً على خطاة الانسان ومهما تخطاهما فانهما دائماً أقوىاء للحيولة دون أن تتكشف الحقيقة التاريخية فتخجل بنورها نور الوطنية. فاذا ما أدت الكرامة والعزة واجبهما كان التاريخ حصانة الوطنية وشاحنها ومستثيرها ومضرم ناراها باستمرار لا تعرف معه قوار ولا انطفاء ..

أفأنت تعلم أنك لا تذكر عن والدك الا محاسنه وفضائله مهما كانت علاقاتك به وصلاتك. فلم ذلك ؟ لأنه والدك ، ولأن احساس التضامن بينك وبينه يحو من تلقاء نفسه جميع عوامل الاساءة .

وكذلك الحال بالنسبة للتاريخ . فاننا نرى فيه محاسن السلف ومساوئهم ولكننا لا نتحدث الا عن الفضائل ولا نذكر الا محاسن الموتى اذا ما كان الأمر خاصاً بالذكرى .

• أما المساوىء فاننا نتمسك لها المعاذير اذا لم نشأ أن نتكرها ، وقد نسندنا الى فعل الزمن ونفوذها ، ناسين أن الزمن ليس منسا ، ولا نحن منه ، مع أنه مجموعة الناس الذين عاشوا فترة معينة ، ولكن ما الحيلة وهذا هو مجرى الأمور ولا مناص معه من أن نلقى على المجاز تبعة السيئات التي ارتكبها أسلافنا وان لا نعول إلا على ما قدمت أيديهم من حسنات . وهذه الطريقة يقر التاريخ في أعماقنا على أنه عقيدة دينية مقدسة نحملها شعاراً لأجدادنا ، فاحساس تضامتنا مع آبائنا هو الذي يمنع بنا على غير روية ولا تبصر الى ألا نرى فيهم غير الجوانب الطيبة والنواحي الجميلة وألا نبصر فيهم من هذه النواحي الا ما يضاعف احساس تضامتنا معهم ، فالمسألة إذن فعل ورد فعل ككل حدث ،

• فالتاريخ إذن اكبر محدث للوطنيين ، وكل شعب يغزو شعباً آخر لا بد له من أن يجعل همه الاكبر منصرفاً الى اداء أقدس واجب عليه نحو نفسه ، وهو منع المغلوب من أن يتعلم تاريخ بلاده ، واضطهاد المؤرخين واعجازهم عن الاضرار به او شرائهم بشئ أغلى مما يساوون أو أرخص مما تقدر به قيمة النفوس الكريمة وليس المؤرخ هو ذلك الرجل المسكب على تمحيص الوثائق واستقراء الوقائع وتحليل الاحداث لاستخلاص الحقائق من تحت أنقاض الزمن ، ليس هذا هو

الاختصاصى فحسب وانما هو أيضا ذلك الزعيم أو ذلك السياسى أو ذلك الصحفي الذى يصب الحوادث فى قوالبها ، ويسن الاعمال فى صورها دون تشويه أو زيف أو تمويه ، خالصة نقية كالطبيعة فى سيرها .

هذا أمر المؤرخين باختلاف أنواعهم ، أما الفلاسفة الذين يعترضون على الوطن والوطنية ويعادون فكرتهما فمن الواجب أن لا يكونوا مؤرخين حتى وإن كانوا قساة غلاظ القلب ، لأنهم يمتقون التاريخ ويصبون عليه اللعنة ، وإذا هم لم يقدموا على أن يلعنوه فإنهم يلعنون على الأقل تاريخ الوقائع الحربية ، والمجازر البشرية ويتزلفون الى المؤرخين بأن لا يضعروا الا تاريخ المدنية ، وأن يمحوا من كتب التاريخ التى تدرس للأطفال كل ما هو سيرة حربية « لأنهم فلاسفة سطحيون لم ينزلوا الى أى عمق من أعماق الفلسفة التى لا تجرى الا وراء الكشف عن الحقائق الخالصة ، ولذلك فهم لا يدركون أن تاريخ الفتوحات والانتصارات ودوى المدفع وأشراق قنابله فى جوف الاجواء ، وبريق الحراب ولمعان السيوف يفرغ الوطنية على قلوب الرجال والأطفال سواء بسواء كالتاريخ ذاته وما يعمل به بذاته ولذاته ، كما أنهم لا يفهمون أن تاريخ عظماء الرجال يخلق العزة الوطنية والانفة القومية مهما كانوا ، وإن هاتين الفضيلتين يمكنان الايدى الوطنية من القبض على أقطع سلاح فى اللحظة التى يرون فيها الوطن الذى يعتزون به مهاجما فى شرفه ، مهددا فى طمأنينته وسلامته .

إن فلاسفة من هذه الفصيلة يرون بلا شك أن الواجب يقضى عليهم باضطهاد التاريخ ونفيه من حظيرة العلم حتى لا تبقى إلا الجغرافية مجردة من معالم الحدود والتخوم ، ولكن مما لا نزاع فيه أنهم لن يصلوا الى غايتهم والأرض دائرة حول الشمس ، وستبقى مهمة المؤرخين قائمة على بذر البذور الوطنية وإن كانوا مؤرخين حربيين حتى تستمر العادات القومية فى سبيل النماء ، عاملة على تكوين الخلق القومى تكوينا استقلاليا لا يتزعزع امام الكوارث ولا تؤسسه المدطحات . ولكن العادات الحربية ليست وحدها هى العادات التى تصلح مقوما للاستقلال ، بل هناك التعود على درس الفنون والآداب وتحصيل العلم باستمرار .

الفنون والآداب

الفنون والآداب جزء من التقاليد والعادات والذكريات، ولهذا الاعتبار يتحتم أن تكون الفنون والآداب من العوامل المنشئة للوطنية، ولكن الواجب يقضى علينا أن نفرق بين الفنون والفنانين، فالفنون هي الوطنية أما الفنانون فلا، وبعبارة أصح، أن الفنون جانب من الوطنية أقوى مما عليه الفنانون أنفسهم، ألا ترى إلى الطفل عندما يبلغ السن التي يستطيع معها أن يكون الإنسان وطنياً لا يفكر في أن يستحق تقدير الوطن بالفنون ولا في أن يخدمه بها، وإنما يفكر في أن يخدم الوطن ويستحق تقديره بالانخراط في سلك الجندية أو الالتحاق بالسلك السياسي، بعكس فنان المستقبل فإنه لا يفكر إلا في فنه الذي أصبح وطنه دون سواء من الأوطان، أما الفنانون الذين أتقنوا حرفة الفن فإن فكرة الوطن لا تستفزهم إلى عمق بعيد، إذ لم تقم هذه الحرفة ولم ترصد على أن تكون مكان الوطنية.

إن هذا الرأي هو من الآراء التي يمكن أن نضيفها إلى حساب الأدباء أيضاً، فأنتم تعلمون أن «فكتور هوجو» كان وطنياً متطرفاً. أما «لامارتين» فإنه كان تارة يعرف الوطن على النحو الذي أبنا، وطوراً يقول: «إن الأمم كلمة ضخمة تحمل بها الأقوال، ويعبر بها الناس بدلاً من كلمة بربرية، ويقولونها تفاديًا من أن يصارحوا العالم بأن لا وطن إلا للانانية والحقد، فوطن الرجل هو البلد الذي يعيش فيه ذكاؤه، ومواطنه هو كل من يفكر مثله».

وهناك الشاعر «الفريد ده موسيه» ألا تراه تارة يقول نهر الرين الألماني، وطوراً يقول: «تسألونني عما إذا كنت أحب وطني؟ نعم وأحب إسبانيا حباً قويا وتركيا أيضاً». ودعك من «هنري هين» و«نيتشه» فإنهما قد أعربا عن العداوة الشديدة المستمرة نحو بلادهما.

ويقول أميل فاجيه: «إن السبب في ذلك هو أن الفنان العظيم أو ذلك الذي يريد أن يكون فناناً عظيماً يشعر في الواقع بأنه جزء من عالم يمتد إلى ما وراء حدود بلاده، إنه يحس أن له وطناً يسمى المدنية، فإن كان اسمه «لامارتين»، مثلاً فهو لا يستطيع إلا في صعوبة منع نفسه من التفكير في أنه أقرب إلى «جوته» منه إلى «الصابغ المحدود الفسك والذكاء الذي يقيم بجواره ويعجز عن أن يفهم «لامارتين» وفي أغلب الأحيان يكون هذا الفنان موضع تقدير في البلاد الأجنبية منه في بلاده

كما كان شأن « هنرى هين » و « نيتشه » . وإذن فقد وجب عليه أن يكون متحلياً
بفضيلة خاصة حتى لا تتوتر علاقاته مع أهل وطنه إن لم تنقطع ،

ولكن مهما كانت فكرة هؤلاء العظماء من ناحية الوطن ، ومهما كانت
علاقاتهم به فانهم فى طبيعة العاملين على تكوين الوطنية والوطن ، وصيانتهم
واستمرارهما وخلودهما ، فمن عظمة أعمالهم وعزتها يستمد الخلف عظمته وعزته
ومن أعمالهم يمكن تلقيح الأجيال المستقبلية بحب البلاد وشحن هذا الحب
واضرام ناره .

نعم إن الفنانين والأدباء من العاملين على خلق الوطن . فلقد كانت أغلبية
شعراء إيطاليا وفنانها فى القرن الرابع عشر والخامس عشر بعيدين عن أن يفكروا
فى وحدة إيطاليا . ولكن إيطاليا كانت فى أعماقهم وحدة قوية . ولا مناص من
أن تأتى اللحظة التى يجب على الشعب أن يعرف فيها قيمته من الوجهة السياسية
مادام ان هذا الشعب قد وجد واشتهر فى العالم أنه شعب آداب وفنون ، ومن أقدم
الشعوب مدنية ومجداً ، وإذا كان عهد إحياء العلوم والفنون قد حمل فى أعماقه فكرة
بعث إيطاليا لأنها كانت ربة الفن والشعر . فان العهد المصرى الحاضر يحمل بين
جنباته بعث مصر على أنها كانت المدنية وكانت النور وكانت العلوم والفنون قبل
أن يعلم البشر شيئاً من كل ذلك .

العلم

أما العلم والعلماء فشأنهما شأن الفن والأدب والفنانين والأدباء . وإذا أنت
استثيت مخترعى الآلات الحربية الجهنمية استطعت أن تقول بأن لا أثر لذلك
العالم الذى يتابع البحث ، ويتابع البحث وراء اكتشاف وهو يفكر فى الوطن ،
فالعالم فى هذا الموقف لا يفكر إلا فى اكتشافه أو اختراعه . فهو إذن لا يفكر
إلا فى العلم دائماً . وقد يفكر فى المجد قليلاً . وحبذا لو استمر الامر على ذلك .
لان من مصلحة الوطن ، ومن الواجب ، أن يكون البحث العلمى نزيهاً . وأن
يكون العالم ولوعاً بعلمه . سامياً بعمله عن المنافع . فاذا توافر هذا الشرط يمكنه
أن يبحث عن كل شئ أو عن أى شئ . قل أو جل . مما يلوح أنه يدعو للبحث

في تشوق وتوقد حتى إذا ما أدركه أطفأ ظمأه إليه ، دون أن يبحث عن أشياء قريبة المنال ، مدرةً للارباح وفاق الآمال .

لقد تم الكشف عن نظرية الملاحظة قبل تطبيقها بألف سنة . وإذن يكون العلماء قد بحثوا عنها لذاتها لا لنتيجتها . لأن العالم يقول دائماً وهو يبحث : النتيجة تأتي فيما بعد علي الراجح جداً وقد لا تأتي أبداً . وهذا أمر لا نعبأ به مطلقاً لأن المعلومات جميلة بذاتها ،

فهما كان العالم وطنياً فانه لا يفكر أثناء اختباراتهِ في مصلحة بلاده ولا يعنيه وطنه الا قليلا جداً . بل هذا نادر جداً كما كان شأن « باستور » ولكن على الرغم من ذلك فان العلماء كالنحاة والادباء والفنانين ممن يخلقون الوطن ، فاذا سمعت فرنسياً يقول أنا فرنسي كان تفكيره متجهاً ومنصرفاً الى أنه مواطن « برتيلو » و « باستور » بقدر ما هو منصرف الى أنه مواطن « فكتور هوجو » و « كورني » بل ربما يكون تفكيره منصرفاً الى العلماء أكثر من انصرافه الى الادباء ، لان العالم اذا لم تفض خطواته الى نتائج عملية بالتعيين فقد يحصل أن يدرك نتائج يذهل بها الناس ويشير عاطفة الاقرار بالجميل لإثارة عميقة قد لا يحدثها عمل أدبي جليل القدر .

لقد أذاعت إحدى الصحف الفرنسية في القرن الماضي مسابقة عن العشرة الاول بين عظماء فرنسا في القرن التاسع عشر ، فكان « باستور » هو الاول بتفوق عظيم على الثاني أما « شاتوبريان » فانه جاء فيما بعد بمراحل .

ولقد أدهش ذلك الواقفين على أسرار الحياة الفرنسية في ذلك القرن ، ولكن الجمهور قد اعتمد على الذوق السليم عند ما حكم باستبعاد الشهداء اجتناباً للزراية بهم اذا ما أحلهم مرتبة قد لا تكون متفقة ومنزلتهم .

وإذن فهما كان الأمر فان العلماء من العوامل التي لا تزال قوية فعالة في خلق الوطنية وتدعيمها ، فعظماء الفنانين وكبار العلماء يساعدون هذه المساعدة المنتجة الفعالة في عمل لا يتحمسون للتعليق به وقد لا يفكرون فيه أحياناً . ولعمرك أن هذا الموقف من جانب هؤلاء الفنانين والعلماء لمن أغرب النقط في علاقات الجمهور بخيار الرجال وأولى الرأي .

اننا نرى بوجه عام ، ومع التحفظ الضروري في مثل هذا المقام ، أن أولى
الرأى وخلاصة الازهان لا يشعرون بانفسهم وسط الجماهير ، علي نقيض الناس ،
لانهم لا يرون جذوعهم ممتدة متغلغلة في الجماهير ويحسبون أنهم بمعزل عنهم .
أما الجماهير فليس لهم فكرة واضحة عن النظام الارستوقراطي الذي تريد
الطبيعة أن يكون عليه النوع الانساني ، فهم لا يقولون أن النوع الانساني
يعيش من أجل البعض كما أنهم لا يتصورون أن العلماء هم الذين انثروا الانسانية
من بين أنياب الطيور الجارحة وعلموها كيف تتغذى بالخبز وامدوها بالمساكن
الخ . ولا يقولون ان الفلاسفة هم الذين وهبوا الانسانية قواعد الحياة الصحيحة
العادلة ولا يدر كون أن الفنانين هم الذين سلحوها باقوى عدة لمقاتلة أخطر
الكوارث وأشدّها فتكا . وهي كارثة الملل التي تصيبنا بين آونة وأخرى . ولا
يعلمون أن هذا هو النظام الارستوقراطي الطبيعي الذي لا مناص من وجوده ولا
بد من خلوده . وإذا ما حاولت الانسانية أن تنقذ نفسها منه كان لا معدى لها عن
أن تتردى في هاوية عميقة القرار .

إن الجماهير لا يقولون كل ذلك ، ولا يعلمونه ، ولا يفهمونه ولا يدر كونه ، ولكنهم
يحسونه بطريقة غامضة ، فهم يفتنون بالقوة ويعجبون بها كأنها من عوامل السحر
التي تذهلهم وتغنيهم بقوتها عن عقولهم ، وراهم يقدسون المحسنين للانسانية وبخاصة
إذا كانوا من أبناء الأمة التي ينتسبون اليها ، ويميلون في نوع من النشوة الى من
يرون أنهم منقذو البشرية ، وبخاصة اذا حملوا أسماءهم وعاشوا فوق أرضهم وتحت
سمائهم وتكلموا لغتهم ، ومثوا اليهم بعبادات وأوهام واحساسات تكونت منها
أخلاقهم

والخلاصة أن رابطة الفن والعلم قوية جداً . حتى لقد رأينا «جوته» ذات مرة
يقف أمام كاتدرائية ستراسبورج صائحا : ان هذا ليس هو الفن المعيارى القوطى ،
ألا إن هذه تسمية لا معنى لها ، ولكن هو الفن المعيارى الالماني . الفن الذي اخترعه
الالمان ، ومن الواجب أن نسميه دائما : الفن المعيارى الالماني ففي هذا العمل
الفنى قد وجد أجدادنا خيرة الوطنية . « والجماهير تحب هذا الحذو ، ولذلك

فانهم يشعرون بان الاعمال الجميلة التي خلقها الآباء تراثا لهم ليست الا الرابطة المتينة التي تربطهم بالوطن في غير انفصام .

على أنه اذا كانت العلوم والفنون والآداب جزء من العادات والذكريات التي تدعو العناية بها الى خلق وسط يحافظ على أنبل العادات المعتبرة من مقومات الاستقلال فان هناك عادات أخرى اذا عنى بها أدت إلى تربية تزيد الخلق القوى نماء ورقياً، وبالتالي أدت الى أن تكون العادات من مقومات الاستقلال حقاً . ونريد بها عادات الاعياد والذكريات القومية ذات الاثر العميق في التربية الاستقلالية .

الاعیاد العامة

والتربية الاستقلالية

إن الاعياد العامة من أسباب تربية النفوس على المبادئ المؤدية بالاخلاق الى أن تقوم على أسس قومية خالدة مقدسة ، توحى للرجل ذلك الاحترام الديني نحو الرجل وتلهمه الشعور بالواجب كفالة للرعاية الاجتماعية ، وتعيذه من شر الفساد وتوجه التربية العامة في سبيل يطبع الرجال بأجل السجايا وأفضل المناقب التي تتفق ونبل مقاصد الأمة ، وتتلاءم وشرف مبادئها ، وتنطبق وسمو المصير الذي ترمى الى تحقيقه .

إن الضرورة العامة تتطلب توجيه التربية في هذه السبيل ، لان الغرض من التربية أن تكون شائعة بين الجميع حتى لا يتكون أفراد وإنما يكون وطنيون ان للوطن وحده الحق في أن يربي أبنائه ، وهو لا يستطيع أن يعهد بهذه الوديعة الى الكبرياء العائلي . ولا لأوهام الخاصة . لان في الكبرياء . وفي الاوهام الغذاء الضروري لنماء الاستقرائية . كما فيها وسائل محدودة لتربية تبعية معينة وخضوع محدود . كلاهما يؤدي الى انكماش الروح وتضاؤل النفس بسبب العزلة ومن ثم الى انهدام المساواة مع أسس النظام الاجتماعي . ولدرء هذه الاخطار يجب أن نفكر في اقامة الاعياد العامة ، لان نظام هذه الاعياد جزء جوهري من التربية العامة .

ان اجتماع الخلائق يقضى حتما الى اصلاح أحوالهم . فالإنسان قد جبل بطبيعته على أن يعمل كل ما يحمله الناس على الاعجاب به، مهما كان دميما فظا . ولا يمكن أن يكون موضع اعجاب الا اذا هو فرض على الناس احترامه . فاذا أنت جعلت أسباب الاجتماع أدبية وسياسية استطاع حب الاعمال الشريفة أن ينفذ الى النفس . مقترنا بالغبطة والسرور والمرح . ولا جدال في أن كل هذا من مستلزمات الاجتماعات العامة

ان الانسان أعظم شيء في الوجود . وأبهى منظر من المناظر . فكيف بك إذا رأيت منظر شعب كبير ضخم ؟

لقد تكلموا في حماسة فياضة عن أعياد اليونان القومية . مع أن موضوعها لم يكن قط غير مباريات تسطع فيها قوة الاجسام . وتلمع فيها المهارة . واذا اتسع مجالها خطرت فيها عبقریات الشعراء . وترددت في جوانبها فصاحة الخطباء البلاغاء غير أن فوق هذا وذاك كنت تجد في هذه الاعياد بلاد الاغريق نفسها . ولذلك كان المنظر أكبر من مناظر اللعب واللهو . فالنظارة كانوا يمثلون الشعب الذي غلب آسيا وظفر بطغاتها . بعد إذ رفعته الفضائل أحيانا فوق مستوى الانسانية بينما عظماء الرجال الذين أنقذوا الوطن نخلدهم الوطن كانوا كالشموس فوق هامات الجموع .

لقد كان الاباء في هذه الاعياد يوجهون أنظار أبنائهم الى « ميلتياد » و « أرسيتيد » و « ايامينونداس » و « تيمبليون » الذين كان حضورهم هناك درسا حيا في الوفاء للوطن . والولاء للكرامة ، والا كبار من الشهامة . والحرص على العدل . وإنصاف الوطنية .

فهل لا يسهل على الشعب مرح كالشعب المصري أن يجعل الغاية من احتفالات كمنه أبعد وأسمى شأنا ؟ الا أن نظاما جديا لأعياد وطنية لما يوجد بلاريب أما كن أدعى الى توثيق عرى الأخاء واستعادة النشاط وتجديد دم الشباب .

ليسكن لنا أعياد عامة وأخرى خاصة . ولترم جميعها الى غرض واحد ، هو التوفيق بين المشاعر العامة التي هي في الحقيقة روعة الانسانية ، وزيتها وبهاؤها ، ومصدر حماسة الحريات الشعبية ، وواسطة حب الوطن ، واحترام القوانين .

ولتكن مبادئها حليات تنصب فيها اللعنة على ذكريات الظالمين ، ولنقم فيها باداء
جزية الشكر والاعتراف بالجميل لذكريات حماة الحرية النوادين عن الانسانية ،
ولتستمد هذه الاعياد قوتها من الحوادث الخالدة في تاريخنا ومن الشئون العامة
التي يقدسها القلب البشري ويعزها ، ولتمثل في هذه الاعياد جميع خصال الطبيعة
وفضائلها ، ولتفتحها بدعاء المنتقم الجبار أن يرفع الغشاة عن الاعين ويهدي
الضالين الى السكراة وحقيقتها ، ومعنى الشرف وصحته .
فلنختر اذن من شئوننا العامة أعياداً .

وانخاع على واحد منها اسم الحرية حتى يكون لنا منه اسمى وأجل أعيادنا .
وهو عيد ابنة الطبيعة ومصدر السعادة والرفاهة والهناء ، تلك الابنة التي سادت
سيادة شرعية فانزلتها الجريمة عن عرشها ، . وخلعتها ملكها ، وجردها العدو من
امبراطوريتها ولكونها ستشاطر بهذا العيد ذكرى ضحاياها وزميلتها المساواة
المقدسة فتستمدان من هذه الذكرى قوة وقنوة وشباباً

ولا يغرب عن البال أن الواجب يقضى بان يقوم الى جانب هذا العيد عيد
آخر نحتفل فيه بالانسانية ، الانسانية التي دنست ، وبالاقدام ديست . وسيكون
يوماً مذكوراً مشكوراً ذلك الذي نحي فيه عيد النوع الانساني . انه سيكون
الاحتفال الاخرى المقدس الذي يقام تمجيداً لاتتصار الشعوب على أعدام الوجود
البشري . وتدعى اليه الاسرة العالمية كي تحتفل بيوم الدفاع عن الشرف والحقوق
التي لا تسقط بالتقادم .

ثم لنحتفل بذكرى العظماء ، الى أي شعب انتسبوا ، وفي أي عهد دظروا .
ما دامت بطولتهم قد انحصرت في انقاذ أوطانهم من نير العتاة المستبدين ، واقتصر
عدوهم على أن يقيم صرح الحرية بقوانينهم الحكيمة ، ولندكر في هذا العيد ضحاياها
الذين راحوا فداء الوطن ، نعم اننا لن ننسى من جاهد في سبيل انقاذ الوطن ومن
يستطيع أن ينسى أبطال الوطن ؟ إن مصر مدينة لهم بيقظتها ، والشرق مدين لهم
بنهضته ، ولن يتأخر العالم الشرقى عن أن يحتفل بذكرى كراهم ، ويشيد بأرائهم التي
تمتع اليوم بأثارها ، وننعم بثمراتها ، فكم من وقائع بطولة اختلطت بسلسلة
الاعمال المجيدة التي تمت في سبيل الحرية والتحرير . كم من اسم جدير بأن يدون

في سجل التاريخ الذهبي قد بقي غارقا في غياهبات الجهل وظلمات النسيان، فيما أيتها
الأرواح المجهولة المقدسة، إذا عازتك الشهرة فإن يفوتك اقرارنا لك بالجميل في
حنو ورحمة.

فليرفع الظالمون، ولتزلزل أقدام أعداء الحرية، إذا ما جاء ذلك اليوم الذي
يخرج فيه المصريون إلى قبور شهدائهم الصادقين في استشهادهم، وضحاياهم
المخلصين في تضحياتهم، كي يقسموا بين الطاعة لسيرتهم، والولاء لخطتهم. والبر بما
قطعوا على أنفسهم من عهود حالت المشية دون استكمالها، أو وعود قضى الموت
بالتفرقة بينهم وبين إنجازها.

ان التاريخ شاهد عدل على أن جميع الفضائل تتسابق إلى أن تزعم أعيادنا..
فليكن لمصر اذن عيد مجدها، مجد الذين حرروا العالم أو أناروه أو عززوه.
وعذرة وعزوه، لا مجد الذين اجتاحوه واضطهدوه وأذلوه، مجد الذين كانوا
بعد الوطن موضع تقديس القلوب الطاهرة الكريمة والأرواح الزكية السليمة..
ولكن علينا قبل أن نقيم جميع هذه الاعياد أن نحتفل بعيد أجل من كل هذه
الاعياد أثرا وأبعد منها وقعا، وأشد استغزازا، وأقوى استنساذا، وهو عيد
المصائب والشدائد!

أن العبيد يعيدون الثروة والجاه والسلطان من دون الله، أما نحن فأننا نريد
أن نكرم المصيبة، تلك القوة التي لا تستطيع الانسانية أن تقصيها عن حظيرتها
حتى لثراها تعزبها في احترام وتوقير، وتسليها في احتشام وتكبير.

فيا من جمعت فيما مضى، ولا زلت تجمعين بين الابطال والحكام، يا من
أحكمت فيما مضى ولا زلت تحكمين الصلة بين الأصدقاء، ولم يعرف عنك الاشرار
الذين وثقت الجريمة صلاتهم إلا انك سراب خداع يؤثر بأكاذيبه، ويغرر
بسحره، أنك ستكونين موضع التكريم لتستردين في مضر عظمتك وسلطانك،
فسلطان المصائب سر نهوض الشعوب، وعظمة الكوارث معنى جلال الوجود.
بل وسنقيم لك هيكلا في كل صدر، ومذبحا في كل نحر، ومعبدآ في كل قلب،
لتكوني إلى الروح أقرب، وإلى مكن تردد الانفاس أذن. وانجب.

ولماذا لا نكرم إلى جانب المصائب الحب الطاهر الكريم، حب الاسرة

وحب الوطن وحب الدستور ؟ إن عيداً كهذا هو عيد عظيم ، فقيه ترى المدافعين
عن الوطن الذين امتازوا بجراحهم ، وفازوا بأسمه البطولة في جهادهم .

انه عيد سيضم الشيوخ الوقورين ، الذين ستطمئن قلوبهم للتمهيد لسعادة مستقبل
أبنائهم واحفادهم ، وتعزى بذلك نفوسهم عن طول حياة قضاها تحت نير الاستبداد
داخل السجون الذهبية !

انه عيد سيشهد هؤلاء الابناء تلاميذ الوطن الناعمين الذين ستتموا مداركهم
وتقتل سواعدهم وتترعرع أجسادهم حتى يكوئوا لمجد الوطن عدته ، واداة
جنى ثماره !

وسيكون في هذا العيد سيداتنا اللواتي حمل ازواجهن وأبنائهن أسلاب النصر
على أكتافهم ، بقايا من الاغلال والاصفاد ، وركام من الذل والاستعباد .
فيا أيتها السيدات المصريات أغرزن الحرية التي يشتريها أبنائكم وأزواجكم
بشمن غال : جهود قوامها الأتقن والأموال والثروات ، واستخدم نفوذ كن في
تدعيم سلطان فضائل مصر الحرة المستقلة .

يا أيتها المصريات ! انكن جديرات باحترام العالم وولائه وأمانته ، فأى شئ
تتازعن فيه أهل اسبرطا وقد أنجبتم أبطالاً شداداً جعلتن منهم خداماً للوطن أشداء
يربطهم به وثاق لا ينقطع إلا أن يسكونوا فداءه وفداء حريته واستقلاله ، فيزداد
هذا الوثاق إحكاماً ونهاء

ألا إن الويل لمن يحاول اطفاء هذا الحماس السامى : أو اخماد غريزة الفضيلة
التي تدفع إلى تحقيق أنبل الأعمال بيد النظريات المؤسفة ، والمبادئ الفاسدة
الخدولة ، وما على الرجال إلا أن يعملوا لنصرة الفضائل والحقائق ، عليهم أن
يسكتوا الأصوات التي ارتفعت في صخب عريده تشرد جاهل لنشر الظلام ، وتسويد
أشأم خضوع على عزة الأنام ، وأعلام شأن الشر على مستوى الخير ، وإلا
فيذاً نكون إذا لم نؤت الشجاعة الكافية لمجاهدة الباطل وهدمه والنهوض بالحق
ورفع علمه . ان الأجيال المستقبلية لن تظن ان مخلصي اليوم كانوا موضع
مقاومة صادقة ، أو سخرية جدية ، أو تمهم مشينة صحيحة . ولكنهم سيوقنون
بان الباطل قد ران على قلب العصابات التي حالفت الزمن والفكرة على تشتيت

جند الوطن ، وإبادة وقتهم حتى جعلت هذه العصابات تتهم المخلصين بالاعتدال
والجبن لأنهم ذكروا الناس بسر الخلود وحكمة البقاء في عالم الأحياء
وعالم الأموات .

ان الخائف إذ ما اطلع على هذا السر ووثق به يستطيع أن يقضى بأننا لم نرجع
بالعقل البشرى قرونًا الى الوراء ، وانما سيعتقد اعتقاداً جازماً بأننا قطعنا به مراحل
الى الامام ، وأشواطاً في مجال الرقى على نقيض هؤلاء الجبابرة الذين جعلوا طوال
حياتهم العقيمة يشحنون خناجرهم الدنسة ليغمدوها في صدور الضعف ، ثمنا للشرك
بالوطن وما الشرك بالوطن الا من الشرك بالله .

ان جميع السفهاء قد جعلوا وسيجعلون كل من دافع عن حق بلاده في اخلاص
ونبل هدفاً لسخطهم ومقتهم . فلا عجب اذن ولا دهش اذا تحالف جميع أعداء
الوطنية علي أن يعدوا السم للخدام الابرار . ولما كان الواجب يقضى على هؤلاء
بانقاذ الوطن قبل أن يتجرعوا هذه الكأس . فالسفينة التي تقل حظ الامم لا يقوى
الغرق على ابتلاعها ، انها تسير في رعاية الشعوب ولن يبلغ كبرياء العواصف منها
الا أن يحنى الهام أمام مقدمها احتراماً للشعب . وتمجيداً لمجوده

فاليقف جميع الوطنيين اذن في موقف العدالة هادئين مطمئنين ، لا تزعرهم
الحوادث ، ولا تفل قواهم هجمات الكوارث ، وليثابروا على اشعال نور التبصر
وليدأبوا علي ايقاظ شعلة الضمير العام ، وليزجروا فوق رؤوس المجرمين قاذفين
صواعق الغضب على جميع صنوف الاعداء المتراصين . وليدلوني بعدئذ على ذلك
الذى يجرأ على أن يرفع صورته لينال من جلال الشعب الهضيم في أشخاص رجاله
العاملين المخلصين بعد اذ تستحيل هذه العادات النبيلة خلقا يحفز الشعب الى المعالي
مواطن الشرف والكرامة .

واذا سار شعر في سبيل اخضاع النصر له فعليه أن يطمر النقيصة في أكفان
الفناء . لأن أعداءه ، انما هم فساد الأخلاق ، ضعفاء النفوس . أما أصدقاء الوطن
فهم الاتقياء الصالحون كرام النفوس الذين يقدرّون الأخلاق الى الحد الذي تقف
عنده المعاني الصحيحة لهذه الكلمات . فتحطيم هيكل الاستبداد ضئيل الأهمية
اذا قيس بما يجب نحو حمل أعداء الوطن على احترام خلق الشعب ، وعبثاً نحاول

اعلان العالم أننا نقدر الحرية ونجمل الاستقلال، اذا استمرت الشهوات تمزق احشاش الوطن . ولنحذر بنوع خاص نشوة النجاح الابتدائي . ولنكن صاعقة في أيام الشدائد والمحن ، متواضعين ساعة النصر والظفر ، ولنثبت دعائم السلام والرخاء فيما بيننا بالحكمة وتحكيم الضمير ، فهذا هو الغرض الصحيح من أعمالنا التي تتبعنا اتمامها وفاق الاسس التي وضعها شهداؤنا ، فكانت هي الرسالة القائمة على بطولتهم الصادقة التي اكتسفتها الصعاب من كل ناحية وأحدثت بها الأخطار من كل صوب اننا نستطيع أن نؤدي شيئاً من كل ذلك اذا اقتدينا بالشهداء الصالحين الاتقياء فانحزم اذن أمرنا ولنسر على بركة الله ولنجعل من عيد ذكرياتهم عادة ترسخ في أعماقنا وتصبح مع الزمن خلقاً يهيئ لنا وسطاً محافظاً على الرقي ودوام استمرار شعلة الوطنية متقدة حتى تبقى العادة من مقومات الاستقلال

لقد رأينا أن الفنون والآداب والعلوم والذكريات من العادات التي تخلق وسطاً طيباً لنماء الخلق القومي ورقية في اتجاه يحفظ الاستقلال والحرية من عبث أعداء الدولة بها ، واذن فهذه العادات هي مما يحاربها أعداء الوطن حتى يتساقطوا عايه ويخضعوه ، ولذلك حق علينا أن نعرف مهمة عدو الوطن تأقماها .

مهمة عدو الوطن

ان المستبد لا يجد أماءه من سبيل لاقتلاع فكرة الوطن واستئصال جذوع الاستقلال من نفوس أمة الا أن يمحو علومها وآدابها وفنونها وتاريخها وذكرياتها وآثارها ومؤرخيها ان استطاع الى ذلك سبيلا ، حتى لا يبقى بعد ذلك من عناصر الوطن ومقومات الاستقلال الا الأرض التي لا يقوى على ابادتها مهمة عتا وتجبر ، غير أن خطر الأرض وحدها لا يكون عظيماً لأنها لا تثير في النفوس غير الاحساس الوقتي الذي يلهمه الوطن الصغير ، احساس القرية أو الاقليم على الأكثر .

ان مهمة القضاء على الوطن والوطنية بآبادة جميع العناصر المكونة لها هي مهمة

شاقة ، ولكن المنفق عليه أن يكفي لحق الوطنية اإبادة عامل واحد من تلك العوامل كعامل اللغة مثلاً .

فلو أن عدو الوطن تمكن من اقناع الشعب بأن الأفضل ألا يكون المتعلمون إلا آلات حكومية ، وأن زيادة عدد المتعلمين يضر بالبلاد ضرراً بليغاً حيث يخرجهم عن مصيرهم الطبيعي ويجعل منهم أداة اجرام وبغى ، ولو أنه تمكن من أن يقنع الشعب بأن التفوق العلمى منافق للديموقراطية وخطر عليها ، أو لو أنه توصل على الخصوص لأن يقنع الشعب بأن الرجال الغابرين كانوا قد دهوروا احساسهم الدينى ، أو أنهم كانوا جميعاً بلهاء سخفاء لا فن لهم ولا أدب عندهم إلا ما استعاروه من اللغات الأخرى دون أن يكون لهذه الآداب صلة بالوطن أو قوة تصالب بها عودها أو حياة تدفعها فى سبيل النماء ، لتقطعت الصلة بيننا وبين الوطن ، ولا حمرت وجرهنا خجلاً عند ذكر آبائنا عوضاً عن أن نفاخر بهم وبالاتسباب اليهم والعمل على احياء ذكراهم والعناية بآثارهم ، ولكفى ذلك لجعل الشعب أهلاً لأن يغزوه شعب آخر بدافع هذه المشاعر المنحطة التى تطفى العزيمات وتبذر الارادات ، وتسحق القوات ، اذا قدر ولم تنهب الشعوب ذلك الشعب المنحط وتوزعه أسللاً باردة فيما بينها .

وطنى رغم الصعاب

والشـدائد

ان هذه الوطنية التى تتألف من الذكريات والتقاليد والرغبة فى أن تمر التقاليد منا الى من يلينا ويأتى فى خطانا هى التى تمكن حب الوطن فى الاعماق حتى وان كنا لا نحب . أهبل سمعت فى هذه الأيام ذلك المصرى الذى كان يفكر ويحس معنا عندما قال : « انى لا أحب مصر ، وكيف أستطيع أن أحبها وهى تأبى العمل بأفكارى المنقذة لها ، وتحقر كل ما لدى من مشاعر وتزدرى كل ذكرياتى المقدسة وذكرائها المقدسة ، وتسىء الى تاريخى المقدس والى تاريخها المقدس ، وتطفىء سطور مجدى الابلج ، وسطور مجدها الابلج ؟ كيف أستطيع أن أحبها وهى تمقتنى ؟ » انى أرتد أن أسمو بهذيب ذكائى وتدريب عقلى بالعلوم والمعارف والكبر والجد

فى سبيل الشخلاق بخلاق يرتفع عن المستوى العادى ، ولهذا السبب أراها تبغضنى ،
كأنها آلت على نفسها أن تزاوّل مهنة أخص خصائصها احتقار كل تفوق ، وكل علو
وكل سمو ، وأبرز ميولها كراهية كل من يرمى إلى أن يكون فوق المتوسط ، وكيف
أستطيع أن أحبها أيضا ، وهى لا تحب نفسها ، وتتنازل عن وجودها وتهدم كيائها ،
وتحطم هيكلها أو تتخلص من حياتها ، وتسحق كرامتها بأقدامها ، ولا تريد أن
تتمسك بالبقاء كما يجب أن يكون بان تحتفظ بالخلود الذى رسمته لها الطبيعة واستنه
لها أبنائها الأقدمون ، بل تريد أن تكون شيئا آخر غير مصر التى عرفها التاريخ
وعرفتها التقاليد وعرفها الدين واللغة والفن والعلم ، إذ تريد أن تكون خارجة عن
الانسانية وعلى الانسانية ؟

ان الوطنية يا أخى فى بلد لا وطنية له ، وحب الوطن الذى لا يشعر بأنه وطن ولا
يريد أن يستمسك بأن يكون وطننا هو تناقض . ومع ذلك فانى أحب هذا الوطن
وأرتبط به ارتباطاً وثيقاً ، وان نفسى لتحدثنى بأن أمزقها إذا هى حاولت أن تتجنس
بجنسية غير الجنسية المصرية أو أرغمت على ذلك ، فلم هذا ؟ ذلك بأن مصر ، مصر
القديمة المترامية الاطراف فى بطون التاريخ ، وفى جوف ما قبل التاريخ ، مصر هذه
المتغلغلة فى الوجود بمدنيتها ومجدها وفتوحاتها وعزتها وشمسها وعبوديتها وذلها
واصفادها ، شأن كل أمة عريقة ، مصر هذه التى أنخر بها وأرفع الرأس عالياً اذا
ما ذكر اسمها ، قد استقرت فى أعماقى بقضها وقضيضها ونفيت فى انسجى دمها ولحمها
وروحها ، وربطنى بها رباط الامومة والبنوة وجعلتنى أحمل اسمها ، وأتكلم لغتها
وأدوس أرضها فى احترام واكبار ، وأرفع فوق الرؤوس علمها رمز حضارتها وذيها
وخصبها وزرعها وسلامها وطماأينتها . فاذا أنا استنكفت أن أكون مواطناً لزيد ، أو
اشمأزت ننسى من أن أقف زميلاً لعبيد ، إلا أنى أشعر بالسعادة والراحة والهناء
هو الاطمئنان الى أطيّب مصير إذا مامر بخاطرى أننى مواطن شهيدائها . إلا كزمين
الاعزاء .

لهذا يكون الانسان وطنياً رغم العوائق التى تحول دون تحقيق فكرته الصحيحة
الصادقة ماحمينة وبين الوطن وحدة اللغة والدين والعادات ، مقومات الاستقلال
بوعائمه .

أما وقد اتممنا بحث اللغة والدين والعادات على اعتبارها عناصر الوطن ووطنية،
وبالتالى من مقومات الاستقلال ، فيجدر بنا أن ننتقل الى بحثها على انها من عناصر
القومية حتى نجدها كذلك .

القومية

ليس المراد هنا بالقومية ذلك المبدأ القانونى المعروف باسم الجنسية . وإنما
المراد هو كون المنبت ومحل الإقامة وعادات الحياة والعقلى الاجتماعية عامة مشتركة .
وهذا ما وضعه « منشيني » فى صيغة صحيحة لأول مرة فى محاضراته الشهيرة التى
لقاها فى « تورينو » سنة ١٨٥٣ .

لقد رأى « منشيني » استاذ القانون الدولى سنة ١٨٥٣ ووزير الخارجية الإيطالية
فيما بعد ، وجوب تكوين الدولة على أساس طبيعى هو الأمة ، أو القومية اذا أردنا
أن نتحرى الدقة فى التعبير ، ومن المعلوم أن ما يمتاز به القومية هو توافق الدين واللغة
والجنس ، وما الجنس الا طبائع تألفت من عادات .

ان هذا التعبير ينطبق على ايطاليا تمام الانطباق ، حيث اللغة والدين والجنس
تعاونوا عظيمًا على تكوين الوحدة ، ولكن كيف نعول على هذا المقياس الثلاثى
لاحظنا أن بعض الدول من أوتوا ضميرًا سياسيًا عميقًا ، واستقلالًا لا تشوبه
شائبة . سرا مثلًا ، قد تكونت دولة مع أن اختلاف الدين وتشعب اللغة وتباين
الاجناس لم يحل دون هذا التكوين ، بل دون هذه الوحدة الفعلية الصحيحة
التى لا يتطرق اليها تفكك ولا تنسرب اليها زعزعة ؟

اذن يجب أن تذهب بعيداً بالمعنى الذى قصد اليه « منشيني » ، فإذا كان هذا
السياسى الفيلسوف قد رأى القومية حيث تكون وحدة اللغة والدين والجنس
فذلك يرجع إلى أنه كان يعلم تمام العلم أن قيام هذه الوحدة الثلاثية لا يكون
إذن اجتماعاً لذاته ، ولذاته وحدها ، وإنما هو اجتماع للتدليل الخارجى على اتحاد
المشاعر .

لقد جاءت نظرية القوميات فى القرن التاسع عشر لتحل محل مبدأ الاعتداء
على السیادات وهدم كيان استقلال الدول تحت ضغط مطامع الأقوياء الذين

وضعوا نظرية التدخل

لقد خلع العصر الذى تلا سقوط نابليون على الدول العظمى صفة تقرير مصائر الدول الصغيرة والتدخل فى شئون غيرها من الدول ، وهذه فكرة قد شعرت الدول الصغيرة بثقلها ، حتى بعد أن عفت آثار نظرية المشروعية . ونعنى بها فكرة جماعة الدول الأوروبية Le Concert Européen التى خلقتها نظرية القوميات

لاحظ « ده مارتنس » فى كتابه « القانون الدولى » أن « مدام ده ستال » هى التى وضعت صيغة نظرية القوميات لأول مرة ، إذ رأت أن من الواجب أن تنطوى كل دولة على شعب ولغة وعادات وعرف ، ولكن حوادث سنة ١٨١٥ التى افتأنت فى كثير من الأحوال ، وبطرق عديدة ، على الأساس القومى عند كثير من الشعوب ، لم تقو على محو فكرة القومية التى ولدت خلال الثورة الفرنسية . بل إن هذه الفكرة التى قامت الى جانب الجهود التى بذلت فى سبيل وضع الدساتير والاعتراف بسيادة الشعب ، كانت عاملاً من العوامل التى عاونت على هدم نظرية المشروعية فى أوروبا ، غير أن مبدأ القومية لم يحتل مكانة مبدأ المشروعية فى الميدان السياسى إلا فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر ، رغماً من نفوذه فى الحوادث السياسية التى وقعت فى النصف الأول من القرن المذكور ، فهذا المبدأ الذى وصل الى الذروة قد عرف أن يكون له السبق على كل المبادئ السياسية بفضل ما اكتسبه من حول وقوة وسلطان فى جميع أنحاء أوروبا عن طريق اضرام الحماسة فى نفوس الشعب جميعاً ، حتى لقد رأينا نابليون الثالث على عاتق نفسه رسالة خاصة بالتعاون فى سبيل نصره هذا المبدأ وإعلانه كوكبا هادياً للسياسة الدولية ومرشداً تنقضى الأمم الحية خطاه .

لقد نجحت نظرية القومية فى اليونان وبلجيكا ، ثم أشعات البلقان ، ثم انطقت قذائف حروب القومية فى المجر وإيطاليا والمانيا .

كان بناء أوروبا على قاعدة من مبدأ القومية غرضاً من الأغراض التى رمت اليها سياسة نابليون الثالث ، وقد رأى أن تحقيق التوازن ، وبالتالى قيام سلام دائم لا يمكن أن يتم إلا إذا تحقق تناسق الدول وفاق مبدأ القومية . (راجع الفكرة النابوليونية من أعمال نابليون الثالث جزء أول طبعة سنة ١٨٥٩ ص ٥١٤ وغيرها)

بدأت فكرة القومية حياتها بالتحقيق في الفراغ ، ولكنها صارت في منتصف القرن التاسع عشر صدى الروح العام الذي ساد ذلك الحين ، ولقد مثل هذه الفكرة في فرنسا كل من « لامارتين » و « تيير » و « جيزو » ، ولقد بلغت هذه الفكرة الذروة في سنة ١٨٤٨ ، ولذلك فإن الفرصة سنحت لها كي تحتل مكانة مبدأ المشروع .

ولكن مهما بالغ الناس في سحر الخطة التي رسمت لقيام سلام دائم ، ووضع دستور عالمي عن طريق استظهار مبدأ القوميات ، فإن تحقيق هذا الحلم لم يكن بالأمر اليسير التحقيق في زمن قصير . لذلك فإن السلاح قد استخدم ضرورة لتعزيز هذه الفكرة . وهذا مادعا الفقهاء إلى بحث مشروعية الحرب التي تعلن في سبيل تحقيق أمان قومية من ناحية القانون الدولي . وتناهى بحث بعضهم إلى الرد سلباً ، كما هو الشأن فيما يتعلق بموضوع التوازن . ولكن « لوران » Laurent قد قرر من قبل ضمن كتابه « تاريخ القانون الدولي طبعه سنة ١٨٦٥ جزء ١٠ ص ٣٣ » ، القوميات مبدأ سلام ، . فرد عليه البعض : « القوميات مبدأ حرب ،

على أن الموقف كان لا بد من أن يتغير إذا استطاع الساسة أن يفهموا فكرة القومية بمعنى اسمي من ذلك الذي فهموه حتى اليوم ، فهم لم يكشفوا لنا في وضوح عن عناصر الأمة ولم يدلوا لنا بما انطوت عليه هذه العناصر بحال لا يأتيه الغموض من أية ناحية ، ولا هم أبانوا لنا أن تبدأ فكرة القومية ولا أين تنتهي ، ولا هم عرفوا لنا الأمة ، ولا قالوا لنا ما هي القومية ، ولقد كتبوا كثيراً في هذا الصدد ، ولكن التوفيق لم يكن رائد لهم عند البحث والتطبيق ولا عند التعريف والشرح والتعليق

ومع ذلك فلا بأس هنا من أن نردد بعض أقوال المؤلفين الكبار بصدد من مبدأ القومية ، لقد قال « ده مارتنس » (في كتابه « حق الشعوب » طبعه سنة ١٨٨٣ جزء أول ص ١٤٧) وهو يسخر من هذه الفكرة : « لقد شادوا بهذا المبدأ أو محدود خلال القرن التاسع عشر على أنه القاعدة الأكثر انطباقاً على العقل فيما يتعلق بنسوبة الخلافات المتوقعة بين الدول ، وإقامة نظام يكفل لكل شعب نموها ذاتاً ، بوقصارى القول أنهم نظروا إليه كالدواء العالمي أشافي من جميع الأمراض الجثمانية والروحية ، والاداة التي يؤدي استخدامها للقضاء على جميع الخلافات الدولية »

ولقد أثبت (مارتنس) كيف فرق أنصار فكرة القومية بين الدولة القومية (L'Etat National) والدولة المكونة من شعوب مختلفة اتحدت تاريخياً، ثم قال هذا الفقيه: «رغمًا من كل تقديرنا لفكرة القومية، وعطفنا عليها، فإننا لانستطيع أن نفهم كيف يتسنى للشكل الخارجى القوى الذى يخلع على الدول أن يكون ضمناً للنظام والحق والقانون فى ميدان الشؤون الدولية. ولكن ليس فى الوسع أن ننكر أن قيام مبدأ القومية يؤدى الى تعديل أصلي فى الخريطة السياسية الأوروبية وفى الحروب التى تنشب بين الشعوب»

ويرى «لوران» ان الدولة هى «عادة مجموعة تألفت فجأة من الأفراد الذين جمعهم على الراجح القوة المتحركة دون الإرادة الاختيارية، ولقد سعت الإنسانية فى أن تستعيض عن هذه الدول الذين جاءوا نتيجة الاكراه أو التسويات الاكراهية بدول أخرى أساسها العنصر الطبيعى المسمى بالقومية» ولكن فكرة «لوران» هى الأخرى استبدادية بطبيعتها، ولا أصل لها من الصحة إلا بالنسبة لبعض الدول، وإلا فإلى أى مصير كانت تؤدى فكرة القومية لو أن الإنسانية سلمت بها إن لم تؤد إلى عهد حروب دفاعاً عن الاستقلال؟

ولكن فقهاء إيطاليا تناولوا مع ذلك هذه الفكرة بالبحث والتحصيل، واتخذوا منها أساساً لبناء الدول الحديثة «فميشيني» على الخصوص، قد أعلن كما تقدم أن القومية أساس القانون الدولى. وقد أعلن ذلك لا سيما فى كتابه الجليل الشأن الذى أسماه «فى القومية على أنها أساس القانون الدولى طبعته ١٨٥٣» وترى هذه النظرية أن رقى القانون الدولى يقوم على هذا الأساس، لأنها تعتبر الأمة وحدة القانون الدولى دون الدولة، أما «بيرانثوني» فيرى أن مبدأ القومية ليس مبدأ القانون الدولى الحبيب، وإنما هو أيضاً الأساس الضرورى والشرط الذى لا مناص منه لتوزيع الشعوب فوق الأرض توزيعاً سلبياً. (راجع تاريخ دراسة القانون الدولى ص ٢٧٧). ولكن «بولمرنك» Von Bulmering قد رد عليه بقوله: «إن من القوميات ما يعادى بعضه البعض فكما كان هناك حروب دينية فيما مضى فمن الجائز أن تقوم حروب قومية

أشد تعصباً . إذ الدين ليس اليوم هو المبدأ الهادى كما كان الأمر فى العهد الغابر
وانما القومية هى التى أصبحت هذا المرشد ، ولكنها مبدأ لا يهذى إلى السلم وإنما
إلى الحرب . ثم قال : « إن تكوين الوحدة الإيطالية لم يكن بحاجة مطلقاً إلى
تجوير القانون الدولى جميعاً وإقامته على قاعدة من مبدأ القومية » (راجع ص ٦٤
من كتاب « فون بولمرنك »)

ولقد قال الفقيه « رونكالى » Roncali فى مقدمة ترجمة كتاب « بييرانتونى » :
لقد أراد المؤلفون الإيطاليون برفعهم مبدأ القومية إلى مستوى مبدأ من مبادئ
القانون الدولى أن يدللوا على أن المجهود الذى بذله الإيطاليون فى سبيل تكوين
وحدتهم كان مجهوداً قانونياً بذاته ، كأن أمراً كهذا بحاجة إلى التدليل
على قانونيته .

ولكن « فون بولمرنك » يرى أن فى الوسع أن نرفع نظرية القومية إلى
مستوى مبدأ قانونى إلى حد ما ، كما هو الحال فى النسبة لمبدأ التوازن ومبدأ المشروعية
الذين طبقا على العلاقات الدولية . ولكن مهما كان شأن مبدأ القومية فى ميدان
تطور القانون الدولى ، فانه مبدأ سياسى وسيبقى كذلك ولن يجوز الاعتراف به
كمبدأ من مبادئ القانون الدولى ، ولكننا لسنا الآن فى سنة ١٨٥٠ أو سنة ١٨٦٠
حيث كان المؤلفون الدوليون يرفعون عالياً أعلامهم وقد سطرت فوقها آية مبدأ
القومية ، إذ لدينا اليوم مبادئ جديدة قد اعتنقها العالم رغماً من القيمة العظيمة
التي اعترف بها للمجهود القومية فى تقريم الاستقلال متى كان خلق الأمة قائماً
على عادات قومية متينة .

إن أعظم أمنية تجيش اليوم فى الصدور هى بلا شك إيلاء كل قومية حقوقها ،
ولقد انعقدت أخيراً مؤتمرات عديدة لتسوية مشاكل القوميات التى حظيت بعضها
بحلول عادلة ، ولكن أكثر هذه المشاكل لا يزال حيث كان من التعقيد ، بعيداً
عن الحل النهائى ، ولذلك فليس من الجائز أن نسلم بأن نظرية القومية من المبادئ
القانونية ، رغم أنها من أسباب استقلال الأمم .

ومع ذلك فمن الواجب أن نتساءل هنا عن ماهية الأمة .

لقد أجاب المسيو رنست رينان ، في كتابه « خطب ومحاضرات علي هذا التساؤل بقوله : ليس الانسان ملصكا للغته أو جنسه ، ولكنه ملك نفسه ، ذلك بأنه كائن حر ، إنه كائن أدبي ، وحق الالهالي في تقرير مصيرهم هو الحل الوحيد الذي تحلم به الحكماء لحل المشاكل الراهنة ، فالامة في رأينا هي روح ، هي عقل ، هي أسرة روحية تجيء نتيجة ذكريات الماضي وتضحياته ، وضروب مجده ، وتكون أحيانا نتيجة الأحزان والآلام المشتركة ، كما تجيء نتيجة الرغبة في الاستمرار في الحياة جماعة خلال الحاضر ، فما تتكون الامة منه ليس أن تتكلم نفس اللغة الواحدة ولا هو أن تكون تابعة لفريق من جنس واحد ، ولكن ما تتكون منه الامة هو أن يكون مجموعها قد قام بعظائم الأمور في الماضي ، وتكونت فيه إرادة القيام بمثلها في المستقبل ، إن الامة مبدأ روحى يترتب علي ما في التاريخ من تعقيدات وأزمات واضطرابات . . فانت تلاحظ في هذا القول ان أساس الامة هو العادة .

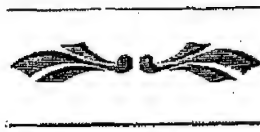
ولقد كتب « ردسلوب » Redslub في كتابه السابق الذكر ص ٢٤٥ يقول كذلك : « إن ما يصنع الامة كتلة واحدة هو احساس الجماعة ، فعنصر الاتحاد هو الاعتقاد بان جماعة من الناس قد دعيت لتعمل ، في ظل قانون واحد ، على تحقيق غرض اسمى واحد ، لمدينة واحدة . فالامة هي اتحاد واحد قائم على اختيار حر فهي لم ترتبط إذن باسباب محسوسة ولذلك فان اللغة والجنس ليسا من العناصر المكونة للامة . لان الامة لا تتكون من جميع الصفات الطبيعية ، اذ في الوسع أن توجد دون هذه الصفات ، ولكن طبيعتها الجوهرية هي النفس ، فهي تنطوى إذن على شيء روحى — ولكنها تأخذ شكلا محسوسا بإرادة الحياة والعمل المشترك ، أما القومية فليست قرابة ، وانما هي ازدواج ، أنها ليست حالة واقعة وانما عمل ، ومادامت النفس هي الطبيعة الجوهرية لتكوين الامة والعادة أساس صياغة النفس في قالها ، فتتكون العادة مقوم استقلال الامة

ثم دلل « ردسلوب » علي أن سويسرا الخليط من اللغات هي اتم وأكمل طراز

الامة لأن احساس الجماعة هو العنصر الوحيد المكون للاتحاد، ولكن مادام الاحساس هو العنصر الوحيد المكون للاتحاد أو ما دامت الامة مبدأ روحيا يترتب على ما في التاريخ من تعقيدات وازمات واضطرابات فان توثق عناصر القومية أو عناصر الوطن والوطنية الماثلة في اللغة والدين والعادات يكون أدعى إلى تماسك الوحدة أو تماسك المبدأ الروحي، وأبقى على الحرية والاستقلال .

الخلاصة

فالخلاصة هي أن اللغة والدين والعادات من مقومات الاستقلال ولذلك حقت العناية بها جميعا على الأوجه التي فصلناها للرقى بالخلق الفردى حتى ترقى بالخلق القومى الذى لا يتم الا بالرقى باللغة والعادات والعناية بفضائل الدين على نمطية اعلام ومقتضيات العصر الحاضر؟



ملخص رسالة

الدكتور زكي مبارك

بدأ بحثه بتحليل لكل ناحية من هذه النواحي الثلاث التي تناولها الموضوع وهي :

اللغة ، وهي مظهر من مظاهر الأناقة والدقة في الإفصاح

الدين ، وهو صورة العقيدة التي يحيا بها الناس

والعادات ، وهي مظاهر لما تأصل في النفس من كرائم الشيم والخلال .

ويرى أن اللغة في ذاتها شخصية استقلالية ، فالذي يعبر بلغته يشعر بالقوة وتنطبع نفسه على حب الكرامة والاستقلال . ومن ثم كان ساطاننا في العالم ساطانا ضعيفا ، فقد لجأ إلى مفسر ثم تمضى عليه الشهور والأعوام بدون أن تقهره الظروف على تعلم اللغة العربية ، ومن أمراض الشخصية الاستقلالية في مصر ما نشهده في المصالح والدواوين من كتابة أسماء الغرف والحجرات بلغة دخيلة نشعرنا دائما بأن لنا في الوطن شركاء

واقترح وجوب اصطناع اللغة العربية وحدها في التعليم فإن هذا يخلق فيما قوى جديدة ويعالج فقرتنا في الترجمة والتأليف . وإلا فكيف ندعى شرف الاستقلال وليس عندنا معجم واحد يسجل تطور اللغة في العصر الحديث ، ولا مكتبة طبية أو علمية بلغتنا ، وليس عندنا كتاب في القانون خلت صفحة من صفحاته من سطرين أو ثلاثة بلغة أجنبية ، ولا يستطيع أي رجل من علمائنا أن يكشف في أي بحث بالمصادر العربية ؟ كيف ندعى هذا الشرف ولغتنا منسية في معاهدنا ومدارسنا ومكاتبنا ؟ ويقترح كذلك وجوب تقديم رسائل الدبلوم والدكتوراه باللغة القومية بعد أن تصبح أداة تفاهم بين مختلف الطبقات وإصلاح رسمها منعا للبس وأن تهتم الحكومة بالتكوين الأدبي للجمهور بتكوين لجنة خاصة تختار من الكتب ما يجب أن يقتنيه الموظفون وتوزعه عليهم بالاجبار . وأن يحذف درس تاريخ الأدب في المدارس الثانوية لأنه جهد ضائع ، ثم يقرب الشبان إلى فهم عصرهم بدراسة الحركة الوطنية وتطوراتها والأدب العصري ورجاله ومشاكله .

وهكذا لن تكون اللغة من مقومات الاستقلال إلا حين تسود في وطنها سيادة
قاهرة فتسيطر على العقول والمشاعر والأذواق ويقوى أدها فيشغل الناس بدرس
قلوبهم وأهوائهم وأخلاقهم .

وتكلم عن الدين، ففرق بين الدين المزيف الذي تحاربه الأمم الناهضة ، وبين الدين
الصحيح الذي يحمى من الزيغ والافك والبهتان والذي هو عماد من عمد الأمن
والسلام والفضيلة والاستقلال لأنه يصحح ضمير الفرد ويبني الأمم .

والدين الذي يصون الاستقلال هو الدين الذي يوحى إليك بأن تكون عون
أخيك وتحمى عرضه وماله ، هو الدين السميع الكريم الذي تغنى به الرسل والأنبياء
والذي يحث على التضامن ويعصم من الشقاق ويحمي الأمة من فوضى اختلاف المذاهب
وتعدد الفرق الدينية ، ومن الحزم أن تسارع الحكومة إلى حراسة الأهلين من
انقسامات الصوفية فإن التصوف أصبح سببا من أسباب الشقاء فتتخير دعاة الصوفية
من أهل النزاهة والاخلاص، وكذلك يجب معرفة السبيل إلى المساجد حيث يتصافح
الناس عقب الصلاة ، فيجعل الأزهر ملتقى لأقطاب البلاد في أيام الأعياد مثلا
أو يجعل يوم التشریفات الملكية موسما أغر تلتقي فيه القلوب والاهواء ويتنادى فيه
الناس باسم الحق والدين، ويستطيع الأزهر أن يضاعف جهده في خدمة اللغة والدين
بإذاعة مطبوعات دينية مختارة رخيصة، ويفكر في استرجاع سلطانه الذي ضاع باتجاه
طلسته نحو المصالح والدواوين .

وانتقل الى الحديث عن العادات التي تعد سمة شخصية لأنها تميز الأمم وتدل على
حيوية الشعوب ، وهي لن تكون من مقومات الاستقلال إلا إذا كانت صالحة، والا
إذا تأصلت وأصبحت رعايتها قانونا قوميا يشعر الناس بحيويتهم الذاتية .
وهو يوصى بالرجعة الى التحية الإسلامية وبدون تعارف، وبالامتزاج الأخوى
في أيام المواسم والأعياد لأن البطاقة الضمائية لقيمة لها، وإقامة حفلات السمر في المنازل،
والحرص على التقاليد يعد بابا من الحرص على التراث القومي لأن التقاليد الصالحة
ليست إلا ثمرات لجهود المصلحين في مختلف الأجيال وهي في الوقت نفسه سند
حيوي في صيانة المجتمع .

ويجب أن نجاهد في سبيل التقريب بين الجامعتين الأزهرية والمصرية بالدعوة الى
سعة الصدور ومرونة العقل وحسم الخلاف بين هذين الجيلين اللذين يعيشان في بلد
واحد ويصعبان العادات والتقاليد صبغات مختلفات الألوان ويخلقان الشغب والقلق
في كثير من الطبقات ويردان الأمة الى جيشين يضطربان .

مهّد للبحث بمقدمة عن الجماعة والتعاون ، وأثر التجانس النسبي في حفظ استقلال الجماعات ، وانتقل إلى الحديث عن عوامل الوحدة والتماسك والتجانس وهي الدين ، واللغة والعادات .

وتناول في حديثه عن الدين العاطفة الدينية بالتحليل الواسع العميق ، وشرح مهمتها الاجتماعية في تقوية العواطف بالمشاركة ، وخلق الحماسة والشجاعة وحماية الفضيلة والأخلاق الصالحة .

واقترح ، لتقوية الروح الدينية ، الاهتمام بالتربية الدينية في المدرسة والمنزل والمجتمع ، بغرس الفضائل في نفوس الناشئين ، حيناً بالتلقين وحيناً بالإنحاء والقدوة ، وتقريب المسائل الدينية إلى الأذهان بأساليب سهلة سائغة ، وتبصير الناس بمحاسنها ، وإحياء الذكريات التاريخية الرائعة ، وتقديس العادات الدينية السليمة ، والإقلال من حياة الترف والميل إلى البساطة .

وتحدث عن اللغة فتمال إليها توقظ الشعور القوي وتوجد الوحدة والتناسق في الأفكار والمشاعر ، وتربط بين الأفراد . ولغة وجود خاص وحقيقة قائمة بذاتها ، فهي موجودة قبل الفرد وباقية بعده ، واقترح للنهوض باللغة العربية :

- ١ - تحسين طريقة التدريس بالعناية بالمطالعة والاكثار منها .
- ٢ - التدقيق على جميع المدرسين بعدم التكلم في دروسهم إلا بلغة عربية صحيحة .
- ٣ - التخفيف من وطأة اللغات الأجنبية .
- ٤ - ضبط جميع كتب الدراسة في جميع مراحل التعليم .
- ٥ - نشر الأدب القصصي وعمل مسابقات بين الكتاب .
- ٦ - إذاعة عبارات صحيحة للأخطاء الشائعة .
- ٧ - اهتمام الدواوين والمصالح باللغة العربية في أعمالها ومكاتبها .
- ٨ - الاهتمام بلغة التمثيل والسينما ومحو الغامية منها جهد المستطاع .
- ٩ - التخفيف من حدة الاندفاع في التقاليد والتجديد الأدبي .
- ١٠ - إحياء كنوز الأدب القديم .

١١ - وضع قواميس وافية سهلة التداول .
ورأى ان العادات تورث نوعاً من الألفة بين القلوب باحداث شيء من التشابه
ونوع من التضاد بالقياس إلى الجماعات الغريبة . وفي هذا التضاد مناعة إضافية من
الاندماج في الجماعات الغريبة .
وتحدث عن الفرق بين العادات (والاتيكت) وعن غارة المدنية الغربية علينا
وانصرفنا إليها .

ثم رأى أن كل عادة دخيلة أو أصيلة لا تسيء إلى دين ولا تأباه الفضيلة ولا تشين
الكرامة القومية ولا تعمل على محو ذاتية الأمة ، محمودة يجب الحرص عليها ومن
الاثم هدمها بدافع الأهواء ، وأن محاربة العادات السيئة يكون باظهار مساوئها
وجعلها موضع التهنؤ والسخرية ، وبنشر التعليم والثقافة في البيت والشارع
والمدرسة .

(٣)

الموضوع الثالث

أثر الحافز الشخصى فى تطور الاصلاح الاجتماعى والوسائل العملية لتوجيهه للخير العام

اجتمعت لجنة التحكيم فى المباراة الصحفية الأدبية الخاصة بموضوع « أثر
الحافز الشخصى فى تطور الاصلاح الاجتماعى والوسائل العملية لتوجيهه للخير
العام » فى يوم ١٠ يونيه سنة ١٩٣٦ برئاسة معالى الاستاذ مكرم عبيد باشا
وعضوية حضرات الأساتذة محمد صبرى أبو علم والدكتور على مصطفى هشرة
وعبد الوهاب عبد الرازق ، فنظرت فى البحوث المقدمة إليها ، وقررت :

١ - منح الجائزة الأولى وقدرها مائة جنيهه للاستاذ عباس حافظ الموظف
بوزارة الداخلية .

٢ - منح الجائزة الثانية وقدرها خمسون جنيهه للأديب جميل خانكى أفندى

٣ - « « الثالثة وقدرها خمسة وعشرون جنيهه للآنسة زينب الحكيم

٤ - « « الرابعة « « « « للاستاذ حسن مظهر

(١)

رسالة

الأستاذ عباس حافظ

تمهيد

وقفت ملياً حيال عنوان هذا الموضوع والتعبير الذي صب فيه. ولا أكتفكم الحق أنني ظلمت في معناه حائراً ، وليأت في تأويل مراده مطيل التفكير ، وهذه أول مرة أخافني فيها موضوع من عنوانه ، فاعترفت به ، والمصارحة بالحق خير من كتمانها .

قام في خاطري أن أعدل عنه إلى سواء ، فإن المباراة متعددة النواحي متنوعة الموضوعات ، ولكنني وجدت العزة تراجعتي وكبرياء الأدب تمسك بي ، وقضاء فترة من الوقت في معالجة فهم المراد منه ، مؤلم أن يضيع هباء ، ويذهب بين الحيرة والحياء

لقد خلاص لي من تفكيري في هذا الموضوع رأيان : أحدهما أن المراد هو مبلغ الحافظ الذي يخلج في صدر الشخص من تكوينه واستعداده فيدفع به إلى فكرة أو صناعة أو سبيل معينة . وأثر هذه الحوافز المعتملة في نفوس الأشخاص في ترقية المجتمع وكيف تشجع هذه الدوافع وتعمدها بالتغذية والتزكية والتنمية ، لكي تتجه نحو المصلحة العامة وخير البلاد .

وأما الرأي الثاني في مراد هذا البحث ومعناه ، فذلك هو مبلغ أثر الشخصيات القوية في توجيه الإصلاحات الاجتماعية، فإن نجاح أي إصلاح هو على قدر الحافز المختلج في نفس المصلح ، والوسائل العملية لجعله يتجه نحو الخير ولا يعرج ناحية الشر ، كشأن الطغاة والجبابرة والمستبدين . وأنا متناول كلا الرأيين بالشرح والبيان . . .

(١) الحافز الشخصي - وتعريفه :

ينشأ كثير من الناس من المولد والصبا وهم يحسون في أعماقهم نزوعاً خاصاً نحو جهة معينة من جهات هذه الحياة وكلما تقدمت ألسانهم، نما هذا الاحساس فيهم واشتد اختلاجه في صدورهم ، وبدأت مظاهره في حركاتهم وسكناتهم ، وراح يستولى على

أكثر مشاعرهم ، فهو عليهم غالب ، ومن طبائعهم متمكن وفي مسلكهم ظاهر ، بل انه ليبدو في علاقاتهم بلداتهم وأصحابهم في مراتع اللعب ، ومستبق الحداثة ، وملاعب الطفولة ، تتحدث عنه حياتهم المدرسية في نوع الكتب التي يختارون قراءتها ، ومواد العلوم التي يميلون إليها ، وأوراق الامتحانات التي يتفوقون فيها مع تقصيرهم في سواها ، وضروب الحصص التي يأتون لمحاضرتها ، مع كراهيتهم ونفورهم من حصص أخرى يكادون يفرون من حضورها فراراً

وقد اصطلح الناس على تسمية هذه النوازع الناشئة من التكوين ، والمجانح البادية من الحداثة وطراءة العمر ، وأول مطالع الشباب ، بالمسكات والاستعدادات والميول الطبيعية ، وأحسب اطلاق كلمة « الحافز الشخصي » عليها تسمية أخرى تؤدي عين المراد ، واصطلاح على جاء به في التعبير « الاجتهاد » ، وإن كان فيه بعض الغموض .

وقد شوهد في دور الحداثة أطفال أوتوا حوافز شخصية حادة ، وأخرى هي فيهم برفق ، أو في حدود الاعتدال ، وافذاذ نوادر منهم برزت لديهم باكرة لا قبل الاوان بل بغير أوان ، حتى لتبدو فرديتهم قوية ساطعة الضياء وهم ولدان ، ويتفقق استعدادهم الخاص بمجرد الاختبار والامتحان

الحافز الشخصي إذن هو هذه الفردية الممتازة البادية من النشأة ، المتحرقة على الظهور من الحداثة ، الدافعة بالطفل الى ناحية معينة من العلم أو الفن أو صناعة من الصناعات حتى ليتخذ أدواتها أو أشباه أدواتها من الصغر لعباً أو دميات ويجعل من ساعات لهوه ورياضته حصص تعليم وتمارين بغير معلم يهدي ولا مدرب يشرف غير « الالهام » المتمشى في صدر الطفل وهو لا يدري أنه (الالهام)

وفي تراجم النوابع الذين بلغوا أوج الشهرة في أجيالهم مشاهدات غرائب ، وبوادر في منتهى العجب ، فن نابغة كان في طفولته يعزف على المزاهر والعيود ولم يؤت يومئذ شيئاً من فنون الانغام والالخان ، ومن آخر بدأ يقول الشعر في العاشرة ، ونابغة من القواد العسكريين وكبار الابطال ، كان في الحى وهو طفل ينظم صحبه في الأطفال فرقا وجماعات لكر وفر وهجوم وكمين وغارات ، أو يصارع الولدان في المدرسة ويبارز الاقران

وفي سير المخترعين والعلماء والناهين الذين ملأوا سمع الدنيا دوياء شواهد كثيرة على بداية الحافز الشخصي عندهم من الحداثة ، حتى لقد اصطنع « فورد » وهو في المدرسة ، أو في تلك السن الغضة التي يلهو فيها أترابه الاطفال ويملاؤن منافس

المعهد والبيت والشارع صياحا ويترا كضون فرحا وسداجة ومزاحا، لقد اصطنع
فورد في تلك السن (مدرسا) صغيرا مثله لطحن الحنطة، ووقف يوما في سواد الريف
بقاطرة عتيمة بالية يتطلع الى أجزائها في لهفة وعجب ثم اذا عاد إلى البيت، ذهب يكب
على قطع من الحديد، فما زال يعالجها حتى اصطنع منها قاطرة على مثال التي شاهدها
في سفره، فكان ذلك هو بركور الحافر الذي قدر له أن يجعل من ذلك الصبي
الصغير الصانع العظيم رب الملايين .

وقد رأى الناس أطفالا في الحداثة هم أكبر من أسنانهم، وأوهم في رزانة ليست
لامثالهم، وفي وقار وكراهية للعب امتازوا بهما عن رفقاءهم، وقوة ارادة لا
تنشئ عما تطلب، وشخصية بين الأقران تقتضى منهم الطاعة وتستوجب، فعجبوا من
أمرهم غاية العجب، حتى اذا شبوا عن الطوق وأدركوا شأو الرجولة ظهر السر المحجب
ووقعت الزعامة لهم في الناس والرياسة لهم في الجيل والقيادة في رأس الجماعات
وحشود الأشياء والوائقين بهم والمؤمنين .

وفي الغرب اليوم اهتمام كبير بدراسة الحوافز الشخصية في معاشر الاطفال،
ومراقبة الملكات والاستعدادات في دور الحداثة، حتى ليختبر علماءهم والباحثون
في الطباع البشرية والملكات النوارد والنباغات البادية من البكور هذه المعالم الخلقية
في الولدان، لمعرفة مختلف ألوانها فيهم وملاحظة أفاعيلها وعوارضها في نفوسهم
ومبلغ نبوءاتها عن مصايرهم اذا ما عرجوا إلى الحياة العملية ونزلوا منها المعترك
واحتواهم المستقبل والمضمار والميدان .

وهم لذلك ينتخبون جماعات من الأولاد مختلفى مناحى الصفات والميول ومبالغ
الزكاة والاجتهاد فيختبرونهم من حيث مسلك الفرد ازاء الجميع ليعرفوا أي الفريقين
المتحكم وأيهما المطيع وأي البنين أنزع الى الرياسة والتسلط على الآخرين .

وقد ظهر في أحد هذه الاختبارات النفسية أن أفذاذا قلائل من الولدان في عدد
عديد قد أوتوا بالفطرة خواص ونزعات، وميولا وصفات، هي أدنى الأشياء
إلى مزايا الزعامات، كالإيجابية وقوة الارادة والجنوح الى الديمقراطية وشدة الحيوية
وروح الصداقة والمودة وبوادر الحماسة والحمية والاشتراك مع الغير في العاطفة
والامانة واحترام الثقة والدأب والمثابرة، بينما غلبت على كثير من الاطفال نزعات
الاستخفاف وقلة المبالاة والتهيب والانزواء والمرآة بالمودة واصطناع العاطفة
والمداخلة، والآثرة والحماسة وسرعة المبادرة وكثرة التقلب والتردد والتحول

والاستضعاف أمام الظروف والمشاق والصعاب والافتقار الى الاعتداد بالذات ووهن الايمان وانعدام اليقين .

كيف يتولد الخافز الشخصي :

هذا هو السر الذي حاول العلم الشريف كشفه وأطال في البحث عنه وتعرفه، فقال العلماء: هو منزع يولد مع الطفل ناشئاً بالوراثة من الآباء، وقال قوم من الخبراء بعلوم الحياة: بل هو أثر المحيط وفعل البيئة، وذهب غيرهم أخيراً الى أنه نشاط غير مألوف في بعض الغدد، على حين قال الروحانيون: بل هو مواهب من السماء وتباين عند الافراد في الفطر والطباع وعناصر التكوين .

وفسره بعض أصحاب المذاهب فيه بأنه شذوذ عن القاعدة يعود الى زيادة في بعض القوى عن المقادير الاعتيادية إزاء نقص في البعض الآخر حتى ليس بين العبقرية والجنون غير خطوة واحدة، كما رده آخرون الى فعل الظروف والفرص والسوانح والعوامل المهيئة والاماكن الصالحة، كفرق ما بين المدائن والحواضر وبين القرى وسواد الريف في نسبة النوابع والممتازين والناهين .

وبسبيل تفاوت الحوافز الشخصية في الافراد أشار العلماء الى مختلف المؤثرات في إثارتها ومنوع المنشطات لكوامنهما ، وعديد المنبهات لايقاظها من هيجتها ، فقالوا ان المحيط الراكذ والبيئة الهامدة ، والوسط الآسن الجامد لايساعد على ابراز هذا الخافز ولا يعين على ظهوره ، وقد تتنوع أسباب الركود وتختلف عوامله ، فيكون من أثر المناخ الضاغط المجهد ، أو النظام السياسي المرهق القاتل للسلطات ، المحارب للنبوغ والاستعدادات أو الأحوال الاقتصادية التي تدفن المواهب وتثد الكفايات .

اللحظات الاخيرة ونقط الدوران :

وقد تأتى الحوافز الشخصية بالاكتساب، وتنبت فجأة في النفوس انبثاق الشباب وتستوفى على المشاعر مفاجئة ، وتدب في الأذهان طارئة ، وتستحوذ على الأذهان وتستأثر بكلية الوجدان في لحظات مباغطة لم تكن في الحسبان .

وكذلك ينبعث الخافز الشخصي في ظروف معينة تعرض للافراد ، ونقط دوران في حياتهم وسير أعمالهم ، تعطف بهم عما كانوا منطلقين اليه ، وتعذلهم الى طريق جديد لم يكونوا مفكرين فيه ، وقد يقع هذا بسبب حادث خطير ،

ومصائب كبير ، أو خطب يسير أو سبب من أهون الأسباب ، فيكون ذلك بداية طور جديد في حياة الفرد أو منعطف عند نقطة دوران .

فقد حدثنا النوابغ فيما حدثونا به ان منهم من تغيرت حياته كل التغيير لانه كان ماضياً في فرع ما من فروع الحياة ، فوقع في يده فجأة في يوم من الأيام كتاب لم يكن قرأه ، ومؤلف لم يكن يعلم من قبل به ، فلما أكب على قراءته ، استيقظ في نفسه دافع جديد أثار تأثيرته ، واستحوذ على عقله ومخيلته ، وحفره إلى سبيل غير السبيل التي كان سائراً فيها ، وبعثه بعثاً جديداً لولاه لما كان النابغة الذي أجدى على الحياة ، والمصلح الذي ساق العصر إلى الإصلاح ، ومشى به إلى الرقي والنجاح ، وكان للانسانية عامة من المحسنين .

ولا ريب في ان ذلك الكتاب الذي أيتظ مشاعر ذلك الفرد قد وقع لمئات من الشباب قبله أو بعده . ثم لم يحدث في نفوسهم مع ذلك شيئاً مما أحدث في نفسه ، ووجدانه ، واستولد من همته وانبعائه وبقينه وإيمانه ، وما ذلك الا لأن حياة أولئك الشباب لم تتصل بموضوع ذلك الكتاب ، لسبب من الأسباب ، ولم يكن في منازعها واتجاهها وأحاسيسها منبعث إليه أو مستجاب ، فعجز عن أن يحدث في نفوسهم ، ما أحدث في شعور ذلك الفرد الخافق الوثاب ، فنجح هو بهذا الهادى العجيب الذي التتى به على الطريق .

وقد كان في حياة « بوكرو واشنطن » محرر الزنوج ما يشبه هذا أو يماثله ، حتى لقد قال يحدثنا عن أثره في نفسه وفعله :

« أتذكر أنني وأنا شاب نازح إلى ولاية فرجينيا رأيت يوماً شاباً أسود وسط جمع من أمثاله يقرأ في صحيفة فاشتعل في الحال في أعماق نفسي لهيب الرغبة المتقدة في تعلم القراءة ، حتى لقد حسبت يوماً أنني لم أشعر من قبل في حياتي بمثل ذلك السعير النفسى ضراماً واحتداماً » .

وليس من شك في ان هذا الظماً كان هادئاً في نفسه وانه ما كان ليشتد هذا الاشتداد الذي وصفه لولم يقع بصره على ذلك الفتى وهو يقرأ تلك الصحيفة ، فان هذا الحادث الصغير كان كافياً لكي يحدث نقطة دوران في حياة شاب زنجى ويثير فيه الخافز الى العظمة والنبوغ وقيادة الجماهير

وقد يثير العطف أو الرفق أحياناً دافعاً شخصياً في صدر الشاب يدفع به فيما بعد الى سلوك طريق معين ، أو اعتناق مبدأ من المبادئ ، يضيف على شخصيته

ويتملك شعوره وحاسته ، فقد حدثنا الرئيس «مازاريك» كيف انتبه في نفسه إحساس العطف والحنان وهو شاب في ميعة الشباب على اليهود فكان حافزاً قويا في نفسه عند ما بلغ شأن الرجال الى تأييدهم والاخذ بنصرهم ، فقال كنا في ذات يوم في رحلة مدرسية الى بعض الجبال فلما حان وقت الظهيرة جلسنا حلقات لناكل واذا بنا نحس ان تلميذا معنا من اليهود يدعى أرنولد في الغياب لا أثر له فنهضت افترقه وعدوت في البحث عنه حتى اهتديت اليه فاذا هو في مخبأ جاث يصلي لله ، ومن ذلك الحين ظل مازاريك يحذب على اليهود ويعطف على قضيتهم حتى كاد هذا العطف في السنين الاخيرة يكلفه الحياة .

وقد تولد في «مازيني» أحد أبطال الحرية في تاريخ ايطاليا الحافز الشخصي الذي جعل منه الزعيم المجاهد في سبيل الحرية والاستقلال بسبب حادث عارض وصفه فيما بعد فقال «كنت في حداثنى أسير في ذات يوم مع والدتي وصديق لنا في أحد شوارع جنوا فاذا برجل مديد القد أسود اللحية أشعث أغبر يدلف نحونا وفي عينه بريق يخطف ، وسعرة نفس تتأظى ، وعلى وجهه أثر حمية متقدمة ان أنسى منظره آخر الحياة ، فبسط منديلا أمامنا وهو يقول في كبرياء «جودوا لاطاليا المعذبة» ، وفي تلك اللحظة انبعث في خاطري الشعور بأن هناك ظمأ في بلادى من الواجب محاربتة ، وأن على أن أساهم بنصيبى في مكافحته ، وانبعث ذلك الشعور في نفسى قويا حفازاً لم يغادرنى من ذلك الحين» .

وكم من أفراد رسموا من الشباب حياتهم خططاً ، واعتزموا مستقبلهم اعتزاماً معيناً ، ولكن ما لبثت عاطفة ما أن دبت الى قلوبهم وتمشت فى جوانحهم ، فحفزتهم الى تغيير ما رسموه والعدول عما اعتزموه . وكذلك فعل الحب بالفتاة «مارى اسكودوسكا» فقد كانت طالبة في الجامعة غفلا خالية دؤوبا على دراستها ، ولكن عاطفة الحب يومئذ سرت فى مشاعرهما ، اذ التقت بالطالب «بيير كورى» وكان هذا يدرس الطبيعة والكيمياء ، متكئاً فى الدرس ، متوفراً على العلم والتجربة يكره الاختلاط ، ولا يحب الضوضاء ، ولا يأنس الى المجامع وصخب الندوات ، فتزوجا ، ولولا ذلك لمضت الفتاة فى غمار المجتمع ، واحتوتها لجج المحيط الانسانى الصاخب المتقاذف الانواء ، ولكنها بزواجها «بيير كورى» اندمجت فيه وأخذت عنه وتلاشت فى عمله ، ولو لم يقع لها ذلك اللقاء به فى رحاب الجامعة ، لما كانت «مدام كورى» كاشفة الراديو المذكورة فى جموع الخالدين .

وقد تقع أزمات تحدث تغييرا كليا في حياة الافراد، ولعل أبلغ مثال على أثر هذا العامل في احداث الدوافع الشخصية فاجعة الاعمى «لويس براى» في الحول الثالث من عمره فقد كان الطفل يوماً يلعب في مصنع أبيه فعثر على مخرز فعبث به ولكنه ففز من كفه فأصاب إحدى عينيه فذهب في الحال بضيائها وما لبث أن فقد عينه الاخرى بسبب انتقال الالتهاب اليها هي كذلك ، ولكن العمى السكلى مع ذلك لم يتغلب عليه بل ألهمته المصيبة خواطر لم يكن يحسها من قبل وأوحى اليه بأفكار لم تكن في حسبانته فراح يحصر عقله وتفكيره في ابتداع حروف تعين العميان على القراءة ، فما زال يجاهد ويدأب وينسكش في تجاريبه حتى اخترع طريقة صالحة سميت من بعد باسمه (طريقة براى) فكانت الفاجعة حافزاً شخصياً خلدت اسمه في صفحات المبتكرين والمخترعين

وقد يعرض أحياناً لفرد يعيش في نعماء ويتقلب في سراء ، ويحيا في « حجر الآلهة » كما يقول الغريون ، ما يحفزه إلى قلب حياته ، وتغيير مجرى معيشته ، وقد برز هذا كل البروز في حياة الفيلسوف «تولستوى» إذ كان لا يزال بعد طالباً في السككية ، وفيما هو عائد ذات ليلة من مرقص في صميم الشتاء ، والزمهرير الشديد ، والقرايمراً الأبدان ، إذ رأى سائق مركبته - وكانت في انتظاره - قد جمد في مكانه من شدة البرد وقرته فتأثر غاية التأثير ، ومضى وهو في المركبة عائداً إلى داره يسائل خاطره قائلاً « لماذا ينعم هذا الذي ما أحسن يوماً في شيء ولا عمل صالحاً ، ولا أجدى على المجتمع ، بكل المناعم والمزايا التي هو بها مستمتع ، بينما هذا السائق وأمثاله من أبناء الشعب الذين يؤدون أشق الاعمال ويحملون المجتمع كله على ظهورهم : يعيشون جياعاً تطحنهم الفاقة ويهرأهم الزمهرير » وقد أولد هذا الحافز الجديد حافزاً قوياً في نفسه حمله على أن يتنازل عن فكرة الطلبات وخلق منه فيلسوفاً جديداً ، ونصيراً للفلاحين ، ومتحدثاً باسم الجماهير ، وذو اداً عن حقوق الشعب في الحياة والوجود

وقد كان نبوغ المخترع العظيم «توماس أديسون» راجعاً إلى تأثير حادث صغير عرض له وهو في دور الحداثة، فقد كان يشتغل ببيع الصحف في القطارات، ففي ذات مرة وهو يخترق القضبان الحديدية، بصّر بطفل يلهو عن كسب ، وقد أوشك أحد القطر أن يدهمه فألقى أديسون برزمة الصحف جانباً في مثل خطفة البرق وعدا

نحو الغلام فاحتمله قبيل أن تدممه القاطرة ومضى به الى أبيه، وكان هذا ناظر المحطة فأراد أن يحزبه أجر ما أحسن اليه فأذن له بالجلوس في كل يوم بضع ساعات بمكتب الشغراف ، ليتعلم هذا الفن على عماله، وكان ذلك الحادث هو الذى أولد في نفسه الحافز القوى للوثاب الذى جعل منه على الدهر أكبر مخترع فى العصر الحديث ، ويمتد بنا نفس البحث وتترامى حدود الكلام اذا نحن فصلنا الامثلة على تولد الحوافز تفصيلا ، فحسبنا أن نجتمع الى ما بيننا جملة من البواعث نعرضها فى غير تمثيل. فقد يكون المرض حافزا، وقد تكون الهزيمة الاولى فى مطالع الحياة العملية دافعة الى التغيير وتجديد القوى والعزمات، وقد تكون سرعة الملل من الحوافز التى تدفع بالانسان الى الاهتمام الى الامر الذى يرضيه أو الفن الذى يستريح اليه أو الصناعة التى يحسن فيها أعجب الاحسان .

وفى أحلام الشباب وتصورات الجدائة وأمانى الصبا أكبر الحوافز وأقوى الدوافع الى النبوغ وإتيان العظام والاجداء على الانسانية وإحداث أكبر الحسنات فى خدمة المجاميع .

أثر الحوافز الشخصية فى تطور الاصلاح الاجتماعى :

وقد بينا فيما أسلفنا من هذا البحث شواهد على تنوع الحوافز وهولداتها، فكانت هذه الشواهد ذاتها منطقية على نواحى ظهور آثار هذه الحوافز وميادينها كالاختراع والفلسفة والعلم ومختلف فروع الحياة كما هى فى المواهب النفسية التى ترتفع الى أمكنة الرياسات والزعامات وقيادة الشعوب ورسالات المعلمين والهداة والمصلحين ان النهضات العامة هى وليدة الحوافز وثمره هذه الدوافع التى تجيش فى صدور الأفراد ، بل قد تكون مجرد أخيلة فى بدايتها ثم تتحقق فى النهاية ، وقد تنشأ مترددة ثم تجد الشجاعة رويدا رويدا فتمشى بخطوات ثابتة الى الغاية التى تنشدها والغرض الذى جعلته هدفا والعمل على الحسن الذى تتوخاه لمصلحة المجموع

وقد كان للحوافز الشخصية أكبر الاثر فى ترقية مستوى الجماعات، بل ان بناء الامم هو من صنع هذه الحوافز وعملها ونشأة الحضارات عن وحيها وتوجيهها وفعالها، وأكثر القوانين وضروب الاصلاح ووجوه التحسين فى ميادين الصناعات والتجارة ومختلف المهن والحرف هى من نتاج الدوافع المتولدة فى الافراد غير الاعتياديين .

كل هذا الذى نشاهده فى حياتنا الحديثة كان مجرد أفكار وتصورات فى أدمغة الذين دأبوا وانكشوا وأكبوا على التجارب والبحوث والدراسات حتى اهتموا إلى وسائل تنفيذها ، فتلقاها الناس يومئذ مبهورين .

لقد قهرت هذه الحوافز قوى الطبيعة وكشفت أسرارها ، وأحدثت علوماً جديدة ومخترعات طرائف ، وأقامت مؤسسات عظيمة ، وأنشأت صروحاً عالية ودفعت بالجماعات الانسانية إلى الامام ، وغيّرت وجه الحياة ، ونقلت الأمم من طور إلى طور وحال إلى حال ، وبنت فأحسنت البنيان .

ان الذين دفعت بهم الحوافز الشخصية إلى العمل والدأب والاجادة والافتتان هم الذين رفعوا الجماعات فوق مستواها ، وهذبوا الحياة الاجتماعية أعجب التهذيب وان اكتشاف الكهرباء والمغناطيسية ومستحدثات الكيمياء وعلوم الطب والرياضة والفلك والعمارة والهندسة والبناء ، وكبار أساتذة الموسيقى والغناء ، وكل ما تزرخ به الحياة الانسانية من آلات وأدوات ومخترعات وثقافات - كل أولئك للحافز الشخصى فيها أكبر الأثر وأعظم السلطان

ان الحياة قد أصبحت مطوقة من جميع جهاتها بمختلف الدوافع الفردية التى تجيش فى الصدور وتريد الاعلان عن ذاتها وقواها ، بما تحبثه من اصلاح وما تؤديه من رسالات ، وما تخرجه من جهود وثمار مختلفة الألوان .

بل لقد تقدمت الحوافز الشخصية بأصحابها قدما فى طريقهم إلى الحياة العليا التى ينشدونها : واستحدثت الأحداث السكبار التى كانوا يبتغونها وكثيرا ماتم لهم ذلك على حساب نفوسهم . فذهبوا ضحايا وفديات للأمم . وقرايين من أجل الخير العام .

ان فضيلة الحافز الشخصى هى فى الهامه الشجاعة . وقبوله البذل . ونسيانه الانانية وتلاشيه فى الفكرة واستغراقه فى سبيل الغاية والغرض المنشود

ومالنا نذهب الى التعميم ، وفى نهضتنا الحديثة على أفاعيل الحافز الشخصى وعوامله وآثاره ونتائجه أحسن الأمثال ، وفى عشرين سنة أو قرابتها ، استطعنا أن نحدث نهضة طيبة فى مجموعها ، وحركة اجتماعية مختلفة النواحي والضروب . يرجى مزيد الخير والتقدم لها اذا عرفنا كيف نتمهد هذه الحوافز ونرعى هذه الدوافع ونربى هذه الملكات

فى عشرين سنة أو نحوها تقدمنا سياسيا ، بفضل الحافز الشخصى ، الذى

دفع بسعد زغلول إلى قيادة أمتة إلى الجهاد الوطنى فى سبيل الحرية والاستقلال، وهو الذى حفز صحبه والشباب النوابغ الأقوياء الذين التفوا حوله ، إلى السير معه والجهاد بجانبه ، والكفاح تحت رايته ، والدفاع عن حقوق الوطن وكرامته، فأحدثوا حركة وطنية رائعة جميلة غمرت الجيل وشملت الملايين

ومنذ نشأت هذه النهضة الوطنية ، قامت بجانبها التضحية ، وبرز أثر الدافع الشخصى فى مختلف نواحي الحياة . فغادر قوم مراكرهم . وطرح آخرون مناصبهم . مستجيبين لهذه الحوافز الشخصية التى أولدها الروح الوطنى الذى سرى فى جميع أنحاء البلاد . واشتمل على أرواح المتعلمين وغير المتعلمين

ومنذ قامت الحركة الوطنية عندنا تنوعت الحوافز الشخصية المهمة للنفوس ، المادية للحمية فى الصدور ، واختلفت الدوافع الذاتية وتكاثرت وتوزعت على جميع فروع الحياة ، فاذا بأفراد يبدأون برؤوس أموال صغيرة فى ميدان التجارة ثم يدفعهم الخافز الشخصى تحت ظل الروح الوطنى المستكن فى النفوس ، الملهم الغيرة على الوطن ومجده ، وخدمة الوطن والاجداء عليه والبر به والاحسان اليه ، يدفعهم هذا الخافز الجياش الوثاب فى صدورهم ، الى البروز وتنمية مواردهم ، فلم يلبثوا غير بضع سنين حتى اشتهرت متاجرهم ونمت وازدهرت وكانوا النوابغ العصاميين .

لقد أولدت الحوافز الشخصية فى الواقع عصاميات كثيرة متعددة النواحي ، بارزة فى ميادين الاقتصاد والعلم والادارة والصناعة والسياسة ومختلف الاعمال وكم من أفكار وآراء ومشروعات كانت فى بدايتها مجرد أحلام وعلاوات ، ومحن امان وتصورات ، ثم احتشدت لها الحوافز الشخصية فى الصدور التى سرت فيها ، والجوانح التى تمشت فى نواحيها ، والعقول التى خطرت لها ، والأذهان التى حلت بها ، وتعهدها الحركة الوطنية المشرفة على كل شىء ، المشجعة لكل عمل صالح ، فاذا هى تخرج الى الوجود صغيرة فى بدايتها ، متواضعة فى نشأتها ، لتجد النجاح فى انتظارها ، واذا النجاح الباكى يذكر الحوافز الشخصية التى دفعت اليها ، فهى تربو وتزكو ، وتتوطد وتستمكن ويرتفع منها الصرح ويعلو بها البيان .

لقد ازدهرت الصناعة الوطنية بفضل هذه الدوافع ، ونمت المؤسسات الصناعية، واطردت التقابات والجمعيات الزراعية فى سبيل النجاح والنماء، وكثرت المؤسسات الخيرية ، وربت أعمال البر والخدمات الانسانية ، وأنشئت معاهد الفنون ،

و تعددت ألوان الثقافات ، و ظهرت عجائب المواهب و نباغة النابغين
في مصر اليوم حياة جديدة من فضل هذه الحوافز و قواها ، و نهضة طيبة من
سقيهاها ، و رعاها ، و لم تكن لتروح نامية ، و تسير بخطوات أكيدة آوية ،
و تتقدم بشجاعة و جرأة عالية لولا قوة هذه الحوافز و ما تثير في النفوس من وقدة
النشاط و سعي الحمية ، و ما تلهبه من روح العزم و التصميم و تكسبه من قوة الشجاعة
و الاقدام و المثابرة و الاصرار على المسير ، و الثبات و الايمان بأن النجاح ميسور
و الجهد حتما بالغة الغرض المنشود

في عشرين سنة أو تزيد استطعنا أن نحدث هذه النهضة العامة ، بفضل الروح
الوطنى الذى تعهد النافون فيه و بثه في البلاد الزعماء السياسيون ، سعد و صحابته
و خليفته و انصار مبادئه و المؤمنون برسائله الوطنية و عقيدته . بل في هذه الفترة
القصيرة بالنسبة لمقتضيات بناء الأمم و تكوين الشعوب و احداث الحركات العامة ،
تيسر لنا أن نوجه هذه النهضة و ان اعترضتنا الصعاب الشداد ، و واجهتنا مختلف
القيود ، و اعتورت طريقنا منوع المشبطات و المغريات بالرجوع إذ وجدت هذه
النهضة خصوما لها في كل ناحية ، و استهدفت لعوامل مقاومة سرأ و علانية ،
و ظروف مضادة على الأيام متوالية ، و أعداء يكيدون لها كيدا ، و يبذلون في سبيل
تعطيلها و تعويقها أموالا و جهدا ، و يحشدون للقضاء عليها وسائل متعددة و يحاولون
أخذ الطريق عليها بأية سبيل . . .

على رغم هذه العوامل المعاكسة استطعنا أن نقيم هذه النهضة العامة ، فماذا نحن
مستطيعون إذا لم تغش الميدان هذه العوامل ، و لم يبق لها من وجود ، بل ماذا
سيكون غدا من أمرنا ، و تولد الحوافز الشخصية في نفوس شبابنا إذا نحن عرفنا
كيف تتعهد هذه الحوافز بالعناية الواجبة لها ، و نرعى هذه الدوافع الذاتية حق
عنايتها و نيسر لها جميع الوسائل إلى غايتها ، و نحسن توجيهها إلى النجاح و نرتاد لها
مناجع التوفيق .

في ظل الاستقلال التام ، و الحرية الكاملة ، تتكاثر الدوافع المهمة ، و تربو
الحوافز الدافعة إلى الأمام ، و تستبق الملكات الرفيعة و المواهب الطبيعية إلى مختلف
المضامير و الآفاق و الميادين .

الوسائل العملية لتوجيه الحوافز نحو المصلحة العامة :

لقد رأينا مما عرضنا من صور الحوافز الشخصية ان نوعاً فطريا أو موهوبا

منها تظهر بواذره من الحداثة وتطل مقدماته من نوافذ الصبا ، ويبدو من الطفولة حتى في ملاعب الأطفال ومراتع ولدان ، فلهذا النوع من الحوافز ، وهو خيرها وأفضل صنوفها ، وأصلح ضروبها ، تنبغى العناية في البيت ، ويجب التعهد لها والعمل على تسميتها في دورها الباكر ، ومراحلها الأولى ومظاهرها المستبقة ، فلا يعترضها الآباء ولا يحولون دون ظهورها ، فقد رأينا كثيراً منهم يغلبون رغباتهم في سلوك أبنائهم في ناحية معينة في الصناعات أو الوظائف أو أساليب الرزق على استعدادات الأطفال أنفسهم ويحاربون هذه الحوافز من النشأة بقسوة أو يهملونها أشد الإهمال ، أو يعاقبون الأطفال عليها ، وينكلون بهم أعنف التشكيل فتتأود هذه الاستعدادات من الصغر وكانت فارغة لو تركت ناضجة على الأيام .

ليترك الآباء التدخل في حوافز الأطفال وليعلموا أن تدخلهم لن يبلغ بأطفالهم الشأو الذي يحلمون به ، ولو بلغوه لما كانوا فيه النوابع الصالحين ، لأن كل رجل في غير موضعه لا يأتي بخير ، وكل استعداد معين يخنق من الطفولة يفسد الفرد ، ويرد عليه أسوأ مرد ، في عهد الرجولة والحياة العملية ، وقد رأينا بالعكس آباء تركوا الحرية لبنيهم من النشأة وفق ملكاتهم وحسب استعدادهم ، ومسايرة لرغباتهم وحوافز خلداتهم ، فكان من أولادهم فيما بعد نوابع صالحون ، وأرباب مواهب بلغت بهم قمة النجاح .

وقد شهد عظماء كثيرون ونوابع عدة فيما تحدثوا به إلى الانسانية عن نشأتهم بفضل آبائهم عليهم ، ورعايتهم لحوافزهم الشخصية من حداثتهم ، حتى لقد قال عظيم أمريكي في بعض اعترافاته إذا كنت قد أحدثت شيئاً خليقاً بالذكر في هذه الحياة فاني مدين به لابي ، فقد كان هو ملهمي ورائدي ، ومرشدي والنافخ في حافزي النفسي حتى اهتديت إلى الطريق .

والذين تتبعوا أو قرأوا سيرة «غلاستون» أدركوا بلا ريب الأثر الكبير الذي أحدثته والده في تكوين حياته ، وأعانتته على اكتشاف طريقه ، ومع أن الرجل لم يكن سوى تاجر أو من أصحاب الأعمال ، إلا أنه ترك لولده سراح المدى وحرية النشأة ، ونوع الكتب التي يقرأ وصنوف الدراسة التي اختار لنفسه ، وراح يشجعه عليها تشجيعاً ويدفع به تنشيطاً ودفعاً إلى الأمام .

وقد اعترف الرئيس «ويلسون» بأن والده هو الذى هيا له السبيل الى ابراز مواهبه ، و اظهار استعدادده من الشباب .

ولسنا نفسى كذلك أثر الالمات فى تكوين ولدانهم وتنشيط حوافز أبنائهم ، وقد رأينا المخترع «أديسون» يعترف بأن أمه كان لها الفضل فى ايقاظ دوافعه وكوامن مواهبه ، كما شهدنا كثيراً من العظماء والنوابغ اعترفوا فى ذكريات صباهم بما كان لالماتهم عليهم من فضل فى هذه الناحية ، أمثال كارنيجى وفردريك فرويل مؤسس فكرة رياض الأطفال «الكسندر جارتن» بل يكفى أن نذكر ما كان لوالدة «واشنطن» محرر أمريكا الخالد ، من حسن الأثر فى إثارة حوافزه وعظيم الفضل فى نباغته ورياضته على الزعامة ، وحفز سائر المواهب الرفيعة فيه ، حتى بلغ أوج العظمة وذهب فى الخالدين .

وقد ينبجلى الحافز الشخصى فى حركات الحدث ومخايله ونوع دراسته وميله إلى كتب معينة وظهور نجاحته فى علوم بذاتها ، داخل فرق الدرس فى معهد التعليم ورحاب السكايه ، فلا يعود ينتفع بغير العلم الذى بدا ميله اليه وأقبل بكليته عليه ، ولا ريب فى أن من واجب المدرسة أن تتعهد هذه الحوافز بالعناية ، وترعاها بكل ما ينبغى لها من الاستنبات والازكاء والتربية ، وهذا يقتضى فيما يقتضى تنظيم التخصص والتوسع فى هذا التنظيم واستكمال أبوابه وسد وجوه النقص فيه والتفكير فى سائر الوسائل التى تترقى بها الكلمات الخاصة ، وتنمو بها قوة الحوافز الذاتية وتجدر الطريق معبداً أمامها إلى حيث ترى المجال الواسع والندحة المترامية .

ولسنا نشك فى أن نظام البعثات العلوية إلى الخارج لم يؤد كل ما كان منتظرا أن يؤديه من الفائدة العامة بل لقد انفقت أموال طائلة على بعثات من اجل دراسات معينة ثم عاد الطلاب بعد اتمامها فلم يدفع اليهم بالعمل المتفق مع دراستهم المسابير لحوافزهم فاخترقت مواهبهم وضاعت المنفعة الاجتماعية التى كانت منشودة من ايفادهم بل لقد جرى بسبيل ذلك ما يستحق العجب ويثير السخرية فان شبابا تلقوا العلوم العسكرية فى كلية «أساندهرست» أو أكاديمية «وولوتش» الحربية فى انكلترا فلما عادوا لم يعهد اليهم بما يبرز فضل هذه الدراسات العالمية بل أصبح منهم السكتبة والمشتغلون بأعمال هى أبعد ما تكون من حوافزهم ودراستهم التى تخصصوا فيها وقضوا عدة السنين .

وفى خريجي البعثات العلمية من أمثال هذا الذى ذكرناه شواهد كثيرة تدل على أن هذه الناحية من الدراسة لم تؤد غايتها ولم تثمر ثمرتها ، ولم تتجه الحكومة بنتائجها نحو متطلبات الصالح العام .

وقد رأينا بيننا نوابغ موهوبين فى الصناعات ومختلف العلوم الطبيعية كما عرف عن شعبنا الذكاء وسعة الخيال وخصوصية التفكير ، ثم لم نخرج بعد مخترعا واحدا . ولم يبرز بيننا أحد من المبتدعين ولا نحسب ذلك راجعا الى تقصير النبوغ المصرى فى هذه الناحية وانما هو عائد الى قلة التشجيع بل الى انعدامه وفى المصانع الاهلية وغير الاهلية صناعات اذكىاء متفنون أو توائم لمسكات وحوافز شاردة لا تجد الهادى الذى يعطف بها الى الناحية المنتجة والسبيل القويم والميادين المثمرة ولو وجدته لكان من نباغاتها وأفانينها ضروب من الخير وألوان من الاحسان .

التشجيع المادى هو الذى يأخذ بأيدى المواهب النادرة ويبرز كوامن الاستعدادات ، فلو أن الحكومة عنتت بتقرير كبار الجوائز فى مختلف الصناعات وميادين الاعمال لحدثت غورة صالحة فى حركة العلم ومجال النبوغ بل لا يكفى أن تتقدم الحكومة وحدها فى هذا السبيل وانما ينبغى أن يشترك الشعب معها ويعنى بذلك كبار أغنيائه لتكوين لدينا جوائز على نسق جوائز نوبل وغيرها مما حفلت الحياة فى الغرب به وساهمت طبقات الأغنياء وشركات الصحف ومختلفات المعاهد فيه فان ملكة التقدير لاتزال تنتقصنا وأساليب التشجيع والاحتشاث والازكاء لاتزال فى البداءة لم تستوف نصيبها من العناية والاهتمام .

وفى البلاد كفايات ومواهب كامنة ، وحوافز دفاعة صالحة ، ولكن كثيراً منها يذبل وشيكا لقلة التعهد ، والافتقار الى الرعاية ، وظمئه الى الماء ، وحاجته الى الغذاء وإيثار العجزة والاعتياديون بسبب شيوع الاحتساب والأخذ بالوساطة والاستماع الى الازدلاف وملق المالكين .

ولكن فى ظل الديمقراطية الصحيحة وتحت الحكم النيابى المكتمل المزدهر ، وبنعمة الاستقلال ، وبقوة الدستور ، يتيسر الارتفاع بالمواهب ، وتنشيط الحوافز الذاتية ، واثارة هواجس الملكات ، واحلال العامل الصحيح فى الموضع الصحيح ، وتقدير الكفايات بما تستحق ، فان الديمقراطية هى النظام الاوحد الصالح لتنمية الملكات وتشجيع الكفايات والقضاء على عيوب النظام العتيق ولم نتعرض فى بحثنا هذا للحوافز الشخصية الشريرة ، والتوازن الذاتية السوأى ،

لأن المفروض من عنوان هذا الموضوع أن الحوافز الطيبة الخيرة هي المرادة به المطلوب قصر الحديث عليها ، ولكن ليس من شك في أن الحوافز الشريرة التي تسوق بالافراد إلى الجريمة لا تزال قابلة للإصلاح ، وفي الامكان حملها على التوجه إلى الخير ، ورياضتها على الاستقامة في طريق الصالح العام ، فان العقاب الذي يوقعه المجتمع على الجناة ينبغي أن يكون المراد منه اصلاحاً ، لا انتقاماً ، وعلاجاً لا اهاجة للمرض ، وتمكيناً للعلة والداء .

ولقد توجهت عناية المصلحين الاجتماعيين أخيراً إلى دراسة أنظمة السجون حتى تعالج هذه الحوافز وتراض على الخير ، وقد رأينا أخيراً كيف فعل الحافز الشخصي بتصاب في السجن فقد خلق منه مثالا مجيداً تستحق دميته وتماثله الظهور في المعرض العام .

هذا وجه من الكلام في هذا البحث الدقيق ، فلتتقدم إلى وجه آخر منه ، فان الكلام يحفز الكلام .

حاجة العصر إلى الحوافز الشخصية :

في كل ناحية من الدنيا اليوم ترتفع الصيحات منادية أين الحوافز الشخصية ، وفي كل فرع من فروع الحياة العصرية ، كثر الطلب اليوم على العوامل المحركة ، والقوات الدافعة والعناصر المشرفة السامية ، والبواعث النفسية القوية ، التي تلهم الناس الطاعة وترد اليهم الايمان بأنفسهم بعد إذ وهن وتوقد فيهم نار العزم بعد أن خبا وسكن ، وتسوق بهم إلى الخير مطمئنين ، وتهديهم إلى المثل العليا فينطلقون إليها وكأنهم في موكب مهرجان غير منزوين من كثرة التكاليف ولا من ألم الحرمان ، ويسيرون على هدى هذا الحافز الماثل لهم خفافاً هزأئين بالصعاب ، يحدوهم اليقين بالنجاح والايمان ، ويشد من نفوسهم المجاهدة بسعة الحافز لهم وتشجيعه ، وصوته النفاذ في أرواحهم إلى القرار المسكين .

كم من أفكار طيبة وآراء سديدة محبة وكفايات جميلة زاهية الالوان تتزاحم على الجماعات وتتراقص أمام الاذهان وتبدو فاتنة ساحرة البيان ، ثم لا يزال الناس يتمثلونها في سكرات الخيال ، وينظرون إليها نظراتهم إلى المحال ، ويحسبون تنفيذها ضرباً من ضروب الاحلام ، ويعدون لها من خالب الكلام أو من زخارف الأقوال ، فاذا ما ظهر الحافز الشخصي وراء فكرة منها منادياً إليها مستحثاً الجماعات على الاقدام عليها ، تؤثرت النفوس واستحثت المشاعر ، وتوقدت العزمات ، وبدأ المسير إليها ،

وأذن الرحيل وراح الناس ينطلقون نحوها وهم مؤمنون مقدما بأنهم بالغوها آخر الجهاد في سبيل النضال .

لقد أصبحنا نعيش في عصر الحوافز الشخصية، فإن كل ناحية من نواحي الحياة الاجتماعية تقتضيها وتبحث عنها وتتمسكها وتنتظر وصولها وترتقب ظهورها، وما ذلك إلا لأن الفرد قد أصبح يحيا ويتحرك ويعتمد في حياته على الجهود المشتركة، ويجد نفسه وسط مجاميع متماونة وهيئات متآزرة، وما من ناحية من نواحي الحياة الاجتماعية إلا كان مجهود المجمع هو مظهرها الغالب وطابعها الظاهر وصفتها العامة، بل تعدت هذه الظاهرة أيضا إلى الناحية الفرحة الالهية من الحياة، فغمرت الأندية والمجامع الرياضية وفرق الألعاب واللاعبين .

وكل إنسان يلتحق بجماعة يشعر عند التحاقه بشيء من الدهشة والخوف والنفور، ويحس كأنه واغل عليها أو لا حاجة إليه، أو لا يدري أين محله من الصورة، وفي أى موضع منها يليق به أن يكون ، وهذا يقتضى مجهوداً خاصاً من جانب فرد في الجماعة في سبيل حمل القادم إليها على نفى هذا الشعور والتغلب على هذا الاحساس ، وهذا المجهود في توحيد مشاعر الجماعة وتوثيق روابط أفرادها لا يتوانى إلا بالدافع القوى والحافز الشخصي أو الفرد الذي يستطيع أن يتجه بها إلى الغاية التي جمعتها من بداية المسير ودور التكوين .

الحافز الشخصي هو اذن القوة المشرفة على الجماعة لتعاون وتآزر في سبيل تحقيق غاية معينة وتنفيذ غرض مشترك ، وهذه القوة المشرفة الموجهة الهادية هي الزعامة ، أو سلطان الزعماء على الجماعات في سبيل تحقيق الخير العام ، ووحدة المقاصد والأغراض ، أو هي تلك القوة النفسية المؤثرة في الروح ، الجامعة في يدها لكل قواها ، وموارد نشاطها ومستودعات مواهبها ، الدافعة بها نحو غرض واحد وغاية عامة ، العاملة على أن يؤمن كل فرد بأن مصلحة الجماعة ينبغي أن تتقدم على مصلحته، وأن المثل الأعلى يقتضى اختفاء الأثرة ورياضة النفوس على الغيرية ، والاستعداد للذل والتضحية ، والفديات والقربان .

ان الجماعات إنما تعمل ، وتتقدم وتربو وتزدهر بفضل اتحاد الجهود الفردية ، والاتفاف بالرغبة الصادقة المنبعثة من قلوب الآحاد الذين يؤلفونها ، واستخدام القوة الخفية المتولدة في نفوس الافراد الذين يكونونها ، وهذا يقتضى أن يكون للجماعة روح معنوى دافع ملهم يجمع جهودهم كلها لتحقيق الغاية العامة ، كما ينبغي

أن يكون الزعيم هو الذى يخلق فى الجماعة هذا الروح ، ويبلّثه ، وينميه ، وبغير الزعامة الحائثة لا يمكن أن يكون للروح المعنوى وجود حقيقى .

وإذا صح أن النهضات العامة فى أغلب الأحيان هى ظل رجل واحد ، وثمر زارع مفرد ، فلا ينبغى أن ننسى أن نجاحها وفوزها ، وتوفيق هذا الزارع الأكبر ، والغارس المثمر ، هو أيضا فضل من حماسة الجماعة الطائفة له وغيره الجماهير المتأثرة به ، وصدق انبعث الناس على هداه ، وحرارة المشاعر التى زكاها فى النفوس ، والتى ناداها فوجدت فى البيئة والوسط ، جوع المستجيبين والمذنبين . ان هذه الحماسة ليست فى الواقع وليدة الارشاد والتوجيه ، كما هى نتيجة دعوة عامة ، واستجماع لسكل قوى الرغبة فى القيام بعمل صح الاعتقاد بخطره ، وتم الايمان بنفعه ، وحاجة الحصر اليه ، هى التى يغذيها الزعيم ، ويتعهدا ويسقيها ، ويرعاها ، فتنشأ من ثم هذه الحماسة المتوقدة التى تشمل الجماعة ، وتدفع بها إلى السير على حسدائى الايمان واليقين .

ان عمل الحافز الشخصى أو مجهود الزعامة يحدد مبادئ ، ويشمل عديد وجوه ، فهو الذى يضع التصميمات ويرسم الخطط ويحدد السياسات ، ويعين المناحي والأساليب ، وهو الذى ينظم جهود الجماعات ، ويوزع النفوذ والمسؤوليات ، ويراقب البوادر والمقدمات والظواهرات ، ويشرف على الحركة الاجتماعية والتقدم العام ، كما هو يدرّب الذين يلتفون حوله على حمل الاعباء والاضطلاع بالتبعات ، بل هو أخيراً الذى يبعث قوى الافراد جميعاً ويحفز كافة المواهب الكامنة ، والنباغات الهاجعة والمزايا المستكنة ويثير الكفايات ، لتشارك فى الغرض العام ، ويغمرها روح واحد وانسجام ، لأن هذا الانسجام هو خلق جديد فى ذاته لقوات جديدة ، تكون بمثابة احتياطى ومدخر ومستودع زاخر لا ينفد منه المورد والمعين .

الحافز الشخصى هو الذى يرفع القوى العاملة فى الجماعة إلى مستوى سامق ، وهو الذى يرد الموافقة السليمة رضى ايجابيا ، ويحيل النفور رغبة والسكون حركة ، والبرودة اشتعالا ، والفتور حماسة ، وقلة المبالاة اقتناعا وايمانا ، والجمود عملا ، والخصومة مودة ، والعداوة مقلمة الاظفار ، بل ان أثر الحافز الشخصى هو أشبه شئ بفتح السيل الكهربائى الذى يحرك مختلف أجزاء الآلة الكهربائية وأجهزتها الدقائق ومركباتها المتعددة ، فتؤدى كلها وظائفها وتبرز طاقتها وتحدث حدثها المطلوب .

وليس من شك في أن الافراد في الجماعة انما يتحركون بالدوافع الجنسية ويندفعون بالبواعث الروحية، فتنشأ من هذه الدوافع والبواعث قوة اضافية ومحركات جديدة، وتحشد قوات أخرى لم تكن في التقدير من قبل والحسبان .

ماهية الزعامة أو الحافز الشخصي :

في الرابع من شهر مارس سنة ١٩٢٣ عندما خطا فرانساكين ديلا نوروز فلت الى الميكروفون ليلقي خطبته الافتتاحية كرئيس للولايات المتحدة ، كان يواجه بلدا غمرته الفوضى وهبطت روحه المعنوية ، وشاع الاضطراب في محيطه ، وفيما كان صوته يرن واضحا وثيقا مطمئن النبرات متزن النغم ، وهو يقول إن أخوف شيء في هذه الحياة هو الخوف نفسه ، وبينما كان يشرح للشعب معالم السياسة التي اعتزم تنفيذها، والخطة التي ينتوى العمل بها ، كان قلب الشعب خافقا وحماسته بالغة واستجابته سريعة وتلبية مؤاتية مبادر، حتى لكأن عاطفة أمة بأسرها قد تغيرت خلنا جديدا في ليلة واحدة، وما ذلك الا لأن الجماهير أدركت في تلك اللحظة أن قد برز لها رجل قوى ببرنامج عملي حسن اذا تنفذ، محمود النتائج إذ التحق، فلم يلبث هذا الادراك أن أوجد شجاعة جديدة وإيمانا قويا طريفا يحفزها الى الاتجاه صوب الطريق الذي أشار اليه والاندفاع نحو السبيل الذي رسمه لمسير الملايين .

لقد شعر الناس يومئذ أن زعيما جديدا قد جلس الى الدفة ليتجه بالسفينة شطر ساحل الأمان ، بل لقد أحسوا يومئذ أن حافزا قويا قد برز لهم يدفع بهم الى التقدم في شجاعة وثقة واطمئنان، فها هي الزعامة إذن، أو ما هو الحافز الشخصي في التعريف والتعيين؟ الزعامة هي المقدرة على التأثير في الجماعة البشرية ، لحملها على التعاون والتآفر في سبيل تحقيق غاية ، تدرك هذه الجماعات أنها أصلح شيء لها ، ووفق أمانها ، ورموز آمالها ، وبمجموعة رغباتها ومطالبها في الحياة ، وقد يكون هذا التعريف جديدا ، إذ قد شاهدت الدنيا قبل اليوم زعامات، وحوافز شخصية ، من غير هذا الطراز، ولا نزال نشاهد في بعض البلاد أمثلة لا تندمج تحت هذا التعيين ، زعامات آمرة ناهية ، حاكمة طاغية ، حتى في الخير واليه ، وحتى بالعنف والحمل عليه ، أي قد خلت من الشرط الأول الذي أتم به الزعامة الهادية ، ويستكمل به الحافز الشخصي القويم المستجاب له في غير اصطناع ، الملبي في خير غضاضة ولا كظايم ألم ، وهذا الشرط هو أن يقابل هذا الحافز رضوان الجماعة ، ويتلاقى عندها مع الانبعاث الصادق والطاعة، اذا أصبحت فكرة الزعامة ، أو الحافز الشخصي في النظام الديموقراطي

والحياة والنيابة ، متركة في هذا المعنى بالذات ، قائمة على هاتين الدعامين المتقابلتين ،
رضوان المقودين وتوجيه القادة والموجهين .

كيف يتوافر الحافز الشخصي ، أو كيف تظهر الزعامة :

تقوم الزعامة عند حاجة الشعب اليها ، ويظهر الحافز الشخصي في الوقت الذي
يتلفت الناس حولهم باحثين عنه ، ملتصقين بموئنته ، فقد رأينا روزفلت وكوليدج
يبرزان في موضع الزعامة في مواقف الخطر العام ، وساعات الفزع المنتشر ،
وبمتهى السرعة الواجبة لتلافيه والدافع الملح إلى معالجته ، لقد اقتضت الظروف
زعامة منشئة ، بانية مصلحة فوجد الناس في روزفلت مطالبها فارتضوه لها ،
وكان الزمن معه فظهر ، والظروف السوانح مؤاتية فظهر ، وكانت رغبة الشعب
بادية ، فتقدم ليملأ الفراغ ، ويحتل المكان .

وفي حياة غاندى ، وسعد زغلول ومصطفى النحاس يتمثل عنصر الظرفية الزمنية
والمكانية ، هذا العنصر المناسب الملائم لتكوين الزعامات تلبية لمقتضى العصر .
وحاجة الجيل ، ومطالب التوجيه ، والتهيئة والأعداد ، بل كانت السفينة بحاجة
إلى الربان ، فاهتدت إلى القبطان .

وليس من ريب في أن هناك أمثلة لزعماء متعددى الصيغ والشكول والالوان ،
ولكن الواقع ان كل زعيم هو نتيجة اجتماع ظروف الزمن ومهيات الموضع ،
والمزايا النادرة فيه ، والخواص الرائعة التى تصطفيه الجماهير من أجلها وتحتيته ،
وليست واحدة من هذا كافية لقيامها ، ولا وجودها كفيلا بإظهارها . وانما
لابد من التلازم فيها جميعاً والاقتران .

وهذا من شأنه أن يجعل القائد خادماً للمقودين . والزعيم مولى للشعب وعلى
عهدهم الحريص الأمين ، أو هو المرشد الذى يهديهم إلى تأدية الغرض المطلوب ،
وتحقيق الفكرة المرسومة ، وبلوغ الهدف المقصود ، ولعل الزعيم الفرنسى الذى
رأى الجماعات التى تولى زعامتها وقيادتها تتخاذل وتهاون دون بلوغ غرضها ،
فقال ينبغى أن أتبعهم مادمت قائدهم ، كان على بعض الحق فى منطق عذره ، وعذر
منطقه ، ولكن هناك بلاريب مواقف ومواطن تعتبر فيها المصارحة بهذا الشعور
أو المكاشفة بهذا الإحساس من جانب الزعيم أو القائد خيانة لمبادئه السامية ،
وتخلياً عن مثله الأعلى ، واستخذاء أمام الصعاب ، ولكن يبقى مع ذلك الواقع

الذى لاشك فيه ، وهو أن تعويل الزعيم على المقودين فى سائر الأحوال التى يجدون فيها أنفسهم ، هو جانب من جوانب زعامته ، وناحية من نواحي قيادته ، فهو إذا كان حافزاً للجماهير ، فانما الجماهير هى كذلك بالإنخلاص ، والمتابعة ، والطاعة والولاء ، خوفاً له ، مهينة مشجعة على المسير والثبات .

والحافز الشخصى هو أول ما ينبعث فى الزعيم ليدفع به الى احتلال المكان الذى أعدته المتأديرون له ، فانه ليحس فى أعماله دافعا الى الثوب والتقدم ، ومتى اجتمعت قوة الشخصية فيه بقوة النفس الجياشة المتحفزة ، المعلقة عن ذاتها بسحرها الخفى ، وجلالها البادى ، مع توفر قوة العزم وصلابة التصميم على تأدية رسالة يؤمن بها كل الإيمان ، والمجاهدة فى سبيل مثل عال يعتنقه أصدق الاعتقاد ، فانه فى الساعة المنتظرة وال لحظة الواجبة يقفز الى الموضع الخلق به ، ويومئذ يعرف الناس فيه الزعيم المفطور على الزعامة أو العظيم « المولود هكذا » كما يقولون .

ولكن ينبغى أن تفصل هذا الطراز من الزعماء والقادة المفرغين فى قالب البطولة النفسية من طراز النابوليونيين ، والغزاة ، والطغاة ، والعسفة ، والجبابرة ، أو معاشر الانانيين الذين استبدت الاثرة بكل شئ فيهم ، والذين أبرزوا نواحي كثيرة من نواحي الزعامة ولكنهم تراموا على النفوذ بالعدوان العسكرى ، والاستيلاء العرفى على السلطان ، واستضعاف الجماهير ، وانتهاز الفرص واقتناص السوانح ، ولكن أكثر هؤلاء ان لم نقل كلهم انتسوا الى فشل ساحق وكانت خواتيمهم أسوأ الخواتيم .

واقدر يريد هؤلاء الخير فى بداية أمرهم ويتوخون الصالح العام ، ولكن شهوة السلطان وظأهم الى الطاعة عند الجماهير وخافة ضياع الامر من أيديهم ينتهى بهم حتما الى الاثرة ذاتها التى دفعت بهم فيعطفون على الاحتفاظ بالسلطان مهما كلف ذلك من ثمن ، واقتضى من ضرائب وتكاليف جسام ، ولكن الجماهير لا تلبث فى النهاية أن تسائل نفسها هل نحن حقاً نستمد من هذا البطل القوة الدافعة والعزة السامية التى كنا ننتظرها ، وهل هو حقاً يخدم غرضنا ومصالحنا ولا يخدم أغراضه هو ومصالحه ويشبع شهوته ويرضى ذاته على حسابنا ، وأكثر ما يكون الجواب العملى على هذه التجوى المخافتة السارية فى خبايا نفوس الجماهير هو قيامها على هذا الطاغية واسقاطه من أوج مكانته ، بعد زوال الحلم الجميل الذى رفعه مكانا عاليا .

ومهما تكن الحوافز التى تدفع الجماهير الى السير وراء هذا النوع من الزعامة الاثرة الغاشمة ، فان الحركات التى تنشأ منها وتبدو فى بعض الاحيان بظاهر من الخير ، وأغشية

من الاحسان ، ليست سوى هزات وقتية لا تلبث أن تزول وتستيقظ الجماهير من سكرتها على حقيقة مؤلمة ، وتعاود سيرتها الاولى فلا تسلم زمامها إلا في حدوده شيتها وبرضاها ، ليكون الزعيم الذى ترتضيه هو فى الواقع رمز أمانها ، والفرد الذى تجتمع فيه إرادة الجميع .

ومن ثم كان الزعيم الذى تنتخبه الجماعة بمحض إرادتها ، وتضع فيه كل ثقتها أنزع الى النجاح وأقرب الى التوفيق فى مهمته التى ألقى اليها كل قلبه وادخر لها كل جهده وأقى فى سبيلها عصارة روحه ، لأن أثره فى كل اصلاح بارز وحافزه عند الجماعات المختصة الموالية الوثيقة به شديد النفوذ قوى التوجيه بالغ السلطان .

وليس وسيلة عملية فى سبيل الرقابة على توجيهاته والاشرف على منازعه وحوافره أو ثاق أثرا وأدق عملا وأنجح نفوذا من صيانة الروح الديموقراطية فى البيئة التى اختارته ، والحرص على الهيكل النيابى المقدس الذى يؤدى كل فرد عنده فريضته ، فان الديموقراطية فى الواقع حامية نفسها وفيها وسائل وقاية ذاتها ، وقد يبدو ضرب من الاصلاح زاهى اللون مغريا بالرضوان ملهما السكون اليه ، ولكنه يقتضى الاصطدام بالروح النيابى وهو قدس الدولة وسر منعتها ، أو الخروج على أحكام الدستور أو مجاوزة الاوضاع الديموقراطية ، ففي هذه الحالة لا ينبغى الاستجابة اليه تضحية بهذا جميعا من أجله ، فان بقاء الديموقراطية سليمة أسلم ، وقيام السياج منيعا أوفى وأمنع ، ولا يجدى إصلاح كهذا ، اذا كان فى قيامه هضم ناحية من أقدس نواحي الحياة .

الاصلاح الاجتماعى أثر الحافز الشخصى فيه :

كل اصلاح ظهر فى الجماعة منذ أبعد حدود التاريخ انما قام وتوطد بدافع قوى من حاجة العصر وقوة توجيه المصلح أو المفكر أو الزعيم الذى نادى به ودعا الناس اليه ، وقد يختلف الناس فى أمر هذا الاصلاح لأن العهد به ويذهبون فى تقدير مدى نفعه مذاهب متباعدة ، فلا غناء إزاء هذا الاختلاف والتشعب عن أثر المصلح فى اقتناع الجيل به وحماية فكرته من مقاومة العناصر الرجعية له وحمل المخالفين على الاقتناع بسداده وحكمته .

وكثيرا ما قام المصلحون بالدعوة إلى ضروب من الاصلاح الاجتماعى ، فخوروا فى جليلهم واصطلحت العوامل المناوئة على مقاومتهم ولكنهم بالحافز الشخصى والدافع النفسى القوى الملهم المقنع الآخذ بالنفوس ، واستطاعوا فى النهاية أن يقيموا اصلاحهم على أمتن القواعد ويحموه من الفشل والاختفاق ، ويطبعوه بطابع شخصيتهم البادية ،

ومجهودهم الجبار وكفاحهم المستميت .
 ان التطور الطبيعي بطيء وثيد ، لانه لا يجد الدافع القوي الذى يعجل به ، ولا
 يظفر بالحافز الشخصى الذى يسوقه سريعاً إلى الظهور ، ولكن الاصلاح الاجتماعى
 تيسر فيه السرعة ويتواتى له العامل المذكر له ، والروح المتقد النافع فيه ، والالهام
 المستمد من قوة الشخصية الفاتنة التى تتقدم إلى الناس به .
 ولعل أقوى مثل على أثر الحافز الشخصى فى توجيه الاصلاح الاجتماعى وسرعة
 استكماله ، ووشيك سريانه ، واستفاضة شموله ، هو ما رأيت الدنيا أخيراً ، وهى
 مبهوتة عاجبة ، من أمر مصطفى كمال فى تركيا الحديثة فكأنما قد خلقها خلقاً
 جديداً فى بضعة أعوام ، وغمرها بروحه الحافزة ، فاندفعت فى أثره لاتلوى على شيء
 وقد يكون فى اصلاح كهذا شيء كثير من العيوب ، وقد يكون فيه الفج والشاذ ،
 والعارض الوقتى والسطحى ، والخذاع البراق ، ولكن الزمن وحده هو الكفيل
 بنخله وغربلته ونفى الشوائب عنه ، وتطهيره من العيوب ، وفى التنفيذ والتطبيق
 وسيلة الحكم على الصالح فيمكنه فى الأرض ، ومعرفة غير الصالح والزبد فيذهب
 جفاء ، ولو أراد صانعه أن يسور عليه أشقي الأسوار ، ويحميه من التلف
 والانقراض والبوار ، فان قانون الحياة يأبى إلا أن ينفذ سلطانه ، وهو أن كل
 شيء لاصلاح له ، محكوم عليه بالفناء .

(٢)

ملخص رسالة

الأستاذ جميل خانكي

عرف الحافز الشخصى بأنه فكرة فى قلب الانسان وعقله بلغت منه مبلغ الايمان
 والعقيدة تدفعه ، ان خيراً فخير وان شراً فشر ، إلى القيام بعمل من الأعمال يدر
 من ورائه - هو أو الجماعة - فائدة . وقد قدم لهذا التعريف بأن الافكار إذا
 اختمرت فى الرؤوس ونضجت وتملكت مشاعر القلب بعد العقل حتى أصبحت
 من المرء وحدة لا تتجزأ كانت هى الايمان الذى يدفعه إلى تأييد هذه الأفكار
 والدفاع عنها ، ويختلف المرء فى هذه المهمة قوة وضعفاً ، فإذا كانت الفكرة
 عقيدة راسخة عنده أينعت وجان قواها كان فى مناصرتة لها لا يبالى بكبيرة أو صغيرة
 مضحياً فى سبيلها بكل عزيز لديه .

وأثر الحافظ يظهر في الفرد كما يظهر في الجماعة ، وفي تطور الإصلاح الاجتماعى ،
يظهر في جميع مناحى الحياة : السياسية والمالية والتجارية والعلمية والأدبية
والزراعية والخيرية .

ففي الشؤون المالية ، دفع الحافظ الشخصى جماعة من المصريين فأنشأوا (بنك
مصر) فى وسط ٢٠ بنكا أجنبيا ، برأس مال ٨٠٠٠٠ جنيه ، بينما البنوك الأخرى
تزيد رؤوس أموالها على عشرات الملايين من الجنيهات ، وماهى الا فترة وجيزة
من الزمان حتى أصبح رأس مال بنك مصر مليونا ، وأصبحت الودائع والأمانات
والحسابات الدائنة الخاصة بالأفراد والهيئات الحرة والرسمة الموجودة لديه تزيد
على ١٢ مليونا ، وأصبحت حساباته الجارية تزيد على ثمانية ملايين ، وتفرعت
منه عدة شركات .

وفى الشؤون الزراعية دفع الحافظ الشخصى بعض المصريين إلى تأسيس الجمعية
الزراعية الملكية فى ابريل سنة ١٨٩٨ ، وهى الآن محط آمال الفلاحين والمزارعين .
والنقابة الزراعية العامة أثر من الحافظ الشخصى ، ولقد خدمت الفلاحين
والمزارعين أجل الخدمات .

وفى الشؤون العلمية والأدبية كانت انشاء الجامعة المصرية نواة صغيرة فى سنة
١٩٠٨ ، ثم أخذت فى التدرج سنة بعد سنة إلى أن صدر فى ١١ مارس سنة
١٩٢٥ المرسوم الملكى بانشاء الجامعة المصرية مكونة من كليات أربع : كلية
العلوم وكلية الآداب وكلية الحقوق وكلية الطب ، ثم زادت عليها كليات الهندسة
والزراعة والتجارة ، وأصبح عدد طلبتها الآن ٦٤٠٥ بعد أن كان لا يزيد على
بضعة عشرات .

وإن فرق الكشفافة المصرية وليدة حافز الجماعة ، وهى تربي الناشئة تربية
جسمانية وأدبية بتعويدهم الاعتماد على أنفسهم وبث روح الاقدام والاستقلال
الذاتى .

وفى الشؤون الخيرية كان الحافظ الدافع إلى انشاء المستشفيات والمؤسسات الخيرية .
وكان مشروع القرش وليد فكرة الشباب المصرى . وكان من نتائج حافز الشباب
انشاء مصنع الطرايش والصناعات الأخرى المتصلة بغزل الصوف .

وفي الشؤون السياسية دفع الحافظ سعدا إلى المناداة بحرية مصر واستقلالها ،
وكان سبباً في وجود الأحزاب السياسية التي تسعى كلها لغاية سامية هي خير مصر .
وفي الشؤون العمرانية كأن أثر الحافظ تأسيس مدينة هليوبوليس ، وهي وليدة
فكرة شخصين : البارون امبان وباغوص نوبار باشا .

والوسائل العملية لتوجيه الحافظ الشخصى للخير العام هي :

١ - أن تسود البلاد حرية الرأى بأن يكفلها دستور الأمة وتحافظ عليها الحكومة
القائمة ولا يمسها قضاء المحاكم .

٢ - انتشار العلم فى المدن والقرى ، والتعليم الإلزامى هو الطريقة الفعالة لتثقيف
صغار الناس .

٣ - تعويد الناس وتربيتهم تربية أخلاقية ، فالأخلاق قوام كل مجتمع ، وعماد
كل نظام متين .

٤ - توسيع سلطة كبار الموظفين واختصاصاتهم وبث روح الاستقلال
الذاتى فيهم .

٥ - افساح صدر الحكومة للشروعات الفردية والتشجيع والمعاونة على
القيام بها .

٦ - الدعاية ، وتكون بالخطابة فى الأندية والمجتمعات ، وبالكتابة فى
الصحف والمجلات ونشر الكتب ، وشرط نجاحها ضمان حرية الخطابة
والكتابة والاجتماع .

وتؤدى هذه الوسائل إلى إيجاد البيئة الصالحة التى ينبت فيها الحافظ الشخصى
نباتا طيباً ، ومتى تكونت هذه البيئة وجد الحافظ أمامه طريقاً سهلاً للعمل نحو
الغاية المستغاة .

(٣)

ملخص رسالة

حضرة الأنسة زينب الحكيم

استهلت بحشها بأن ضربت مثلاً للحافظ الغريزى فى النمل وما يدفعه اليه من العمل
على الحياة وإنشاء القرى الواقعة له من العوامل الطبيعية .

ثم أخذت بعد ذلك في تطبيق هذا المثل على الانسان وتكوين الحافز الشخصي فيه ليلبلغ الدرجة المرجوة له من الرقي في الحياة .

ثم نقلت عن السير برسيغال العالم الانجلىزى مقارنته بين الأجنة الدنيا للحيوان والأجنة للانسان وكيفية نشأة الغرائز فى الجنين البشرى وتدرجها من البسيط إلى المركب بواسطة التقليد لأبويه طفلا وارثائه فى ذلك بواسطة العلم والمعرفة .

وبعد أن وصفت غرائز من سمتمهم الموهوبين أو العباقرة والشواذ، وحاجة كل صنف من هؤلاء إلى العناية الخاصة بتربيتهم وتعليمهم وتوجيههم إلى ما يدعو اليه استعدادهم الفطرى والتهدىي - رأت أن الطريق الذى يفهم به الخير والشر إنما هو العقل ، وبإدراك حقيقتهم يستطيع الانسان أن يتبعد عن الشر وأن يبعده عن غيره ، وأن يتجه نحو الخير ويرشد غيره اليه ، ولهذا ترى أنها واجهت شيئين :
١ - توفير جزء من نشاطنا الذاتى على جلب الخير ودفع الشر .

٢ - إيجاد مجتمع صالح يقوى الحافز الشخصى ويفرق بين الخير والشر ، ومن ثم نصل إلى المثل الأعلى لتوجيه الحافز الشخصى للخير العام .

ثم أشارت إلى أن قيمة الحافز الشخصى الذى يصل بصاحبه إلى درجة العبقرية هي قيمة عظيمة ، وذكرت بعض العباقرة الذين دفعهم الحافز الشخصى إلى أحداث انقلابات علمية واجتماعية وصناعية وإنسانية ، وإلى أداء رسالتهم على الرغم من تعسف الظروف أو انصافها .

وقالت ان تاريخ التطور الاجتماعى يثبت ان الحضارة فى أية أمة لم تكن وقفا على تفوقها فى بعض مواهب جماعة من أفرادها فقط كاللغنائين أو الأدباء مثلا ، بل ان الأمة التى بلغت أعلى الدرجات فى الأدبيات مثلا انحطت فى العلوم والفنون الأخرى ، والتى ارتقت فى الصناعات والرياضيات انحطت فى الأخلاق . . .
وأن جهود الأفراد الطيبة فى كل ناحية يظهر أثرها فى الحياة العامة ، آتية بدافع حافزهم الشخصى ، لامن ضغط الحكومة ، ولامن لوم لائم أجنبي ، فتجب المحافظة على هذه الجهود ورقابتها حتى لاتزعزع صاحبها التقلبات السياسية ولا النزعات من أى نوع .

ثم انتقلت إلى الوسائل العملية لتوجيه الحافز الشخصى للخير العام ، فرأت :
١ - افساح المجال لإظهار مرامى الحافز الشخصى ، وتشجيع أصحابه للوصول اليه ، ومساعدتهم قدر الاستطاعة

٢ - انشاء معامل للتجارب مؤقتا ، ومنشآت صناعية واقتصادية ، ونوادى الالعب الرياضية .

٣ - اسناد الرياسة لمن يمكنه الاصلاح الفعال الاثر

٤ - العناية بتأسيس نواد كثيرة للهوى البرىء ، ومنشآت لحماية القصر وضعيف الارادة والشواذ والفقراء من التشرد والتسول، وتنظيم حالات العمال، والاكثر من المؤسسات الصحية ، واصلاح حال الفلاح بتحسين القرية ونشر الثقافة والتعليم .

٥ - تنظيم شؤون المرأة ، بدرس استعداداتها وتوجيهها إلى ماهى أكثر ميلا لجهته ، مع حفظ حقها فى الحياة الطبيعية الأخرى ، وانشاء مدارس خاصة بفن الأمومة وتكوين الأسرة للأهيات والآباء على السواء ، والعناية فى برامج التعليم بفن التمريض ، وبث روح الشفقة فى النفوس ، ودراسة العلوم الحديثة إلى جانب القديمة ، والدين والفقه ، وعلم النفس

٦ - ايجاد نظام للتخصص لانجاح تجارب دراسة الموهوبين والشواذ .

٧ - انشاء مكاتب للتعارف الدولى ، وتدير الرحلات العلمية والاجتماعية .

٨ - العناية بانشاء مدارس أو فصول عالية للترجمة من لغات العالم الى اللغة العربية ومن العربية إلى تلك اللغات ، لتقرب الآراء والفكر بصورة صحيحة .

٩ - قطع دار المحسوبة والرشوة والتواكل ، فيستقر العدل وتطمئن النفوس .

١٠ - ايجاد هيئة منظمة تشرف على تطور الاصلاح الاجتماعى ، وتراقب طغيان المذنبات ، وتحارب البدع والخرافات ، وتشير بما يجب أن يقام من المنشآت المختلفة .

وختمت بحثها بأنها قد استندت إلى النقط الثلاث الآتية، كخطة منظمة للانتفاع بأثر الحافز الشخصى وتوجيهه للخير العام ، لأن المسألة تحتاج إلى كثير من التحليل الشخصى ، ومطالب الروح والتجربة الشخصية والانتاج العملى والقذوة الطيبة ، وهذه هى النقط :

١ - قبول فلسفة الحياة أو المعيشة

٢ - طرق تعليم هذه الفلسفة

٣ - طرق انفاذ خطة الحفظ أو التعليم

مهد لبحثه بتعريف الخافز بأنه يتولد من صورة أو فكرة ، تؤثر في الرأس وتنسبل الى النفس مستودع الحس ، فتبعث فيها وجدانا غايته الظفر بتحقيق الصورة أو الفكرة التي أطربت أو أثارت العقل ، فسهل عليها احداث هذا التأثير في الميل ، وجمع القوى الحسية وتسخيرها لغايتها ، فتندفع هذه القوى راضية أو غير واعية ، سالكة طريقها الذي رسم لها .

والناس جميعا يعملون بقوة الخوافز ، ويولدونها وهم لا يدركونها ، وهي تتجه بهم الى ما استهواهم أو أهاجهم ، بل الى ما أرادوه لانفسهم ، فتصنعهم بدورها كما صنعوها ، وتخلق ذاتيتهم ومستقبلهم ، وقد ترفعهم وترقى بهم إذا كانت أسبابها رفيعة راقية ، وتهوى بهم وتدمرهم إذا كانت حقيرة مؤذية ، ولا يقف أمرها عليهم وحدهم ، وإنما يتناول المجتمع معهم ، لأن وحدة الأمة في ذاتية كل منهم ، ونهوضها من نهوضهم ، وفسادها من فسادهم .

والخوافز الشخصية ميول ، أو انفعالات ثائرة ، أو شهوات عمياء أو مبصرة ، إذا سارت تسليحت بأجهزة الروح ، واستعانت بقوى العزم والثبات والشجاعة وتكون منها فائدة إذا اتجهت الى الاصلاح والخير ، وتؤدي الى كارثة إذا قصدت نحو الفساد والشر .

نشأت الخوافز مع الانسان ، اذ كونتها عقليته ورغباته ، فبدت في اندفاعه نحو حاجاته في الوسط الذي كان يعيش فيه ، ثم تطورت معه بتطور شخصيته العقلية والاخلاقية ، تبعاً للبيئة وتقدم نظام الحياة ، وهي الآن كامنة في أسرار تصرفاتنا ، وأثرها بارز في حضارتنا ومعالم حياتنا ، وما وصلنا اليه من تقدم وعظمة وحرية .

وان كثيرا من النوابع والعظماء كونتهم الخوافز المتولدة من الحب ، إذ تنبهوا بعقولهم إلى فكرة العمل والسعى ليصبحوا أهلا لمن أحبوا وتولد الخوافز الشخصية من التخييلات والانفعالات ، فيمكن توجيهها إلى

الخير والاصلاح بتحكم العقل والنفس فيها ، واذا كانت خارجة على الضمير والواجب حجزتها الارادة حتى لا تؤذى صاحبها وتؤذى غيره معه .

وتخلق العاهات العضوية ، أو الامراض الوراثية ، أو النقائص الخلقية - بسبب الوراثة أو عدم التعليم وسوء المصاحبة والمؤثرات الفاسدة - حوافر صالحة تبعث الشخص إلى معالجة النقص واخفائه أو تعويضه ، وقد تحدث هذه النقائص حوافر شريرة في بعض النفوس التي يهيجها النقد ، فتندفع عمياء للشار أو لاثبات القوة . وتولد الحوافر الشخصية في الجماعات ، بسبب التحمس للفكرة التي تنقلب إلى غاية ، وهي تكون على أشدها وفي أنضل مظاهرها اذا كانت أداء الواجب للوطن . والوسائل العملية لترجيح الحوافر الشخصية للخير العام :

١ - الاهتمام بتعليم العقل ، فالعقول الجاهلة والضعيفة تستويها الخيالات ، والصور التافهة ، وتفتنها المظاهر الخفية وتؤثر فيها .

٢ - الاهتمام بالرياضة والفرق الكشفية لاصلاح الاجسام وللوقاية من العلال البدنية ، لتوليد روح الاخاء والنشاط والطاعة واحترام النظام والواجب ، وهي تضاد نزعات الشر .

٣ - مراعاة الوالدين للميول الطبيعية في أبنائهم ، وتعمد الحوافر التي تحفز الاطفال والصبيان من صغرهم إلى حرف أو أعمال خاصة حتى ينبغوا فيها .

٤ - الاستعانة بفن المؤثرات لتربية النفس واطاعة الضمير وغرس الشعور بالواجب والعمل للخير

٥ - تشجيع الحركات الصناعية والتجارية وربحها ماديا وأديا .

٦ - تشجيع رجال العلم والفكر .

٧ - تشجيع أبطال الرياضية والطيران

٨ - وضع طريقة للتربية الدينية لنقل أحكام الدين العظيم من الرؤوس إلى النفوس ، فليس مثل الذين هاديا روحيا ، ووازعا عن الشرور والآثام ، وموطدا للحياة الاجتماعية وواقيا لها من الانحلال والفوضى .

٩ - الاهتمام بتشجيع الاطفال في رياض الاطفال بالجوائز والثناء اذا تفوقوا في الحرص على الفضائل كالصدق والأمانة ونحوهما .

١٠ - الاهتمام بإبعاد الاطفال عن مصاحبة الاشرار ، لسلا تصيبهم العدوى بسرعة وهم صغار ، واشعارهم بالاستقلال حتى يجوه لانفسهم ولاغيرهم ،

والابتعاد عن اربابهم لئلا يشبوا على الخوف والخنوع .
 ١١ - التشجيع على الزواج ، بتفضيل المتزوجين في الاعمال ، حتى ينصرف
 الشبان عن اللهو واللذات وينجو المجتمع من أخطار الغزوية على الشبان والاخلاق
 ١٢ - تشجيع الزراعة ، باقامة المعارض للنهوض بها وبالمزارعين
 ١٣ - تشجيع العمل الحر بتوسيع ميدانه ١٤ - تشجيع كل عمل خيري .
 وان الجماهير لتتأثر بأفكار الزعماء والقادة ، وتنطبع في نفوسهم خطبهم
 وكلامهم ونصائحهم ، فاذا تطوعوا بمال لمساعدة مشروع انساني حفزوا الشعب
 إلى التطوع مثلهم ، وإذا ثبتوا في جهادهم تأثرت الأمم بهم ، وثبتت وراءهم
 مشدودة العزيم ، وإذا ضحوا أضرموا نار التضحية في شعوبهم وحفزواهم إلى
 الاندفاع في التضحية التي هي أشرف معاني البطولة .

(٤)

الموضوع الرابع البطالة ووسائل علاجها والتعليم الأقليمي وأثره في علاج البطالة

حضرة صاحب العزة مدير ادارة المطبوعات
 اجتمعت لجنة التحكيم في الموضوع الرابع « البطالة ووسائل علاجها » ، والتعليم
 الأقليمي وأثره في علاج البطالة من المباراة الصحفية الادبية التي أشرف برياستها .
 وقد قررت - بعد بحث الموضوعات التي قدمت اليها على ضوء القواعد المبينة في
 المذكرة المرافقة لهذا - أن تمنح حضرات :-

- ١ - الاستاذ محمد زكي عبد القادر جائزة مقدارها ٧٠
- ٢ - الدكتور علي عبد الواحد وافي » » ٥٠
- ٣ - كل من الاستاذين حسني الششتناوي وعبد الحميد يونس » » ٣٠
- ٤ - كل من الاستاذين محمد أبو المعاطي القديم {
 والدكتور أحمد سويلم العمري } » » ١٥
- ٥ - الاستاذ مصطفى فهمي » » ١٠

وتفضلوا بقبول وافر الاحترام ؟

رئيس اللجنة

١٤ يولييه سنة ١٩٣٦

(احمر عبر الوهاب)

القواعد التي اتبعت في اختيار المواضيع

نظرنا في كل بحث من نواح ثلاث : الناحية النظرية والناحية العملية وناحية اللغة والأسلوب .

١ - قصدنا بالناحية النظرية الدراسة العلمية لأهم المظاهر لمشكلة البطالة ورد هذه المظاهر إلى أسبابها ومتابعة نتائجها دون التقيد بطريقة مدرسية للبحث ، ولم تتطلب في هذه الدراسة أكثر من صحة التقدير - بقدر المستطاع - للوقائع الراهنة وسعة الاطلاع وسلامة المنطق في البحث، وصواب التسلسل السببي لما أورده الباحث من دواعي البطالة أو لما ارتآه من أنواع علاجها .

ولما كانت هذه الناحية النظرية هي السبيل الذي يخلص منه الباحث إلى بيان أسباب البطالة، لم يكن بد من اعتبارها أساس الموضوع وتمييزها على غيرها من النواحي في ترتيب الأهمية، إذ أنه بقدر نجاح الباحث في تعرف أسباب البطالة تكون السهولة في وصف العلاج الذي يلائمها ويقضى عليها

كما أنه لما كان الغرض الأصلي من بحث مشكلة البطالة هو تنظيم فرض العمل التي يستطيع فريق من أبناء الدولة استغلال مواهبه فيها والحصول على نصيبه من النتائج الأهمى عن طريقها كانت الصفة الغالبة لهذا الموضوع هي الصفة الاقتصادية، وهي التي يجب أن يفيها الكاتب حقها من البحث قبل غيرها من النواحي الأخرى التي وإن كانت تمس الموضوع عن قرب أو عن بعد إلا أنها لا تعدو - من ناحية درس مشكلة البطالة - أن تكون ظروفًا ملازمة تتأثر بالعامل الاقتصادي أو تؤثر فيه . ومن ثم كان لزاماً على كل كاتب أن يلتزم حدود المبادئ الاقتصادية الأساسية فلا يتورط فيما يخرج به على تلك المبادئ عن استعراضه للوقائع أو فيما يأتي به من حلول .

٢ - أما من الناحية العملية فلم يغب عنا تشعب نواحي الموضوع وكثرة ما يمكن أن يقال فيه ، ولكن العبرة ليست في كل ما يمكن أن يقال وإنما بما يجوز أن يقال في حدود نظام اجتماعي وسياسي مقرر للدولة وفي نطاق موارد للأفراد أو للحكومة مع عدم اغفال الظروف التقليدية المحيطة بالفرد أو بالجماعة أو الآثار التي يمكن أن تترتب على الحلول المقترحة في نواحي الحياة الاقتصادية والاجتماعية .

وفي هذا الصدد لا يسعنا إلا ابداء الأسف على ما لاحظناه في معظم المواضيع

ان لم يكن كلها من غياب أى بحث مقارن لمشكلة البطالة أو مقارنة الاجراءات التى اتخذت فى البلاد الأخرى مع ما يمكن اتخاذه منها فى مصر واحتمال نجاحه فيها من عدمه، وفى مثل هذا الغياب ما ينم على قلة اطلاع أغلب المتقدمين فى المباراة على ما يجرى فى بلاد أخرى كانت أسبق من مصر شعوراً بوطأة البطالة وأكثر منها تجربة بوسائل مكافحتها ، وقد كان يكون لأغلب المتبارين فى هذه المقارنة مندوحة عن الاتيان بكثير من الاقتراحات التى اثبتت الحوادث فسادها أو التى أظهر البحث بعدها عن وقائع الحياة الاقتصادية السليمة .

٣ - ومن ناحية الأسلوب لم تتطلب أكثر من سلاسة الأسلوب وصحته والبعد عن التعقيد والغموض وتحديد مرامى الكلام بما يلائم التدقيق العلى والتفكير الهادى الذى يزن الأمور وزنها الصحيح .

(١)

رسالة الأستاذ محمد زكى عبد الفادر

مقدمة وتقسيم:

تعتبر البطالة من أعقد مشاكل العصر الحديث ان لم تكن أعقدها جميعاً ، وهى اليوم تشغل المقام الأول فى تفكير الحكومات وعلماء الاقتصاد والاجتماع ، وهى كما يقول « بيفردج » لاتدع ناحية فى الحياة دون أن تتناولها بشروورها ، فهى مشكلة اقتصادية واجتماعية وسياسية وعلمية ، وقد أشار إلى ذلك صاحب السعادة أحمد عبد الوهاب باشا وزير المالية فى الاجتماع الأول يوم السبت ١٩ أبريل سنة ١٩٣٦ للجنة المشكلة برياسته لعلجة مشكلة المتعلمين العاطلين ، فوصفها بأنها « ذات أثر بليغ فى رفاهية البلاد سواء من الناحية الاجتماعية أو الاقتصادية أو السياسية » ، وأشار إلى عمق شروورها وتأصل متاعبها ، وطلب إلى حضرات أعضاء اللجنة أن يبحثوا عن سببها « وهل هو يرجع إلى عيب فى نظام التعليم أو فى برامج الدراسة أو فى كيفية توزيع الطلاب على شتى المهن أو فى اختيار موظفى الحكومة ومكافآتهم أو فى النظام الاجتماعى ذاته أو فى بعض أركانه » ، فالبطالة ليست مشكلة الصناعة وحدها ، وليست مسألة الاقتصاد وحده ، ولكنها مسألة الدولة الحديثة كلها .

قال مستر هارولد باتلر مدير مكتب العمل الدولي في جنيف « ان طمأنينة الدولة في الوقت الحاضر أصبحت لا تعتمد فقط على تحصين حدودها بل على قدرتها على أن تتيح لكل طبقات مواطنيها وسائل كافية ومناسبة للعيش (١) » وقال مستر والتر ريمان الناشر الأمريكي المعروف « ان واجب الدولة في كفالة مستوى مناسب من المعيشة لشعبها جوهرى مثل واجبها في حماية الاستقلال الأهلى (٢) » ولم يعد هذان الكاتبان الصواب فيما قالاه ، فان واجبات الدولة الحديثة قد تطورت ، وهكذا لم تصبح البطالة مشكلة اقتصادية فحسب ولكنها أصبحت مشكلة سياسية . وقد شهدنا في السنوات الأخيرة مضاعفات عديدة لهذه الظاهرة فان الانقلاب الروسى تقف وراءه البطالة . ويستطيع الباحث أن يجد بسهولة مثل هذه البطالة بالذات تقف وراء حركات التجديد فى ألمانيا على يد هتلر . وفى إيطاليا على يد موسوليني .

وليست البطالة شراً جديداً فى العالم بل لقد عرفت منذ أقدم العصور ، ولكنها كانت تتخذ صورة أخرى ترجع إلى طبيعة العصر وإيمان الناس وكيان الدولة نفسها فحين تحمل الضائقة والمجاعة وتمتلئ الأرض يأخذ الناس هذه الشرور على أنها إرادة الله ومشئته القدر وتلك قوى لا منجاة منها ولا دفع لها بغير التسليم والرضاء ، ومع ذلك فلم تكن البطالة بالصورة التى نعرفها اليوم موجودة فى العصور الأولى حين كانت الزراعة هى المعتمد الأول وحين كانت الطبيعة سخية جوادة والسكان قلائل وميادين الاستغلال واسعة ، أما اليوم فان الناس لا يأخذون البطالة شراً مسلماً به ولكنها يرونها اضطراباً يجب أن يزول وداء يجب أن يعالج ، واليوم تضيق بالناس الموارد ، فالأرض راضى البكر قليلة ومصادر الثروة التى لم يستغل بعد ليست بالكثرة التى كانت بها منذ قرنين أو ثلاثة قرون ، يضاف إلى ذلك تزايد الناس دون انقطاع أو توقف وتعقد الصناعة واعتماد المصانع على مستهلكين فى أقاصى الأرض وتأثر الاستهلاك بشتى العوامل بين سياسية واجتماعية وقومية .

وحين كانت البطالة شراً غير منظور كانت النزعة الغالبة بين العلماء فى القرون

(١) تقريره الأخير الذى رفعه فى أواسط السنة الماضية لمؤتمر العمال الدولى .

(٢) The method of freedom سنة ١٩٣٤ ص ٣٥ .

الوسطى وفي القرنين السابع عشر والثامن عشر نزعة طبيعية تقوم على حرية العمل Laissez - faire ، كان هذا مذهب الفيزيوقرات وهو المذهب الذى ساد أوروبا ثلاثة قرون كاملة ولبت مسيطرأ عليها حتى انتصف القرن السابع عشر ولبت نزعة تمجيد الطبيعة والايمان بقدرتها على الملاءمة بين حاجات الناس المتباينة غالبية على كتابات آدم سميث مع تطور اقتضاه تخلص علم الاقتصاد من اخطاء الفيزيوقرات فهو يرى أن النظم الاقتصادية يجب أن تعمل وحدها دون تدخل الحكومة ، فحرية العمل وحرية المبادلة يجب أن تسكفلا ، ومن رأيه أن السكان مثل البضائع سواء بسواء يتحددون بقانون العرض والطلب فحين يزيدون عن الحاجة تنخفض أجورهم وحينئذ يكفون عن الزواج والتناسل حتى تتم الموازنة بين العرض والطلب ، فشكلة البطالة عند آدم سميث مشكلة تحملها الطبيعة وهو يقول ان الفرد فى سعيه وراء مصلحته الخاصة « تقوده يد خفية نحو فائدة المجموع ، وهكذا بينما يطيع هذه الرغبة التى غرسها الله فى نفسه يحقق أغراض الله الخيرة (١) »

ولكن مalthus ، وهو من علماء المدرسة الكلاسيكية مثل آدم سميث ، لمح خطر تزايد السكان وعدم وفاء موارد الثروة بحاجتهم فدعا إلى الموازنة بينهما ، وهو يشبه السكان فى تزايدهم بالارنب الذى يجرى مسرعا بينما ترحف الثروة فى بطء كالسلحفاة ، فيجب أن نغرى الارنب بالبطء قليلا إلى أن تلحقه السلحفاة وإلا حلت الكارثة بالعالم

ونلح مثل ايمان آدم سميث بالطبيعة ومقدرتها على تجنب السكوارث وتوفير المعاش للناس فى كتابات بعض العلماء الذين جاءوا بعده مثل كيرى Carey الأمريكى وباستيا وجان بابتست ساى وسينيور

وكان منطقيا بالنسبة لهؤلاء العلماء ألا يفكروا كثيراً فى البطالة فهم مؤمنون أن النظم الاقتصادية إذا تركت دون تدخل من الدولة قادرة على أن تحقق السعادة للناس جميعاً ، لذلك ذهبت صيحة مalthus غير مسموعة فى وسط الرخاء الذى صاحب الانقلاب الصناعى وأخذ بعض الكتاب مثل كيرى يهزأون به ويقولون « هاهم السكان قد تزايدوا ولكن الثروة زادت أضعاف أضعاف عددهم » ونسوا أن نظرية مalthus قامت على فروض معينة لم تتحقق جميعها فى الانقلاب الصناعى

وانما أردت بها الاستطراد الضروري أن أشير إلى أن البطالة لم تكن شراً اجتماعياً ملوحاً حين كانت الصناعة في أولى مراتبها وأن الشرور المقاربة لها حين كانت تحل بالأهم الزراعية في عصور مترامية في القدم على شكل الاحمال والمجاعة لم يكن ينظر اليها الا على أنها ارادة محتومة للقدر لا سبيل إلى دفعها ، وكان الايمان بالطبيعة قويا في هذه العصور ولبت على قوته إلى عهد آدم سميث الذي نادى بالحرية الكاملة في المنافسة والعمل .

ولكن كما تطورت فكرة الدولة تطورت فكرة الاقتصاد الحر ، وحل محله في هذا العصر الاقتصادى المرسوم ، وأخذ أصبح الدولة يبدو في شتى ظواهر الحياة ، واتسعت وظائفها اتساعاً كبيراً ، وبعد أن كان الايمان قويا بان النظم الاقتصادية قادرة دون أى تدخل على تحقيق السعادة للانسان أصبح الايمان اليوم بأن تدخل الدولة ضرورى لوقف شرور الحضارة الصناعية ، ولإقامة التوازن الضرورى الذى فقد في المنافسة الحرة ، وأصبح من واجب الدولة كما قدمت ليس حماية الحدود السياسية والسيهر على طمأنينة الدولة من الغزو الأجنبي فحسب ولكن يدخل في واجبتها أيضا كفالة مستوى مناسب من المعيشة لبلدائها ، ولم تكن الدولة قادرة على أن تشمل نفسها داخل الحدود الضيقة التى رسمها فلاسفة القرنين السابع عشر والثامن عشر ازاء الصيحات المتكررة بدعوتها للتدخل وفي هذا يقول فلوربر راجمان وزير التجارة والصناعة في بولندا : « ان الناس يطلبون دائماً إلى الدولة أن تتدخل سواء بالتشريع أو بالتحكيم أو بمنح المعونة أو بتنظيم حرية الآخرين أو بتوفير العمل للعاطلين وإذا كان كل فرد فى الدولة يطلب اليها كل يوم مرتين على الأقل أن تتدخل لماذا اذن هذه الشكوى من التدخل ؟ لنقل بصراحة أنها ليست الحكومة ولكن الجماعة هى التى تميل إلى التدخل (١) » .

على أن الذى يؤكد واجب الحكومة فى التدخل هو أن الأزيمة الحاضرة لا ترجع إلى فعل الطبيعة ، ولكن ترجع إلى عجز الانسان عن توزيع خيراتها على من يحتاجون اليها . وفيما مضى لم يكن فى استطاعة الناس أن يفعلوا شيئاً لإزاء كوارث القحط والاحمال والأوبئة الا أن يوزعوا كميات الطعام الباقية . أما اليوم فشكة قلة الطعام قد حلت بفضل العلم والتوسع فى استثمار موارد العالم بل أن هناك من

(١) من خطبة ألقاها أمام اللجنة المالية بمجلس النواب فى ٢٣ يناير سنة ١٩٣٥ ، ويلاحظ أن هذا الوزير من أشد المعارضين لسياسة التدخل من جانب الدولة .

الطعام والمواد الخام أكثر بكثير مما ينتظر أن يحتاج اليه الاستهلاك . فالفلاح لا يحصل على ما يوازي عمله ومجهوده ومع ذلك فهناك ملايين يتضورون جوعاً . وقد امتزج هذا الاحساس بالتناقض في ضمير الجماهير حتى انقلبت إلى شبه يأس من النظام الاقتصادي . فمن المعقول اذن أن نطالب الحكومات بأن تبذل تجربتها ونشاطها وذكاءها في سبيل كفالة الحاجات الأولى من الطعام واللباس والسكنى للشعوب كما تكفل صيانة حدود الدولة وتعمل على توزيع خدمات الاسلحة والمواصلات الجوية (١) .

والواقع أن المشكلة اليوم ليست مشكلة القلة ولكنها مشكلة الكثرة فهناك الفقر الشديد وسط الثراء الواسع . ان الكارثة تجيء كما يقول جودوين من التوزيع وليس من الانتاج « ان العالم فيه من الثروة ما يكفي كل ساكنيه ولكنها ليست موزعة عليهم جميعاً (٢) »

وقد جرى عرف الكتاب الغربيين حين الكلام عن البطالة على صرف معناها إلى بطالة العمال في الصناعة وقصرها على العمال الذين يتناولون أجوراً Wages أما غيرهم من ذوى المهن الحرة كالمحامين والأطباء أو الوظائف الكتابية أو الوظائف الفنية التى يتناول أصحابها مرتبات شهرية فلا يدخلون فى نطاق البطالة بمعناها المعروف . وهذا مأساؤير اليه فى القسم الاول من البحث الذى أرى ان أقصره على البطالة بهذا المعنى العام مشيراً الى أسبابها ووسائل علاجها ، وهى وان كانت بهذا النطاق الصناعى تغنى البلاد الصناعية العريضة الا أنها لا تخلو من فائدة بالنسبة لمصر وهى توشك أن تصبح هى الأخرى بلادا صناعية . ومع ذلك فسأتوخى ما استطعت البعد عن التفاصيل الفنية الدقيقة . وسأعالج فى القسم الثانى من البحث البطالة فى مصر وأسبابها ووسائل علاجها جاعلا لها نطاقا آخر غير نطاقها فى البلاد الصناعية فتشمل التعتل عن العمل أيا كان التعتل عاملا صناعيا أو زراعيا أو صاحب مهنة أو موظفا كتابيا محاولا ما استطعت بحث أسبابها ووسائل علاجها مفضلا العمل منها مراعىا فى ذلك حالة مصر من الوجهة الاقتصادية والاخلاقية والمالية ، وفى هذا القسم أتحدث عن أثر التعليم الاقليمى على البطالة

(١) تقرير مستر هارولد بتلر عن سنة ١٩٣٤ .

(٢) Political Justice لويليام جودوين سنة ١٧٩٣

القسم الاول

البطالة ووسائل علاجها في التعبير العام عند الأمم الصناعية :

التعبير بالبطالة والمتبطلين يشمل مسائل عديدة ولا بد من تحديد المقصود بالمتبطلين أو العاطلين تحديداً دقيقاً، فهم من غير ريب جزء من عدد كبير من العمال الذين لا يشتغلون في وقت من الاوقات وهؤلاء يشملون المرضى والمصابين بالعاهات والذين لم يصلوا بعد إلى سن العمل . وتلك فئات يجب استبعادها عندما نتكلم عن (العاطلين) كما يجب استبعاد المضربين والذين يرفضون العمل وهم قادرون عليه . فالبطالة تشمل فقط هذا الفريق من العمال الذي لا يعوقه عائق جسماني أو أخلاقي عن العمل ولا يجد مع ذلك العمل الذي يقيته ، كما أنها تقتصر فقط على العمال الذين يتناولون أجوراً Wage - earning (١) .

أما أسباب البطالة فيمكن تقسيمها إلى ثلاثة أقسام كبرى :

- ١ - أسباب ترجع إلى تنظيم الصناعة . Organisation of Industry
- ٢ - فشل اقرار العلاقات الصناعية .
- ٣ - أسباب شخصية .

وهذه الأسباب يتفاعل بعضها مع البعض الآخر ، فقد يكون سبب عطل عامل من العمال راجعاً من جهة إلى تنظيم الصناعة ومن جهة أخرى إلى حالته الشخصية ومن جهة ثالثة إلى سلوكه في نزاع وقع بين صاحب العمل والعمال ، ويقول « يفر دج » ان تقسيم العمال بالنسبة إلى أسباب عطلهم هو في الواقع مطلب عسير وكل ما يمكن هو تقسيم أسباب البطالة ذاتها .

١ - الأسباب التي ترجع إلى تنظيم الصناعة :

١ - التخصص دون التعاون أو الاتحاد - ان النظام الصناعي يقوم على مبدأ تقسيم العمل أو التخصص ، فأنواع العمل المختلفة وهي الأرض والآلات والمواد الخام يرتبط بعضها بالآخر وكل منها إذا عزلت عن غيرها أصبحت قليلة النفع . فالمتخصصون في كل هذه الأقسام يجب أن يتعاونوا قبل أن يستطيعوا انتاج أى

(١) A. C. Pigou استاذ الاقتصاد السياسي بجامعة كامبريدج في كتابه

« البطالة » ص ١٤ .

شئ ذى منفعة . وكلما كان التعاون ناقصا أو ضعيفا كانت أداة الصناعة كلها مرتبكة فأول سبب جوهرى للبطالة هو سوء التخصص فى الصناعة أو سوء تقسيم العمل . وفى الجماعات الأولى مثل عائلة ريفية تكفى نفسها بنفسها لا توجد البطالة إذا استثنينا البطالة الناتجة عن حالة الجوع ولكن ان يموتوا جوعاً لانهم أنتجوا أكثر مما يجب كما يحصل الآن فى الصناعة فلا يقع، لأن تنظيم الانتاج والاستهلاك فى يدهم وتحت امرتهم . والسبب فى ذلك راجع إلى أن المنتج هو المستهلك والبائع والمشتري وصاحب العمل هو العامل . ولنفترض الآن أن قرية من القرى نمت واتسعت وزاد سكانها واشتغل أحدهم حداداً وبذلك لم يعد ينتج طعامه بنفسه ، وإنما أصبح يحصل عليه بالمبادلة ، مثل هذا الرجل قد يصبح فى يوم من الأيام عاطلاً متى أصبح الفلاحون فى غير حاجة إلى الحدوات التى يصنعها لهم ، وحينئذ كيف يتصرف ؟ قد يسلك أحد طريقين ، إما أن يرجع فلاحاً ينتج طعامه بنفسه ويصنع أدواته بيده وهذا معناه انحطاط فى مستوى المعيشة لان الفلاحين سوف لا يجدون اختصاصياً يصنع لهم الأدوات التى يحتاجون اليها ولكنهم من الجانب الآخر سيتمتعون بحياة مطمئنة لا يهددها الفقر ، وإما أن يبقى حداداً ويصنع أشياء أخرى غير الحدوات يحتاج اليها الفلاحون ويعطونه الطعام بديلاً عنها ، ولكنه إذا استمر على هذه التحسينات والتجديدات والتوسع فسيجد نفسه فى يوم من الأيام صاحب مصنع كبير يمون ليس فقط القرية التى بدأ فيها والقرى التى حولها بل الاقليم كله ويصبح فى خطر من الحرب أو الثورة أو إفلاس البنوك أو غير ذلك من الطوارئ التى تفسد عمله وتخرب مصنعه ، حقاً لقد تحسن مستوى معيشته ولكنه أصبح تحت رحمة الطوارئ والحوادث .

وهذه القصة البدائية عن هذا الحداد توضح لنا الحياة الصناعية الكبيرة التى يحياها العالم اليوم فاما أن نصل الى مستوى للبعيشة أرقى وأفضل على أن نكون حينئذ تحت رحمة الطوارئ والحوادث وخطر الاضمحلال والتدهور والجوع . وإما أن ننحدر إلى مستوى ضعيف منحط ولكننا نكون فيه أكثر أمناً وطمأنينة ب - سوء التقدير للطلاب - أصبح تقسيم العمل والاختصاص فى الصناعة معقدا للغاية حتى ان انتاج أغلب البضائع لابد أن يبدأ فيه قبل اعدادها للاستهلاك بشهور وقد يكون من المفهوم أن تشتغل المصانع الفردية بناء على طلبات أو اتفاقات

ولكن المصانع الكبيرة التي تمون عشرات الاسواق والتي تحتاج البضائع التي تنتجها إلى شهور من العمل لا بد أن تدير ما كيناتها على أساس ما ينتظر من الطلب لاعلى ماتحقق منه فعلا . وهنا يجيء الخطر لأن سوء التقدير للطلب المستظر يجر الى كارثة

ج - التطور في بناء الصناعة - وهذا لا بد أن يحصل بل هو يحصل مراراً وربما في عام واحد . فقد تموت بعض الصناعات بينما تكون صناعة البلاد بصفة عامة آخذة في النمو والازدهار ، وقد تخترع آلات جديدة وتختزل عمليات كانت موجودة وكان يشتغل فيها عمال فيتعطلون ، وقد يستغنى بصنف من العمال عن آخر مثل الاستعاضة بالنساء والأطفال عن الرجال كما حدث في بريطانيا العظمى اذ حل النساء محل الرجال في صناعة الأحذية والفرش .

د - التغيرات الموسمية - وهذا السبب ظاهر الأثر ومعناه ان حرفة من الحرف أو صناعة من الصناعات تصل في بعض شهور السنة إلى حد مرتفع وتنحدر في وقت آخر من السنة ، وهذه التغيرات قد تكون أقل أثراً ووضوحاً في بعض السنوات عما هي في سنوات أخرى وهي على كل حال تنتج أثرها فاذا كان الطلب قليلاً وجب أن يقل الانتاج ومتى قل الانتاج قل العمل ونشأت البطالة ، ومع ذلك فان البطالة التي تنشأ لهذا السبب لا تكون بالشدة التي قد تتبادر إلى الذهن لأول وهلة فان ضعف الطلب في بعض فصول السنة يعالج في كثير من الاحيان ليس بالاستغناء عن العمال ولكن بتشغيلهم ساعات أقل في اليوم وفي الأسبوع فضلاً عن أن بعض العمال الذين يستغنى عنهم في صناعة من الصناعات يجدون عملاً في صناعة أخرى وثالثاً لان هذا الهبوط الموسمي معروف ومقدر فالاستعداد له مفروض والكارثة التي تجيء بعد الاستعداد لها تكون أقل وطأة من الكارثة التي تقع فجأة ودون سابق انذار .

هـ - الدورة الصناعية أو ما يسمى Trade cycle - لوحظ أن فترات الرخاء والأزمة تتتابع في مراحل منتظمة ، ففي بريطانيا العظمى مثلاً وقعت الضائقات الاقتصادية في سنوات : ١٨٢٥ و ١٨٣٧ و ١٨٤٧ و ١٨٥٧ و ١٨٦٦ وهكذا ، وقد قيل في تفسير هذه الظاهرة ، سواء في بريطانيا العظمى أو في غيرها من البلاد ، إن هناك دورة صناعية منتظمة تختلف مدتها من سنة إلى ١٥ سنة .

ويمكن تتبع مراحل هذه الدورة على النحو الآتي :-

١ - الرخاء ٢ - الانتكاس ٣ - الهبوط ٤ - الانتعاش .

ففي مرحلة الرخاء تزداد المقدرة على الشراء ويزداد العمل وتندعم البطالة وترتفع الاسعار والأجور وتكاليف الانتاج كما تسخن المصارف في التسليف، وهي في عبارة موجزة مرحلة من الانتاج الضخم والتفاؤل الشامل .

وفي المرحلة الثانية يضمحل النشاط السابق ، ويتمل الشراء وتنشأ البطالة وتبدأ الأسعار في الانحدار بأسرع مما ارتفعت ، ويكون الانحدار في أسعار الجملة أولاً ثم تتلوها أسعار التجزئة وتنحط الأجور وان يكن انحطاطها لا يتم بمثل السرعة التي يتم بها انحطاط الأسعار وتنحط تكاليف الانتاج بسبب هبوط الأجور من جهة وبسبب التداير التي يتخذها أصحاب الأعمال لزيادة مقدرة الآلات وكفاءتها وتجنب البنوك عن التسليف ويضمحل الانتاج بصفة عامة ويحل التشاؤم محل التفاؤل الذي كان سائداً في المرحلة الأولى ، ويتبع التجار والصناع سياسة الشراء من اليد للقم فهم لا يجسرون على تخزين بضائع لا يلبحون في الأفق بارقة أمل في تصريفها قبل أن تنحط الاسعار انحطاطاً جديداً .

وتكون المرحلة الثالثة وهي مرحلة الهبوط فترة عمل قليل هزيل تخف بها البطالة والخسائر الفادحة في التجارة والصناعة وإشهار إفلاس كثير من المحال والشركات والبنوك . وتبدو الاسعار في ميل للبقاء ثابتة أو الانحطاط انحطاطاً قليلاً . أما الأجور فتتهبط إلى أقل من المستوى الذي وصلت اليه ويحاول المنتجون تخفيض مصاريف الانتاج وان كان الانتاج ذاته يستمر ضعيفاً ويستمر ظاهر الحياة الاقتصادية داعياً للتشاؤم وان كانت تبدو في بعض نواحيه بوارق أمل خفيفة في الانتعاش .

ونصل إلى المرحلة الرابعة ، وهي المرحلة التي يسودها الأمل وتمتاز بالانتعاش وهبوط عدد العاطلين وتميل الأسعار للارتفاع قليلاً وتزيد البنوك فيما تقرضه ، وتبدأ الأجور في بعض الصناعات ترتفع ويبدأ التفاؤل يجد طريقه إلى رجال الصناعة الذين يكثرون من الحديث عن الرخاء حتى يقتنصوه كما يقول الامركيون ، ويصل بنا دور الانتعاش تدريجياً إلى الرخاء ومن ثم تبدأ دورة صناعية جديدة هذا ويجب ألا يغيب عن البال اننا حين نفرق بين هذه المراحل الأربع انما نفرق بينها من وجهة نظرية محض فلا يمكن أن نحدد بالدقة متى انتهت مرحلة

ومتى بدأت التلى تاليها ، وكل ما فى الامر أننا حين نلقى نظرة على الماضى نستطيع أن نقول إن مرحلة ما بدأت حوالى هذا الوقت دون المرحلة التلى تليها ، ومن أجل هذا لانستطيع أيضاً أن نحدد متوسط الوقت الذى تستغرقه كل مرحلة من هذه المراحل ، وقد قام مكتب الابحاث الاقتصادية فى الولايات المتحدة الامريكية فى سنة ١٩٢٦ بتجريات دقيقة استعرض فيها ١٦٦ دورة صناعية فى ١٧ دولة مختلفة فتبين له أن مرحلة الهبوط تستغرق سنة لكل ٠.٧ ر سنة تستغرقها فترة الرخاء وان أقل من ربع المدة التلى تستغرقها الدورة تشغله فترة الانتعاش وفترة الانكسار .

وللدورة الاقتصادية ثلاث مميزات :

١ - هذه الدورة عامة فهى تؤثر على كل صناعة وان كانت صناعات الآلات تقاسى أكثر من غيرها وفى بعض الاحيان تحل بها الازمة قبل سواها من الصناعات التلى تنتج للاستهلاك المباشر كما أن الصناعات التلى تنتج البضائع التلى تستمر مدة طويلة تقاسى أكثر من الصناعات التلى تنتج البضائع التلى تستهلك بالاستعمال مباشرة ، والصناعات التلى تنتج البضائع للتصريف فى الخارج تقاسى أكثر من الصناعات التلى تعتمد على الأسواق المحلية . وعلى كل حال فانه من الوجهة العملية قلما تنجو صناعة من الصناعات من التأثير بالازمة .

٢ - وهذه الدورة الصناعية تشمل كل البلاد التلى تتبع الوسائل الحديثة فى الانتاج وتدخل فى ذلك البلاد الصناعية القديمة والبلاد الصناعية الحديثة وكذلك البلاد الزراعية والبلاد التلى تصدر كثيراً من منتجاتها ، والبلاد التلى تحاول أن تستقل بنفسها عن غيرها محل للتأثر بالدورة الصناعية إذا كانت تتبع الوسائل الحديثة فى الانتاج .

٣ - والدورة الصناعية ظاهرة غريبة تحمل فى طياتها التناقض لان هبوط الصناعة يقترب بوفرة البضائع . ومن المعقول ان قلة البضائع تؤدى إلى حدوث أزمات ولكن من الغريب أن يضار الناس من كثرة البضائع ومع ذلك فان هذا الذى لا يصدق يحصل فى بعض الأحيان وهكذا نجد الفقر فى وسط فيضان من الثروة .

ولاشك أن أثر الدورة الصناعية على البطالة غير منكور فعند ما يقل الطلب على البضائع يضطر أصحاب الأعمال إلى الاستغناء عن العمال الذين كانوا يصنعون هذه البضائع الزائدة ويقدر عدد العاطلين عن العمل فى الظروف

الاقتصادية الحسنة بنحو ٢ أو ٣ في المائة من طبقة العمال فإذا ساءت هذه الأحوال ارتفعت النسبة إلى ٧ أو ٨ أو ١٠ وفي بعض الأحيان إلى ٢٠ أو ٢٣ في المائة .
وفيما يلي احصاء عن نسبة البطالة في إنجلترا منذ سنة ١٨٨٢ حتى سنة ١٩٣٢ :

١٨٨٢ - ٢ ر ٣ في المائة

» ١٨٨٦ - ١٠ ر ٢

» ١٨٨٩ - ٢ ر ١

» ١٨٩٣ - ٧ ر ٥

» ١٨٩٩ - ٢

» ١٩٠٤ - ٦

» ١٩٠٦ - ٣ ر ٦

» ١٩٠٨ - ٧ ر ٨

(زمن الحرب) » ١٩١٦ - ٤ و

» ١٩٢١ - ١٧

» ١٩٢٧ - ١٠

» ١٩٣٢ - ٢٣

وهذه الأرقام تدل دلالة واضحة على أثر الدورات الصناعية على العمال العاطلين، ففي فترات الانتعاش يوجد عاطل واحد في كل ٥٠ عاملاً ، وفي فترات الكساد يوجد عاطل واحد في كل ١٥ أو عشرة وفي بعض الأحيان بين كل خمسة من العمال . وفي سنة ١٩١٦ كان يوجد عاطل واحد في كل مائتي عامل وفي بعض الشهور في سنة ١٩٣٢ كان يوجد عاطل بين كل أربعة يعملون ، ولا يفوتنا أن الأرقام المشار إليها تستند إلى إحصائيات نقابات العمال ، على أن الإحصائيات الخاصة بكل صناعة أعظم دلالة ، ففي صناعة الحديد والصلب وبناء السفن وصناعة التعدين كان يوجد رجل واحد عاطل بين كل ١٠٠٠ عامل في سنة ١٩١٨ وفي بعض الشهور في سنة ١٩٢٧ وفي بعض الشهور في سنة ١٩٣٢ كان يوجد عاطل واحد في كل ثلاثة عمال .

وقد وضع الاقتصاديون نظريات عديدة تكاد تبلغ المائتين في تفسير الدورة الصناعية ، نقتصر هنا على ذكر واحدة أو اثنتين لأننا لانحب أن ندخل في تفاصيل قد تعقد الموضوع .

يرى بعض الاقتصاديين أن سبب الدورة الصناعية يرجع إلى تغييرات المناخ . فالبلاد الصناعية تباع كمية كبيرة من منتجاتها إلى الأمم الزراعية ، وقوة الشراء في هذه الأمم تتوقف على جودة محاصيلها وجودة محاصيلها تتوقف هي الأخرى على الظروف الجوية .

وأحسن النظريات التي تستند إلى أسباب المناخ هي نظرية ستانلي جيفونز Stanly Gevons وقد حاول أن يوجد صلة بين ظهور البقع الدورية على وجه الشمس وبين الدورة الصناعية وانتهى إلى أن الدورة المناخية تحصل كل إحدى عشرة سنة ونصف السنة ، ولكن التجربة دلت على أن متوسط الدورة الصناعية يتراوح بين سنة وخمس عشرة سنة .

ويرى بعضهم أن الدورة الصناعية ترجع إلى الإسراف في الإنتاج إذ يحدث في كثير من الأحيان أن صناعة معينة أو مجموعة من الصناعات تنتج أكثر مما تستطيع أن تباع ، وقد يرجع ذلك إلى أسباب خاصة مثل نشوب الحرب أو وقفها ، ولكننا حتى إذا غطينا النظر عن هذه الأسباب الخاصة فإن زيادة الإنتاج يجيء نتيجة محتومة لعدم التعاون والاتحاد بين المنتجين . فلابد في الحياة الاقتصادية الجديدة من الموازنة بين العرض والطلب فإذا كان تقدير الطلب خاطئاً فإن الثمن الذي قام الإنتاج على أساسه سوف لا يتحقق . وهذا الإنتاج الزائد والبطالة المترتبة عليه في صناعة واحدة أو صناعيتين يحدث أزمة عامة ، لأن البطالة تؤدي إلى اضمحلال الطلب وعلى الأخص في بضائع المستهلكين بل إن أقل اضمحلال في طلب بضائع المستهلكين ، مهما كان طفيفاً ، يحدث نتائج خطيرة في الإنتاج .

ولكي نوضح هذه الظاهرة يجدر بنا أن نستعين بتليها بمثل ، ولنفرض أن عندنا صانعا وتاجرا بالجملة وتاجرا بالقطاعي ولنسم الأول محمدا والثاني محمودا والثالث أحمد ، ولنفرض أن محمدا يمد محمودا الذي يمد أحمد بعشر وحدات من بضاعة معينة كل شهر ولنفرض أن أحمد يبيع العشر الوحدات كلها . ولنفرض أيضا أنه في شهر من الشهور لا ي سبب من الأسباب باع ٨ فقط وأنه طلب إلى محمود أن يمده بست وحدات فقط وحينئذ يجد محمود نفسه في مركز سيء فبئذ يبيع وحدات زائدة وقد هبط الطلب إلى ست فقط فإذا يصنع ؟ لاشك أنه سيبالغ في تخفيض طلبه من محمد فيرجو إليه أن يصنع له وحدتين اثنتين فقط وماذا يصنع محمد وعنده عشر وحدات من البضائع موجودة دون مشتر والطلب قد نزل إلى

وحدتين اثنتين فقط الا أن يتوقف عن العمل .

وهكذا نجد أن النقص البسيط في الطلب يتضخم ويبالغ في تقديره مبالغة كبيرة
وهكذا لا يصبح لدى الصانع محمد إلا سبيل واحد هو أن يطرد عماله وليس هذا
فحسب بل وأن يكف عن شراء ما كينات جديدة وهذا معناه إيجاد البطالة في
صناعات أخرى .

وهذه البطالة الجديدة ستضعف هي الأخرى الطلب فيزداد ضعفاً على
ضعف وهكذا تستمر الاحوال تجري على هذا التسلسل حتى يعم الضيق .

ومن رأى مستر روبسون في كتابه « علم الاقتصاد والبطالة » أن الدورة
الاقتصادية هي نتيجة الاسراف في انتاج بضائع رأسمالية Capital.goods بالنسبة
إلى بضائع الاستهلاك فان جزءاً كبيراً من الدخل العام للناس ينتقل إلى عدد أقل
من الموسرين وهؤلاء الموسرون يصرفون جانباً كبيراً من ثرواتهم في بضائع
رأسمالية : في اقامة المصانع وشراء الآلات الخ وهذه البضائع الرأسمالية الجديدة
يزيد في انتاج بضائع المستهلكين؛ ولكن مادام الجزء الاغلب من السكان فقراء
نسبياً فان البضائع الجديدة لا تجد سوقاً رابحة ، ومن ثم ننتهي إلى البطالة وهبوط
الأسعار وحلول الضيق الذي يقترن بخسارات كبيرة في الصناعة كما يقل المال
المدخر المستثمر فيها .

ولم تلق نظرية روبسون ارتياحاً من الاقتصاديين ، ويقول البروفسور ويزلي
متشمل إنه مادامت النظرية تقرر أن الطلب من جانب المستهلكين يتبع كمية بضائع
الاستهلاك فان أسعار هذه البضائع يجب أن تهبط قبل أسعار المواد الخام وبضائع
المنتجين ولكن التجربة أثبتت عكس ذلك .

ويقول بعض العلماء إن الدورة الصناعية ترجع إلى أسباب نفسية ، ويقول
آخرون إنها ترجع إلى نظام النقد والائتمان ، ولا أحب أن أدخل في تفصيلات
دقيقة لهذه النظريات المتعددة فان واحدة منها لم تلق تأييداً من جمهرة العلماء ، وإنما
تسكاد تكون آراء شخصية لواحد أو أكثر من الكتاب .

٢ - فشل اقرار العلاقات بين العمال وأصحاب العمل :

ونتحدث الآن عن أسباب البطالة التي ترجع إلى الخلافات بين العمال وأصحاب
العمل والفشل في اقرار العلاقات بينهما . ويجب أن نلاحظ أن العمال يتزايدون فلا
يمكن أن نأمن البطالة بينهم إذا لم يزد الانتاج ، وزيادة الانتاج غير ممكنة في أغلب

الأحوال فالأسباب التي تحمل على وقف الانتاج عند حد معين تؤثر بدورها في بطلالة العمال وهذه هي الحال في اضطرابات العمال . وتوقف المصانع والمغازل عن العمل يؤدي هو الآخر إلى زيادة البطالة . وقد يحدث أن يؤثر الاضراب في المغازل على عمال النسيج فيضطر أصحاب مصانع النسيج إلى الاستغناء عن عدد كبير من العمال وقد يؤدي اضراب عمال مناجم الفحم إلى توقف مصانع الغزل عن العمل ويبدو لنا هذا التأثير غير في المباشر قويا واضحا إذا استمر الاضراب مدة طويلة كما حدث سنة ١٩٣٦ حين أضرب عمال مناجم الفحم في انجلترا ستة شهور كاملة .

ولا يقف أثر الاضطرابات والخلافات بين العمال وأصحاب العمل عند زيادة البطالة في البلاد بل يمتد الى الاسواق الخارجية ويضعف الثقة في مقدرة المصانع المحلية على الوفاء بالطلبات الخارجية فتقل أو تنعدم انعداما كلياً ، ويضطر العملاء الاجانب الى البحث عن مصانع أخرى ليست مصابة بآفة الاضراب ويكون تسليم بضائعها في الوقت المناسب مؤكدا .

٣ - الأسباب الشخصية :

والقسم الثالث من أسباب البطالة هو الأسباب الشخصية وقد كانت هذه الأسباب فيما مضى أعظم خطراً مما هي الآن ، فقد كان المعروف أن العامل لا يتعطل عن العمل إلا اذا عجز عنه أو أسرف في الشراب والمقامرة واللهو فأفسد صحته ، وأصبح غير لائق . ولكن أثر العوامل الشخصية في البطالة اضمحل في العصر الحديث اضمحلالا كبيرا وأصبحت البطالة ترجع إلى أسباب اقتصادية وصناعية . نعم إن العوامل الشخصية لا يمكن نكران أثرها ولكنه أثر ضئيل اذا قيس بما كان لها في العصور السابقة

وتتلخص هذه الأسباب فيما يلي : (أ) كبر السن . (ب) التشوهات الجسمية . (ج) الاخلاق (د) التدريب الناقص

وكبر السن ليس في ذاته سبباً مهماً للبطالة فكثيراً ما يكون العمال المتقدمون في السن أكثر قدرة وفهماً للعمل من العمال صغار السن ، ويحدث في بعض الأحيان أن يطرد الصغار بينما يحتفظ صاحب العمل بالمتقدمين في السن . ولكن متى فقد العامل المتقدم في السن عمله ساءت حالته إلى حد كبير لأن أصحاب الأعمال الأخرى يترددون في استخدام عجوز لا يعرفونه ويفضلون عليه عاملاً ما يزال المستقبل أمامه .

والتشوهات الجسمية أو العقلية تيجىء نتيجة رداءة الصحة أو الحوادث ، ومن يصاب بها من العمال يصبح غير صالح للعمل بالمرة أو صالحاً له في أوقات معينة وغير صالح في أوقات أخرى ، وعلى كل حال فإنه يصبح على هامش الصناعة ويصبح متعرضاً للبطالة بل قد لا يجد من يستخدمه الا إذا قل العمال ، وهذا احتمال نادر .

وسوء الاخلاق يؤثر على مقدرة العامل وكفاءته ، فالسكير أو المقامر لا يمكن الاطمئنان اليه وهو في نظر أصحاب الاعمال رجل ناقص يفضلون عليه غيره من الذين لم يعتادوا الخمر والمقامرة ، ويوجد كثيرون من العمال العاطلين لم يتعطلوا لسبب إلا لسوء أخلاقهم

وعدم التدريب على العمل هو الآخر سبب من أسباب البطالة وان كان سبباً ضئيل الاثر (١) .

ويجب ألا يغيب عن البال أثر العامل النفسى في احداث البطالة . فقد يتشاءم أصحاب الاعمال ويلجئون في الافق أزمة قادمة فيتصرفون على هذه العقيدة تصرفات عديدة يكون من بعضها أن يخفضوا الانتاج ، وفي تخفيض الانتاج يتعطل فريق من العمال . وعلى العكس من ذلك اذا ساد الجو الصناعى روح التفاؤل أقبل أصحاب المصانع على استخدام العمال ، وهكذا يبدو العامل النفسى عظيم الاثر وهو مضافاً الى غيره من العوامل يخلق في الصناعة أعقد مشاكلها وهى البطالة .

ويلاحظ أيضاً أن البطالة لا تؤثر فقط على العمال ولكنها تؤثر أيضاً على البناء الاقتصادى كله ، فالعمال الذين لا يجدون عملاً ولا يجدون مرتزقاً تضعف مقدرتهم على الشراء فيقل الطلب ، وإذا قل الطلب هبطت الاسعار وقل الانتاج وتأثرت المصانع والمعامل وتأثر مع هؤلاء بل وقبلهم الزراع ولمشكلة البطالة نواح أخرى اجتماعية عديدة ليس هنا مجال الافاضة فيها ولكنها بالاختصار تؤثر على الاخلاق وتزيد الجرائم زيادة كبيرة وتفسد نفسية الجماهير إفساداً خطراً يخشى منه على الكيان الاساسى للجماعة

(١) البروفسور ت . ه . فريزر : مذكرات غير مطبوعة .

أهم الاقتراحات التي بحثها الاقتصاديون :

ولكن هذه المشكلة المعقدة المظلمة ألا يوجد لها حل ؟ هذه المشكلة التي تكاد تقلب الحياة الاجتماعية قلبا عسيفا ، هل عجز عنها العلماء الاقتصاديون كل العجز وتركوها تفعل فعلها وتحكم بالبؤس والشقاء على طائفة كبيرة في الأمم الصناعية ؟ كلا ... من الانصاف أن نشير هنا الى الجهود الكبيرة التي بذلها الاقتصاديون وإلى البحوث المستفيضة الدقيقة التي عالجوا فيها هذه المشكلة الخطيرة وإلى الحلول التي اقترحوها لها وإذا كانت لا تزال رغم هذا كله كابوسا ثقيلا يجثم على صدر العالم فليس الذنب ذنبهم وليسوا هم ازاءها مقصرين ، ولكن العيب في النظام كله ، النظام السياسي والاداري والاجتماعي ونظام التعليم ، العيب في هذه الصيغة الشديدة لفرض القيود على التجارة والصناعة وتقسيم العالم إلى وحدات اقتصادية متنافسة وتحرك المطامع السياسية في النفوس ، العيب في فقدان التعاون الدولي الصحيح . فليست البطالة مشكلة أمة بذاتها ولكنها مشكلة العالم كله ، ولم يعد العالم يعيش منفصلا بعضه عن البعض الآخر وإنما هو يكاد يكون أمة واحدة تتجاوب في انحاءها الاصداء بأسرع مما يتصور الانسان وقد تؤدي سياسة اقتصادية معينة اتبعت في الهند والصين إلى تبطل العمال في إنجلترا وقد تؤدي سياسة تتبعها أميركا إلى ضيق اقتصادي في مصر وهكذا

والبطالة رغم أنها مشكلة لها آثار اجتماعية شديدة فهي في أصلها ومنشأها مشكلة من مشاكل الصناعة فيجب أن نلتمس علاجها بإعادة التنظيم في ميادين الصناعة المختلفة حتى تقل التقلبات في حياة العمال ، والموضوع طويل والحلول المقترحة كثيرة ، غير أننا سنجهد في حصرها والاكتفاء بالاقتراحات الهامة دون الدخول في التفاصيل :

١ - وأول هذه الاقتراحات تنظيم مكتب أو إدارة تكفل حماية العمال شر تقلبات الصناعة ، فتعد أشرت آنفا إلى أن بعض الصناعات لها مواسم يكثر فيها انتاجها ومواسم يقل فيها الانتاج . ومن الطبيعي أن مواسم ضعف الانتاج تؤدي إلى الاستغناء عن بعض العمال . فمهمة المكتب أو الإدارة المقترحة أن تسهل انتقال العمال من الصناعات القليلة الانتاج إلى الصناعات الوفيرة الانتاج ،

وقد دلت التجربة على أنه حين تكون صناعة من الصناعات هزيلة الانتاج تكون صناعة أخرى دسمة الانتاج فيمكن أن يجد العمال الذين يتعطلون من الصناعة الاولى عملا في الصناعة الثانية بواسطة هذا المكتب أو هذه الادارة التي تنشر بيانات وافية دقيقة بين العمال العاطلين

٢ - تنظيم سوق العمال - وذلك يكون بادخال نظام التبادل Labour exchange - وهذا التبادل يخدم أغراضا عديدة أشرنا الى بعضها فيما يختص بالتقليل من أثر التغيرات الموسمية في الصناعات

٣ - هجرة العمال - ولكن هذا الاقتراح الذي عرض قبل الازمة الاقتصادية وكان مأمول النفع والفائدة أصبح منذ نشبت هذه الازمة لافائدة فيه وعدل عنه

٤ - واقترح لعلاج تغيرات الدورات الصناعية Cyclical Fluctuations تعميم نظام التأمين والاستعانة بما يسمىه الأمريكيون بارومتر العمل Business Barometer لمعرفة ما يمكن أن يكون عليه الطلب في السنوات المقبلة ، ووسيلتهم لهذا هي أن يجمعوا احصاءات كافية عن الانتاج في السنوات الماضية ويقارنوها بأرقام الطلب ، وهكذا ينتهون من المقارنة إلى استنتاج ما يمكن أن يكون عليه في المستقبل ، غير أن بارومتر العمل يكاد يكون فكرة خيالية فقد فشل فشلا تاما في بلاد مولده وأعنى بها الولايات المتحدة الامريكية

٥ - العلاجات الخاصة بنظام العملة والنقد - اقترح بعضهم أن يقيد منح التسهيلات العديدة في قروض الائتمان حتى يمكن مجانبة اخطار المضاربة وتضخم النقود وفي الوقت ذاته يمكن تشجيع الصناعات في أوقات الأزمات وبهذه الطريقة يمكن التقليل من اخطار ارتفاع الائتمان ويمكن تفادى اخطار الازمات بمحاولة الارتفاع بمستوى الاسعار .

٦ - تنظيم استخدام العمال - وهذا له شقان أحدهما خاص بتنظيم المصنع في ذاته والآخر خاص بتنظيم الصناعة كلها ، ففيما يختص بالمصنع اقترح أن يدرب العمال على أعمال متعددة فاذا اضطر أحد أقسام المصنع إلى تخفيض انتاجه انتقل العمال الزائدون إلى الاقسام الاخرى التي ستزيد نشاطها ، وان تتبع إدارة المصنع كل الوسائل الممكنة لحمل الزبائن على التوصية على بضائعهم قبل حاجتهم اليها بمدة ، وفي أوقات اضمحلال الطلب يجب ألا يقلل المصنع من انتاجه بل يخزن

الاتاج الزائد الى وقت الحاجة
وهذه الوسائل وان كانت نافعة وفي مصلحة العمال. الا أنها عمليا صعبة التنفيذ
وقلما يعتمد مصنع من المصانع الى الاستمرار على الاتاج الكبير في أوقات الطلب
القليل على أن يبيع المخزون متى انتعش الطلب
أما فيما يختص بالصناعة كلها فقد اقترح أن تؤجل طلبات بعض الصناعات الكبيرة
مثل انشاء السكك الحديدية أو بناء الكبارى الى أوقات الازمة . وهى بذلك،
فضلا عن أنها تخفض من حدة الازمة، تكسب مزايا الرخص فى الأسعار
٧- التعجيل بالاعمال العامة الكبيرة - على أن أهم وسيلة لانعاش الحالة ومكافحة
الازمة هى التعجيل بوضع برنامج المنشآت العامة موضع التنفيذ لسنوات كثيرة
قادمة ، وقد دافع عن هذه السياسة فى بريطانيا البروفسور باولى وهو اخصائى
بارع واقترحها على لجنة قانون الفقراء فى سنة ١٩٠٩ وقال البروفسور باولى فى
تفسير فكرته انه لو عمدت الحكومة الى تأجيل ثلاثة أو أربعة فى المائة من أعمالها العامة
الى وقت نزول الأسعار فانها بذلك تعطى أكبر مساعدة لمكافحة ويلات الدورة
الصناعية .

ومنذ وضعت الحرب أوزارها حظيت هذه السياسة بتأييد كبير من مكتب
العمال الدولى وهى لا ريب تؤدى الى كثير من النفع فهى: أ- تساعد على استخدام
عمال كثيرين يلزمون لانتاج المواد الخام للاعمال الحكومية. ب- العمال الذين
يشغلون فى هذه الاعمال سيتمقبضون أجور تزيد فى مقدرتهم على الشراء فترفع الاسعار
غير أننا لا يجب أن نبالغ فى تقدير أثر هذا العامل فهو وإن كان مؤكدا للنفع الا
أن هناك عقبات عملية تحول دون الاعتماد عليه كل الاعتماد ، أو على الأقل تحد
كثيرا من نتائجه الحسنة ، فابست أعمال الحكومة مما يمكن أن تؤجل جميعا ولا
بما يمكن أن يوضع لها برنامج محدود ، فهناك أعمال تنشأ دون سبق تدبير أو تقرير،
وهناك أعمال يضرها التأخير ، وفضلا عن ذلك فان العامل المالى عظيم الاهمية
فقد يكون لدى الحكومة عشرات الاعمال الهامة التى يمكن أن تستخدم مئات
وآلاف العمال ولكنها لا تجد المال اللازم لها فتضطر الى إرجائها أو العدول عنها
هذه هى أهم الاقتراحات الرئيسية التى بحثها الاقتصاديون ويتفرع عنها عشرات
الفروع لانجد المجال مما يسمح بالأفاضة فيها ، انما أردنا أن نضع صورة موجزة
صحيحة بقدر الامكان لهذه المشكلة التى قلبت النظم فى بعض الحكومات الاوربية
وما تزال داء عضالا يحز فى أجسام الدول الأخرى

القسم الثانى

مشكلة البطالة من وجهة النظر المصرية :

انتهيت من الكلام على البطالة من وجهة نظر الأمم الصناعية ووضعت خطوطها البارزة في العمل والعلاج . ولا شك أن القارئ يلح فيما كتبت جميعاً تعبيرات غريبة عن الحياة المصرية فلم تبلغ الصناعة عندنا بعد المبلغ الذى وصلت اليه في البلاد الأوربية . ومع ذلك فأتى أرى أن دراسة ما كتب عن البطالة في الأمم الصناعية لا يخلو من فائدة بالنسبة لمصر وهى توشك أن تواجه نفس المشاكل وتجتاز نفس المآزق فن الخير أن تنتفع بتجارب غيرها ، وأن تواجه الشر في منتصف الطريق .

ولست مصر خالية من بطالة بين طبقات العمال الذين يتناولون أجورا Wage-earning ولكن متاعبها من هذا السبيل مازال محدودة ، إنما هى تعانى أشد المعاناة من نوع آخر من البطالة أشد خطراً وأشد حاجة إلى العلاج السريع هو بطالة المتعلمين .

وتمت خط أسود يبدو بعيداً في الأفق يحمل معه مشكلة بطالة أخرى هى البطالة بين العمال الزراعيين فإن الآلات تغزو الحقول اليوم ، والمأساة التى تنتج منها حين دخلت الصناعة لأول مرة توشك أن تنتج منها وهى تدخل الزراعة ، والآلة تطرد العامل ، والعامل المطرود يصبح عاطلاً . وقد أخذت الآلات تعرف طريقها إلى الحقول المصرية ، وهى اليوم تقتصر على الزراعات الواسعة ، ولكن الزمن كفىل بتعديمها بين أصحاب المملكات الصغيرة

أحب اذن أن أعالج البطالة من وجهة النظر المصرية على أنها تعبير يشمل :
أولاً : المتخرجين في المدارس العالية وكليات الجامعة دون أن يوفقوا إلى عمل سواء كان هذا العمل في الحكومة أو في الشركات الحرة أو بمزاولة مهنة من المهن التى تؤهلهم لها اجازاتهم ، ويلحق هؤلاء المتخرجون في الجامعة الأزهرية .

ثانياً : هذا الفريق من الشبان الذين حصلوا على تعليم متوسط غير فنى ، أعفى حصلوا على شهادة الدراسة الثانوية قسم ثانى أو قسم أول ولم تمكنهم ظروفهم الخاصة من متابعة تعليمهم العالى ولم يوفقوا كذلك للحصول على عمل ، ويلحق هؤلاء الحاصلون على شهادات الأزهر المتوسطة (الابتدائية والثانوية) .

ثالثاً : المتخرجين فى المدارس الفنية المتوسطة (التجارة والصناعة والزراعة) ولم يحصلوا بعد على عمل .

رابعاً : المتبطلين من العمال الصناعيين .

خامساً : المتبطلين من العمال الزراعيين (الفلاحين) .

أسباب البطالة فى مصر :

وقبل عشرين سنة أو ثلاثين لم يكن أحد فى مصر يشكو بطالة لابين المتعلمين ولا بين العمال. أما اليوم فأنك لتجد الشكوى مرة ترفع من شتى النواحي . ويلوح لى أن البطالة التى تعانيها مصر هى بطالة ظاهرية تختلف فى أسبابها وجوهرها عن البطالة فى الأمم الصناعية . فمن الغريب مثلاً أن يوجد آلاف المتعلمين ونسبة التعليم فى مصر لم تزد بعد عن ١٠ أو ١٥ فى المائة ، وأن يوجد عمال متعطلون والصناعة عندنا تخطو أولى خطواتها وهى سائرة فى طريق الازدهار ، وليس فى طريق الاضمحلال . وإذا فهم أن تشكو بريطانيا البطالة لأن صناعتها وصلت إلى الأوج ثم عادت إلى الانحدار فأدت هذه الظاهرة إلى الاستغناء عن عدد كبير من العمال فيجب أن نرفض رفضاً باتاً شكوى مصر من البطالة بين العمال الصناعيين وهى بعد فى مهد الصناعة . وإذا فهم أن تشكو ألمانيا البطالة وليس فيها أمى واحد فلا يصح أن تشكو مصر البطالة ونسبة التعليم فيها عشر ما هى عليه فى ألمانيا . وإذا فهم أن تشكو إيطاليا البطالة ولم يصبح فى رقعة بلادها شهر من الأرض دون استغلال (١) فلا يصح أن تشكو مصر البطالة وما يزال جزء كبير من أرضها لم يستغل الاستغلال السكافى ، بل وما تزال قوى عديدة فى جوها ومياه نهرها وتربة أرضها كامنة لم يفكر أحد بهد فى إيقاظها .

هى بطالة ظاهرية فيها أعتقد . ولست أقصد بقولى ظاهرية أنها غير موجودة ، بل هى موجودة ملموسة . ولكن أقصد أنها بطالة كاذبة قد ترجع إلى فساد فى نظام التعليم أو فى نظم الاقتصاد أو فى صميم الحياة الاجتماعية أو إلى تطور جديد تتجازه مصر أو إلى أى إلى اضطراب فى أى منحى من مناحى الحياة المصرية أو نفسية المصريين ذاتها . أما أنها ترجع إلى اكتظاظ الأرض المصرية بالسكان وقصور

(١) البروفسور برشيانى تيرونى : مذكرات غير مطبوعة .

خيراتها عن الوفاء بحاجاتهم ، أو ترجع الى تضخم الصناعة وقلة رؤوس الأموال وندرة ميادين العمل فذلك مايجب رفضه رفضاً باتاً .

وإذا كان بعض العلماء في أوروبا يقول اليوم «ان نظرية مالش عن السكان تبرز الى الوجود مرة أخرى وأنه يجدر بنا أن نغزى الارنب «زيادة السكان» بالنوم قليلاً ريثما تلاحقه السلحفاة « موارد العيش» فان هذا الكلام يجب أن يكون بعيداً عن أذهاننا على الاقل في الوقت الحاضر فان مصر تحتاز طوراً من الحياة اجتازته أوروبا منذ قرنين حين بدأ الانقلاب الصناعي وأخذت ميادين الاستغلال والعمل تنفتح على مصراعيها فصاحبت زيادة السكان السريعة زيادة أسرع منها في كميات الثروة .

ولم تجتز أوروبا هذا الطور من التحول عن الزراعة الى الصناعة دون أن تقترن به مأس عديدة من البطالة والفقر والبؤس وضغط أصحاب رؤوس الأموال بقوتهم على العمال ومن ثم كانت صيحة سيسموندى وغيره من الكتاب الاجتماعيين بتحقيق هذه الحضارة التي تقترن بالفقر والشقاء وتجمع بين الثراء الواسع والعدم المطلق .

ان السنوات العشرين الأخيرة قد حملت الى مصر تطوراً عميقاً ، تطوراً شمل حياتها السياسية والاجتماعية والاقتصادية . وكل تطور تصاحبه حتماً هزات اضطراب وتقلع ، ولكنه لا يتوقف بل يصل الى غايته ، ومتى استقر في النهاية وخلا الجو من زوابع الانقلاب اطمأن كل شيء في موضعه وبأن ان ما حسبه البعض شراً محضاً لم يكن الا شراً يقود الى خير أو شراً هو بنفسه سبيل الخير .

وقد لبثت مصر سنوات عديدة ، لابل قروناً عديدة ، أمة زراعية مؤمنة بأن الطبيعة قد أرادت لها على ذلك والبيئة الزراعية تخلق في النفس طائفة من الاحساسات والمشاعر والأخلاق تلائمها ، تخلق في النفس التواكل والاستكانة والصبر والجزع من المجازفة والخوف من اقتحام ميادين العمل المتأرجح بين النجاح والافقار والقناعة بعصفور واحد في اليد بدل الجرى وراء عشرة يحومون في الافق الفسيح . ومن هنا كان ايمان المصريين بأن المال لا يستثمر الا في شراء الارض ، والثروة لا تقاس الابعاد الفدادين المملوكة ، كان الواحد منهم يجزع ان يقامر بماله في ميدان آخر غير ميدان الزراعة .

١ - التحول من الزراعة إلى الصناعة :

واليوم تدخل مصر في طور جديد توشك أن تنزل الزراعة فيه عن عرشها العظيم وتتحول رؤوس الأموال شيئاً فشيئاً عن الزراعة إلى الصناعة والتجارة، والتحول عن شيء اكتسب في نفوس المصريين على مر الأجيال مكان القداسة ليس هيناً . ومن المحتم أن تصاحبه اضطرابات اقتصادية . ولست أزعم أن رؤوس الأموال كلها ستترك الزراعة إلى الصناعة وإنما اعتقد أنها ستتوزع توزيعاً عادلاً بين الميدانين بحيث تكون فائدة رأس المال المستثمر في كل منهما متساوية أو متقاربة ، وهذا هو الوضع الاقتصادي الصحيح ولا بد أن يكون في يوم من الأيام . بل نحن قد بدأنا بالفعل نسلك الطريق إليه .

وقد ترتب على هروب بعض رؤوس الأموال من الزراعة إلى الصناعة أن انحطت قيمة الأراضى الزراعية وأن أخذ الناس ينصرفون عن إيمانهم القديم بأن الزراعة أحسن مهنة مربحة بعد أن رأوا مقدار ما جرته على أهلها من الفقر والبؤس خلال السنوات الأخيرة واستتبع ذلك هجر كثيرين من الفلاحين للزراعة ونزوحهم إلى المدن يلتمسون في رحابها مرتزقا جديداً ومزاولة بعضهم فعلاً لبعض المهن الصغيرة كالخدمة في البيوت وحراسة الأبواب والاستغال في المعامل ودكاكين التجارة .

والإنسان كما يقول آدم سميث باعتباره عاملاً من العوامل الاقتصادية تقوده مصلحته الذاتية، ورؤوس الأموال باعتبارها هي الأخرى بعض هذه العوامل تبحث أبداً عن أحسن الميادين لاستغلالها .

وما ضاعف أزمة العمال الزراعيين في مصر تغير أساليب الزراعة وتحولها من الوسائل البدائية القديمة إلى وسائل جديدة تلعب فيها الآلات دوراً كبيراً . فالطنبور والتابوت أو الساقية والمحراث والمدراة والنورج أخذت تطردها جميعاً آلات بخارية لا تستلزم ادارتها غير ربع العمال الذين كانت الوسائل القديمة تستلزمهم، وبذلك زاد عدد العمال الزراعيين وقل الطلب عليهم ومن ثم انحطت أجورهم انحطاطاً كبيراً لم يعد وافياً بحاجات معاشهم رغم ضآلتها فانصرفوا أو انصرف بعضهم عن القرية لفقرها وبؤسها إلى المدينة يحدوهم الأمل الواسع أن يجدوا فيها عملاً يهيء لهم مستوى أفضل من المعيشة .

ب - تأثير عمال المدن :

والظواهر الاقتصادية يتصل بعضها ببعض الآخر اتصالاً وثيقاً ويتفاعل أحدها مع الآخر تفاعلاً بعيد المدى . وهكذا فإن هجرة الفلاحين إلى المدن الصناعية وغيرها أثر تأثيراً سيئاً على العمال الصناعيين فانحطت أجورهم لأن ميادين الصناعة لم تصل بعد في مصر إلى الحد الذي يسمح لها بأن تستخدم كل هذا العدد من العمال الراغبين في العمل . ولم يقتصر أثر الفلاحين النازحين من القرية عند تخفيض أجور عمال الصناعة وتبطل عدد منهم بل أدى إلى تضيق فرص الكسب أمام طوائف العمال الأخرى كخدم البيوت والكناسين ومستخدمى المحال التجارية والمطاعم وفراشى المكاتب والشركات الخ .

وهذه الظاهرة بالذات حدثت في إنجلترا خلال السنوات الأخيرة من القرن الثامن عشر وفي مستهل القرن التاسع عشر إذ أخذ الناس يهجرون القرية إلى البيئات الصناعية الآخذة في الازدهار حينئذ .

ونذكر هنا أن ما أصاب الزراعة المصرية من الاضمحلال والتدهور لم يكن قاصراً عليها إنما كانت تتبع فيه العوامل الدولية وتأخذ بنصيبها من الضائقة التي لم تترك بلاداً دون أن تلتفحها بسمومها . وقد أشار صاحب السيادة عبد الوهاب باشا في محاضراته التي ألقاها في مساء ٣١ مايو سنة ١٩٣٤ بنادى خريجي كلية فيكتوريا باسكندرية الى أثر الازمة في الزراع الأمريكيين فقال « بينما بلغ الهبوط في الأسعار التي يتقاضاها فريق الزراع في الفترة ما بين فبراير سنة ١٩٢٩ وفبراير سنة ١٩٣٣ - ٢٤ في المائة لم يتجاوز الهبوط في الأسعار التي يدفعونها ٣٤ في المائة ، وبينما كان الانخفاض في الانتاج الزراعى لا يتعدى ٦ ر ٤ في المائة بلغ النقص في التصريف ٧ ر ١٩ في المائة كما زادت المتكبدسات من المواد الغذائية والأولية بمقدار ٩ ر ٦١ في المائة »

ج - البطالة بين المتعلمين :

وإذا كان التحول من القرية إلى المدينة وتسريب بعض نشاط الانتاج من الزراعة إلى الصناعة قد اصطحب بظاھر من البطالة بين عمال الزراعة وعمال الصناعة فإن البطالة بين حملة الشهادات العليا تمثل هي الأخرى جانباً من جوانب التطور في الحياة المصرية ؛ هذا التطور الذي لم يقتصر على الاقتصاد والاجتماع والسياسة بل شمل جوانب النفس المصرية جميعاً

وفي عهد محمد علي كان يساق التلاميذ الى المدارس سوقاً، أما اليوم فهم يدفعون عن أبوابها دفعاً ، وفي الفترة التي فصلت بين عهد الاحتلال والعهـد الحاضر جرت سياسة التعليم على تخريج موظفين للحكومة وكانت المصالح الحكومية تتلقفهم بمجرد تخرجهم فكان طبيعياً أن يقر في ذهن التلميذ وهو يضع رجليه في أول مراتب التعليم أن مصيره الى وظائف الحكومة .

والعادة تحتل في النفس مكاناً يشبه القداسة ، وفي أمة ماتزال في أول مراتب الحضارة كما كانت مصر في فجر هذا القرن ، كان لموظفي الحكومة سلطان وجاه ومراتب مغرية ، وكان التعليم في مدارس الحكومة هو السبيل الى هذا الفردوس المرموق ، وانحدرت هذه الرغبات من جيل الى جيل واقتربت بالرغبة في التقدم والاستزادة من التعليم والاقبال عليه حتى كانت السنوات التي تلت الحرب فاذا المدارس تضيق بالتلاميذ واذا مئات ممن يتخرجون منها لا يجدون ما كان يجد زملاؤهم من وظائف ومراتب وجاه وسلطان

وقد حاولت الحكومات المتتابعة أن تغير برامج التعليم بما يتفق مع الحالة الجديدة واعداد جيل لا يعتمد على الحكومة ووظائف الحكومة ولكن كل ما أدخل عليها من تعديل لم يخف طابعها القديم ولم يند في النفوس المصرية حب الوظائف ، والواقع انه لم يكن مستطاعاً أن تبد شعوراً تأكد بالعادة وانحدر الى أعـمق أعماق النفس المصرية وزكته ظروف اجتماعية خاصة مرت بها مصر طوال نصف قرن من الزمان ، وانما على الايام وحدها وعلى الظروف الاقتصادية والاجتماعية أن تعد المصريين اعداداً صالحاً للحياة الجديدة .

وليس معنى هذا أن نسكت ونذع الزمن وحده يعمل وانما علينا أن نعمل معه فنصل مسرعين الى مانحب من تنقية نفس الشاب المصري مما انحدر اليها بالعادة والتقليد وحكم الحياة الاجتماعية وهذا ما أشير اليه حين الكلام على العلاج . وكل ما أحب أن أسجله هنا هو أن التعليم المصري بمختلف أنواعه وسياسة التعليم في مصر بمختلف وسائلها بقيت على ما كانت عليه حين كانت المدارس المصرية مجرد معاهد لتخريج موظفين للحكومة ، ولا يغض من قيمة هذا الكلام ما أدخل عليها من تعديل فانه تعديل لم يتناول الأساس ، ولم ينتج في الحياة المصرية الا آثاراً محدودة .

ومن الانصاف أن نذكر بالخير جهود وزارة المعارف ورجالها وجهود الوزراء

الذين تعاقبوا عليها منذ سنة ١٩١٩ حتى الآن، فقد حاولوا جهدهم أن يخلصوا بالتعليم من تقاليد القديمة وأن يتجهوا به إلى غاية الوحيدة التي تلائم العصر الجديد وهي انتاج شاب مثقف مزود بالقوة في النفس والعمل قادر على طرق شتى الميادين وكسب عيشه بآية وسيلة شريفة غير منتظر فترات الوظائف ولا يائس حين يفوته هذا الفترات ، واذا كانت جهودهم لم تثمر كل الثمرة الموجودة فالأمر في ذلك يرجع كما قدمت الى تراث قديم انحدر اليانا من قرون مظلمة ، وإلى أنه من المستحيل تحويل مجرى أمة بأكملها عما انطبعت عليه واحداث انقلاب خطير في أسس التعليم دون التريث والاخذ بالتدريج .

يضاف الى ذلك أن التقلبات السياسية العديدة لم تمكن من الاستمرار على سياسة تعليمية واحدة لكثرة التجارب وتعدد البرامج . وفي الكثرة والتعدد لا يكون الاستقرار وإنما يكون الاضطراب وتكون الفوضى

د - ارتفاع مستوى المعيشة :

ومع ازدياد المتعلمين عن حاجة الوظائف وحيرة بعضهم وترددهم واستيلاء اليأس على نفوسهم تعددت مطالب الحياة وارتفع مستوى المعيشة في مصر بصفة عامة عما كان عليه في القرن الماضي أو أوائل هذا القرن ولم تنفرد مصر بهذه الظاهرة بل أخذت في الواقع نصيبها من ظاهرة عامة شملت العالم ، ومع ازدياد نفقات المعيشة وتعسر الحصول على الوظائف انبثت في نفوس النشء تيارات من السخط المكتوم هي مانرجو أن يعالجها المسؤولون وتعالجها الحكومة بما يحفظ لبناء مصر الاجتماعي استقراره الصحيح القائم على مشاركة الجميع في خيرات هذه البلاد العظيمة .

هـ - بعض آثار هذا السخط :

وكان من آثار هذا السخط أن تنهت الأذهان الى الثروة المصرية ومستقرها من الأيدي فاخذ المصريون يتحدثون عن الامتيازات الاجنبية ويدعون دعوة خالصة حارة إلى طرق ميادين الصناعة والتجارة وتفضيل كل ما هو مصري وتعددت مظاهر هذا النشاط الاقتصادي تعدداً سريعاً ولم يكن هناك مفر من هذا . فقبل عشرين أو ثلاثين سنة كانت الأرض تستغرق نشاط الانتاج المصري . وكانت الزراعة معتمد القنوع لدى المصريين فلم يكونوا يشعرون بحاجةهم إلى الصناعة والتجارة : هذين الميدانين العظيمين اللذين اختص بهما الأجانب إختصاصاً يكاد

يكون شاملا، فلما كثر المتعلمون العاطلون واضطربت أثمان المحاصيل الزراعية كان طبيعيا أن تتجه أنظار المصريين إلى بلادهم ، إلى مدنهم الأنيقة وما ينبث في جوانبها من مناجر ومصانع تدر الخير والثروة على أصحابها وهم غير أبناء البلاد . كان طبيعيا أن يفكروا في أنهم أحق بهذه الموارد من الثروة ، ومن هنا نشأت القومية الاقتصادية ونشأ الاقتصار الاهلي .

ونستطيع أن نجد مظاهر هذا التحول فيما يلي :

١ - سياسة الحكومة الاقتصادية : قبل انشاء مصلحة التجارة والصناعة ، أعنى منذ عشرين سنة كانت سياسة الحكومة المصرية سياسة زراعية بحتة . وكان الايمان الغالب على النفوس أن مصر محتوم أن تبقى بلادا زراعية وأن كل محاولة لها في سبيل الصناعة مقضى عليها بالفشل ، أما اليوم فقد تبدل هذا الاعتقاد تبلا تاما واتجهت سياسة الحكومة نحو تشجيع الصناعة وتفضيل المنتجات الصناعية المصرية وتقديم شتى المساعدات الممكنة لها، وقد عبر صاحب السعادة أحمد عبد الوهاب باشا وزير المالية عن هذه السياسة أحسن تعبير في الاجتماع السنوي الأخير لجمعية اتحاد الصناعات، ومن حقه علينا، ونحن نتحدث عن سياسة الحكومة لإزاء الاقتصاد الاهلي والصناعات الوطنية، ان نشيد بمجهوداته المتواصلة نحو هذه الغاية القومية وقد منحه الله إلى حماس الشباب رزانة الشيرخ ورحابة الفكر والقدرة على تصريف الامور في غير زهو ولا من " ولا رغبة في الاعلان . وقد وجه تقرير بنك مصر الأخير إلى سعادته تحية يستحقها وعرفانا بالجميل هو أهل له .

٢ - انشاء بنك مصر : وجاء انشاء بنك مصر في سنة ١٩٢٠ ظاهرة تعبر عن التحول الجديد في أفكار مصر الحديثة . وكان من توفيق الله لرجال هذا البنك أن فتحوا شتى الميادين ، وغزوا في جراءة ناجحة جمود مصر القديمة فاذا هي توشك أن تستحيل على أيديهم إلى بلاد صناعية وقد أحاطتهم الأمة : حكومة وشعباً ، بتأييدها . وكان هذا طبيعيا فلم يكن البنك وليد رغبة عند فريق من أصحاب رؤوس الأموال لاستثمارها فحسب ، ولكنه كان صدى حاجة اجتماعية واقتصادية وتعبيرا ناجحا عن تطور عميق أخذ يهز الأسس القديمة ويحل بدلها أسسا جديدة

٣ - الشعور العام : وكما وقف الشعور العام في صف بنك مصر وشركاته ، أخذ يؤيد كل المنتجات المصرية وينساق وراء الدعايات الوطنية لانشاء الاقتصاد

الأهلى وصيانة الثروة المصرية . ومن هنا كانت عشرات الجمعيات والهيئات وعشرات المشروعات وكلها تصدر عن نبع واحد ورغبة واحدة هى خلق مصر الصناعية . وليس هنا مجال تعداد هذه المشروعات والجمعيات فكنا نعرفها وكنا نستطيع أن نضع أصبعه عليها . وكلنا يأمل أن تزداد وتقوى على مر الأيام . وقد أفادت مصر من هذه النهضة الصناعية المباركة عشرات المشروعات وهى بعد لم تصل إلى غايتها بل ما تزال رحاب المستقبل وسعة أمامها .

ومن الحق علينا أن ننوه بما كان لنشاط الأجانب النازلين بيننا من حسن الأثر فى توجيه الصناعة المصرية . وإذا كان الشعور المصرى تطير به الحماسة إلى أن يكون أبناء مصر هم بناء مصر الصناعية فإن فى أعمتى أعماقه لعرفانا بالجميل لهؤلاء الفضلاء من الأجانب الذين مهدوا له السبيل وضربوا بعزمهم أولى الضربات ولبت هذا الوادى الجميل ميدانا لنشاطهم أكثر من نصف قرن من الزمان .

وان من بينهم من يحبون المصريين ويرجون لهم الخير والتقدم كما يحبون ويرجون لبنى وطنهم الأصيل . ويحوظون نهضتهم بخالص تأييدهم ومناصرتهم . ويكون ججودا غير لائق الاندكر فى هذه المناسبة جناب محافظ البنك الأهلى سىرادوارد كوك وأن نذكر خطبته فى عيد بنك مصر بمرور ١٥ سنة على تأسيسه وأن نذكر أيضاً مع الشكر العميق والعرفان الخالص صاحب العزة هنرى نوس بك مدير شركة السكر الذى أقام فى مصر حقبة طويلة شارك فيها بكل ما منحه الله من عزم وذكاء ومقدرة فى بناء الصناعة المصرية وان ننوه أيضاً بما كان لاتحاد الصناعات المصرية وحضرات أعضائه من عظيم الأثر فى نهضة البلاد ولسنا فى ذلك نحاول أن نختص أحداً بالذكر ولكننا نضرب أمثله لما نعتقد أن سواد الأجانب عليه من الانطواء على حب مصر وتمنى الخير والتقدم لأهلها .

نستطيع اذن أن نلخص ما يبدو من ظاهر البطالة فى مصر فيما يلى :

١ - يتجمع المتعلمون على وظائف الحكومة ، وهى بعد قد تجمت فلا تستطيع أن تستخدم جديداً .

٢ - لم تعد الأراضى الزراعية فى مصر فى حاجة إلى كل الأيدى العاملة التى كانت تستخدمها فيما مضى بسبب التحول عن وسائل الزراعة القديمة إلى الوسائل الجديدة .

٣ - زيادة السكان زيادة كبيرة فى السنوات الأخيرة دون أن تزداد موارد

الثروة بنفس النسبة .

٤ - تأصل حب الوظائف في نفوس المصريين وخوفهم من اقتحام ميادين جديدة .

٥ - عدم النشاط في توسيع أفق الثروة المصرية واستغلال الأراضى المصرية لضعف موارد الحكومة بسبب الامتيازات الأجنبية والحد من سلطاتها في فرض الضرائب وبسبب خوف أصحاب رؤوس الأموال المصرية أو بعضهم على الأقل من استثمارها في ميادين جديدة .

وسائل العلاج :

قبل أن نتحدث عن وسائل العلاج للبطالة في مصر يجب أن نقرر مسألتين :
أولاهما : أن موارد الثروة في مصر ، ما استغل منها وما يمكن استغلاله ، تكفى سكانها وتطوع لهم مستوى مناسب من المعيشة .

ثانيهما : أن المطلوب هو تنظيم الأيدي العاملة في مصر وتوزيعها على شتى ميادين الانتاج توزيعاً يتفق مع الحالة الجديدة الطارئة .

وإذا انتهينا إلى الأيمان بهاتين الحقيقتين استطعنا أن ندور في كل ما نقترح من وسائل العلاج بينهما ، واستطعنا أن نطمئن مقدماً إلى أننا لن نضل سواء السبيل .

١ - تشجيع الصناعة الأهلية

وإذا كانت الحكومة المصرية قد اختطت في السنوات الأخيرة سبيل التشجيع التام للصناعات المحلية وسبيل الأخذ بيدها بكل ما تستطيع من وسائل المعاونة والتفضيل فإن واجبنا أن تتابع هذه السياسة والا تدخر أى مجهود أو تضن بأى مال في الوصول بالصناعة المصرية إلى أعظم حد ممكن من الاتقان والازدهار .
والصناعة ميدان فسيح جدير أن يستخدم جانباً كبيراً من نشاط المتعلمين العاطلين .
وأمامنا بنك مصر يعطينا أحسن مثل . فقد بلغ عدد موظفيه في السنة الماضية ٦٧٤ موظفاً (١) ويبلغ موظفو الشركات التابعة له والعمال الذين تستخدمهم نحو عشرة آلاف . وهؤلاء وهؤلاء كان حتماً أن يبقوا عاطلين أو أن يراحوا في ميادين انتاج أخرى ليست في حاجة اليهم فيضاعفوا من وطأة البطالة .

ولم تقتصر فائدة بنك مصر وشركاته على استخدام هذا العدد العظيم من الأيدي العاملة بل أثبت بنجاحه ونجاح شركاته مقدرة المصريين على الاشتغال بالاعمال

(١) تقرير مجلس إدارة البنك عن سنة ١٩٣٥ .

المالية والتجارية ونجاحهم فيها كما نوه بذلك سير ادوارد كوك محافظ البنك
الأهلى (١) .

ولست أرانى فى حاجة إلى الإشارة بالتفصيل إلى وسائل هذا التشجيع فان
الحكومة قد برهنت خلال السنوات الأخيرة على دقة فهمها لمقتضيات هذه السياسة
وقدمت كل ما استطاعت من تسهيل ومعونة فى حدود ولايتها العامة على شؤون
الدولة للمنشآت الاهلية . ومن حسن الحظ أن يكون صاحب السعادة أحمد عبد
الوهاب باشا وزيراً للمالية فى هذا الظرف من حياة مصر الاقتصادية ومن حسن
الحظ أيضاً أن تعرف له الحكومات المصرية المتعاقبة كفايته ومقدرته فتستقبله
فى منصبه فانه خير من يعين النهضة الصناعية . وهو فى ذلك يعمل بعقيدته وينفذ
سياسة يؤمن أنها فى خير بلاده .

ومن الحتم أن أشير هنا إلى أن تقدم الصناعة فى مصر لا بد أن يتم بالتعاون بين
الاجانب والمصريين وما أخال فضلاء الاجانب وكبراءهم فى هذه البلاد الاعارفين
هذه الحقيقة تمام المعرفة . فلا يعنى استيقاظ مصر صناعياً الاستغناء عن خدماتهم
وانما يعنى تضافر الجهود فى سبيل بلوغ هذه الغاية . وانا لنعتمد أعظم الاعتماد
على خبرتهم ومرانهم وحسن مقاصدهم ويجب أن نعدهم من أعظم العوامل التى
تبشر بالخير والنجاح لمصر الصناعية فى المستقبل كما كانوا كذلك فى الماضى .

٢ - الغاء الامتيازات الأجنبية :

وأحسب أنهم يشعرون معنا أن الامتيازات الأجنبية حمل ثقل يشل من مقدرة
مصر على متابعة التطور الجديد والاستجابة الى حاجات سكانها المتزايدين ، لذلك
لست ارتاب لحظة فى أنهم يعاونون على الغاء هذا النظام الضار بهم وبنا والذى
يجعل بيننا وبينهم ، رغم ما فى نفوسنا جمعا من حب التعاون والود والصفاء ، فارقا
يرجع إلى طبيعة الأشياء ويرجع الى ما يجب أن يكون بين طبقتين احدهما تمتاز
عن الأخرى

واعتقد أن الغاء الامتيازات سيفيد فائدة كبرى فى تقوية قدم الصناعة المصرية
وفتح ميادين جديدة للعمل وزيادة ايراد الدولة ومن ثم زيادة مقدرتها
على القيام بمشاريع جديدة لاستغلال مواد الثروة الباقية فى مصر من غير استغلال
ومتى انطلقت يد مصر من غل الامتيازات الاجنبية فقد استطاعت حكومتها أن

(١) خطبة جنازه فى عيد بنك مصر فى ٧ مايو سنة ١٩٣٥ .

توزع الضرائب على قدم المساواة واستطاعت ان تعيد تنظيم الشركات وتضع لها من القيود ما تراه كافلا لمصلحة البلاد ومصلحة بنيتها

٣- استخدام المصريين في الشركات الأجنبية :

ومن العدل أن يكون لأبناء مصر نصيب في الشركات التي تستغل موارد بلادهم وتزاول نشاطها وتستثمر رؤوس أموالها على ضفاف نيلهم وهذا مطلب طبيعي عادل ومتى استطاعت مصر أن توفق اليه فإنها تستطيع حينئذ أن تحول جزءا كبيرا من نشاط شبابها المتعلم الى هذه الشركات يعمل فيها ويكسب خبرة ومرايا وقد فكر صاحب السعادة أحمد عبد الوهاب باشا في العام الماضي في هذا الموضوع فوجه كتابا دوريا الى المنشآت الحرة بين مصرية وأجنبية ناشدها فيه ان تعنى باستخدام الشباب المصريين ومما نذكره بالشكر ان أغلب المنشآت الاجنبية قد أبدت صادق استعدادها لبذل هذه المعاونة ولم يكن في استطاعة سعادة عبد الوهاب باشا أن يجبرها على أن تقبل هؤلاء الشبان في عداد موظفيها فان تشريعا بهذا لم يصدر ويحول دون صدوره قيد الامتيازات

٤- رؤوس الأموال المقررة :

ويتصل بتشجيع الصناعة وفتح موارد جديدة للاستغلال واجب الحكومة في تشجيع رؤوس الأموال المصرية واستحثاث الاغنياء على التقدم بها والمشاركة في المشاريع الاقتصادية ومحاولة ابتكار ميادين جديدة للعمل والاستغلال ويجب أن أسارع هنا فأشير الى واجب الافراد في هذا فلايس من العدل أن نلنى العبء كله على الحكومة وإنما العدل أن يشارك الافراد بنشاطهم وجهدهم وتضحياتهم في سبيل الوصول الى الغاية المنشودة ، وكل الدلائل تدل على أن تنبه الشعوب في مصر لتشجيع المصنوعات والمنتجات الاهلية هو تنبه صحيح سيستمر ان شاء الله ، على أننا نحب أن يتنبه أيضا أصحاب رؤوس الاموال المخزونة من غير استثمار أو المودعة في البنوك إلى أن العصر الحديث يرفض الركود وان ميادين النشاط للمال لم تعد في خزائن البنوك وانما هي في ميادين الاعمال والاستغلال ومن حسن الحظ أن توجد بوادر طيبة تدل على هذا التنبه فان كثيرين من اغنياء المصريين اليوم يعنون باستغلال أموالهم في مشاريع صناعية ومالية وتجارية .

٥- الموازنة بين مكافآت العمل :

وإذا كنا نرجو أن نصرف شبابنا حقاً عن التعتق بالوظائف والاتجاه الى ميادين

العمل الحر فان علينا ان نوجد التوازن بين مكافآت العمل Reward of Labour في شتى الميادين . وما دام هذا التوازن مفقودا بين وظائف الحكومة والعمل الحر فان علينا أن ننتظر طويلا حتى نقنع شبابنا بالانصراف عن الوظائف بل ان نشك كثيرا في امكان اقتناعهم بذلك .

إن مستوى المكافآت التي يحصل عليها الموظف تزيد كثيرا عن مستوى المكافآت التي يحصل عليها العامل في الميادين الحرة مع تساوى الاثنين في الثقافة والكفاية العلمية والجسمية والخلقية ، لذلك أعتقد ان من وسائل معالجة البطالة وتنظيم قوى الانتاج المصرية وحسن توزيعها على ميادين العمل المختلفة ان يكون التوازن قائما بين الميزات التي يحصل عليها الموظف والتي يحصل عليها من يختار العمل الحر . وان يشمل التوازن ليس فقط المكافآت المادية بل والمكافآت الادبية وهي ما تزال عظيمة القدر في بلاد كمصر تعطى الموظف من الاحترام اكثر مما تعطى العامل الحر .

ولست أرا في حاجة الى تفصيل الوسائل المؤدية الى ايجاد هذا التوازن فان الحكومة قادرة عليه ، ووسائله معروفة ويمكن تلخيصها في أنها النزول بمستوى الوظائف من حيث المرتبات والمكافآت والمعاشات وما يتصل بها من امتيازات كبدل السفر ومدة الاجازات وساعات العمل الخ . .

ويسكني أن أشير هنا الى ان مستوى نفقات المعيشة قد انخفض من ١٥١ في سنة ١٩٢٩ الى ١٢٥ في سنة ١٩٣٣ (١) ومع ذلك فان مرتبات موظفي الحكومة لم يطرأ عليها في هذه المدة أى تخفيض فيما عدا استقطاع رسم الدمغة وهو تخفيض تافه جدا ، هذا اذا سلمنا أن مستوى مرتباتهم في سنة ١٩٢٩ كان مناسباً .

وما نحسب وطنية حضرات موظفي الحكومة تمنعهم من قبول المساواة بينهم وبين باقى مواطنيهم عن طيب خاطر بل ان هذه المساواة في مصلحتهم أنفسهم كما هي في مصلحة البناء الاجتماعى للدولة كلها فان الاستمرار على هذا الاضطراب في التوازن كفيل أن يخلق في البلاد طبقات اجتماعية متباينة بل ومتعادية وفي هذا خطر ما أخاله يخفى على أحد .

٦ - بعض ميادين الاستقلال :

١ - وقد أشرت خلال هذا البحث أكثر من مرة إلى أن الثروة المصرية والثروة

(١) الاحصاء السنوى العام ١٩٣٢ - ١٩٣٣ ص ٤٥١ .

المصرية لم تستغلا بعد كل الاستغلال . فان هناك ملايين الأثدنة من الأرض يمكن استصلاحها للزراعة يقع بعضها فى شمال الدلتا وبعضها الآخر فى غرب مديرية البحيرة وبعضها الثالث فى مديرية الشرقية كما أن الحكومة تملك مساحات عديدة من الاراضى البور لاحتياج فى استصلاحها إلى مجهودات كبيرة . كل هذه الثروة المنسية يجب أن يتجه إليها تفكير الحكومة . والسكان يتزايدون والأيدى العاملة فى الأرض الزراعية تزيد عن رقعة الأرض فيجب ان نعمل على استغلال هذه القوى فى زيادة اثروة المصرية لنواجه بها زيادة السكان والاحل بنا اضطراب اجتماعى شديد .

وأذكر هنا أن الحكومة فكرت فى توزيع الاراضى البور على الفلاحين وان وزارة الزراعة فكرت فى منح بعض أجزاء منها لخريجي مدارس الزراعة غير ان كل هذه المجهودات المنتظمة المتباعد أحدها عن الآخر لم تؤت بعد ثمرات تذكر .

ب - ومن ميادين الاستغلال الممكنة استصلاح أراضى الصحراء الغربية التى تحف بمرسى مطروح ويدل الاستقراء التاريخى على أن هذه الاراضى كانت فيما مضى مزرعة وتوجد فى الصحراء المحيطة بمرسى مطروح آثار معاصر النبيذ الرومانية القديمة . وهى تدل على أن هذه المنطقة كانت مشهورة بزراعة العنب وكل ما ينتمى لها الآن حتى تصبح أراض زراعية تدر الخير الكثير هو الماء . وفى اعتقادى ان الحكومة اذا قامت بابحاث جيولوجية لتعرف طبيعة هذه الاراضى وقامت بابحاث تاريخية لاستقراء ماضيها ومعرفة وسائل استغلالها فى العصور القديمة لانتهمت الى نتائج طيبة ولوجدت فى غرب مصر ميدانا فسيحا للثروة قد يستغرق جزء صغير منه جميع الايدى العاطلة أو التى تبدو كذلك فى مصر .

وفى ضواحي مرسى مطروح توجد آبار تسمى بالآبار الرومانية تم كشفها منذ خمس سنرات وتستخرج منها اليوم كميات كبيرة من المياه . ومن يدرى لعل فى هذه الصحراء آبارا قديمة اخرى يمكن مع البحث وبذل المجهود كشفها أو كشف مواضعها ومن ثم إحياءها .

وعلى كل حال فان الصحراء الغربية ميدان يجب ألا تغمض عنه عين الحكومة

ج - قوى خزان اسوان :

وئمت قوى خزان اسوان لاستنباط السكر باء وخلق منطقة صناعية كبيرة حوله ولا أرى حاجة للدخول فى تفاصيل هذا الباب من أبواب الاستغلال فقد درس

دراسة كافية ولم يبق التنفيذ، وتنفيذه على الوجه الذى يكفل الاستفادة منه أعظم فائدة ممكنة . وتدرس وزارة المالية الآن مشروعاً ضخماً لاستنباط السكرباء وإنشاء مصنع للسماد، ولا شك أنه مشروع سيستغرق جانباً كبيراً من الأيدي العاملة المصرية .

ولست أذكر هذه الأنواع الجديدة من الاستغلال على أنها كل الميادين الممكنة، إنما هى أمثلة قليلة من أفق واسع رحيب يمكن أن تنسرب إليه قوى النشاط المصرى الحديث وبذلك تحتفى هذه البطالة المكاذبة .

٧ - تغيير أساس التربية :

ويتفق مع أعداد المصريين أعداداً حسناً للحياة الجديدة أن يتغير نظام التعليم تغيراً تادياً، فيصبح أساسه خلق جيل قادر على العمل فى أى ميدان ، جيل مثقف واسع المعارف ، متين الأخلاق ، وأكرر هنا أن يكون متين الأخلاق ، فان مصيبة مصر ليست فى قلة المتعلمين ولكنها فى قلة ذوى الأخلاق القوية ، ذوى النفوس الوثابة الطامحة ، فلم تعد عدة الرجل للنجاح بضعة معارف يكتظ بها ذهنه ولكنها أصبحت عدة صالحة من الأخلاق ، من الإيمان بقوة النفس .

وأحب أن تتجه عناية القائمين على التعليم فى مصر إلى تعديل أسس التربية المصرية كلها فلا تكون المدارس المصرية معاهد لتخريج موظفين وإنما تكون معاهد لتخريج رجال ، ولأبأس من الاستعانة على ذلك بنظم التربية الانجليزية والألمانية فهى فى نظرى أصح أنواع التربية لأنها تقوم على العناية بالأخلاق والايحاء النفسى بالقوة .

وقد فصل (ادمون ديمولان) فى كتابه « سر تقدم الانكاز السكسونيين » طرفاً من أسس هذه التربية العظيمة التى طوعت للانجليز سيادة العالم .

ويجدر بي أن أشير هنا إلى الفارق بين التعليم والتربية ، فان التربية هى الأعظم والأخطر فى بناء الرجل ، وهى بكل أسف لا تحظى فى مدارسنا بعناية تذكر . فكثير من العلماء لا ينجحون فى الحياة اذ تعوزهم الأخلاق القوية، ولكن قلباً يخفق رجل على خلق عظيم .

قال سير هارولد ييلمان : ان النجاح فى الحياة لا يتوقف على شئ أكثر مما يتوقف على العمل والدأب والمثابرة ، فالذكاء ليس عنصراً ضرورياً وفقدانه لا يعنى أن النجاح مستحيل ، ويكفى أن يكون الانسان متوسط الذكاء وأن يضيف إلى ذلك

الاستقامة والخلق الفاضل والجد والمثابرة، فإذا كل شيء ميسر أمامه ، وإذا كل المصاعب مذلة (١) .

وفي إنجلترا نجد أروع الأمثلة على مقدار ما تفعل التربية الصحيحة من معجزات، فعشرات من الإنجليز ارتفعوا من القاع إلى القمة وأصبحوا بمن تجرى الألسن بذكورهم ، وذاعت أسماؤهم ليس في حدود إنجلترا أو الامبراطورية البريطانية فحسب ولكن جاوزت هذه الحدود إلى ما هو أبعد منها .

ولست أختص بالذكر إنجلترا لأنه لا يوجد في غيرها أمثال هؤلاء الناجحين ، وإنما اختصتها بالذكر لأنها بلد الناجحين ولأن استقامة الخلق الانجليزي وقوة الخلق الانجليزي كفيلتان أن ترفع أبناء الانجليز حيث هم اليوم بناء امبراطورية ضخمة عاشت مئات السنين وهي تزداد على الدهر قوة ودواماً لا يعرف الهرم ولا تعرف الشيخوخة اليها سيلاً .

هي الأخلاق إذن التي يجب أن يتجه اليها التعليم المصري ، ويجب أن تتجه اليها المدرسة المصرية والجامعة المصرية ، وهذا بطبيعة الحال مع العناية بأنواع التعليم الصناعي والتجاري والزراعي والاكتشافي لمقابلة الحاجات الجديدة .

وليس في مقدوري، ولا مما يتسع له المجال في هذا البحث، أن أضع برنامجاً للتعليم في مصر، ولكنني أعبر عن الاتجاه الذي أرجو أن يسير فيه ، وأرسم الخط البارز الذي يجب أن يتبعه ، أما الوسيلة أو الوسائل فمن اختصاص رجال التعليم والتربية، وعبدنا منهم بحمد الله كثيرون .

٨ - تحويل النفسية المصرية :

ويتصل بالتعليم والتربية تحويل النفسية المصرية تحويلًا تاماً ، فإذا كانت هذه النفسية صالحة لبيئة زراعية ولأمة قانعة تشمل نفسها داخل حدود ضيقة ، فإنها لا تصلح مطلقاً لأمة طامحة ترجو أن تعيش على قدم المساواة مع الأمم المتحضرة ، ومن الظواهر التي نجدها في نفسية المصريين الخمول والتواكل والخوف والقناعة وفقدان الطموح وحب الوظائف والترف والانصراف عن كل مجهود ، وفقدان الشجاعة الأدبية ، والعجز عن وضع مقاييس صحيحة للحسن والقيبح والمقبول وغير المقبول . وقد انحدرت إلينا بعض هذه الصفات من أجيال بعيدة وكسبنا

(١) في كتابه « بعد المدرسة » سنة ١٩٣٦ .

بعضها الآخر من البيئة الزراعية ، فمن واجبنا أن ننضو عن نفوسنا هذا التراث المنحط وأن ننشئ لنا مجداً جديداً ، وهذه غاية أخرى يجب أن تكون من غايات التربية المصرية (ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم - قرآن كريم) .
وقد أشار صاحب السعادة أحمد عبد الوهاب باشا وزير المالية في مذكرته التي رفعها إلى مجلس الوزراء واقترح فيها تأليف لجنة لدرس مسألة المتعلمين العاطلين ، إلى أن كثيرين من هؤلاء المتعلمين يرفضون أن يعملوا بمرتبات صغيرة ويأبون إلا أن يبدأوا بمرتبات مناسبة ، وهذه ظاهرة نفسية لا تجد لها عند شباب الأمم الصناعية الراقية ، هذه الظاهرة وأمثالها هي التي تريد أن نحاربها وأن نقضى عليها بوضع أسس جديدة للتربية المصرية .

ان سير هارولد ييلمان في كتابه « بعد المدرسة » الذي أشرت إليه آنفاً يفخر أنه بدأ حياته في القاع ، ويسارع إلى القول بأن في القاع يجد الإنسان دائماً متسعياً . فعلى هؤلاء الذين يخشون أن يحرفهم التيار فيقذف بهم إلى الخارج ، على هؤلاء الذين يخافون زحمة الدنيا أن يبدأوا حياتهم من أولى المراتب : في أحطها وأدناها ، وإن يقدح في كرامتهم أنهم فعلوا ذلك إنما النجاح للشرقاء العاملين ، ضع قدمك أولاً فإذا بك تجد السلم سهل المرتقى ، ولا يهم أن تضعها على أول السلم مادمت طامحاً إلى آخره ، إن الإنسان يتعلم في المدرسة لا ليبدأ حياته رجلاً كبيراً ، ولكنه يتعلم ليتكون له العقل الراجح المدرك ولا يضيره بعد أن يبدأ صغيراً ، بل لعل من خيره أن يفعل كذلك . فالذي يتقدم بخطوات وثيدة خير من يقفز : الأول يكون نجاحه قويا دائماً موطد الأساس ، والآخر يكون نجاحه كاذباً منهار الأساس .

ويعرض سير هارولد ييلمان إلى مسألة أخرى هي الاخفاق والنجاح ومقدار كل منهما ، ويدلى برأى حسن ، ذلك ان النجاح لا يثير الاهتمام دائماً وقد يثير الفشل اهتماماً أعظم من النجاح ، ويشير إلى هزيمة نابليون في واترلو ، وعنده أن نابليون لو انتصر في هذه الموقعة لقلبت المؤلفات التي كتبت عنه إلى النصف .

ثم يقول : إن الشباب بذاته مملوء بالطموح وقلبا تجد شاباً الا وتراه طامحاً إلى شيء عظيم ، وهذا الاعتزاز بالنفس حسن وهو ضروري للنجاح ، ولكنه إذا كان ضرورياً في مراتب التقدم الأولى فإنه يصاب فيما بعد بما يشبه رد الفعل الذي ينتج من تقدم العقل واتساع أفق الفكر والاصطدام بالعقبات ، ولكنه رد فعل

محسن هو الآخر لأنه لا يصرف الانسان عن التقدم ولكنه يحفزه إلى العمل ويحفزه إلى الاحتياط والحذر فهو يشجذ الهمم ويصهر النفس وينتجها من الغرور ويجعل الخطوات أكثر اتزاناً .

ولعلمنى استطردت فى عرض آراء سير هارولد بيلمان استطراداً طويلاً، ولكننى أردت بذلك أن أشير إلى طراز الأخلاق والتصور والتفكير الذى نريد أن ينشأ فى بيئتنا، وهذا هو واجب التربية المصرية فى هذا العصر .

٩ - التأمين ضد البطالة :

يقول «يفردج» إنه حتى إذا نجحنا فى معالجة البطالة وأمننا شرورها فإنه تبقى عندنا البطالة العادية ، يبقى عندنا الفقر والبؤس والشقاء والذى يصاحب بطالة العمال بسبب تقدم السن أو العجز عن العمل لعاهة أو مرض أو تشوه جسمى أو لآى سبب آخر من الأسباب العادية ، لهؤلاء المساكين يجب أن يكون عندنا نظام يقيهم شر الحاجة ويقي أولادهم شر التشريد ، ويكفل للجماعة ألا تقع أنظارها على الفقر الشنيع والبؤس المزرى بالكرامة الانسانية لهؤلاء يجب أن يوجد نظام التأمين والاعانة ، فليس هذا النظام ضرورياً فقط ليحفظ العمال فى وقت البطالة الناتجة عن الضيق الاقتصادى بل هو ضرورى أيضاً ليحفظهم عند تباطهم عن العمل بسبب المرض أو تقدم السن .

ويقول مستر هارولد بتلر فى تقريره عن سنة ١٩٣٤ « ان نظام الاعانة والتأمين من جانب الدولة هو من غير ريب تدخل فى عمل القوى الاقتصادية، ولكن التجربة دلت على أنه تدخل لا تدعو اليه حاجة اجتماعية لحسب بل وتدعو اليه منفعة اقتصادية »

وأرى أن من الأفضل ادخال هذا النظام فى مصر منذ الآن والاستعانة فى تنظيمه بما يجرى عليه العمل فى انجلترا بلاد مولده . ويمكن الاستفادة بالنظام الذى اقترح فى امريكا، ويتضمن انشاء صندوق للاعانة ضد البطالة يتغذى بضريبة مئوية تفرض على الأجور ويوضع تحت اشراف الحكومة، وقد أدخل نظام التأمين ضد البطالة فى كندا وجنوب افريقيا والسويد .

ويرى مستر بتلر ان التوسع فى نظام التأمين ضد البطالة وادخاله فى كثير من البلاد واعتباره كواجب قومى يدل على تزايد الاحساس بضرورة التأمين الاجتماعى وأحسب ان ادخال هذا النظام فى مصر يودى الى تحسين مستوى العمال وقيمتهم

شر الحاجة الطارئة ويحمي حياتهم من التقليل ويضفي عليها الطمأنينة بقدر الامكان .
وأذكر هنا أن التأمين الاجتماعي ليس في الواقع علاجاً لأسباب البطالة وإنما هو
تقليل لشروطها .

وقد وضع مستر رونالد دافيسون في سنة ١٩٢٩ كتاباً قيماً جعل عنوانه «العاطلون:
السياسة القديمة والجديدة» استعرض فيه بدقة وافضة التدابير التي اتخذت في
بريطانيا العظمى لمعاونة العاطلين منذ سنة ١٩٠٩ حتى سنة ١٩٢٩، وأعتمد ان
الاستعانة بهذا المؤلف القيم مجدية عند التفكير في وضع أساس نظام مشابه في مصر
١٠ - التعجيل بالأعمال العامة :

وهذا سبيل آخر يمكن أن تلجأ اليه الحكومة لمكافحة البطالة ، وأرى أن تطبيقه في
مصر ممكن ، ولا يصطدم بالعقبات العديدة التي يصطدم بها في البلدان الأخرى ، فالميزانية
المصرية متوازنة وعندنا احتياطي كبير والبلاد في حاجة الى مشاريع عمرانية عديدة ،
في الري والصحة وتجميل المدن وتحسين حالة القرى . ومتى وفقت الحكومة الى
الغاء الامتيازات الأجنبية واستطاعت ان تفرض الضرائب على الاجانب زادت
مواردها زيادة تمكنها من القيام بهذه المشروعات

١١ - اشتراك النساء في أعمال الرجال :

ولا أرى بدا من الإشارة في ايجاز الى مسألة مشاركة النساء في أعمال الرجال فهي
وان كانت مازال محدودة في مصر إلا أنها آخذة في التزايد ، ومن الخير أن
يقتصر عمل المرأة على وظائفها الطبيعية على أن تتناول من الأعمال العامة ما هو
من خصائصها وما تصلح لأدائه خيراً من الرجل أما اشتغالها بمن الرجل ومزاومتها
اياه في ميادين العمل والوظائف فأرى أن ظروف مصر الاقتصادية وتقاليدها
لا تسمحان به ، إن تعليم المرأة واجب ، ولكن يجب أن يكون الهدف من
تعليمها اعدادها لتكون زوجاً صالحاً وأماً رشيدة ، ويتصل بهذه الغاية تشجيع
الزواج والتمكين للعائلة ، وهي مسائل يتداخل بعضها في بعض وأرى في انشاء
المجالس الأعلى للشؤون الاجتماعية اتجاهاً طيباً نحو العناية بهذه المسائل التي تبدو
اجتماعية محضة وهي في الواقع عظيمة الأثر في الشؤون الاقتصادية .

ولا بأس أن أشير هنا إلى ماقاله رئيس الوزارة الانجليزية في مجلس العموم
البريطاني يوم ٦ ابريل الجاري « ان في البلاد (يقصد إنجلترا) شعوراً بأن كثرة
عدد الرجال المتعطلين عن العمل ناتجة عن كثرة النساء اللواتي دخلن دوائر

ولا أريد من هذا المقارنة بين مصر وإنجلترا، فإن اشتراك المرأة في أعمال الرجل عندنا ما يزال ضئيلاً جداً، ولكنني أذكره لأدل على أن ترك المرأة تشارك الرجل في أعماله يؤدي مع مرور الزمن إلى تعقيد مشكلة البطالة ، وفي الوقت ذاته يهدد كيان الأسرة ، ويقضى على العائلة بالخراب .

التعليم الاقليمي وعلاج البطالة :

إن التعليم الاقليمي يكون عظيم الفائدة ، في حالة الاستقرار ، كمؤثر فعال في علاج البطالة . فمن المستحسن أن يكون في كل اقليم العمال الصالحون للصناعات التي اختص بها ، ومن المتفق عليه أن السلالات تكتسب خبرة ومرانا ومهارة طبيعية : في المناطق التي اشتهرت بصناعة النسيج مثلاً يكتسب أبناءها خفة ودقة وسرعة وذوقاً صناعياً في هذا الفرع لا يتوفر لغيرهم من أبناء منطقة اشتهرت بصناعة الآلات البخارية مثلاً . ولكن يجب ألا يغيب عن البال أن بناء الصناعة يتطور دائماً وأن الصناعة المزدهرة اليوم قد يصيبها الكساد والخلول غداً ، وأن العمليات الصناعية التي تبدو ضرورية في إنتاج مادة من المواد قد ينسحب عليها ظل الاختراع فإذا هي عدم وإذا آلة جديدة تؤدي عملاً كان يؤديه عشرات العمال ومئاتهم .

وقد جاء في مقال نشرته التيمس في ملاحقها التجارية سنة ١٩٣٤ ونقلته صحيفة التجارة والصناعة في عدد شهر يناير سنة ١٩٣٥ أنه « لاسيل للشباب والبنات إلى مزاولة أية مهنة في مناطقهم الخاصة دون أن يحصلوا على نصيب من هذا التعليم، فإذا كان عدد هذه المهن محدوداً كما هي الحالة في المناطق التي تتركز فيها الصناعات كانت المهن التي يستطيع الشبان مزاولة فيها قليلة التنوع ، ويترتب على ذلك أنهم يفضلون الاشتغال في تلك الصناعات التي يعمل فيها آبائهم أو أقاربهم أو أصدقاءهم ، كذلك روى أنه من الواجب أن يعطى الاحداث نصيباً وافراً من التمرين على مختلف الصناعات فهذا أفضل من تمرينهم على مزاولة مهنة معينة » .

وأرى أن هذه الوسيلة أعظم فائدة في معالجة البطالة ومواجهة شروها المتقلبة، وعلى الأخص في عصر كثر فيه الاختراعات وكثرت تقلبات الصناعة وتقلبات الاسواق، فضلاً عن أن تمرن الحدث على مختلف الصناعات يجعله قادراً على التحول من صناعة إلى صناعة والهجرة من منطقة إلى منطقة تبعاً لضرورة العمل وضرورة هجرة الصناعة ذاتها .

وقد أنشئت في إنجلترا مراكز تدرسية يتلقى فيها الأحداث بعقب تخرجهم من المدارس الأولية والالزامية ، معلومات ضرورية للتدرب على مختلف الصناعات ، والفكرة في إنشاء هذه المراكز حماية الأحداث من التدهور الاخلاقي وصيانتهم في تلك الفترة التي تفصل بين انقضاء تعليمهم الاجباري وحصولهم على عمل أو مرتزق .

ولاشك أن البطالة تكون أشد أثراً وأعظم مساوئ بالنسبة للأحداث الذين يصدمون بها وهم بعد في سن غضة ، فإن العامل الناضج السن الذي سبق له أن اشتغل ثم تبطل يستطيع أن يجاهد ويضاعف بحثه وسعيه وقد يوفق إلى إعادة بناء حياته من جديد ، أما هذا الذي تجف آماله قبل أن تزدهر أو يحرم من تعلم حرفة أو مهنة تساعد على العيش فلا يمكن أن يصبح رجلاً نافعا للجماعة التي ينتمى إليها .

وقد استرعت هذه المشكلة انتباه هيئة العمل الدولية في جنيف فأولتها عنايتها ، والرأي السائد بين المشتغلين بمسائل البطالة أن مما يخفف من أثرها إطالة السن التي يسمح فيها باستخدام الأحداث وتيسير السبل أمامهم للتدرب على المهنة أو الحرفة التي يختص بها الاقليم الذي يعيشون فيه أو تدريبهم ، وهذا أفضل ، على مختلف الصناعات ، وقد رفعت هذه السن إلى ١٥ سنة وأحياناً إلى ١٦ سنة في النرويج وأوراجواي واتحاد روسيا السوفيتية وفي أغلب الولايات المتحدة وفي بعض أقاليم سويسرا وفي مناطق قليلة في بريطانيا العظمى

وقد أنشأت بعض هذه البلاد مراكز اقليمية لتدريب هؤلاء الأحداث وارشادهم إلى الصناعات التي يتعلمونها وتعهد أجسامهم وعقولهم بالتربية خلال الفترة القصيرة التي تفصل بين خروجهم من مدارس التعليم الإلزامي وبلوغ السن التي يباح فيها استخدامهم في المصانع .

على أنني أرى أن التعليم الاقليمي بالنسبة لمصر يفيد فائدة كبيرة وعلى الأخص إذا اقترن بارشاد الآباء إلى المهن والصناعات التي يصح أن يتعلمها أبنائهم طبقاً لحاجة البلاد وحاجة الاقليم الذي يعيشون فيه

خاتمة :

وأود في ختام هذا البحث أن أشير إلى ما يقوله البعض حينما يسأل عن رأيه

فى البطالة وهو « علموهم وكفى » وهذا رأى خطر جداً فان التعليم أيا كان كالطعام الذى لاتراعى فيه صحة البدن ولا حاجته قد يقتل صاحبه أو يورثه الأمراض ، مع أن تحويراً خفيفاً فى أنواع الطعام ومقداره ووقت تناوله يكفل إنقاذ البدن ويكفل له الحياة الطيبة الطويلة .

وقد يظن البعض أن مشكلة العمال العاطلين أعظم خطراً من مشكلة المتعلمين المتعطلين وأنه مادامت مصر بمنجاة من مشكلة خطيرة للعمال العاطلين فان بناءها الاجتماعى سليم من جميع النواحي ، وهذا وهم خاطئ ، فاذا كانت مشكلة العمال العاطلين خطيرة الأثر على حياة البلاد فان مشكلة المتعلمين العاطلين أعظم خطراً ، سواء من الوجهة الاقتصادية أو الوجهة الاجتماعية ، وتركها دون علاج يعرض لمضاعفات عديدة

وقد بدأت هذه المشكلة ، أعنى مشكلة المتعلمين العاطلين ، تشغل أذهان العلماء والباحثين فى أوروبا ، أذكر انى قرأت لسكاتب أوروبى منذ شهرين أو ثلاثة شهور مقالا جاء فيه : « إن الذى يراقب حالة الجماعة البشرية يلحح الآثار البادية لظاهرة جديدة فى عالم الحضارة الغربية حيث تنتشر على ضوء التعليم ظلال البطالة واليوم يوجد مئات الآلاف من الشباب فى أوروبا وآسيا وأمريكا قد أتوا مراحل التعليم جميعها وأعدوا أنفسهم لحياة أنكرتها عليهم النظم الاجتماعية فهم يستطيعون أن يقدموا خدمات لاتطلبها منهم الجماعة وهذه الظاهرة مخوفة بمخاطر جسيمة وانى لاتساءل ماذا يخفى المستقبل (١) »

ليست مصر اذن تعاني الكارثة وحدها ، ولكننى أعتقد أن مصر تستطيع وحدها أن تعالج هذه المشكلة دون أن تصاب حياتها العامة بأى اضطراب ، لابل ان الاستقرار الصحيح للعوامل الاقتصادية فى مصر هو بذاته علاج مشكلة المتعلمين العاطلين فى أوروبا وغيرها من البلاد التى وصل فيها الاستغلال إلى حده الأخير وارتفعت الصناعة الى الاوج ثم أخذت تنحدر عنه قد يكون العلاج شيئا آخر وقد يكون هو تحديد النسل والعودة إلى نظرية مalthus .

ويرى بعض الكتاب أن الآلات الضخمة كارثة الحضارة وأنها هى سبب البطالة لانها تطرد العمال وتحل محلهم ، ولكن أصحاب هذا رأى ينظرون الى المشكلة

(١) رينولد شيرر فى مجلة «الديكتاتور» الانجليزية

من زاوية واحدة، والصحيح ان الاختراعات في ذاتها مفيدة لأنها تساعد على الانتاج وتدخر المجهود البشرى ، ولكن الخطأ يحىء منا ومن النظام الاقتصادى الذى تتبعه ، فعلينا أن نبحث عن علاج للبطالة فى أى ميدان آخر غير الغرض من نشاط الذهن الانسانى ومحاربة الاختراعات التى يرجع اليها الفضل فى كل ما ننعم به ونتمتع من خيرات ومباهج ، والصحيح أن الآلات بتوفيرها المجهود الانسانى يجب أن تطوع للناس وقتاً أطول للفراغ والمتاع النفسى والعناية بمطالب الروح والعقل والفكر ، ولعل «جودوين» كان يتنبأ بهذا حين قال فى كتابه Political Justice سنة ١٧٩٣ « من يدري ؟ فقد نحصل فى وقت من الأوقات على نفس الانتاج الذى نحصل عليه الآن دون أن يعمل أحداً كل يوم أكثر من نصف ساعة ، وحينئذ يتسع وقت الفراغ لدينا وهو الثروة الحقيقية »

الى هذه الغاية يجب أن تتجه الحضارة فيما أعتقد . أما أن تؤدى الاختراعات والآلات الى الشقاء والبؤس فشىء غريب ، وهو شىء غير طبيعى .
وأخيراً . . .

أحب أن أعبر عن أمنيى فى أن تنضم مصر قريباً الى هيئة العمل الدولية فى جنيف ، وبذلك تقوم بنصيبها فى العمل المشترك لتقليل مساوىء البطالة وتحسين حالة الصمال وتؤدى رسالتها المحتومة ، كوارثة أقدم الحضارات ، فى تنقية حضارة اليوم من أسوأ شرورها .

ملحق

احصاء هيئة العمل الدولية فى جنيف عن البطالة فى العالم

يؤخذ من الاحصاء الذى أذاعه مكتب العمل الدولى عن الثلاثة الشهور الأولى من العام الماضى لحالة البطالة فى العالم أنها آخذة فى التحسن فى أغلب البلاد اذا قورنت بالاحصائية الخاصة بمثل هذه المدة فى العام الذى قبله ، وقد دلت هذه الاحصائية ، كما دلت الاحصائيات التى سبقتها ، على زيادة البطالة فى بلجيكا وفرنسا وايرلندا الحرة وبولندا وهولندا ، كما دلت على زيادة طفيفة فى الأرقام الخاصة بحالة البطالة فى بلغاريا وأسبانيا ويوجوسلافيا .

واذا قورنت هذه الأرقام بأرقام الاحصائية السابقة عليها ، أعنى الخاصة بالثلاثة الشهور الأخيرة فى سنة ١٩٣٤ ، لوحظت بعض الزيادة فى أرقام البطالة ، غير أن

هذا لا يجب أن يؤخذ اشارة سيئة؛ فهو راجع على الأخص الى التغيرات الموسمية وإلى نقص استخدام بعض الصناعات للعمال بسبب قلة عملها في هذا الموسم أو توقفها بالمرّة عن العمل .

وتجدر الاشارة إلى أنه قد تزيد أرقام البطالة في بلد من البلاد وتزيد في الوقت ذاته أرقام العمال المشغولين ولا يجب أن يدفع هذا إلى الأذهان أن في الأمر تناقضا فهذا يرجع إلى ازدياد عدد المقيمين في البلد بسبب الهجرة أو بسبب زيادة السكان .

ويعتمد مكتب العمل الدولي في جمع احصائياته عن العمال العاطلين والمشغولين على مصادر عديدة مثل جمعيات التأمين الاختياري أو احصائيات النقابات أو احصائيات تبادل العمال الخ .

ولا تعطى الارقام التي ينشرها مكتب العمل نتيجة وثيقة بعدد المتبطلين والمشغولين، ولكنها تفيد في معرفة الاتجاه العام لهذه المشككة الخطيرة هل هو للازدياد والتفاقم أو للتقص والتحسن

وننشر فيما يلي الارقام التي جاءت في هذا الاحصاء عن أهم الدول :
احصاء مشاريع التأمين الاجباري

النمسا : عدد العاطلين ٦٥٨٠٩٣٤ بنسبة ٣٢١ في المائة ، وكانت في مارس سنة ١٩٣٤ ، ٣٢١ في المائة

المانيا : عدد العاطلين ٦٧٦٤٢٧٦ بنسبة ١٤٩ في المائة ، وكانت في مارس سنة ١٩٣٥ بنسبة ١٨٧ في المائة

بريطانيا العظمى وشمال ايرلندا : عدد العاطلين ٢٧٢١٠٧ بنسبة ١٧٥ في المائة ، وكانت في مارس سنة ١٩٣٥ بنسبة ١٨١ في المائة

احصائية مشاريع التأمين الاختياري :

بلجيكا : عدد العاطلين ٢٢٣٠٠٠ بنسبة ٢٣٦ في المائة ، وكانت في فبراير سنة ١٩٣٥ بنسبة ١٨ في المائة ، ويلاحظ أن البطالة زادت فيها .

تشيكوسلوفاكيا : عدد العاطلين ٣٠٣٢٥٣ بنسبة ٢١ في المائة ، وكانت في فبراير سنة ١٩٣٥ بنسبة ١٥ في المائة « البطالة زادت » .

دانمارك : عدد العاطلين ١٠٨٦٩٠ بنسبة ٢٨٠ في المائة ، وكانت في فبراير

سنة ١٩٣٥ بنسبة ٣١ في المائة «نقصت البطالة»
هولندا - عدد العاطلين ٢١٢٤٢٢ بنسبة ٢٨ في المائة وكانت في فبراير سنة
١٩٣٥ بنسبة ٣١٫٨ في المائة «نقصت البطالة» .
سويسرا - عدد العاطلين ١٠٤٨٤٨ بنسبة ١٦٫٩٣ في المائة ، وكانت في يناير
سنة ١٩٣٥ بنسبة ٢٩٫٩ في المائة «نقصت البطالة» .

احصاء نقابات العمال :

النمسا - عدد العاطلين ٨٠٠٩٧ بنسبة ١٨٫٨ في المائة في ديسمبر سنة ١٩٣٤ ،
وكانت في ديسمبر سنة ١٩٣٣ بنسبة ٢٣ في المائة «نقصت البطالة» .
كندا - عدد العاطلين ٢٩٣٢٠ بنسبة ١٨٫١ في المائة في فبراير سنة ١٩٣٥ ،
وكانت في فبراير سنة ١٩٣٤ بنسبة ٢١٫٩ في المائة (نقصت البطالة) .
النرويج - عدد العاطلين ١٧٧٧٩٢ بنسبة ٣٢٫٨ في المائة في يناير سنة ١٩٣٥ ،
وكانت في يناير سنة ١٩٣٤ بنسبة ٣٩٫٢ «نقصت البطالة» .
السويد - عدد العاطلين ١٠٠٨٣٩ بنسبة ٢١٫٧ في المائة في فبراير سنة ١٩٣٥ ،
وكانت في فبراير سنة ١٩٣٤ بنسبة ٢٤٫٥ في المائة «نقصت البطالة» .

احصائيات تعتمد على المصادر الأخرى :

النمسا - عدد العاطلين ٤٢٤٤٨٧ في فبراير سنة ١٩٣٥ ، وكانت في فبراير سنة
١٩٣٤ - ٤٤٠٤٩ «نقصت البطالة» .
فرنسا - ٥٤٤٥٦٧ عدد العاطلين في مارس سنة ١٩٣٥ وكان عددهم في مارس
سنة ١٩٣٤ - ٣٨٢٨٧٨ «زيادة كبيرة» .
ألمانيا - عدد العاطلين ٢٧٦٤٦٧٦ في مارس سنة ١٩٣٥ وكانت عددهم
٣٣٧٣٦١١ في مارس سنة ١٩٣٤ «نقص كبير» .
بريطانيا العظمى - عدد العاطلين ٢٢٨٥٤٦٣ في مارس سنة ١٩٣٥ وكان عددهم
٣٣١٧٩٠٩ في مارس سنة ١٩٣٤ «نقص بسيط» .
هنگاريا - عدد العاطلين ٥٤٣٦٨ في فبراير سنة ١٩٣٥ وكان عددهم ٥٦٤٧٨ في
فبراير سنة ١٩٣٤ «نقص بسيط» .
إيطاليا - عدد العاطلين ١١١٧١١ في فبراير سنة ١٩٣٥ وكان عددهم ١١٠٨١٤٨
في فبراير الذي قبله «نقص بسيط» .

اليابان - عدد العاطلين ٣٦٥٥٩٦ فى اكتوبر سنة ١٩٣٤ وكان عددهم فى اكتوبر سنة ١٩٣٣ - ٤٠٠١١٨ «نقص بسيط» .
رومانيا - عدد العاطلين ٢٠٦٦٩ فى فبراير سنة ١٩٣٥ وكان عددهم ٢٨٣٢٣ فى فبراير سنة ١٩٣٤ «نقص بسيط» .
وكانت النسبة المئوية للعمال المشتغلين إلى العاطلين فى فبراير سنة ١٩٣٥ كما يلي:
كندا ٧٩ر٤ ايطاليا ٧٧ وامريكا ٧٥ والسويد ٩٢ وسويسرا ٧١ وبولندا ٦٣
وبلغ عدد العمال المشتغلين فى النمسا فى يناير سنة ١٩٣٥ - ٩٥٩٨٧ وفى ألمانيا فى شهر فبراير سنة ١٩٣٥ - ١٤٤٠٩٠٠٠ وفى بريطانيا العظمى ١٠٨٨٣٠٠ فى فبراير سنة ١٩٣٥ وفى هنغاريا ١٦٨٢٣٤ ويوجوسلافيا ١٦٥٤٧٥ فى يناير سنة ١٩٣٥ .

(٢)

ملخص رسالة

الدكتور على عبد الواحد وفى

مهد لبحثه بأن البطالة من أغرب الظواهر الاجتماعية وأشدّها شذوذاً ، إذ يتمثل فيها النقيض ونقيضه ، فإن المجتمع يرغب عن عمل نتج يقدم اليه ، فيدل على انه ليس فى حاجة إلى انتاج ، ولا يعقل أن تنقطع حاجته إلى الانتاج ، إلا إذا توافر لدى جميع أفراد ضروريات الحياة وكمالياتها ، وإن الشخص العاطل من بين أفراد هذا المجتمع ويعوزه الضرورى ولا يتوافر لديه الكفاف من العيش .
تسم قسم البطالة إلى ثلاثة أنواع ، وهى :

أولاً - بطالة طالبي التوظيف من المتخرجين فى مختلف معاهد التعليم .

ثانياً - بطالة الفلاح ، أو البطالة فى الزراعة .

ثالثاً - بطالة العمال ، أو البطالة فى الصناعة .

وتحدث عن بطالة طالبي التوظيف ، وأهم أسبابها وما يراه من علاج وهو :

١ - عدم مراعاة التناسب بين الوظائف ومن تعددهم معاهد التعليم للقيام بها ، فإن أولياء الأمور ساروا على سياسة معقولة فيما يتعلق بمدرستى البوليس والحربية فلا يقبل بها تين المدرستين أكثر من العدد اللازم لشؤون الأمن والجيش ، ولكنهم لم يلتزموا السير على هذا السنن فيما يتعلق بدار العلوم ومعهد التربية ومدارس المعلمين الأولية وكليات الجامعة المصرية والأزهر وأقسام تخصصه ومدرسة

الفنون والصناعات ، فنجم عن ذلك أن أخذت هذه المدارس والمعاهد تمد كل عام جيش العاطلين بكتائب جديدة تزيد من كوارثه ، ولقد بلغ في بعض السنين عدد العاطلين من خريجي مدارس المعلمين الأولية وحدها ما يقرب من عشرة آلاف ، ومن وسائل علاج هذه الحالة أن تضيق أبواب الالتحاق بهذا النوع من المدارس ويحدد طلبة كل منها تحديداً دقيقاً يتناسب مع المطلوب لوظائفها .

٣ - توجيه العناية في التعليم الثانوى إلى مجرد الاعداد للتعليم العالى واغفال ما عدا ذلك ، فنجم عن هذا العيب أن المتخرجين في المدارس الثانوية بنظمها الحاضرة لا يصلحون لشيء الا لشكيلة دراستهم بكليات الجامعة أو بالمدارس العالية ، وتوصد في وجوههم معظم الأعمال الحكومية والحرية وتكون النتيجة أن ينضم جيش عاطل من خريجي المدارس الثانوية إلى جيش المتعطلين من خريجي المدارس العالية ، ولا سبيل للتخلص من هذا العيب الا اذا منح التعليم الثانوى بعض الاستقلال عن التعليم العالى وعمل على تشكيله بالشكل الذى يتفق مع جميع الأغراض الآجلة التى تقصد منه ، فلا يعد طلبته للالتحاق بمعاهد التعليم العالى فقط ، بل يعدهم كذلك ليكونوا صالحين لمختلف الأعمال اذا اقتصروا على هذا القدر من التعليم ، ولتحقيق هذه الغايات يجب تخليص التربية الثانوية من الصبغة النظرية البحتة التى تسود مناهجها وتعديل هذه المناهج تعديلاً جوهرياً يجعلها وثيقة الصلة بالحياة العملية وشؤونها .

٤ - ضعف المتخرجين في مختلف المدارس المصرية في اللغات الأجنبية ، وهذا يحول بينهم وبين مزاولة الأعمال الحرة ووظائف الشركات التى تتطلب اجادة لغتين أو لغة أجنبية ، وقد رأى :

أ - عدم انقطاع تعليم اللغات بالحصول على شهادة الدراسة الثانوية ، ووجوب امتداده إلى نهاية مرحلة التعليم العالى ، وأن تشمل خطة الدراسة في كل كلية بالجامعة وفي كل مدرسة عالية على عدد كاف من الحصص في اللغات الأجنبية وعلى بعض مواد تدرس باللغات الأجنبية .

ب - حذف اللغات من منهج التعليم الابتدائى وتوزيع حصصها على المواد الأخرى وبخاصة اللغة العربية ، فان ما يتعلمه الطفل من لغات أجنبية في هذا الدور يزاحم المعلومات الأولية التى يتلقاها عن لغة بلاده فيعوق إساغته لتقاعدها ويحول دون تشربه لروحها ، ويتطلب منه بذل مجهود جبار لم تقو بعد مواهبه الجسمية

والعقلية على يذل مثله ، فيتعطل نموه الجسمي والفكري .

ج - منح اللغات الأجنبية في التعليم الثانوى الزمن الكافى لاجادتها ، فيزيد الوقت المخصص لها زيادة تعوض الغاءها في التعليم الابتدائى ، ورأى أنه لا يصح أن تكون اللغة الانجليزية هى اللغة الأساسية فى جميع المدارس الثانوية ولجميع التلاميذ ، لان فى هذا تحكماً لا مبرر له وتضييقاً لدائرة الثقافة اللغوية بمصر وإيصاداً لأبواب طائفة من الأعمال الحرة ومعارضة لحاجات التعليم العالى فان بعض فروعها يتوقف على الفرنسية ويحتاج بعض شعبه الى الالمانية ، واقترح تقسيم الشعب اللغوية فى التعليم الثانوى إلى ثلاثة أقسام ١ - شعبة اللغة الانجليزية ، وفيها تكون الانجليزية أساسية والفرنسية أو الالمانية اضافية ٢ - شعبة اللغة الفرنسية ، وفيها تكون الفرنسية أساسية والالمانية أو الانجليزية اضافية ٣ - شعبة اللغة الالمانية ، وفيها تكون الالمانية أساسية والانجليزية أو الفرنسية اضافية .

د - ارجاء تدريس اللغة الاوربية الثانية الى ما بعد السنة الثانية بالمدارس الثانوية ، حيث يكون الطالب قد أدرك مقداراً صالحاً مستقراً متميزاً من اللغة الاولى ينجمه من الخبرة والخلط بين اللغتين ويساعد على قبول الثانية واساغة قواعدها .

هـ - اهمال ناحية المهارة اليدوية فى مدارس التعليم الثانوى ، فنجم عن ذلك كراهة المتخرجين فى المدارس الثانوية للصناعات اليدوية وترفعهم عنها لجهلهم بها ، ولا علاج لهذا النقص الا بادخال طائفة من الصناعات اليدوية فى مناهج الدراسة الثانوية كالطباعة والكتابة على الآلة المكتبة وتجليد الكتب والتصوير الشمسى والعزف على الآلات الموسيقية والغزل والنسيج ومبادئ التجارة والعمارة والطلاء وصنع الادوات الخرفية والدمى وعمل السلال والكراسى واصلاح الساعات والصناعات الزراعية بمختلف فروعها وأن يتبع فى تعليم هذه المواد نظام « المجموعات المتجانسة » فيتألف فى كل مدرسة فرق صناعية يتجانس تلاميذ كل منها فى مقدار مهارتهم وصناعتهم بقطع النظر عن سنهم الدراسية ، ويشجع المتفوقون فى هذا المضمار بشتى وسائل التشجيع ، وألا يجرى امتحان فى هذه المواد بالمعنى الكامل لهذه الكلمة ، وان كان لا بد من اجراء امتحانات فيها فلا يصح أن يكون لنتائجها أثر فى انتقال التلاميذ .

و - عدم السير على نظام « التعليم الاقليمى » فى مرحلة الدراسة الثانوية ، واتباع نظام التجانس العقيم الذى وحد أساليب التربية والتعليم ومناهجها وخططها فى

جميع المدارس الثانوية حتى استحالَت صورة متكررة متشابهة وانعدم بذلك الطابع الشخصي الذي ينبغي أن تستطيع به كل مدرسة في حدود يقيتها الخاصة ، ونشأ عن ذلك أن المتخرجين في هذه المدارس قد استحالوا الى نماذج ماثلة لا يصلحون الا لنوع واحد من الأعمال فيضطرون الى التزاحم في حيز ضيق لا يتسع لعشر معشارهم وتحيط بهم ميادين البطالة من جميع الجهات ، ولو اتبع في تربيتهم نظام « التعليم الاقليمي » لحف كثير من حدة تكالبيهم على الوظائف الحكومية ، ووجهت أنظارهم الى نواح جديدة للعمل وخلق ميادين واسعة للارتزاق والسكسب ، وقويت صلتهم ببيئاتهم ، وتنوعت سبل حياتهم ، وتعددت اتجاهاتهم ، اذ أن المصريين لا يقلون عن غيرهم اختلافا في البيئة ومظاهر النشاط الاقتصادي وحاجاتهم الاساسية ، فبيئاتهم الجغرافية متعددة ، فمن البلاد المصرية ما يتاخم المناطق الحارة ، ومنها ما يقع في المناطق المعتدلة ، ومن المصريين من يقطنون الصحارى ومنهم من يقطنون السواحل ومنهم من يقطنون البطاح ، وبعض بلاد القطر زراعي والبعض صناعي النزعة من قديم والبعض قد أخذ يتجه وجهة صناعية والبعض يسود أهله أنواع أخرى من مظاهر النشاط الاقتصادي كالتجارة والملاحة والصيد وهذا لا يتلاءم مع توحيد نظام التربية والتعليم في أية مرحلة من مراحلها ، فمن الخطأ أن تكون مواد الدراسة وخططها في مدرسة ثانوية تكتنفها بيئة زراعية مثلاً ويفد تلاميذها من طبقة المشتغلين بالزراعة متحدة في كل شيء مع مواد الدراسة وخططها في مدرسة منشأة في اقليم صناعي أو تجاري ، فلكل اقليم مظاهر نشاط تميزه عن غيره وتقضي على المربين أن يربطوا بها كل مواد تربيتهم وتعليمهم وأن تكون عنايتهم بالأمور المتصلة بها أكثر من عنايتهم بما عداها

٦ - تقصير الحكومة والشركات المصرية حيال المتخرجين في المدارس الصناعية والفنية ومدارس التجارة والزراعة ، فهذه المدارس تعد تلاميذها أولاً وبالذات لمزاولة الأعمال الحرة ، ومعظم هذه الأعمال لا يتوقف على المجهود الجسمي والعقلي فقط بل يتوقف كذلك على رأس المال ، والمتخرجون في هذه المدارس تعوزهم رؤوس الاموال ، فيجب أن تمت الحكومة والمصارف أفراد هذه الطائفة برؤوس الأموال اللازمة للقيام بمختلف المشروعات الحرة : تجارية أو صناعية أو زراعية ، وان تحمي الحكومة مشروعاتهم الناشئة ضد المنافسات القوية وتقرر إعانة سنوية تكفي بها بعض مظاهر نشاطهم الانتاجي وتشجعهم

على الاجادة والاستمرار وتسهيل لهم تصريف احتياجاتهم في مختلف الاسواق الداخلية والخارجية وتلتزم تفضيلها على غيرها في كل ماتحتاج اليه مصالحها من مشتريات .

٧ - تساهل الحكومة مع الشركات الأجنبية بصدد الموظفين ، فان معظم هذه الشركات لا يوظف الا الاجانب رغبة في نفع بنى جنسهم من جهة وبمحجة ضعف الشبان المصريين في شؤون الشركات وفي اللغات الاجنبية من جهة أخرى ، ويلجأ بعضها الى توظيف المصريين في الوظائف الحقيرة التي يستنكف الاجانب عن القيام بها ، ولا علاج لهذه الحالة الشاذة الا اذا نصت الحكومة في عقود الامتياز التي تمنح من الآن فصاعدا لكل شركة تنشأ على أن يكون معظم موظفيها على الاقل من المصريين ، ومراقبة تنفيذ ذلك ، وأن تعيد الحكومة النظر في حالة الشركات القديمة من جديد على ضوء ماوصلت اليه البلاد من رقي وحضارة وماوصل اليه المتخرجون في معاهدها العلمية من بؤس وشقاء .

٨ - شغل وظائف ينبغي وقفها على المتعلمين لاحتياجها الى درجة من الثقافة بأفراد من غير المتعلمين كوظائف عساكر البوليس ، وقد عمل (دولة) على ماهر باشا على علاج هذه الناحية فأعد مشروعا جليلا يقضى بانشاء قسم بمدرسة البوليس لتخريج عساكر البوليس على أن يلتحق به أكبر عدد ممكن من المتعلمين ، ولكن لا يزال في الميدان متسع للاصلاح ولفتح أبواب للمتعلمين المتعطلين لأن الامر ليس مقصورا على عساكر البوليس .

٩ - عدم وجود مكاتب منظمة للتوظيف والتوجيه ، فينبغي انشاء مكاتب للتوظيف في أشهر مدن القطر ويكون بالقاهرة مكتبة رئيسية تمثل فيه مصالح الحكومة ودور التعليم الاميرية والاهلية والاجنبية والشركات وسائر الهيئات الحرة الشهيرة ، وتنشأ مكاتب للتوجيه يعهد اليها بتحديد العمل الذي يصلح للاضطلاع به كل طالب توظف وتوجيهه الى الناحية التي تتلاءم مع تكوينه العلى وميوله الفطرية والمكتسبة .

ثم تحدث عن البطالة في الزراعة فقال انه لم تظاهر بعد علامة مزعجة من علامات هذا النوع من البطالة ، ولكن اذالم نأخذ في أسباب الوقاية من هذا النوع ، فسيكون شر ماتصاب به الحياة الاقتصادية ، ورأى أن عوامل هذه البطالة ترجع إلى :

(١) نمو عدد السكان وعدم كفاية الأرض المنزرعة الآن لتشغيل جميع الأيدي العاملة بالمناطق الزراعية في المستقبل ويمكن دفع هذا الخطر باتخاذ الوسائل الآتية :

أ - العمل على زيادة القوة الانتاجية للأرض المنزرعة الآن .
ب - العمل على زيادة مساحة الأرض الصالحة للزراعة .
ج - العمل على زيادة القوة الانتاجية لساكني المناطق الزراعية أنفسهم بدون الخروج بهم عن بيئتهم ، أو بعبارة أخرى ، العمل على تزويدهم بما يزيد من قدرتهم على استغلال بيئتهم ويضاعف من حذقهم ومهارتهم في تذليل موارد الثروة في أقاليمهم .

د - العمل على تشغيل الزائدين عن حاجة الأرض من سكان المناطق الزراعية في أمور انتاجية أخرى لا تمت إلى بيئتهم بصلة .

٢ - استخدام الآلات الحديثة في الزراعة ، فإن استخدام آلة زراعية في قطعة ما من الأرض يؤدي إلى الاستغناء عن بعض الأعمال اليدوية ، أى توفير بعض الفلاحين الذين يشتغلون فيها ، وليس من الخير العمل على محاربة استخدام الآلات الحديثة لأنه ملائم للرق الزراعى وعنصر هام من عناصره ، وكل ما يمكن عمله في هذا السبيل هو تشجيع الملسكيات الصغيرة بشق الوسائل المشروعة ، لعدم احتمال ثروة اصحابها المبالغة في استخدام الآلات الحديثة

وتكلم عن البطالة في الصناعة ، فقال : كان طبيعيا ، بعد أن خطت مصر هذه الخطوات الحديثة في ميدان الصناعة ، أن يهددها الخطر الذى يهدد عادة كل بلد صناعى ، وهو خطر البطالة ، وقد أخذت بوادر هذا الخطر تظهر فعلا في السنين الأخيرة ، فاستغنت مصانع عن طائفة من عمالها ، وأنشئت جمعيات لمعاونة المتعطلين وأخذت طوائف العمال المتعطلين تضايق الأغنياء في منازلهم وعلى أبواب النوادي وقاعات المحاضرات والطرق العامة .

وترجع أهم عوامل البطالة في الصناعة الى مايلي :

١ - زيادة المنتجات الصناعية عن المطلوب للاسواق ، فينجم عن هذه الزيادة انخفاض الائتمان ، وانخفاض الائتمان ينجم عنه التقليل في الانتاج ، والتقليل في الانتاج يستلزم الاستغناء عن اليد العاملة .

وخير وسيلة للوقاية من هذا الخطر أن تخضع مصانع كل فرع من فروع الانتاج لجهة رئيسية تقدر كمية المطلوب للأسواق من هذا الفرع .

٣ - اختراع الآلات الحديثة في الصناعة أو التحسين في الآلات القديمة .
وهذا العامل لا يمكن الوقوف في سبيله لأنه ملازم للرقى الصناعى ، ونتيجة لارتقاء الفكر الانسانى

٣ - منافسة الصناعات الأجنبية القوية للصناعات المحلية الناشئة الضعيفة ، وهذه المنافسة تنتهى بانهزام المصانع المحلية

وخير علاج لذلك هو رفع الرسوم الجركية على المنتجات الأجنبية .
٤ - تشغيل النساء والأطفال في المصانع ، وهذا يحدث البطالة في صفوف العمال من الرجال ، ويؤدى إلى أخطار صحية واجتماعية ، وقد وضع المكتب الدولى للعمل الملحق بجامعة الأمم قوانين تقيّد تشغيل الأطفال والنساء .

٥ - تشغيل الأجانب .
٦ - كثرة ساعات العمل وهى تستلزم توفير العمال .

واتقاء لهذا يتبع نظام « اليوم الانجليزى في العمل » ، وهو ألا يشتغل العامل أكثر من ثمانى ساعات في اليوم ، ونظام « الأسبوع الانجليزى » وهو ألا يشتغل العامل أكثر من خمسة أيام ونصف يوم كل أسبوع .

وقد تحدث عن التعليم الاقليمى - أثناء التكلم عن البطالة في الزراعة - فأشار بجعله عنصراً أساسياً من عناصر التعليم الإلزامى ، بين سكان المناطق الزراعية ، لأن أبناء الفلاحين لا يتجاوزون غالباً هذه المرحلة من التعليم ، فيجب تزويد التلاميذ بما يفهمهم على شؤون أقاليمهم الخاصة ، ففي الأقاليم الشهيرة بانتاج الفاكهة مثلاً ينبغى أن يؤخذ التلاميذ بطرق استنبات الفاكهة وتحسين درجاتها وتبخيرها والمحافظة عليها عند تصديرها إلى الخارج وعمل المربات والفواكه المسكرة وصناعة استخراج عسل النحل باستعمال المناحل الحديثة وزراعة الزهور ووسائل تقطيرها وصناعة الروائح العطرية وفى الجهات التى يكثُر فيها النخيل كالواحات وجنوب الجزيرة يعنى بالصناعات المتعلقة بمنتجات النخيل من ثمر وليف وخصوص وجريد وفى المناطق الشهيرة بزراعة القطن يعنى فيها بتعليم استخراج الزيت وعمل الصابون وغير ذلك علاوة على درس كل ما يتعلق بزراعة القطن وأمراضه ومراتبه

وطالب بالعناية بتلقين تلاميذ كل اقليم المواد التي تنفق مع شؤون الانتاج الخاصة به ، كالماشية والاغنام والطيور والدواجن ودودة القز والسكتان والحبوب والخضروات .

وفي الجهات الساحلية يعنى بتدريب التلاميذ على الصناعات المتعلقة بصيد الاسماك وتمليحها وحفظها . . . وزراعة الملح وتعمده وقطعه وتهذيبه ووضعها داخل أكياس .

والجهات الرملية التي يساعد معدن تربتها على صناعة الزجاج والبلاط والاسمنت يدرس التلاميذ كل ما يتعلق بهذه الصناعات وموادها .

والبلاد الرملية التي تصلح لزراعة الأحرش والغابات ، يتلقى التلاميذ كيفية غرسها وتعمدها وطرائق قطعها وتجفيفها ، والصناعات المتصلة بالأخشاب كالسكريت والأثاث والفحم .

وأشار بإنشاء مدارس فنية أولية بالأقاليم الزراعية تكون مناهجها مكتملة لما يتلقاه تلاميذ المدارس الإلزامية من مواد التعليم الإقليمي ، وتتسع مناهج هذه المدارس وتتقدم موادها بتقدم سن الطلاب ، حتى تخرج زراعاً مهرة يعملون بأيديهم في الحقول ، وصناعاً حاذقين لصناعاتهم يعملون بأيديهم في المصانع ، ويجب أن يكون منهج هذه المدارس يسيراً بسيطاً متصلاً أشد الاتصال بحاجات الناس في حياتهم اليومية ، لا يشعر الطالب فيه أنه شذ عن بيئته أو نقل من بيئة إلى بيئة أرقى منها .

(٣)

ملخص رسالة

الأستاذ حسنى الشنتناوى

مهد لبحثه بتعريف الاقتصاديين للبطالة بأنها « عدم توفر العمل لشخص راغب فيه وقادر عليه في مهنة تتفق مع استعدادة نظراً لحالة السوق » ، وقال انه تعريف حسن ، ولكنه ينطبق على الدول التي اكتملت نموها الصناعى اكثر منه على الدول الناشئة التي اشتركت في نموها عناصر وبواعث غريبة عنها كمصر ، فعلاج البطالة يجب أن يكون مرناً يتفق مع أحوال البلاد المحلية .

وقد تحدث عن البطالة في العالم وأورد احصائيات عن العمال العاطلين وملاحظات

مكتب العمل الدولى .

ثم قدم البطالة الى نوعين : (١) البطالة بين عمال الصناعة (٢) البطالة بين العمال غير الصناعيين « غير اليدويين » .

وبنى أسباب البطالة بين عمال الصناعة فى مصر على ما يلى :

- ١ - الازمة الاقتصادية .
 - ٢ - تحول كثير من الصناعات اليدوية إلى صناعات ميكانيكية .
 - ٣ - زيادة عدد السكان
 - ٤ - الهجرة من الريف الى المدن
 - ٥ - منافسة الأجانب
 - ٦ - عدم الخبرة الفنية التى تجعل العامل ملتئما مع عصره وتولد عنده مواهب الابتكار والتنقل بين الصناعات .
 - ٧ - تدهور بعض الصناعات القديمة ، مثل صناعة المناديل (الاسطامبولى) وبعض الصناعات الدقيقة القديمة .
 - ٨ - عدم استكمال التشريع الاجتماعى الذى ينظم ساعات العمل وغير ذلك من الوسائل التى توزع العمل على أكبر عدد من العمال .
 - ٩ - انعدام فكرة الادخار لدى العمال المصريين وجمعهم بمعانى التأمين وفوائده
 - ١٠ - وجود أبواب أثرية للارتزاق فى مصر لا تلبث أن تزول من عالم الوجود أو تصادر بقوانين بعدم اعتبارها عملا من الأعمال وذلك مثل مروضى القردة وصيدية العوالم وخدام الزار وبعض أتباع المآثم والأفراح وغير ذلك مما يتلاشى مع عمر الزمن .
 - ١١ - تدهور بعض العادات والشعائر القديمة مثل أرباب الطرق وأصحاب العمود
 - ١٢ - عدم وجود بورصات منظمة للعمل (مكاتب توظيف)
 - ١٣ - منافسة الحكومة للأفراد فى الصناعة ، كما هو الشأن فى مصلحة السجون .
 - ١٤ - عدم وجود نظام خاص للعطاءات الحكوميه يكون من شأنه توفير العمل لأكثر عدد ممكن من العمال فى المصانع الأهلية طول العام .
- ثم رأى أن وسائل العلاج ، أهمها ما يأتى :

- ١ - المشروعات العامة ، وهى أن توجد الحكومة ادارة هيئة خاصة تشرف على تنفيذ المشروعات العامة كمشق الطرق ويسمى الفائض من جانبها للجمهور

بعد تصقيعه ؛ وغير ذلك من الأعمال التي يستخدم فيها العمال العاطلون القادرون على العمل .

٢ - بوزصات العمل العامة ، لتسهيل الاتصال بين أرباب العمل والعمال العاطلين وأن تكون تابعة للدولة مباشرة ؛ وموزعة على الأقاليم ومتصلة بهيئات التأمين الاجتماعي .

٣ - التأمين الاجتماعي ضد مرض العامل والاصابات التي يسببها العمل وضد البطالة والشيخوخة وعند الوفاة .

٤ - القضاء على المنافسة الحكومية للأفراد والمصانع ، وذلك كمنافسة مصلحة السجون والترسانة الاميرية ومصلحة السكك الحديدية وغيرها ، ويوجد نوع من العمال الأحداث في الترسانة والعنابر يسمى «بالاشراقات» ويقوم هؤلاء الغلمان في كثير من الأحيان بعمل الكبار ، وهذا منافسة للعمال أرباب العائلات .

٥ - المبادرة الى ايقاف الهجرة من الريف الى المدن وذلك بزيادة المحصولات المريحة التي تتطلب زيادة في الأيدي العاملة مثل الخضر والفواكه ، واصلاح الأراضي البور ، وتخفيف بحيرات شمال الدلتا ، وتشجيع الصناعات المحلية بالريف ، وتجميل القرى .

٦ - الترفق في تنفيذ القانون رقم ٤ لسنة ١٩٣٣ الخاص بالمتشردين والمشتبه فيهم ، فان الحكم على العامل العاطل الذي يجد في البحث عن العمل - بتهمة التشرد - فيه تعقيد لشؤوننا الاجتماعية بدلا من اصلاحها ، وينبغي ايجاد معاهد صناعة تحول العاطلين من صناعتهم العاطلة الى صناعات أخرى رابحة ، وتنظيم الملاهي .

٧ - وهناك وسائل أخرى ، كتحریم أو تحديد هجرة الأجانب ، ونظام توزيع الأراضي ، ونظام العمل الاجباري ، وتحديد ساعات العمل ، ونظام الاعانات والامدادات العينية (امداد العاطلين بالغذاء) ، وتحریم العمل على النساء . ثم تساءل : هل في مصر أزمة للبطالة بين العمال ، وأجاب على هذا بأن الأزمة على وجه عام أدنى الى المتوسط اذا قورنت بالدول الاخرى ، لأن مصر بلاد زراعية أولا وصناعية ثانيا ، ولكن في مصر مشكلة لبطالة المتعلمين .

وتحدث عن البطالة بين العمال غير الصناعيين (غير اليدويين) فأورد مقترحات لجنة مكافحة البطالة التي ألفت بقرار من مجلس الوزراء في فبراير سنة ١٩٣٦ واقترحات المرحوم احمد عبد الوهاب باشا ، ورأى ان هؤلاء المتعطلين

ينقسمون الى قسمين :

ا - الشبان المتعلمين من خريجي المدارس
ب - العمال غير الصناعيين وهم أرباب الحرف الحرة مثل الرسامين والموسيقيين والمحاسبين والمعلمين وغيرهم .

وعلى أسباب بطالة خريجي المدارس بما يأتي :

١ - الاقبال على التعليم النظري ، مما جعل عدد الحائزين للشهادات والاجازات العلمية أكثر من حاجة البلاد .

٢ - عدم وجود هيئات تتولى توزيع طلاب العلم على فروعها وفقاً لحاجات البلاد واستعداد الطلبة أنفسهم .

٣ - عدم توفر المرونة في البرامج مما يسمح للطلاب بالتنقل بين المهن .

٤ - المنافسة الأجنبية .

٥ - الهجرة .

وأما بطالة العمال غير اليدويين ، فأهم أسبابها :

١ - الأزمة العالمية .

٢ - الاختراعات الحديثة مثل الراديو والسينما الناطقة والآلات الكاتبة والحاسبة وغيرها .

٣ - عدم توفر الجماعات الطائفية ، لتتولى حماية الأفراد والبحث لهم عن العمل عند البطالة .

٤ - عدم الأخذ بأنظمة التأمين الاجتماعي .

٥ - اشتداد المنافسة بعد زيادة عدد المتخرجين من المعاهد العلمية .

ثم أورد إحصاء عن المتعلمين من خريجي المدارس والجامعات والعمال غير اليدويين بمصر ، ووسائل العلاج في الدول الأجنبية ، والوسائل التي يراها علاجاً للبطالة ، وهي :

١ - العمل على سن تشريع جديد يحتم نسبة معينة من الموظفين المصريين في الشركات الأجنبية التي أسست قبل سنة ١٩٢٧

٢ - إنشاء معاهد جديدة لا تزيد فيها الدراسة عن ستة أشهر لتحويل الشبان عاطلين من عمال غير يدويين إلى عمال يدويين ، وتوزيع الدراسة على الصناعات والفنون

- ٣ - انشاء معاهد لتحويل الشبان من المهن التى تخصصوا لها فى دراستهم إلى مهن أخرى ، لتوزيع الطالب توزيعا حسنا يتفق مع العرض .
 - ٤ - العناية باللغات الأجنبية وفن الاختزال واستعمال الآلة السكاتبة ، وجعل اللغة العربية لغة التفاضل والتعامل فى جميع المرافق المصرية .
 - ٥ - اصدار بيانات دورية من وزارة التجارة والصناعة عن حالة المهن والفنون والصناعة ، ليسترشدها الشبان فى اختيار دراستهم .
 - ٦ - سن قوانين للمهن تقصر الاشتغال بها على ذوى المؤهلات فيها
 - ٧ - الترغيب على العمل فى البلاد الشرقية التى ترتبط حضارتها بمصر .
 - ٨ - وضع تشريع للإشراف على فصل المستخدمين وتعطيل العمل أو وقفه بالشركات والمصانع
 - ٩ - تأليف هيئة من وزاقي التجارة والصناعة والزراعة وبعض الخبراء لوضع برنامج شامل للصناعات الجديدة .
 - ١٠ - تسهيل التسليف الصناعى وعدم قصر الضمان على العقار
 - ١١ - تفضيل المصريين على غيرهم فى المناقصات الحكومية ، ولا سيما ما كان متعلقا بالأعمال الداخلية .
 - ١٢ - الاهتمام باصلاح الأراضى البور وتوزيعها .
 - ١٣ - مراجعة أنظمة التعليم وبرامجه ، ووضعها وضعاً إقليمياً عملياً .
- ويرى أن يكون التعليم الإقليمى متنوع البرامج ، فلكل مديرية حاجات وبيئة خاصة ، ولكل تربة ميزات ومنافع ، فتعنى البرامج فى مدارس الريف بحراثة الأرض والعناية بالبساتين وتربية الدواجن والمواشى وصناعة الالبان والسماد ، وفى المناطق الساحلية يعنى بدراسة حيوان البحار وصناعة السردين . . . الخ وأن توجه العناية إلى تنسيق القرية وتجميلها وانشاء مكتبة ريفية فى كل قرية تتناسب مع حالتها ، ويتسم القطر الى وحدات ادارية للتعليم تكون كل وحدة تحت اشراف هيئة ملامة بحاجيات المنطقة وطبائع أهلها ومواردها الطبيعية

(٣) م

ملخص رسالة

الأستاذ عبد الحميد يونس

استهل بحثه بأن الأثر الفعال للتطورات الحديثة التي مرت ، ولا تزال تمر ، بمصر نبه الحكومة والمفكرين إلى دراسة هذه التطورات وتوجيه الصالح منها إلى الخير العام ، وإن أظهر هذه التطورات ما كان منها متصلا بالمناحي الاجتماعية والاقتصادية بوجه عام ، وبناحية العمل والبطالة بوجه خاص . ثم أشار إلى أنه اعتمد في بحثه على الإحصائيات والتقارير الرسمية ودراساتها ، مع عدم اغفال المشاهدات الخاصة ، واستفاد بقدر معقول من تجارب الأمم الأخرى .

ثم أورد جدولين أحدهما عن نسبة نمو السكان بمصر مدة عشر سنوات ونسبة النمر في كثير من دول أوربا ، والثاني عما يخص السكولو المتر المربع الواحد من عدد السكان في مصر وفي غيرها ، واستخلص من الجدولين أن عدد السكان في مصر يتزايد ، وأنه يجب التفكير جدياً في أحداث التوازن بين تزايد السكان وتزاحمهم وبين تزايد وسائل العمل ، حتى لا تستهدف الجماعة المصرية لخطر البطالة وما يتبعها من تفشي عنصرى الفقر والجريمة ، وخطأ الاقتصاديين الذين يعالجون البطالة الصناعية وحدها ، لأن مصر لا تزال بلداً زراعياً الطابع ، ولأن البطالة الزراعية في ذاتها أهم وأخطر ، ومنشأ البطالة الصناعية نفسها الريف ، وقد دلت الإحصائيات على زيادة سكان الحضر زيادة هائلة بالنسبة لسكان الريف ، وسبب ذلك هجرة السكان من الريف إلى المدن ، وهذه الهجرة تدل على وجود البطالة الزراعية أولاً ، والبطالة الصناعية ثانياً ، لأن سوق العمل الصناعى لا تمضم الجوع التى يقذف بها الريف إلى المدن .

ثم ذكر أن نسبة الأراضي المنزرعة تقل كثيراً عن نسبة نمو السكان ، ونسبة زيادة الطبقة الزراعية بوجه خاص ، وأورد جدولين عن نسبة زيادة السكان والطبقة الزراعية والمساحات المنزرعة والأراضي البور في الفترة بين عامى ١٩٠٧ و ١٩٢٧ ، أحدهما للوجه البحرى والثانى للوجه القبلى ، وعلل تفوق زيادة السكان على الأراضي الزراعية بالهجرة من الريف ، ورأى أن أول علاج للبطالة الزراعية

أو للهجرة من الريف إلى المدن ، هو العمل على فتح أبواب الرزق للفلاحين في
بيئتهم الزراعية . والاسراع في اصلاح الاراضى البور بتأمين وصول مياه الري
وتحسين وسائل الصرف ، والانتفاع من تقوية خزان اسوان وتعليته ومد الترع
وتدعيم القناطر لتحويل رى الحياض في الوجه القبلى إلى رى صيفى ، فان هذا
أهم منفذ لزيادة السكان المطردة ، ثم اشترط في توزيع الاراضى البور بعد
استصلاحها أن يكون مقصورا على صغار المزارعين أو أصحاب الممتلكات الصغيرة
على أن يدفعوا ثمنها على آجال طويلة من غير فوائد .

ورأى أن تنشط الحكومة في تجميل الحياة الريفية والعناية بالقرية المصرية
وانشاء القرى النموذجية التى تتنوع فيها وسائل العمل والامو والتشقيف ، حتى
تصبح القرية جذابة لا تدعو الحياة فيها إلى سأم الفلاحين عامة والأغنياء وأشباه
المترفين منهم خاصة .

ثم طالب بتحسين الانتاج الزراعى ، والعمل على تنوع المحاصيل ، وترقية
نسل الحيوان من الدواجن والمواشى ، وتعليم الفلاحين الوسائل الحديثة في تربية
النحل ودودة القز ، وتخفيف ضرائب الأطنان التى لم تعد تتكافأ وغلّة الأرض ،
وتمصير البورصة ، وتبسيط الطرائق التجارية كى يستطيع المزارع تصريف
محصولاته من غير الوسطاء والسماسرة .

وذكر أن سوق العمل الصناعى بحالته الراهنة - مع ما فيها من سمات النهوض
والحيوية والنشاط - لاتهمضم الجموع التى يلفظها الريف ، ومع أن بعض الصناعات
تنشأ في المناطق التى تنتج فيها المواد الأولية التى تحتاج اليها ، الا أن الأغلب
الأعم في الصناعات ينشأ في المدن الكبيرة ، ولما كانت الصناعات المصرية فى جملتها
على اتصال وثيق بالزراعة ، فيجب الحد من تركيز الصناعات في المدن الكبيرة ،
والعمل على انشائها فى الأقاليم التى فيها المواد الأولية التى تحتاج اليها ، وليس
من الخير ترك الحركة الصناعية تسير على غير هدى ، فالحاجة تقضى بوضع برنامج
صناعى معين ، ولمدة معينة ، ثم يعاد النظر على ضوء البحوث والاحصائيات
والتجارب .

وطالب باشتراك الحكومة اشتراكا فعليا فى انشاء صناعات ، على صورة
شركات مساهمة ، لأن التوسع الصناعى هو الحل الوحيد لدرء خطر البطالة .
وأشار إلى أن مضاعفة الحكومة نشاطها فى المشروعات العامة - كالاكتثار من

المدارس والمستشفيات واصلاح الطرق الزراعية والبناء وتخطيط المدن وتنظيمها وتحسين وسائل الرى والصرف - وسيلة من أنجع الوسائل فى مكافحة البطالة ، فان النشاط فى حركة التعمير يتطلب استخدام الكثيرين فيها ويخلق مجال العمل للأوف ، ويوسع سوق العمل الصناعى بحيث تشمل الزيادة الكبيرة فى عدد السكان ، على أن هذا لا يمنع من دراسة سوق العمل والدعوة إلى تنظيمه لأن علاج البطالة ، ليس معناه تهيئة وسائل العمل الجديد لطائفة من السكان إنما يدخل فى معناه المحافظة للذين يعملون على أعمالهم ، وأول مايعنى به فى هذا السبيل « عقد العمل » الذى يقصد به إيجاد علاقة عادلة بين العامل وصاحب العمل تنظم حقوق كل من الطرفين .

ثم تحدث عن صلة الأحداث بسوق العمل ومزاحمتهم الرجال الى حد ما ، وطلب تحديد السن الذى يبدأ فيه الأطفال العمل ، حتى يخف ضغطهم ويفسح المجال لمن هم أكبر منهم وأحق ، وتعطى لهم فرصة النمو البدنى والعقلى ، ويحموا من الأرهاق والاستغلال ، وذكر أن ضغط المرأة على سوق العمل لايزال ضعيفا ، ولكن هذا لا يمنع من الاحتياط وتوقى ما يترتب على تليم المرأة ومزاحمتها للرجل من النتائج الاقتصادية ، وقال ان هذا يدعو الى البحث فى مسألة « الزواج » لصلتها من بعض نواحيها بموضوع البطالة ، لأن أزمة الزواج تشير الى أن عددا من الفتيات لا تتحقق لهن مهتهن الطبيعية ، وطالب بأن تعين الحكومة الحد الأعلى للهور وتحتّم الزواج على من يزاولون أعمالا حكومية ، وتفرض ضريبة على الأعراب القادر . وتحدث عن ساعات العمل وطلب تخفيضها ، حتى يحافظ على حالة العامل النفسية والبدنية وتضعف حدة البطالة ويزيد عدد العمال فى كل صناعة ، كما طلب النص فى التشريع المصرى على الحد الأدنى للأجور وملاحظة طريقة العمل الفنى وغير الفنى ، وكذلك طالب بالاعتراف القانونى للهيئات العمالية ، حتى تنظم النقابات وتستطيع مساعدة الحكومة على القيام بمهتها فى علاج البطالة ، وأمل أن تشترك مصر فى مكتب العمل الدولى كى تساهم فى الجهود الدولية فى تنظيم المشكلات العالمية وأهمها مشكلة البطالة .

ثم انتقل الى بطالة المتعلمين ، فذكر أن نسبة الزيادة فيها تطرد عاما بعد عام بتفاؤل (روح الوظيفة) فى المجتمع المصرى ، ولصوق المتعلم بوظائف الحكومة وهى محدودة ، وزيادة العمل فيها لا تتكافأ مع عدد المتخرجين من المدارس المختلفة

وأشار بحماية سوق العمل عند المتعلمين من المنافسة الخارجية ، بتقييد النازحين الى مصر من الأجانب ، واجبار الشركات الأجنبية الكبرى على استخدام المصريين المتعلمين ، ويمهد لهذا بفرض اللغة العربية فرضا على جميع الشركات وبيوت التجارة والصناعة في معاملاتهم مع الأفراد والهيئات داخل القطر المصري ، كما فعلت الحكومة التركية بالقانون رقم ٢٠٠٧ لسنة ١٩٣٢ ووجوب قصر بعض المن على الذين لهم كفايات علمية خاصة تؤهلهم لآحترافها

وتحدث عن نقائص النظام المركزى فى التعليم كالجود والمحافظة ، مع أن البلاد تدر بتطورات اجتماعية واقتصادية يجب أن يكون لها صدى فى التعليم ، ونتج عن الجود والمحافظة أن تخلف التعليم عن مسايرة التطورات وأصبح مشكلة من المشاكل بدلا من أن يكون حلا لهذه المشاكل ، ثم طالب بوضع قواعد التعليم ونظمه وبرامجه وفق الدراسات الاقتصادية والاجتماعية الشاملة ، وأن يشترك فى وضع هذه البرامج الاخصائيون فى العلوم الاقتصادية والاجتماعية .

وانتقد التعليم الإلزامى والأولى ، لمساعدته على هجرة الريفيين إلى المدن ، وطالب بأن تكون مدارس عمليه أولية يتعلم فيها الأحداث أوليات الفلاحة والمواسم الزراعية والغرس والحصاد مع العناية بالحالة الإقليمية والتدريب وعدم اغفال أبجدية الصناعة كى تترى فى الطفل ملكة العمل ، وأن يبيت فيه - إلى جانب تعليم القراءة والكتابة وبسائط الحساب وقواعد الدين - حب الريف المصرى والتعصب له ، وان تكون المدارس جزءا من الحقل .

وتحدث عن نظام الحلقات المتداخلة فى التعليم ، بمعنى أن الصبى الذى يحوز امتحان المدرسة الصناعية الابتدائية له الحق فى دخول المدرسة الصناعية المتوسطة ومنها إلى كلية الهندسة فقال إن تداخل الحلقات يؤدى إلى الهجرة المنظمة ويزيد فى عدد المتعلمين العاطلين ، وطالب أن تتمتع المدارس الفنية والصناعية بشئ من الاستقلال ، وألا يسمح لكل من جاز امتحان هذه المدرسة أو تلك بأن يدخل مدرسة أعلى منها ، وللمحافظة على ظاهرة النبوغ وتنميتها يسمح للأوائل بدخول مدرسة أعلى من مدرستهم بامتحان مسابقة تعقده المدرسة الجديدة .

وحبذ مارأته لجنة تنقيح برامج التعليم الفنى والصناعى من تقرير الخطة الإقليمية فى التعليم الصناعى ومراعاة حاجات كل مديرية أو محافظة أو اقليم .

ورأى أن تقدم المساعدات المالية من السلف وغيرها لخريجي المدرس الزراعية

أسوة بما اتبع مع خريجي المدارس الصناعية - كي يساهموا من جانبهم في شراء الآلات الزراعية وفلاحة الأرض وفقا للطرائق الحديثة ، وكي يستطيعوا إيجار الأرض والعمل على زيادة خصوبتها وتنوع المحاصيل فيها .

ويجب الإقلال من المدارس الابتدائية والثانوية العادية التي كان الغرض القديم منها تخريج الموظفين ، والاستعاضة عنها بالمدارس الصناعية والتجارية بوجه عام ، والاقتصاد في استخدام الأجانب الفنيين ، ويكون استخدامهم لتعليم المصريين ، وفي المصانع النموذجية والأهلية في أول عهدها ، حتى اذا استقامت استغنى عنهم وحل المصريون محلهم .

كما يجب الإقلال من الدراسات النظرية والكلاسيكية في التعليم العالي ، ففي كلية الهندسة مثلا يجب العناية بالمناحي العملية والتوسع في الهندسة المعمارية والميكانيكية والكهربائية والكيمياء الصناعية .

ودعا إلى انشاء معهد في الجامعة المصرية للدراسات الاجتماعية على الأسس العلمية الصحيحة .

وحتم رسالة بوجوب تحرر التعليم من المركزيه القديمه وان ينحو منحى اقليميا تراعى فيه حاجات كل اقليم والسير على خطة مستقبلية في وضع برامجه وجعلها مرنة صالحة للتطور بتطور الأمة .

(٤)

ملخص رسالة

الأستاذ محمد أبو المعاطي عبدالله القديم

تحدث عن البطالة بأنها لازمت العالم منذ فجر النهضة الصناعية ، ولها أثر على أخلاق العاطلين وتكوينهم الجسماني يدعو إلى انتشار الاجرام وضعف السلامة الاجتماعية ، بل لها تأثير غير مباشر على التجارة والصناعة ، وفيه أصحاب العقارات لقلة ريع ممتلكاتهم ، وأورد احصاء عن البطالة بمصر سنة ١٩٣٢ وسنة ١٩٣٤ ونسبتها إلى بعض الممالك الاوربية .

وقد قسم البطالة إلى ثلاثة أنواع :

١ - بطالة صناعية - (ب) بطالة زراعية - (ج) بطالة المتعلمين .

ورأى أن أسبابها تعود إلى :

زيادة عدد السكان وعدم كفاية الموارد الزراعية - التساهل في تحديد سن الزواج
بثمانى عشرة سنة - اضطراب صاحب الملكية الصغيرة لشراء بذوره لأجل أبهظ
الاثمان وبيع محصوله بأقل الاثمان فيقع في الدين وتنتهى الحال ببيع أرضه وانقلابه
الى أجير - احلال الآلات محل العمال - كثرة خريجي المدارس الذين لا يطمحون
إلى أكثر من وظائف الحكومة - قلة المشروعات العامة - عدم عدالة توزيع
الضرائب على السكان جميعاً مصريين وأجانب لوجود الامتيازات الأجنبية -
المساواة في نظام الضريبة بين الزارع الكبير والزارع الفقير - انخفاض مستوى
معيشة السواد الأعظم من الشعب - تأثير الازمة العالمية على الاعمال الصناعية
والتجارية - هبوط أسعار المنتجات الزراعية - منافسة القطن الأمريكى للقطن
المصرى - منافسة المدارس الصناعية الحكومية ومصلحة السجون للمصانع الخاصة -
مزاحمة النساء والعلمان للرجال - مهاجرة الاجانب إلى مصر - مزاحمة موظفى
الحكومة بالعمل فى المحال الصناعية والتجارية فى أوقات فراغهم - كثرة الاراضى
البور والبرارى - اتساع صدر الحكومة لأبناء الوجهاء والكبراء الاثرياء وتعيينهم
فى وظائف قد يقل مرتبها عن سد حاجاتهم .

أما العلاج فقد اشار بما يأتى :

رفع سن الزواج وتعيين الحد الأدنى لدخل من يريد الزواج واشتراط تقديم
شهادة بصلاحية من يريد الزواج وشهادة بدخله ، حتى يمنع أصحاب الدخول
الضئيلة من إيجاد نسل لأرأس مال له ولا أمل فى عمل له وغير قوى وسليم .
زيادة عدد الجيش ، فهو ميدان فسيح للشباب العاطل ، وجيوش الامم الاوربية
تبلغ فى المتوسط ٢ فى المائة من عدد سكانها

تقييد هجرة الأجانب الذين يزاحمون أبناء البلاد ويختطفون القوت من أفواههم .
تشجيع الهجرة إلى البلاد الأخرى ، وإن الولايات المتحدة تصرح لخمس عشرة
مصرياً بالنزوح إليها سنوياً ، والبلاد الشرقية تطالب عمالاً زراعيين .
التفريق بين الزارع الكبير والزارع الصغير فى نظام فرض الضرائب ، فإن كثيراً
من صغار المزارعين باع أرضه سداداً للضريبة وأندمج فى سلك العمال .

تنظيم نقابات العمال تنظيمًا دقيقاً لا يسمح لها بالاهتمام بغير طبقة الصناع والصناعات ،
وإيجاد مراقبة صادقة مخلصه ، فقد تنصرف هذه الهيئات فى كثير من الاحيان الى الأمور
السياسية والاجتماعية ولا تعمل للغرض الذى أنشئت له وهو خدمة العامل والدفاع
عن مصالحه .

انشاء بورصات العمل فى المدن الصناعية الكبرى لاتكون مهمتها مقصورة على مساعدة العمال فى الحصول على عمل بل تكون للحكومة عوناً على معرفة حالة البطالة فى البلاد .

تشجيع الحكومة لاتساع نطاق المحصولات الزراعية وتحسين أنواعها فان الاعتماد على القطن فى الثروة الزراعية خطر عظيم وقد نجحت المنافسة ضده إلى حد كبير انشاء صناعات جديدة وحماية الصناعات القائمة ، فالدولة فى بدء نهضةها الصناعية تحتاج إلى سلاح من الحماية الجمركية ، ومامن صناعة نشأت ونجحت فى ظل الحرية ، بل ان مذهب حرية التجارة أصبح مذهبا خياليا وأقلعت عنه كل الدول منع المدارس الصناعية الحكومية ومصلحة السجون من منافسة المصانع الخاصة منح البلديات والمجالس المحلية المال اللازم للقيام بالأعمال العامة كالانارة والمياه والمجارى .

فرض وجوب استخدام العمال المصريين والموظفين من حملة الشهادات المصرية بالشركات الأجنبية .

تسهيل عمليات التسليف الصناعى ، وتفضيل الصناعات المصرية فى مصالح الحكومة ، وتجزئة كميات التوريدات حتى يتمكن أصحاب المصانع الصغيرة من التتدم إلى المناقصات .

وضع تشريع بتحديد أجور العمال حتى لا يتركوا فريسة فى أيدي أرباب الصناعة والأعمال .

تحديد ساعات العمل وإيجاد يوم للراحة الأسبوعية ، ورفع سن الأحداث عند مباشرة الأعمال إلى ١٥ سنة حتى يستطيع كل منهم تعلم حرفة تنفعه فى رجولته ، ويفسح المجال لأصحاب العائلات .

توسيع اختصاصات البعثات الفنية فى الخارج وإيفاد بعثات للقيام بدراسات طويلة فى مختلف دور الأعمال بأوربا .

انقاص عدد المهن التى يسمح للأجانب بمزاومتها ، واشتراط حصول الأجانب على تذاكر شخصية للأقامة ، حتى يخلو الجو لعدد وفير من العمال الوطنيين .

منع موظفى الحكومة من العمل فى المحال الصناعية أو التجارية فى أوقات فراغهم العناية باصلاح الاراضى البور والبرارى ، وانشاء جمعيات تعاونية لشراء هذه

الأراضي ، اما بضمن قليل أو بدون مقابل ، والاتفاق مع بنك التسليف الزراعى
لمد الجمعيات بالمال اللازم لاصلاح الارض واستغلالها ، ووضع نظام لرهن هذه
الأراضي ضماناً لوفاء قروض البنك ويكون له الاشراف الفعلى على المخرق التى
تتبعها الجمعيات فى تقسيم الاراضى .

تسهيل المواصلات للجهات المتطرفة وتنظيم طرق الرى بحفر الترع والمصارف
ومنح امتيازات خاصة لهذه الأراضي كصرف البذور حتى تستطيع الجمعيات تحقيق
أغراضها ، ولعل فى نجاح شركتى كوم أمبو وأبى قير أكبر برهان على تحقيق هذه
الفكرة ، وان ما تنفقه الحكومة فى هذا السبيل يساعد على تخفيف حدة البطالة
ويعمل على وقف الهجرة من الريف ، ويزيد دخل الحكومة من ضرائب الأراضي
الجديدة .

تشجيع الحكومة لانشاء الجمعيات التعاونية بمختلف أنواعها ، والعمل على انشاء
بنك تعاونى مركزى تساهم فيه الحكومة دون أن تتناول ربحاً أو تفرضه
بدون فائدة لأجل غير مسمى ، فان تحسين الحالة الاقتصادية للمزارع الصغير
بواسطة جمعياته التعاونية يمكنه من استخدام عدد أكبر من الأيدي العاملة ،
وان الحركة التعاونية قد عملت كثيراً ، ولا تزال تعمل ، على احياء بعض الصناعات
القديمة فى الأرياف كعمل الأقمشة الصوفية التى تنسج بالنول اليدوى .
تكوين النقابات الزراعية التى تضم شمل العمال الزراعيين ، وتعمل على عدم منافسة
النساء لهم بسبب انخفاض أجورهن ، وفى هذا رفع لمستوى الصحة والاخلاق .
معاونة المالك الذى يهمل استثمار كل القوى الانتاجية فى أراضيه ، بفرض ضرائب
أعلى على الاراضى المهملة والقليلة الانتاج

تشجيع زراعة الخضروات والزهور والعمل على تصديرها إلى البلاد الأوربية .
العناية بزراعة الأشجار على طول الارض الزراعية حتى تحمى من الرمال التى
ترحف عليها من الصحراء فتتلف محصولاتها وتضعف تربتها .

تحرير إسناد أية وظيفة ذات مرتب بمصالح الحكومة أو المصالح الأهلية
الخاضعة للحكومة لأحد أرباب المعاشات .

الكف عن نذب الموظفين لأعمال ذات مرتبات بجانب عملهم الرسمى .
وضع سياسة جديدة للتعليم يكون الغرض منها تخريج رجال عمليين ذوى عزيمة
واقدام يمكنهم الدخول فى ميدان العمل الحر مزودين بكل سلاح لازم

للغزاحة فى الحياة .

توجيه تلاميذ التعليم الصناعى الى حرف تتفق مع استعدادهم الجسمى والعقلى ،
لأبناء على رغبتهم ، فتتولى لجنة فنية خاصة فرزهم وتخصيصهم لما يناسبهم . وتعديل
سنى الدراسة بالزيادة أو النقصان تبعا لمتعضيات الصناعات المختلفة .
العناية بالتعليم التجارى وجعله متمشيا مع الحاجات التجارية ، واتصال ادارة
هذا التعليم بالهيئات التجارية والاستعانة بأرائها فى وضع برامج التعليم .
قصر الوظائف بقدر الامكان على من انعدمت لديهم الوسيلة من الشبان المتعلمين
ومن ليس عندهم مال يساعدهم على مزاولة العمل الحر ، وتخفيف ضغط مزاحمة
أبناء الأثرياء فى الوظائف وتوجيههم إلى المشروعات الاقتصادية التى يمكنهم استثمار
أموالهم فيها .

اجبار الشركات على استعمال لغة البلاد فى المعاملات التجارية .

انشاء مكتب بوزارة المعارف لجمع الاحصائيات عن عدد المتخرجين فى كل نوع
من أنواع الدراسات وعدد الوظائف الحالية بالمصالح الحكومية والحرية ، حتى
يساعد على تنسيق التوزيع بين مختلف الدراسات بما يتفق مع عرض العمل وطلبة
وتحدث عن التعليم الاقليمى فأشار بأن تكون برامج هذا التعليم محببة للأعمال
اليديوية والحياة الريفية للنشء ومحتوية على مواد رئيسية وأخرى فرعية حتى يسهل
التحويل إذا زادت الأيدي العاملة فى مهنة عن الحاجة اليها ، وأن تتفق هذه
البرامج مع بيئة وطبيعة كل منطقة من القطر ، وضرب مثلا بأسوان التى تعد عاصمة
الجرانيت فى العالم ويمكن استخدام ٣٠٠٠ عامل للقطع فقط وعدد كبير من العمال
فى صقل الجرانيت والحفر والزخرفة وعمل التماثيل .

(٤) م

ملخص رسالة

الدكتور أحمد سويلم العمرى

مهد لبحثه بالتحدث عن البطالة فى أوروبا ، وبعد أن ألم بشؤونها تحدث عن مصر ،
ومن رأيه ان البطالة فيها محصورة فى دائرة محدودة ، لقلة ذبوع الصناعات بالبلاد
وطبيعتها الزراعية ، والبطالة الزراعية هى أهون أنواع البطالة ، ولكن الذى يلفت
النظر انما هو بطالة الشبان المتعلمين . وأسباب البطالة :

فقر السواد الأعظم من الأمة وانحطاط مستوى معيشتهم - زيادة عدد السكان
بينما الأراضى الزراعية ، التى هى عماد اليلاد ، لم تزد الا قليلا ، وعدم تناسب
الثروة لزيادة السكان - هبوط دخل الفلاح وكساد الأعمال وانحطاط الأسعار
بفعل الأزمة العالمية - عدم ملاءمة ثقافة المتخرجين فى المدارس وما تتطلبه الأعمال
التجارية والصناعية - عدم العناية باللغات السائدة فى عالم التجارة والصناعة - قصر
جهود المتعلمين على طلب الوظائف الحكومية
أما العلاج ، فأهمه :

رفع مستوى الفلاح الذى يمثل السواد الأعظم من السكان ، وتيسير سبل الحصول
على ما يعوزهم من حاجياته الضرورية - الاسراع فى اصلاح الأراضى البور - توجيه
الجهود الى النهوض بالصناعة والتجارة - انشاء مكتب للاهتمام بشؤون المتعلمين
المتعطلين وارشاد أولياء أمور الطلبة الى المدارس العالية التى يقل ازدحام حملة
شهاداتها - تخفيض سن التقاعد الى ٥٥ سنة وعدم استخدام من بلغ هذا السن من
الموظفين - تحريم اسناد أعمال أو وظائف اضافية للموظفين - تحريم التدريس
الخاص على أساتذة المدارس - وضع تشريع يحتم على الشركات والمصارف شغل
وظائف بنسبة مرتفعة من المصريين - تحريم هجرة الأجانب الى مصر - الاشراف
على أعمال البناء والمقاولات وضرورة حيازة المشرفين عليها لشهادات فنية - النصح
لأصحاب رؤوس الأموال والضياع من المصريين بتفضيل استخدام حملة الاجازات
العلمية على غيرهم - تعميم انشاء المصنوعات الوطنية واتباعها لوزارة التجارة ومدها
بالآلات الحديثة وتدريب من أتم تعليمه الابتدائى وكذلك الشبان المتعلمين المتعطلين
فيها للامام بصناعات - التشدد فى الامتحانات والاقبال من الملاحق وفصل من يرسب
مرات متوالية - العناية بثقة الشبان ثقافة عملية للامام بالتطور الصناعى والتجارى
والزراعى - تعميم المدارس الثانوية الفنية التى تعد الطالب للحياة العملية فى الزراعة أو
الصناعة - العناية باللغات الأجنبية لاسيما الفرنسية - تنظيم محاضرات ليلية فى اللغات
الأجنبية والصناعة والتجارة - تعميم التسليف الصناعى بربح زهيد - تشجيع خريجي
المدارس الزراعية على الحياة بالريف باصلاح الأراضى البور وبيعها لهم بأقساط على آجال
طويلة مع عدم أخذ الاقساط فى الثلاث السنوات الأولى وتمهيد سبل الحصول على
البذور والأسمدة والآلات والمواشى - إنشاء صندوق تعاون للشبان المتعطلين - منح
اعانات شهرية للشبان المثقفين المتعطلين وتدريبهم على العمل انتظارا لخلو محل يليق

بنموهااتهم في المصالح الحكومية أو الشركات أو الدوائر الصناعية والتجارية - منح مكافآت للشبان المتعلمين المتعطلين الذين يظهرون استعدادا للبحث ويقدمون ثمرة جهودهم من مؤلفات - تدليل العقبات في سبيل المهاجرة الى السودان

(٥)

ملخص رسالة

الأستاذ مصطفى فهمي

بدأ بحثه بالمقارنة بين مشكلة البطالة في مصر ومشاكلها في أوروبا وأمريكا، ثم ذكر أن مصر لازالت تجتاز دور الصناعة، بينما الأمم الأخرى قد وصلت إلى الدور الصناعي، ومن العسير معالجة مشكلة البطالة بمصر على ضوء الحلول التي اتخذها الغرب فانها لا تؤدي إلى نتيجة عملية، ويجب مراعاة الاعتبارات القومية والمحلية. أما البطالة بين العمال في مصر فمحدودة لأن طبقات العمال لم تتكون بعد بالمعنى المفهوم، والنشاط الصناعي قاصر على مصانع ومعامل محدود عددها وعمالها.

وفي عام ١٩٣٧ قامت بمصر حركة قوية لتشجيع الصناعة فنالت الاعجاب والتقدير، واتجهت الأذهان إلى التفكير في مستقبل مصر الصناعي، ولكن لم تلبث هذه الحركة - لأنها لم تخرج بعد عن دائرة التفكير - أن اتجهت إلى ميدان التجارة، وكانت هذه الناحية قاصرة على طبقة لامل لديهم ولا علم، لأن الرأسماليين لم يتقدموا إلى هذا الميدان لعدم درايتهم به، فانتزح الأجانب فرصة خلو الميدان من أكفاء المصريين وتقدموا برؤوس أموالهم وسيطروا عليه ونالوا ثقة المصريين الذين لم يلبثوا أن انتبهوا من غفلتهم وتقدموا إلى هذا الميدان وشجعهم الحكومة من ناحيتها وعدلت التعريفة الجمركية لحماية الصناعات القومية الناشئة.

ثم ذكر أن الذين تخرجوا في المدارس الفنية والصناعية في منأى عن شبح البطالة بفضل السلفيات الصناعية التي تقدم لهم كرؤوس أموال.

أما البطالة الزراعية فضئيلة، لأن سكان الريف يجدون من الأعمال ما يملأ فراغهم ويكفيهم، ولكن الذين ينزحون منهم إلى المدن هم أكبر عامل على نشر البطالة، فيجب تحديد هجرتهم وتنظيمها.

وتحدث عن البطالة بين المتعلمين، فقال انها ملبوسة وفي حاجة إلى التأمل والتفكير، وهي ليست معقدة ولكنها عرضة للتفاقم في المستقبل، فيجب تتبع

تطورها واتجاهها يمكن اتخاذ التدابير الكافية لمكافحتها مستقبلا ، ويرى أنها لا ترجع إلى كثرة عدد المتخرجين في المدارس ، فنسبة التعليم في مصر ضئيلة جدا ، ولكنها تعود إلى أن الطالب يتلقى علومه لأجل الوظيفة لا لكي يجابه الحياة العملية ، وأشار بأن واجب الحكومة بحث حالة كل متعلم وفحص ظروفه وتقديم كل المساعدات له ووضع التشريع اللازم لاستخدام المتعلمين في دوائر الأعمال الحرة وتعديل الفوائد المالية في استخدام المتعلمين وترقيتهم ، والعمل على التخلص من العناصر السلبية التي تزدهم بها الدواوين رغم ما بها من نقائص صحية وذهنية وعلمية .

وتكلم عن التعليم الإقليمي . فقال ان ازدحام القاهرة وحدها بمعاهد التعليم جعل أكثر الأسر الراغبة في تعليم أبنائها تنزح إلى القاهرة فترك الزراعه ، ويؤثر أبنائها البقاء في القاهرة متعلمين ، وعلاج هذه الحالة هو نشر التعليم الإقليمي وفتح المدارس في صميم الريف بما يناسب كل بيئة ، حتى يوجد التوازن ويخف الضغط عن معاهد القاهرة ويرفع المستوى الفكري والاجتماعي في الريف ، ويشجع النشاط الاقتصادي في جميع البيئات المصرية وفق استعدادها وطبيعتها .

وختم بحثه بنظرة عامة في مشكلة البطالة بين الحاضر والمستقبل ، وقال ان مشكلة البطالة في مصر تسودها صفة البساطة ، لأن البلاد مطبوعة بالطابع الزراعي ، والزراعة لا تزال تمد السكان بحاجاتهم الاقتصادية ، ولكن إذا زادت تكاليف الانتاج عن الربح حيث يتحكم قانون تناقص الغلة فان الزراعة لا تقوم بحاجة السكان ، أما الصناعة فيمكن أن تنمو ويتسع مجال الانتاج أمامها كلما تقدمت المخترعات وتحسنت الآلات ، والانتقال من دور الزراعة إلى دور الصناعة يتأتى من ازدحام السكان إلى درجة تنجز عندها الأرض عن انتاج كفايتهم ، وان أمام البلاد مشروعات اقتصادية هامة يجب أن تتوفر على استغلالها وتنفيذها ، مثل مشروع منخفض القطارة بصحراء ليبيا لتوليد الكهرباء لانهارة الوجه البحري ، ومشروع توليد الكهرباء من خزان اسوان واستغلال تياره الكهربائي في صنع السماد ، ومشروع تنظيم مصائد الاسماك على شواطئ البحر الأبيض المتوسط والبحر الأحمر والبحيرات الداخلية ، واستخراج المعادن ، واستغلال جيولوجية مصر ، فلو وجهت العناية إلى دراسة هذه المشروعات دراسة منظمة لمساعدت على كشف ثروة طبيعية هائلة ، وفتحت أبواب العمل والرزق أمام المتعلمين من

العمال والمتعلمين . وذكر أن موقع مصر الجغرافي لم يستغل من الناحية التجارية ، فأمامها ثلاثة منافذ تجارية دولية على جانب كبير من الأهمية ، ولكنها اقتصر على استغلال منفذ واحد وهو التعامل مع أوروبا وأهملت الجنوبي وهو التعامل مع السودان وكذلك الشرق الخاص بأقطار الشرق العربي ، فيجب أن تنظم تجارتها الدولية في هاتين الناحيتين ، ومصر تتمتع بمركز أدبي رفيع ومكانة اجتماعية ممتازة وثقة اقتصادية وطيدة .

(٥)

الموضوع الخامس

التربية الوطنية الاستقلالية وأثرها في بناء الأمة

حضرة صاحب الدولة رئيس مجلس الوزراء
أتشرف بأن أرفع لدوائكم تقرير اللجنة المؤلفة من الأساتذة
الدكتور طه بك حسين وأحمد أمين وإبراهيم عبد الهادي وأحمد حسن
الزيات ومنى عن المباراة الأدبية في الموضوع الخامس : التربية الوطنية
الاستقلالية وأثرها في بناء الأمة .

تقدم للجنة خمسة وأربعون بحثاً ، وعقدنا جلسيتين بعد قراءة كل عضو
الموضوعات كلها وتسكوين رأى فيها ، ووصلت في بحثها وتبادل الرأى فيها
وفي قيمتها الى الاجماع على أن أحداً من الباحثين لم يصل الى درجة السكال
أو ما يقرب منها ولم يستوف السكلام في الموضوع من جميع نواحيه في
شكل يبعث على الطمأنينة والارتياح . ومن أجل هذا رأت اللجنة ألا
ينال أحد الجائزة الأولى ولا الثانية .

كما رأت أن أربعة من المتقدمين تقاربوا فيما بينهم ، ولكل منهم جهات
نقص وجهات اجادة ، وأن كلامهم يصحح أن ينال الجائزة الأخيرة .
فهى لذلك تقترح أن تضم الجائزة الثانية الى الثالثة والرابعة وتوزع
بينهم بالتساوى ، وهؤلاء الأربعة هم :

١ - محمود مسعود أفندي

٢ - محمد جلال أفندي

٣ - محمد عبد الباري أفندي

٤ - الأنسة ايريس حبيب المصرى

واللجنة اذ تقرر هذا تشعر مع الأسف أنهم لم يحققوا أمنيته اكاملة ،
وأنهم في بعض بحثهم اتجهوا اتجاها لا تقرهم اللجنة عليه كما ترى أن
بعض الذين تقدموا قد قربوا من هؤلاء الأربعة وان لم يبلغوا مبلغهم .
ونحن مغتبطون حقا بالمساهمة في هذا العمل الأدبي ، فقد أتاح لنا
فرصة سعيدة للاطلاع على ناحية من نواحي الثقافة العامة في الأمة .

وتفضلوا دولتكم بقبول فائق الشكر وجزيل الاحترام

رئيس اللجنة

٢٤ أبريل سنة ١٩٣٦

(محمود فسرهمى النقراشى)

(١)

رسالة الأستاذ محمود مسعود

لاشك أن من بواعث الغبطة النفسية أن يوفق المرء في شق سبيله في الحياة مسدد
الخطو بالغما ما ينشد من أهداف وآمال . وأبعث من هذا على الغبطة أن يقرن
الإنسان إلى سعيه لبناء مجد نفسه سعيا آخر حثيثا يساهم به في تشييد صروح هذا
الوطن الذى أنجبه وحباه من النعم ما يقتضيه الوفاء له أن يرد الجميل مضاعفا فمهما
عزت التضحية وغلا البذل ، ولاغرو أن تكون هذه الرسالة المزودة غاية الحياة
تقصر دونها كل غاية ، وتقاس بها أقدار الناس وآثارهم فيما يشرعون من أعمال .
فاذا استرخنا إلى تقرير هذه النتيجة فانه يتعين علينا أن نتخذها قاعدة للبحث
تتفرع عليها سائر المسائل وتشعب عنها شتى الأغراض . ولن يصيب الباحث حقا
ما ينشد من عوامل الإصلاح حتى يرجع ببخه إلى تلك الخلية التى يتكون من
بمجموعها جسم الأمة ويرصد لها جماع ما يملك من عزم وتفكير : هذه الخلية الغنية

بمتمومات الحياة والمفعمة بشقى الغرائز والملكات في حالة أولية قابلة للتكييف والتشكيل هي (الطفل) الذي تناط به الآمال ، وعليه وحده ، إذا أحسن توجيهه ، يقع العبء في تسلم مقاليد الحياة ، يصرف أمرها بحساب ويسير بسفينها إلى بر السلامة والنجاة .

هذه الخلية التي أسلفنا غضة شديدة الحس تتأثر أبلغ التأثير بعوامل البيئة التي تترعرع في أكنافها وتستخلص في سرعة ويسر ما يطبع محيطها من أسباب الخير والشر جميعا . وهي ان استمرأت مرعى بعينه ودرجت في مرابعه سرت في أنسجتها مادته مسرى الدماء في العروق ، فيجب اذن ، لكي توفر لها أسباب الحياة الصالحة ، أن نهى هذا المحيط التهيئة الواجبة وأن نمده بكل ما يعين على تفتحها وازدهارها . البيت هو التربة التي تزكو فيها هذه الخلية وتستمد منها ملاك حياتها ، والامم هي البستان الذي يتعهدا بضروب الرعاية حتى تستوى على عودها وتتفتح أكنافها ، فان استقرت هذه الحقيقة في أذهاننا فيجب أن نحوط هذا الحرم المقدس بكل ما يتسع له الذرع من أسباب الاصلاح وأن ندرأ عنه ما يهدده من شوائب الفساد .

ليت الام المصرية تدرك عن جد واخلاص أن في عنقها لهذا البلد دينا لا فكاك لها من أدائه ، وأن على هذا الأداء يتوقف خلاص هذا البلد العانى من أسباب التعثر والخلول ، لا بل لقد آن الاوان لكي نفرغ في أذهان نساءنا هذه الحقيقة وأن نستنجزهن مقتضياتهما لقينا في هذا الصدد من الحرج والاعنات . نعم يجب أن تدرك المرأة أن مهمتها الحقة ليست في توفير أسباب السعادة لافراد بيتها ، وانما السعادة كل السعادة ، والنعيم أبلغ النعيم هو في تربية الأبناء تربية حقة واعددهم للحياة مزودين بكل ما يفتقرون اليه من أسباب الكفاح .

قد ينبغى للمرأة المصرية أن ترفع عقيرتها مطالبة مساواتها بالرجل فيما يمارس من الحقوق العامة وما يضطلع به من الشؤون والتكاليف . لكننا يخلق بها قبل أن تشرع في هذه الطفرة أن ترسم لنا برنامجا مفصلا تبين فيه ، بحكم اختصاصها ، كيف تعد الأبناء اعدادا صحيحا صالحا يتمشى مع مقتضيات العصر وروح الزمن ، وكيف (تمون) البلد بالشباب الكامل الذي يعرف كيف يصمد للحياة ويشق طريقه في غمارها معتمدا على نفسه ومستمدا من عناصر خلقه ما يعصمه من التعثر في مفازها . وبالوطنى الصميمم الذى يدرك حق الادراك أن لوطنه عليه واجبا في أدائه عزه

ورفته وفي الشكول عنه ذله وحطته . فان فملت ، وهو أدنى إلى التمشى مع سنن الطبيعة وأوثق اتصالا بطروفنا ، فانها تسدى الى الأبناء والوطن يدا تسجل في تاريخ نهضتنا بما هي أهله ، وتمهد السبيل للقضاء على ما يشوب نظام التربية البيتية من فوضى معية ونقص كبير

لسنا نزعم أننا أعرق من ألمانيا في الحضارة العصرية ولا أشد أخذاً منها بأساليب التقدم وال عمران ، وهام الألمان مع ذلك قد حتموا على المرأة الرجوع إلى نوااميس الطبيعة ، فحرموا عليها ولاية المناصب ، وانتصدي للشؤون العامة الا ما اتصل منها بطبيعة أنوثتها ، وفرضوا عليها قبل كل شيء أن توفر جهودها على الدائرة المنزلية ، ففي محيطها تنبدي عبقريتها ، وعلى قدر ما تبذل من العزم الصادق في تربية الأبناء يعمر البيت ويسعد الوطن .

ولنتقل الآن من التعميم إلى التخصيص ، ولنبدأ بهذا الطفل أو (الخلية) كما قدمنا ، نحاول أن نرقى به في مدارج النمو والاكتمال ، والواقع أنها مهمة شاقة طويلة تحتاج إلى ذخيرة وافرة من الصبر وعدم السكلال ، لكن الارادة المشمرة وتوقع الظفر بالغاية كفيلا أن تهوين المشقة وشحد العزيمة ، ولا شك أن الدور الأول من هذه المرحلة يقع على عاتق المرأة وحدها ، فهي التي تقوم بالاشراف المباشر على نمو الطفل الجسماني وملاحظته بالرعاية المطردة حتى يستقيم عوده ويستوى غلاما قوى البنية سليم الاعضاء . اننى أناشد الأمهات من أعماق تلي أن يركزن جهودهن في هذه المرحلة الانشائية ويبدلن في سبيل اتمامها بنجاح فضل ما أوتين من صدق وإخلاص . ان الجسم الصحيح وحده هو الذى تشر فيه التربية التي ننشدها ، ويستطيع أن يقوى على مغالبة الحياة وخدمة وطنه الخدمة المنشودة ، فأما الهيكل المحطم والبنية المتداعية فان ما بها من ضعف وانحلال لا يكاد يذر فيها من الهمة والتباسك ما يدفعها إلى التطالع حتى إلى الحياة فلنمن اذن بنظام التغذية والنظافة ، ولنمكن أطفالنا من الرياضة الخلوية في الهواء الطلق وتحت أشعة الشمس الساطعة ، فان ما يكسبه الجسم الغض من هذه العناصر مجتمعة يغدو قوة كامنة تزود الجسم دوما بأسباب الحياة .

ولا يتبادر إلى الذهن أن ضعف الأسباب في الأوساط الفقيرة يحول دون بلوغ هذه الغاية ، فان ضيق ذات اليد لا يعوقنا بقدر ما تعوقنا قلة الارشاد والافتقار إلى أسباب التوجيه الصحيح ، نعم ينبغي أن نوجه عناية فائقة إلى تنوير الأم

الفقيرة وافهامها أن واجبات البر بالطفل وعاطفة الأمومة الصحيحة نحوه تحتم عليها ألا تدخر وسعا في العناية الصحيحة به لاسيما في المراحل الأولى من نموه ، وانه لا يمكن أن يستوى رجلا قادرا على الاعتماد على نفسه والانفاق على شخصه وذويه إلا اذا خلا جسمه من شوائب الضعف والامراض ومن لهذه المهمة التوجيهية غير (الجمعيات النسائية) وأفرادها أخلق الناس برعاية هذا الواجب الانساني الوطني وأصلحهم قياما به على خير الوجوه لتكن هذه الرسالة يأسيداتي في طليعة المسائل التي تعالجها في جماعاتكن المختلفة ، فان ما فيها من الاثار لهذه الطبقات المغمورة بالمعاونة الصحيحة والارشاد المنتج ، وما سوف يتولد عنها من الآثار البالغة في كيان الامة التي تستمد حياتها من حياتهم وقوتها من مفتول سواعدهم وشديد بأسهم ، هو حجر الاساس الذي تقمن عليه نهضتكن المدعمة شاحخة البنيان لا يتطرق اليها فساد .

وليس يسع الباحث في هذا الصدد أن يغفل ما (لمراكز رعاية الطفل) من بالغ الاثر في هذا التوجيه فانها في الواقع الشطر العملي والتطبيقي المكمل لهذا الارشاد الذي ندعو اليه . والحق أن انبعاث الامهات اللاتي يترددن على هذه المراكز إلى احتذاء الأساليب التي يلقنها في تربية الأبناء وتطبيقها بشغف ونجاح مما نشاهد أثره في هذه المباريات التي تعقد لا تتقاء أصح الاطفال والتي تسفر عن نتائج طيبة تدعو إلى الرضا والارتياح ، لا يجعلنا نتردد في القول بأن تعميم هذا النظام ورصد الجهود المضاعفة لبث المبادئ القويمة التي يتضمنها بين الطبقات الفقيرة هو العمل الانشائي العمراني الذي تقتضينا الوطنية الحقة أن نهض به في غير هوادة ولا احجام .

ما أجمل أن نرى الطفل وقد نما جسمه واتسق بناؤه يتواثب من حولنا في صحة ونشاط حتى ليكاد لفرط ما يترقق في اهابه من الحيوبة ، أن يفيض منها على ما يحوطه من الناس والأشياء ان قطع هذه المرحلة الأولية الأساسية بنجاح يغرينا من غير شك على مواجهة المرحلة التالية - مرحلة الانشاء الخلقى والعقلى - ونحن أشد ثقة بالفوز والتوفيق . وسوف يشد من عزمنا أن هذا الطفل الغض هو كتلة مرنة قابلة للتكسييف ، كما قدمنا في صدر هذا الكلام ، لن تحتاج منا إلا إلى مرونة مثلها في معرفة أى المداخل أحب إلى نفسه وأقرب تأثيرا في ادراكه المتفتح الوئيد ، وعلينا ألا نعتسف التلقين اعتسافا أو نكرهه اكراها على ما نروم ،

فان الطفل على فرط لدونته ينطوى على عناد غريزى قد ينقلب ، مع محاولة الاكراه ،
إلى التمادى فى المخالفة والولوع بالتمرد والعصيان ، وانما ينبغى أن نرسله على
سجيته يمرح ويلعب وأن نتحين الفرص المناسبة للولوج إلى نفسه بما نريد .

على أن ثمة حقيقة جوهرية لا ينبغى أن تعزب عن البال ، ذلك أن فى مقدمة غرائز
الطفل فى طور التفتح غريزة التقليد أو المحاكاة ، وولوع الأطفال بتقليد ذويهم
فيما يصدر عنهم من الأفعال والأقوال أمر مقرر لا يدع لنا ذرة من الشك فى أن
من أوجب الواجبات علينا نحو هذا النشء المتطلع إلينا فى كل شئ أن نرسم له
من أقوالنا وأفعالنا أحسن صورة تنطبع فى ذهنه وتخالط تفكيره فى المستقبل
القريب ، وأن نقطنص هذه المنحة التى وهبتها الطبيعة هؤلاء الصغار فى صوغهم
بمقتضاها على النحو الذى نشاء . وليفهم الآباء والأمهات أن ضرب الأمثال
السيئة للصغار والترخص أمامهم فيما لا يستحب ولا يستباح اتيانه على مرأى من
أعينهم جدير بأن يشيع فى نفوسهم مبادئ التحلل الخلقى والاستهانة بالفضائل
والآداب . وكم بأسف المرء حين يقرر أن هذا المبدأ الهدام ، مبدأ الترخص
الخلقى والقذوة السيئة ، فاش فشوا مؤلما فى كثير من أوساطنا التى يصطالح على
نعتها بالرقى والأخذ بأسباب التجديد . اننى أتهم الآباء والأمهات الذين يسلكون
هذا المسلك بتحريض أبنائهم عن طوعية وتدبر للتحرر من واجبات التحصن
الخلقى واحتذاء مثالهم فى أنفسهم وأولادهم من بعد ، وإشاعة القوضى الخلقية فى
المجتمع المصرى ان مساك الإصلاح الاجتماعى وقوام النهضة الوطنية
هو الخلق الفاضل والمبدأ القويم ، فلتتكانف جميعاً على العمل بحزم وعزم لاحاطة
خلائقنا بسياح من الاخلاق القوية المهدبة ، ولنبدأ بأنفسنا ، فانما نحن قبلة تتجه
إليها أبصار صغارنا تستلهم منها الوحى وتنشد لديها القدوة .

على أنه يخلق بنا ونحن فى طور التربية الخلقية أن نعرض إلى موضوع وثيق الصلة
بهذا الصدد ، فان ما نلمسه فى الدين ، فوق التهذيب الروحى ، من دعوة إلى التخلق
بالخلال الحميدة ، وما يبسطه لنا الدين من القوانين الخلقية التى تقرب بين الانسان
وخالقه وتربطه بأنداده فى المجتمع برابطة وثيقة لانفصام لها ما استمسك الانسان
بأسبابها - كل أولئك جدير بأن يفتح أعيننا على ناحية ما كنا لتجاهلها لوقام فينا
من يحض عليها ويجمع القلوب حولها . لاتقولوا هذا رجعى من أنصار القديم
ينغى تخذيلنا عن ممشاة الحضارة ومسايرة الزمن فان الدين أساس الفضائل

وتاج الأخلاق القويمة فوق أنه منظم لشعائر العبادة . ولئن كانت الحضارة هي أداة السعادة المادية فإن الدين هو توأم الحياة الروحية ، وحضارة بغير دين هي بلا ريب جسم من غير روح . فإن أذكركم بهذا العامل الجوهرى من عوامل التربية الخلقية، فإنما أدلكم على مغنم كبير هو فى الواقع مصدر لكثير من الخير ودعامة من أمتن دعائم العمران .

وخليق بنا - وقد استوى الطفل صبيًا سليم البنية وأخذنا بالتدريج فى غرس مبادئ الخلق القويم فى نفسه على نحو ما قدمنا - خليق بنا أن نقرن إلى هذه الخطوة خطوة أخرى تلازمها وتسارها : أعنى تنمية القوى العقلية وموالاتها بأسباب الرعاية حتى نصوغ منها عقلاً مفكراً وذهنًا متوقداً . ان الطبيعة قد حبستنا فى غريزة (حب الاستطلاع) مفتاحاً ننفذ به إلى دخائل هذه القوى الكامنة لتدحها وإتمامها واستغلالها . ان الطفل أبداً مشوق للاستطلاع والتتقيب ؛ تراه يدس أنفه فى كل ما يقع تحت يده ارواء لهذه الغريزة الغامضة التى تعمل فى نفسه ولا يستطيع عقله الضئيل . أن يفطن لها . وكم يجب للصغار علينا فى هذا الدور التكويني أن نساعدهم بكل ما نملك من فطنة ولباقة على اذكاء هذه الجذوة العقلية الأولية التى ان استديم ضرامها عدت شعلة تنوير وأنارت لنا من سناء ضيائها . . . وفى مقدور الآباء والأمهات أن يفطنوا إلى بوارق الذكاء الفطرى التى تنفتق عنها عقول أبنائهم وأن يوالوها بما يشجدها ويساعد على إتمامها . ويسير لمن يداوم هذه الرعاية أن يسوى منها فى المستقبل ذهنًا ثانياً ذا بصر بالأمور وتفكيراً سليماً منتجاً .

وبين حب الاستطلاع والحافز على التجربة صلة ملحوظة ينبغى أن نستغلها فى تمرين الصغار على أن يمارسوا بأيديهم بعض الشؤون العملية الأولية ، وفى كثير من اللعب التى يعيث بها الاطفال ما يثير فضولهم إلى الوقوف على كنهها والالمام بما تضم بين جوانبها ، فإن استطاع الطفل أن يفصل أجزاءها ثم يعيدها سيرتها الأولى فإنه يشعر بسرور يدفعه إلى مواصلة أمثال هذه التجربة كلما مكنته ظروفه من ذلك . ومما لا شك فيه أن تطور هذه النزعة هو الذى يفضى فى المستقبل إلى تربية الروح العملى والاعتماد على النفس والانبعاث إلى الابتكار .

قد يبدو للوهلة الأولى أننا قد تبسطنا فى سرد هاته المسائل المبدئية تبسطاً كان يمكن تفاديه بالالمام بها المأما عرضياً ، لكن من ينعم نظره قليلاً سيقنع من غير شك

بأن الافاضة في شرح أطوار هذا الدور الانشائي والحث على مراعاة جزئياته ضرورة لازمة لمن أراد الاصلاح المؤسس على قواعد ثابتة لا تقوضها عواذى الحداث ، اذ كيف يتسنى لمن كان واهى العود أو منحل الخلق أو متبلد الذهن أن ينهري لحمل هذه الرسالة المزدوجة التي أسلفنا، فيشق لنفسه طريقا في الحياة ويؤدي لوطنه ما عليه من حقوق دون أن ينوء بها في أول الطريق ؟ . . . بل كيف يتأتى لنا ان نخلق الشخصية العامرة بحب الوطن المنبعثة بوحى نفسها لطبع أثرها في الحياة ان لم نعن عناية بالغة بتكوينها على أسس مدعمة من سلامة الخلق والخلق . . .

ان البذرة الصالحة لا تذكو وتؤتي طيب الثمر حتى تستنبت في التربة الخصبة الغنية بعناصر الحياة . وكذلك ينبغي لنا ، كي نعد ابتداءنا الاعداد الصحيح للحياة ، أن نتولاهم من المنشأ بالعناية الصادقة القائمة على أنماط مقرررة يفضى الأخذ بها الى الغاية المرجوة ؛ حتى لا يكون عملنا مستندا الى مجرد المصادفة المحضنة التي تؤدي الى غير وجهة معينة .

في وسعنا إذن ، وقد جزنا مراحل التكوين الجسماني والخلقي والعقلي للنفس بنجاح ، أن نشرف على طور التركيز والتخصيص في ثقة المطمئن الى أنه ملاق صدى قويا واستجابة تامة لما ينشط اليه .

ان الصبي العامر الخلق بحب ذويه ، والمتعلق بهذا البيت الذي درج تحت سقفه ، ان يأنس مشقة في الفهم ولا غرابة في الادراك ان هذا البيت ان هو إلا صورة مصغرة لوطنه الأكبر الذي تظله سماؤه وتغذيه خيراته ، وأن الأهل والأقارب هم حلقة صغيرة في مجموع هذه السلسلة الضخمة التي ندعوها بالمواطنين ، ولئن كان قلبه يخفق بحب البيت والأهل ، وهم الوحدة الصغرى التي نجم منها ، فما أجدره أن يرصد حبه لوطنه الأكبر وأن يغدق منه على هؤلاء الذين تجمعهم وابائهم هذه الوشيجة الكبرى

وكذلك ينبثق فجر الوطنية في هذه النفوس الصغيرة المنتهجة للحياة ، وكذلك يتحتم علينا أن نضرب على هذا الوتر الحساس حتى يستحيل ذلك الفجر البازغ ضحى مشرقا يغمر أفئدتهم بضياءه ويوجههم الى أحسن الغايات . ولعله من أفعال العوامل في اذكاء هذا الروح الوطني ما يتهجه القوم في بعض الأقطار الضاربة في هذا الميدان بسهم وافر حين يعمدون الى صور الأبطال الوطنيين ورسوم العظماء القوميين فيجعلونها في متناول الصغار وتحت أبصارهم ، فان وجودها ولا ريب سيبعث

روح الطلعة في نفوس النشء ويدفعه الى التساؤل عن كنهها وعن أقدار أصحابها، وليس كهنه فرصة فريدة لاستغلال هذا الشوق في سرد النبذ والأقاصيص الوطنية التي تثير في نفوسهم عاطفة الإعجاب بأولئك الأبطال وتمجيد ذكراهم، وتبعث في وجدانهم أخيلة غامضة لمحاولة الاقتداء بهم والسير على آثارهم. أجل ما أحرانا أن نهج هذا النهج في تربية أبنائنا في البيوت تربية وطنية أولية فإنه يحقق الأثر في غرس الروح الوطني وتأصيله حتى ليلازمهم كلما ترعرعوا ويطبع أعمالهم بطابع قوى ما آنسوا الظروف المواتية التي تعين على دوام اذكائه وتتمظه . وإن يشق علينا أن نلتهم نشوة الإعجاب والانهار التي تسيطر على مشاعرهم وهم يلهون بأطراف من هذه السير الوطنية ، فنحدث اليهم عن أنفسهم كأعضاء عاملة في هذه الحياة سوف تستقبل حتما دور الرجولة وتساهم بنصيبها في خدمة الوطن والعمل على رفع مناره . سوف نقول لهم ونكرر القول ، كلما شبوا وترعرعوا ، أن الوفاء الحق للوطن أن ننقش اسمه على صفحات قلوبنا وأن نذكره في جميع الظروف والأدوار وألا نغفل عن واجبنا نحوه ونركن إلى التواكل والتراخي . وما هذا الواجب في الحق إلا أن يقوم كل فرد من أفرادنا بتأدية رسالته في الحياة بالأمانة والصدق متعاوناً مع بني وطنه ضاماً جهده إلى جهودهم ، فمن مجموع هذه الجهود المتراصة المتناسقة يشاد صرح المجد الوطني وتدعم النهضة القومية بأقوى الدعائم والأسس . فإن ألم بهذا الوطن العزيز خطر يهدد كيانه ويعتدو على استقلاله خففنا سراعاً لنجده ونسجننا من قلوبنا وسواعدنا درعاً حصيناً يقيه غوائل الشر الجائع ، مسترخيين التضحية بالنفس والنفيس إن وجبت ، متنافسين في الغد ومغتبطين إذ نجود بالمهج ليحمي الوطن . فإذا ظفرنا بمغالبة الخطر وانقاذ كيان الوطن ، ومحال ألا نظفر ما تناسلنا أشخاصنا وتواصينا بالصبر والجلد ، فما أنبلها غاية وأمتعها سعادة أن أديننا بعض ماندين به لمعقد الرجاء ومناطق الأمل - والا فالموت كرام النفوس خير من العيش الخانع في حضيض الذل ومهاوى الاستعباد ، بل ما جدوى هذه الحياة إذا شب الإنسان في وطن جرد من أبسط الحقوق الطبيعية وأمس ضرورات الوجود : ألا وهو الحرية التامة في أن يقرر الناس مصائرهم بأنفسهم وأن يعيشوا مطابقين من كل قيد إلا ماقتضاه داعي النظام وواجب القانون ؟ وهل خلق الإنسان اذن لكي يأكل ويشرب كما تأكل السائمة وتشرب دون أن يلقي بالآلى ما عدا ذلك من ضرورات الوجود . . . ؟ فيم اذن كرم الإنسان على

سائر الخلق ، وما قيمة هذه الحياة التي لا تحفل الا باشباع دنيا الضرورات ؟
كلا ان النفوس الكريمة لا سمي غاية وأبعد مطلباً من التهافت على هذه
العروض الضائلة ، ولا مناص من التشمير عن ساعد الجد والتفاني في استرداد هذه
الحرية المغتصبة التي لا يعدها شيء في الأرض جميعاً ، فان في استخلاصها تكريماً
لأنفس ورفعا لقدرها أن تستنيم لحسف ينزل بها ، وان في الفوز بها لحافزا يحدونا
إلى مزيد التشبث بها والتصميم الجازم على رعايتها واحاطتها بسياح منيع من
القداسة حتى لا تتسلل اليها يد تبغى العبث بها والانتقاص من تقيئنا ظلالها . .

حب الوطن اذن والتعلق بحريته ، وبغض الذل والتفاني في التحرر من نيره ،
وأداء المراء واجبه مخلصاً فيه متعاوناً مع أبناء قومه - كل أولئك عناصر التربية
الأساسية التي يخلق بنا أن نروض أبناءنا عليها وقد فرغنا من إعدادهم إعداداً
أولياً يهيئهم لتلقى هذه الرسالة ويمكنهم من الاضطلاع بأعبائها ، ما اتسقت الظروف
المقبلة ولم يتم من الأسباب ما يعوق سيرها صوب الهدف المنشود . فهل هذه
الظروف من الاتساق حقاً بحيث تعين على بلوغ الغاية ؟

الحق أنها من التنافر بما يعكس القصد مما نسعى إليه ويضعف الأمل في أن نجني
من ورائها خيراً إن لم نسارع إلى تعديلها تعديلاً يتمشى مع خططنا وينزع منها
عوامل العرقلة والتخذيل . فهذه أطوار الدراسة جميعاً فيما عدا بعض أقسامها
العليا ، هل تتضمن ما ينمي الروح الوطني ويعين على إذكائه حتى لا يغادرها الشباب
الا وقد نضجت قوميته وأصبح الوطني المستنير الذي يدرك عن بيئة وعقيدة أن
واجبه الأول في الحياة العملية التي يوشك أن يخوض غمارها أن يلبي نداء وطنه
وأن يمنحه قسطاً وافراً من تفكيره وسعيه حتى ينهض من كبوته ويتبوأ مكانه
الخليق به تحت الشمس بين الأمم الحرة العاملة . . . ؟ وأي البرامج فيما ندرس
في مدارسنا ومعاهدنا يعتمد على تكوين الشخصية المستقلة وغرس روح الاعتماد
على النفس والانبعاث إلى الحياة بعامل الدافع الشخصي للقبض على ناصيتها وتوجيه
أزمته إلى الغاية التي تتكون في عقيدة الشاب - أو على الأقل مجابهة الدنيا وحيداً
متماسكاً مزوداً بما يدفع عنه خطر الزبغ والهوى العاجل في تيارها ، ان لم يستطع
أن يؤثر فيها ويضيف إلى تراثها . . . ؟ إن مما يحز في النفس حقاً ويديم القلب
ألماً ان أنظمة التربية في مدارسنا قد حفلت بكل شيء الا هذين العاملين الجوهرين
ذوي الأثر البالغ في تكوين الشباب التكوين الأمثل : أعنى تغذية الروح الوطني

وخلق الشخصية المستقلة إن هذا الشباب المعاصر الذى تتملكه الحيرة وتشغف نظراته عن فرط العجز والقصور ، وتكرر الأعوام وهو مستسلم للأمر الواقع لا يحاول أن يحزم أمراً وإن حاول خائنه نفسه قبل أن تخونه العوامل المحيطة به - هذا الشباب هو ضحية التعليم وافتقار التربية المدرسية إلى العناصر التى أسلفنا وما يتصل بها عن قرب أو بعد ، وساو كنا فى الإصلاح سبيلاً لن تفضى إلا إلى استفحال الداء مادمنا نتغاضى عن جوهر العلاج ونفرق من مواجهة المعضلة بالصراحة التامة والشجاعة الواجبة والتضحية الضرورية .

لقد طالما تصاعدت أصوات العقلاء بالشكاية المرة من عقم نظم التربية المدرسية وقتلها أسباب الابتكار والانتاج فى نفوس الناشئة ، وقصرها روح المثل الأعلى على دائرة ضيقة محدودة لا تتجاوزها ، هى دائرة الوظيفة ، وإهمالها معالجة المطالب الوطنية بما يدفع الشباب إلى رعايتها رعاية حقة تثمر أثرها فى السعى الجاد إلى تحقيقها - ومن الأنصاف أن نقرر أن جهودنا متفاوتة بذلت لمحاولة الإصلاح ووضع حد لنقد الناقدين وشكاية الشاكين ، لكن الحق الذى لا مرأى فيه أن جل هذه المحاولات لم يكن ليشرع فيها حتى يتبين جلياً تصورنا ويعددها بعدد شاسعاً عن تحقيق ما يناط بها . ذلك لأن طبيعة الإصلاح الآنفة ما فتئت تنصب على موضوع البراج فتتناولها بالتبسيط فى منحائها تارة وبالاقتضاب والحذف تارة أخرى . فأما الروح الذى يملئ والغاية التى يقصد اليها من وراء مختلف التعديلات فباقيان عل حالهما لم توجه اليهما العناية الخلقية بمقصد حيوى ، كأنشاء جيل جديد من الشباب ذى طموح إلى التحرر من مخلفات الماضى والسير على قدم المساواة مع الأمم الحرة الناهضة التى لا يشوب حاضرها تعثر ولا فتور .

إن سبيلنا إلى الإصلاح المنتج هو مواجهة الحقائق عارية عن التجميل ، وإن بدت فى تجردها مؤذية شائكة الملمس ، ومعالجتها بروح الصراحة التامة التى لا تعرف المداجاة ولا تخشى توخى أقصى السبل لبلوغ الغاية المنشودة . فما الذى نرمى إليه إذن نريد تحرير بلادنا من القوى الدخيلة المحتلة التى تعمل على قنائنا فيها وملاشاة قوميتنا فى مهاب الرياح ، ونريد أن يتقلد أبناءنا زمام المرافق الحيوية التى يستأثر بها قوم لا يمتنون إلينا بأقل سبب ويحرمونا أوليات حقوق المالك الحر التصرف فيما يفتنى . فكيف السبيل إلى تحقيق ما نريد

فأما عن الشطر الأول ، فإن أول ما ينبغى أن نعمل إليه فى معاهد التربية والتعليم

هو تغيير الطريقة الراهنة في دراسة التاريخ ، تلك التي تعنى وتُسرف في العناية باستقصاء سير الأمم ماغير منها وما قرب العهد به وبسط أحوالها بسطاً وافياً لا يترك شاردة ولا واردة الا أحصاها ومحصها تمحيصاً حتى اذا ما جاء دور مصر على الخصوص ، وتعين الامام بنهضتها الحديثة ، على الأخص ، وتعرف الدوافع التي أدت اليها وما قام ويقوم من العراقيل في طريق استكمال أسبابها ، فهناك الاماع الخاطف الذي لا ينقع غلة ولا يهدى الى رأى شاف أو تتجاهل المطبق للحقائق الصارخة التي لا تجدى فيها المكابرة والاختفاء ، أو التشويه المغرض الذي يفسد جمال الوقائع ويحرف حقيقة الدوافع تحريفاً مملوساً . لقد آن الأوان لتبديل هذه الطرائق الملتوية والاستعاضة عنها بأخرى تفسح المجال للعناية الصحيحة بتدريس التاريخ المصري ، قديمه وحديثه ، تدريساً مفصلاً قائماً على النزاهة العلمية التي ترد الوقائع الى أسبابها الحقيقية ، مع العناية البالغة بتزويد الشباب بسياق مفصل للنهضات القومية في تاريخنا ومقارنتها بمثيلاتها في سير الأمم الأخرى ، الأمر الذي يضرم في النفوس روح الاعتزاز بالقومية ويعبثها على ترسم آثار السلف ، وينير السبيل للاستفادة من اخطاء الماضي وعبوبه في توقي أسباب الفشل وتوخى اصلاح المستقبل اصلاحاً لا يعتوره عوج ولا شذوذ لقد حق علينا أن نمكن المدرس من الوقوف بين الناشئة شارحاً لهم هذه الحالة الشاذة التي تسود حياتنا الراهنة وتوجهها وجهة لا ندرى أيا ن مستهاها ، مبيناً سبيل الخلاص منها خلاصاً نهائياً لا يعرف انصاف الحلول لم هذا الاحتلال الذي يبسط سلطانه علينا قهراً وينزلنا منازل الخسف والهوان ، ونحن أمة عريقة في القدم لنا من تليد ماضينا وتحفز حاضرننا وشرعية حقوقنا ما يشفع لنا في الحرية وما يوجب علينا أن نسعى جاهدين لتعطيم هذه القيود التي تغلنا ، ونفض هذا الذل الذي يخنق أنفاسنا ان التصميم الراسخ على المناضلة وتوطين النفس على التضحية هو العلاج الأوفى ، ذلك لأنه يولد في الشعور حالة متحفزة تدفع الانسان الى العمل والمناضلة ولا يبالي ما يلقى ، فان ظفر فيها ، والافقد أدى واجبه ومضى كريم النفس لا يأسف على ماضى ، ثم ان الغاصب سيشفق من غير شك حين يجابه هذا العزم القاطع على المناضلة أن يستهدف لمقاومة عنيفة شاملة قد لا يخرج منها فائزاً كما يشتهى ، وقد تشير عليه ضمير العالم المتمدن لما تكشف عن جشعه ومظالمه ، فيفضل أن يركن الى المسالمة والوفاق والتسليم بما لا بد منه ، لا أدراكه أننا قد صرنا الى حالة من الغليان النفسى

يستحيل قمعها أو كبتها .

ويتفرع عن هذا الروح روح آخر جدير بالمربي اليقظ أن يدعو اليه بكل ما يملك من قوة الحججة والتأثير . ذلك هو روح التعاون بين أفراد المجتمع المصرى وتنسيق الجهود المبعثرة حتى لا يذهب أثرها بددا . فان تفرق الكلمة وتشتت السعى يقدم للغاصب سلاحا ماضيا لمواجهة الحركات الفردية وضرب بعضها ببعض والقضاء عليها دون أن يستهدف سلطانه للتلاشى والزوال . ألم تر إلى المحتلين يواجهوننا قلبا واحداً ولسانا واحداً وهم على تمام التفاهم والوفاق مع أن ما يدعون غصب واقتسار لا يستند إلى ظل من الحق ولا مشروع من القوانين . . . فكيف بنا ونحن أصحاب الحق الابلج والسلطان الواضح المرسوم الحدود . . . أولى لنا اذن أن نخذلوا حذوهم في لم الشمل وجمع الكلمة والا يسفه بعضنا بعضا أو يخذل سعيه أو يفتقص من جهده . وما أوجب أن يوجه هذا الكلام الى من لا يباليون مشيئة الأمة ولا يحفلون برأى الاجماع ، فان الخارجين عليهما يخطئون خطأ جسيما في حق الوطن ويدلون للغاصب عن طواعية على مواطن الضعف في صفوف الأمة يفوق اليها سهاما لا تطيش .

وما أحرانا ، ونحن في هذا الصدد ، أن نعنى بتكوين (الرأى العام) . فانه القوة المحركة لكل الاعمالية الانسانية والحكم الفصل في صلاحية أو فساد ما يشرع من النظم الشاملة والسياسات التى تتناول كيان الأمة في الصميم . ان هذا الرأى العام . أو (رجل الشارع) كما يشعرونه في بعض البلاد الغربية ، هو الذى يملئ في عصرنا الحاضر سياسة الحكومات المختلفة ويفرض رقابة دقيقة على أعمال الوزراء إما في التمثيل النيابى أو على لسان الصحافة ، فان آانس في تصرفاتهم إفراطاً أو تفريطاً ألزهمهم التخلي عن مناصبهم ورفع مكانهم من هم أولى وأقدر على تلبية رغائبه . ان علينا اذن أن نربي في معاهدنا روح النقد البرىء في نفوس الشباب ومحاولة الحكم الصائب المجرد من نزغ الهوى ، فان هذا يدعوهم إلى المساهمة الفعلية في الشؤون الحيوية ومتابعة تطوراتها المختلفة دون أن يقفوا بمعزل عنها كأنها لا تمت اليهم بسبب وثيق .

إن متابعة المسائل الرئيسية التى تمس كيان الأمة هو الذى يبقى الشعور الوطنى متيقظاً متحفزاً ، فلا تعرض حاجة الا سارعت النفوس إلى تلبية ، واننا في الواقع ، برغم افتقارنا إلى بث روح الاهتمام الفعلى بالمسائل العامة ، بمعناه الواسع مديونون

إلى الصحافة المصرية بخلق رأى العام بحالته الراهنة ومطالعة بما يصل بينه وبين مختلف مناحى النشاط فى حياتنا . فعلينا اذن أن نجعل هذه الصحف ولا سيما تلك التى تعنى بمعالجة المسائل الوطنية فى مقدمة العوامل التى تتوسل بها إلى بعث الروح الوطنى . ولنحارب الأمية ما استطعنا حتى لا تحول دون الانتفاع بهذه الوسيلة الزهيدة الثمن البالغة الأثر فى إيجاد رأى عام منظم يشارك مشاركة فعالة منتجة فى الحياة .

ذلك فيما يتصل بالشطر الأول الخاص بالاعداد الوطنى ، وتلك هى أبرز العناصر التى يتعين علينا أن نضمها أى منهج قويم لتنمية الشعور القومى وتوجيهه إلى العمل على تحرير الوطن من قيود الذل والاستعباد . فأما فيما يختص بالشطر الآخر وهو السعى لتكوين انشباب تكويننا استقلاليا فان سبيله المجدى هو تعديل نظر الشباب إلى الحياة المستقبلية تعديلا يخرج به عن الدائرة الضيقة التى لا تتجاوز نطاقها يهيء لها أسباب السعى الحر فى آفاق أرحب مدى وأعود بالنفع والفائدة ، والعمل على خلق الشخصية القوية الزاخرة بأسباب الانتاج والابتكار ، وتغيير مناهج التعليم بحيث تعين على بلوغ الغرض الذى نتوخاه وتعمل بأسباب الإصلاح .

فاذا نظرنا الى العامل الأول، فسوف يروى أننا المثل الأعلى للشباب المصرى هو الفوز بوظيفة من وظائف الحكومة يعنى فيها زهرة العمر ويقع فى زواياها بالغة ما بلغت المشقة التى يتجشمها فى هذا السبيل . ومن الظلم حقاً أن نحاول القاء التبعة فى اعتناق هذا المبدأ المتواضع على الشاب وحده ، فان الظروف الاجتماعية والسياسية وطريقة التلقين المدرسى هى التى ترغمه على ركوب هذا المركب الوعر، وعلينا أن نروض الشاب على أن يفتح عينيه على مبادئ العمل المتشعبة ومناحي النشاط التى يستأثر بها الأجانب، وأن يوطن نفسه على خوض غمارها ومنافسة أصحابها بما يتسع له ذرعه ، واضعاً نصب عينيه أبدأ أنه هو صاحب البلد الحقيقى فهو أولى بالارتفاق بتلك المرافق الحيوية ، وغيره أخرى أن يلزم حدوداً معينة لا يعدوها، وليس من الإذلال المهيمن أن تنعكس الآلة فى ثرى الدخيل حتى الانتفاخ ويملى الاصيل حتى لتلصق يده بالتراب ؟ . لا كانت الحياة إذن ولا كان هذا الوجود الدليل . . وإن السكوت على هذه الحال وإغماض العين على مساوئها هو تسجيل للضعف وتسليم بالعجز والقصور

اليأس إذن هو الخطوة الأولى في صدد التمرد على هذا النظام المحتل ورفع مستوى النظر الى الأفق المنشود . لكن التمرد وحده لا يكفي : ولا مناص من إعادة النظر في الظروف الأخرى حتى تطابق الحالة الجديدة التي نتطلع اليها . فكيف نوفق الى خلق الشخصية العامرة بأسباب النشاط حتى تقوى على مجابهة الحالة الجديدة والنموذج بشجاعة الى الميدان الجديد لا بد لذلك من تعديل نظم الدراسة تعديلا يخلو على الأقل نصف البرامج الحالية وتراعى فيه القواعد التالية : — (أولاً) افهام الطلاب أن المناهج الدراسية إن هي الا وسيلة يراد بها التثقيف وافساح مدى النظر والتفكير وأنها سبيل الاعداد الى الحياة العملية وليست غاية يقف المرء قري العين إن ظفر باجازتها .

(ثانياً) محاربة نزعات الحفظ والاستظهار محاربة لاهوادة فيها فهمي التي تقتل روح الابتكار والاستنباط . وتغني الشخصية بما ينزع كل أمل في بعثها على الانتاج . (ثالثاً) تنمية روح الاعتماد على النفس والاعتراف بالشخصية . وأقرب سبلها هو العناية بالرياضة البدنية عناية تصوى وان استخلصت ثلث المناهج ، وتنمية الحياة الكشفية الصحيحة بما تتضمن من رحلات ومسائل عملية أخرى ، وانشاء الفرق العلمية العملية التي تتيح للشباب فرص الممارسة العملية لعدد الشؤون ، حتى إذا اندمج في ميدان الحياة لم يجد نفسه غريباً عنها ولا قاصراً عن المساهمة فيها .

(رابعاً) حث الشباب على نبذ أسباب الطراوة والنعومة ورياضتهم على التجلبد والصبر والمثابرة ، وعدم الاستسلام لجمال اليأس إن طالعههم نذير الفشل ، والتعاون مع أئدادهم تعاوناً يضاعف الأمل في النجاح ويعين على تذليل المصاعب . (خامساً) إعادة تنظيم الطرائق المتبعة في تعليم اللغات بحيث تمكن الشباب عند مغادرة المدرسة من اتقانها تخاطباً وكتابة حتى يستطيع أن يمارس الأعمال الاقتصادية التي يدير الأجانب دفتها بما لا يدع لهم مجالاً للطعن في مقدرته على الامام بها واني أدعو القائمين على اصلاح التعليم من كل قلبي أن يسبغوا نصيباً وافراً من عنايتهم على هذه الوسيلة التي تمتد بحق مفتاح الحياة العملية . فان ما يبعث على الأمل حقاً أن الغالبية الساحقة من شبابنا تفنى السنين الطوال في تعلم اللغات حتى إذا ظفرت بالشهادات المدرسية التي كان يتحتم أن تعتبر مقياساً لمرائهم عليها

راعك منها تعثر اللسان والعجز الفاحش عن الابانة بعبارة سليمة عن أى مقصد من المقاصد . ومن العسف أن نحملهم كل اللوم على هذا القصور ، فإن طرق التعليم تظهر من ذلك بتسط كبير .

(سادسا) التثريب جهد الاستطاعة بين فروع الحياة العملية وما يمكن اقتباسه منها في معاهد التعليم ولا سيما في الشؤون الاقتصادية . حتى إذا اندمج الشباب في الحياة لم يجد تنافرا بين ما كان يدرس وما هو مقدم عليه .

(سابعا) تعميم التعليم الصناعى فانه الوسيلة الناجعة لغرس الروح العمل فى نفوس الشبان ودفعهم إلى ارتياد ميادين الصناعة والانصراف تدريجيا عن التهالك على وظائف الحكومة وتخفيف وطأة الضغط عليها .

وأحسبني في هذه الاقتراحات الجملة قد قدمت صورة لنواحي العلاج التي يمكن طرقها والتوصل بأشبابها إلى تكوين الشباب تكوينا خاصا يخلق منه شخصية مستقلة قائمة بذاتها تستطيع إذا أشرفت على ميادين الحياة الحرة أن تندمج فيها وتفيد منها ، فهل في ذلك ما يكفي - إذا أحسن تطبيقه ونفذ على الوجه الاوفى - لبولوج الغاية وفتح مغلق الابواب في وجوه الشبان ، أو أن هنالك من العقبات ما لا بد من مواجهته والسعى الخفيف لتذليله

الحق أن إعداد الشبان وحده لا يكفي . ومهما يكن الشاب مزودا بكافة المؤهلات التي تتيح له ممارسة العمل الحر والاعتماد على نفسه في الحياة فلن يقوى وحده على مغالبة قوى ضخمة وعوامل متآزرة تعمل جاهدة على قتل روح النبوغ في صدور الشباب المصرى وحرمانه من طرق هذه الابواب . وإلا فقل لى بربك كيف يستطيع الشاب أن يصمد لنظام الامتيازات الأجنبية الذي يجعل كفة الرجوح فى صف الأجانب محتكرى أغلب نواحي النشاط الاقتصادى والصناعى ، وكيف يقوى على صد شعور الكره والعداء الذى ينصب عليه انصبابا من ناحيتهم حتى ليقن أنه إن لم تدخل الحكومة لئجده فم هو مغرق ولا شك فى هذا الخضم الذى اصطلمحت جميع عناصره على ابتلاعه وتغيبه فى طواياها ؟ .

لست ألقى القول على عواهنه ، فإن المشاهد الذى يستطيع كل انسان أن يلمسه بيديه لمسا أن أغلب البيوت المالية الأجنبية تفضل أن تضم اليها كل من لفظته بلده من الجنسيات غير المصرية على أن تلتحق بها المصرى الصميم ، وإن هى اضطرت إلى استخدامه لسبب ما فإن ما يلقاه فيها من الاهانة الصامتة لينزع من نفسه أسباب

الحلم والتأسك . فإذا استقل الشاب بالعمل واعتمد على شخصه فهو إما أن يقنع بالكفاف أو يستهدف لمنافسة منظمة قاتلة لا تعرف هوادة ولا رحمة .

فهل بعد هذا من يتردد في القول بوجود تقدم الحكومة لنجدة الشبان وشمولهم بالحماية القوية حتى يستطيعوا أن يتفوا على أقدامهم ويصمدوا في الميدان . . . وهل من يشك لحظة في نوع العلاج الحاسم البات الذي يستأصل الداء من منبته، ويتعين على أولى الشأن أن ينهضوا بهمها اقتضاهم من تضحية واعنات . ان هذه الامتيازات الجائرة هي علة الجمود والتقهقر للذين يضربان في نهضتنا الوطنية والاقتصادية بمعول شديد الهدم ذريع التدمير . بل هي سبة في جبين القومية المصرية لن تبرأ من وصمتها حتى نشور عليها ثورة جائحة تقبر ظلها البغيض في أعماق زوايا العدم والغناء . لتقدم الحكومة على ضربها الضربة القاضية والشعب من ورائها يشد أزرها ويمدها بسلاح العزم المسكين ، فما يعرف العالم نظاما نخراجائرا كهذا النظام الذي ينشئ دويلة بل دويلات في داخل الدولة المصرية ويندق على أصحابه من المنح والحقوق مالا يظفر بعشر معشاره أصحاب البلد الحقيقيين .

فان قامت دون هذا الالغاء العاجل عقبات تستند الى عوامل السياسة فان في ميدان التشريع ما يحمل الممولين الاجانب على أن يخفصوا من خلواتهم ويتعاونوا مع المصريين تعاوننا مخلصا فيه خير كثير للفريقين ورجوع الى قواميس العدل والانصاف . حتى اذا آذنت ظروف الأحوال بالقضاء نهائيا على هذا النظام - وسوف تؤذن ما في ذلك ظل من الريب - حق علينا أن نعيد النظر في نظامنا الاقتصادي بما يزيل الغبن الواقع علينا ويملي لنا في أسباب اللحاق بمن سبقونا في هذا الميدان .

لئن كنا قد أفضنا في رسم السبيل التي يحمل بنا سلوكها لتربية أبنائنا تربية وطنية استقلالية واستعرضنا أطوارها بادئين بالطفل ذنبا حتى ينفذ ويستقبل دور الرجولة، فذلك لأن هذا الشباب سوف ينبث في ميادين الحياة العامة ويضطلع بكثير من الأعباء الجسماني التي تقوم على قواعدها نهضة الوطن ورفعته . فمن الحق إذن ألا ندخر وسعا في صدد تربيته حتى ينشأ نشأة جديدة بهذا المطلب الجليل .

لسكن من الحق كذلك ألا نهمل هذه الملايين العدة من أبناء الفلاحين والعمال الذين يكونون السواد الأعظم من سكان القطر، وأن نضع سياسة عامة لتربيتهم تربية تطابق ما نسعى اليه . وإن أول حجر نضعه في أساس هذه التربية هو محاربة

الأمية المتفشية بين تلك الطبقات فإنها تحول بينهم وبين التطلع الى غير ما هم منه بسبيل . يجب أن نرسم سياسة شاملة لتعليمهم وأولادهم القراءة والكتابة ومبادئ الصحة وأن نرصد لها المال اللازم مهما تضخم وعظمت أرقامه ، فإن الفوائد التي تجنيها الأمة في مجموعها من انتشار التعليم والأخذ بأسباب الصحة بين هذه الطبقات لا تقاس بها كثرة النفقات . وينبغي أن تصاحب هذه الخطوة خطوة أخرى لا تقل عنها شأوا : تلك هي تحسين الأحوال المادية والمعاشية لهذه العناصر المنتجة ومعاونتها على مواجهة الظروف الاقتصادية الشديدة الوطأة عليها ومعاونة تمكّنها من دفع شبح البؤس والفاقة الذي يلازمها وتهيبها لها عيشا ميسرا الى حد ما . إن الفقر لا يترك لصاحبه من الفراغ والاقبال ما يستطيع معه أن يعالج شيئا من ضروريات الحياة غير الكدح المتصل . فاذن نشأ الفلاحون والعمال في أحوال مادية معقولة فليس عسيرا علينا أن نوجه عنايتهم الى الواجبات الوطنية وأن نتوسم منهم أن يلبوا نداء الوطن كلما دعاهم داعيه .

إن خير تربية وطنية نستطيع أن نتمدها في أوساط الزراعة والعمال هي التي تحبب اليهم الأرض التي يفلحون والمهنة التي يمارسون وتساعدهم مساعدة فعالة على ترفيعها والافادة منها الى أقصى الحدود . ذلك لأن استغلالها الاستغلال المنتج لا يعدو أثره عليهم وحدهم فحسب وإنما سيعم طبقات الشعب بأسره ويتجلى في زيادة أسباب اليسر والرخاء وما يتلو ذلك من ترقية الروح المعنوية في الأمة واطراد سيرها نحو الكمال . وما من شك في أن تعميم الأنظمة التعاونية والنقابية في أرجاء القطر ، ريفه وحضره ، وتزويدها بالوسائل الفعالة لأرشاد الزارع والصانع إرشادا عمليا منظما وتوجيه جهودهم وجهة تتفق ومقتضيات العصر الحاضر في الانتاج - ما من شك في أن ذلك كله سيحدث أثره في حياة الجيل المعاصر بين طبقات الزارع والصانع وسيؤثر آثارا بعيدة الغور في نفوس أبنائهم ممن يشبون في هذه البيئة الانتقالية الآخذة بأسباب التجديد في مرافقها الحيوية ، حتى إذا أشرف هؤلاء الأبناء على ميدان الحياة العملية كانوا أقدر من آباءهم على الانتاج الوافر وتنمية موارد الثروة في البلاد .

أما بعد فإن هذا الشباب الذي صاحبناه من أول مراحل العمر وعيننا بتزويده بكافة الأسلحة الضرورية لمن يرغب رغبة صادقة في خدمة وطنه ونفسه ، حتى اشتد ساعده وانبرى لمواجهة الحياة - هذا الشباب الذي أسلفنا استبدال من غير شك مقاييس

نظرة الى الدنيا فيصبح أكثر جداً وأشد اعتزازاً بالحياة وفهما لها ، وأقدر على غزوها بعد ما تلاشت من نفسه عوامل الاحجام التي كانت تغله عن السير . فهذا الوطن الذى لم يكن يظفر من تفكيره وعنايته بحظ مذكور سيحل من نفسه المحل الأرفع ويبعثه على المساهمة مساهمة فعالة في تحريره ، متأزراً مع أترابه من جنود العهد الجديد مضحياً بها يملك - حتى بالروح وهى أعز شئ في الوجود - ليصبح هذا الوطن طليق السراح متفياً ظلال الحرية آخذاً بأسباب الرقى والتجديد .

وهذه الخدمة العسكرية التى ينفر الشبان فى وقتنا الحاضر من الالتحاق بها ، ويدلون كل جهد فى سبيل الخلاص منها بدفع البدل العسكرى أو بغيره من الوسائل التى يفتنون فى استنباطها - حتى ليشعر من يرغم على الانخراط فى سلكها بغضاضة ترجع إلى عجزه المادى وما ينجم عن هذا من إضعاف الروح المعنوى فى صفوف الجنديّة - هذه الخدمة العسكرية ستصبح من غير شك قبلة أنظار الجيل الجديد ، لأنها مصدر قوة الوطن ومنعته وأداة الذود عن كرامته واستقلاله ، على أن يسعى أولو الأمر سعيّاً جدياً لتقصير فترتها والعناية بكرامة الجنديّ عناية تضاعف من اعتزازه بها ، والعمل على تسهيل استئناف الشبان ما كانوا يشرعون قبل الالتحاق بها .

فأما فيما يختص بنفسه فلن تصبح الوظائف الحكومية غاية التى لا يفكر فى سواها ، وإنما سينبعث لطرق أبواب العمل الحر ومنافسة هؤلاء الأجانب الذين يستأثرون دونه بخيرات البلد واستخلاص هذه المرافق الحيوية من أيديهم ، مدفوعاً بتلك النزعات الخافرة التى عنى باذكائها فى نفسه ، متوسلاً بكل ما يملك من سعة الحيلة وقوة الاستنباط لتنمية موارد الثروة البكر التى تكتظ بها البلاد من أقصاها إلى أقصاها ، موزعاً نشاطه فى ميادين الزراعة والصناعة والتجارة ليفيد منها قومه أضعاف ما يفيدون الآن منها ، حتى يستقلوا بكيانهم الاقتصادى إلى الحد الذى لا يصبحون معه عالة على غيرهم من أمم العالم .

هنالك يتخلص عنا هذا الجمود الذى يطبع حياتنا الراهنة بطابع كئيف ، وتبعث مصر الحديثة بعثاً جديداً يصل بين حاضرها المفعم بأسباب الحياة والنشاط ، وبين ماضيها التليد ، وتتضافر مع الأمم الحية على الرقى بالبشرية إلى أقصى ما يتفق عنه الذهن الإنسانى .

الأستاذ محمد جلال

بدأ الموضوع بمقدمة دوجزة عن اتجاه التربية في أشهر الأهم ، فقد اهتمت اليونان بالسياسة في مختلف مظاهرها ، وحرص نابليون على إعداد الشبان إعدادا عسكريا في مدارس مثالية تمد فرنسا بجيوش من الشبان الأشداء المشقفين ، واتجهت ألمانيا إلى إرهاب الطلبة بالعلم والتحصيل مما يدعو إلى اختلال الأعصاب وقلق النفوس في سبيل الاكثار من العباقرة والنابعين ، أما الولايات المتحدة فتؤمن بحاجة الانسان إلى العلم كحاجته الى الغذاء . ولانجليز اهتمام بالاعتماد على النفس واحترام الشخصية .

ثم تساءل عن اتجاهنا في مصر ، هل نعلم النشء أخلاق الحياة العملية التي تصدونا بأن الغلبة للقوة ، وأن السلامة تستند أحيانا الى الخداع والملاينة ، أو نعلمهم النفاق والخنوع والخضوع والملل ، يعيشوا خداماً لأصحاب النفوذ والسيطرة ، ويبلغوا مآربهم بالوشاية والتجسس والنميمة ، أو نعلمهم الأخلاق المثالية النظرية ، ليكونوا نماذج للمثل العليا وإن جر ذلك عليهم الفقر والعزلة ؟

وهو يفضل بأن ننبه أطفالنا - حين نغرس الفضائل في نفوسهم - الى طبائع البشر والى أن الفضائل مصطلحات نشأت وتنشأ على حسب مقتضيات الحياة الاجتماعية ، وارشادهم الى الفرق بين وحي العقل ووحى الغرائز ، والعمل على تنمية ميولهم الطيبة بالايحاء والقدوة الحسنة ، وبث روح الاعتماد على النفس ، والاندماج في البيئة التي يعيشون فيها .

ومن رأيه أن التهذيب المدرسي ليس عظيم الجدوى ، وأن ما يكتسبه الطفل من البيت ، حسناً كان أو سيئاً ، يترك أثراً كالندبة قلباً تمحوه الأيام ، فلا بد من العناية بتعليم البنات وإعداد الأمهات الصالحات قبل إعداد الأبناء .

أما العلوم فيرجع تحديدها الى وجهة نظر أولى الأمر ، مع تقدير النبوغ واحترام الكفاءة وتشجيع المجدين الممتازين ، وإنصاف المعلمين الشاكن المظلومين ، وتهئية المدرسين لعلاج المشكلات النفسية والعقلية والأزمات العصبية التي يصاب بها كثيرون ، مع الاهتمام بالرياضة البدنية وبث الذوق الفني وتقدير الجمال في نفوس

النشء ، وعلى الزعماء أن يكونوا قدوة صالحة للشباب ، وأن يكونوا فعالين
لا قوالين .

(٣)

ملخص رسالة

الأستاذ محمد عبد الباري

بدأ الموضوع باستعراض للوقائع الحاضرة حتى يستخرج الحقائق ، فذكر بعض
المواقف التاريخية التي كان للتربية أثر في نشأتها وتكوينها ، ونوه باهتمام الانجليز
بالتربية الاستقلالية وتكوين الشخصية والاعتماد على النفس ، وهذا هو سر عظمتهم
وشجاعتهم ، حيث استطاع الأفراد أن يقرضوا وجودهم على الحكام ، وعرف الحكام
كيف يحترمون الشعب ويعيشون معه في سلام .
ثم تحدث عن اعتزاز العرب بحريتهم واستقلالهم ، وحرصهم على المشورة
والتعاون والمساواة .

وسبيل التربية الاستقلالية يكون برعايتها منذ النشأة الأولى ، فيربى الأطفال
تربية قوية استقلالية ، ويعودون على الاعتماد على أنفسهم والشعور بوجودهم ، ثم
تتعهد هذا الغرس الأول بالرعاية والتقوية في المدارس والمصانع والمعامل وكل
مرافق الحياة ، فتحترم حرية الرأي احتراماً فعلياً ، وتقام العلاقة بين الشعب
والحكام على أساس متين من الاحترام والعطف والتقدير ، وضمان تحقيق الغاية
من الحياة البرلمانية ، وقيام كل سلطة وكل هيئة وكل فرد بواجبه خير قيام .
ومن الواجب أن تقترن التربية الوطنية بالتربية الاستقلالية منذ الحداثة الأولى ،
فحب الوطن وإن كان غريزة طبيعية إلا أنه في حاجة إلى التقوية والتمكين والحماية
من المؤثرات الصناعية .

لاعزة في وطن ذليل ، ولا قيمة للجاء الفردى في جماعة تخضع لارادة خارجية ،
والاستقلال الفردى لا يثمر في أرض تسخر فيها إرادة الأفراد لغير مصلحة
بلادهم .

يجب أن نلقن الأطفال مبادئ الوطنية والاستقلال في قصص الأبطال ،
وفي الكتب والصحف ، وفي الاحتفال بالأعياد القومية وتمجيد أعمال البر
بالوطن والتضحية في سبيله ، حتى ينشأوا قادرين على النهوض بمجد الأمة وعظمتها .

ملخص رسالة

الآنسة إيريس حبيب المصري

حملت الآنسة على عدم المباهاة والتفاخر بالأصل والشرف ، فالمصريون قد نسوا أصلهم طويلا وتركوا المباهاة به حتى عهد قريب ، فكان هذا من أسباب ضعفهم ، والأوروبيون يلقنون أطفالهم سير الأبطال وتمجيد الوطن وينفخون فيهم روح الاعتزاز بالوطن ومجد الوطن وتاريخ الوطن - وحتى أمريكا ، التي استغنت عن الألقاب والأحساب ، نجد من بينها التعطش الى الزهو بالجدود فيجب أن يدرس تاريخنا المجيد كوسيلة لاذكاء روح الحماسة والاقدام والتضحية في سبيل الوطن ، ولسكى يتصل حاضرا بماضيها فيرى الأحفاد أن من العار عليهم أن يجبنوا حيث أقدم الأجداد . يجب أن يدرس التاريخ القومي عمليا ، وأن يعرف التلاميذ كل شيء عن آثار أجدادهم وآبائهم ، وتقام تماثيل في الميادين والحدائق العامة ، تماثيل للأبطال المجاهدين ، ليسأل الطفل عنهم فيجيب ، مع توجيه نظر الطفل إلى ما في بلاده من جمال طبيعي وصناعي ، على أن يترك القائمين بأمور المدارس الحرية الكافية في اختيار نظمها ووضع لوائحها ، حتى يكون هناك مجال لظهور الشخصيات وتعددتها .

ويخفف عبء البراج المحشوة المرهقة عن الطلبة ، ليتجهوا إلى الاطلاع الشخصي والتحصيل الذاتي - ويعنى بالتعليم الاحترافي وتشجيع الصناعة والزراعة ، لأن تعليم الفقراء تعليميا نظريا لا يثمر إلا السخط والتبرم وخفق روح الميل إلى العمل . ويجب أن نوجه النشء إلى الانتصار للضعفاء وإلى الكرم والرفق والتعاون ، وأقوى الوسائل لذلك الرياضة البدنية والشعر والأدب والموسيقى والتأملات ، وعلينا أن نعوذهم احترام النفس لأنها عاصم من الخطأ ، ونحشهم على تشجيع المنتجات المصرية والعمال المصريين

وترى الآنسة أن هذا كله يتحقق إذا عنيينا باختيار القائمين بالتربية ، واحترمنا النشء ، وقدرنا وجودهم وتفاهمنا معهم ، حتى يكونوا النسل المجيد للفرجة الأمجاد .

الموضوع السادس

عدة النجاح لرجل القرن العشرين

حضرة صاحب العزة مدير ادارة المطبوعات

اجتمعت اللجنة التي أشرف برياستها والمؤلفة من حضرات محمد محمود خليل بك و خليل مطران بك والدكتور محمد حسين هيكل (بك) والأستاذ مصطفى عبد الرازق ، للحكم في المباراة الأدبية في موضوع : عدة النجاح لرجل القرن العشرين ، وقد عقدت اللجنة عدة جلسات تغيب في الأخيرتين منها حضرة صاحب العزة محمد محمود خليل بك لسفره خارج القطر .

وقد قررت اللجنة في آخر جلسة باجماع الآراء ما يأتي :-

أولاً - أن تمنح الجوائز لأصحاب الموضوعات التي تستحق في نظرها هذه الجوائز، فإذا لم يكن من بين هذه الموضوعات ما يستحق جائزة منها فلا تقترح اللجنة منحها.

ثانياً - منح الجائزة الأولى وقدرها ١٠٠ جنيه إلى حضرة محمد افندي ثابت الفندي عضو بعثة الجامعة المصرية بباريس، مع الإشارة الى دقة بحثه وتفوق هذا الموضوع تفوقاً واضحاً على كل ما تقدم .

ثالثاً - عدم وجود موضوع يستحق الجائزة الثانية .

رابعاً - منح مقدار الجائزة الثالثة لكل من حضرتي حسين افندي

مؤنس وفهيم افندي حبشي

وتشير اللجنة الى أن عدم تحديد موضوع المسابقة تحديداً دقيقاً، وقصر الوقت المعين للمسابقة، قد كان من أثرهما أن خرج كثير من الباحثين عن الغاية من الموضوع، كما اقتصر كثيرون على تناوله تناولاً غير جدير بالدخول في مسابقة ما .

رئيس اللجنة

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام

(مافظ عفيفي)

القاهرة في ٨ يوليو سنة ١٩٣٦

رسالة الأستاذ محمد ثابت الفندى

١ - فلسفة الغايات :

لا نريد أن نسلك الى هذا الموضوع الطريق «الذاتى» فتحدث عما يجب أن يكون عليه رجل القرن العشرين فى نظرنا ، فقد نفرض من الواجبات ونصطنع من المثل العليا ما لو أخذ به واحد من الناس لقطع كل صلة بينه وبين العصر ، وانما طريقنا اليه الطريق العلمى الذى يحمل الحياة العصرية الى عناصرها الأولى ، ويميط اللثام عن أسباب النجاح والاختفاق فيها ، ومدار بحثنا «علم النفس» : ذلك العلم الفقى الذى تساق نتائجه نحو الاستفادة من الحياة لصالح الفرد بقدر المستطاع ، لذلك سيبدو للقارىء ، اذا فرغ من تصفح هذا الموضوع ، أنه انتقل الى عالم غير مطروق فى مثل هذا الظرف ، وإن يكن هو العالم الذى يجب أن نبحث فيه عن أسباب ما نحن بهمدده .

ما أحوج شرقنا الحاضر الى فلسفة فى الحياة لا الى فلسفة فى الكتب . «أحوجه الى برامج للمثل العليا ، وإلى دساتير ترسم له غاياته ومطالبه فى الحياة . فان الفرق بيننا نحن أبناء الشرق - وبين أبناء الغرب أننا نعيش لغير «غاية» وبغير دستور ولا فلسفة ، فان أصبنا نجاحا فى يوم من الأيام كان ذلك وليد الصدفة المحضة والقدر اللالع ، لا فضل لنا فيه ولا شأن لنا عليه - ورحم الله كربلین الطييب الفرنسى الذى أراد أن يعرف آكل الخشيش بما يميزه عن الانسان الطبيعى فقال انه «الفاقد لمعنى الغائية» وكأني به قد حدد بذلك الفارق الجوهرى بين الشرقى الزائم عن كل غاية فى الحياة ، والغربى اليقظ المتنبه لغايات مثلى يسعى اليها جهده .

الغايات والمقاصد فى أى لون من ألوانها هى البواعث الأولى التى تحفز الفرد أو الجماعة الى التفكير فالعمل ، وقديما قالوا : أول الفكر آخر العمل ، يشيرون بذلك الى أن الغاية تطرأ أولا ثم ينتهى اليها العمل آخر ، وتاريخ الاختراع فى القرون الثلاثة الاخيرة يدلنا على أن الاختراعات كلها انما نشأت أولا كغايات ثم ما زالت تستحث تلك الغايات أصحاب الكفاية حتى وصلوا الى تحقيقها بطرق طبيعية ميسورة لكل سالك فى هذا الطريق ، ولم يكن للصدفة أو الحظ أو الذكاء أو العبقرية - مما نفسر به الاختراع فى بلادنا - أى نصيب أو دخل فى حركة الاختراع ، فوجود الغايات إذن هو أول ما نصادفه فى قرارة نفس الأوربي ، وهو أول ما ينقصنا فى خيانتنا الراهنة . والكثرة المطلقة منا تعيش بغير غاية ولا غرض ،

وتؤدي أعمالها كما تؤدي الآلة الميكانيكية أى عمل هيئت له ، فلا ترتفع عن المستوى الآلى إلى أفق الغايات الانسانية ولا تحس بحاجات جديدة تعدل بها من شأنها في الحياة . من هذه الزاوية وحدها نستطيع أن نلقى النظرة الأولى على ما يتخذ رجل القرن العشرين من عدة للنجاح . فأول عدة له هي أن يكون ذا مطامح وغايات تبعثه الى خوض الحياة ، وهو يجددها بغيرها كلما نال منها مأربه ، فان لم يفعل لم يبرح موضعه ، كالنبته تموت حيث تولد وحيث تنمو وتتوالد .

ثم لا يكفي بعد هذا أن تكون الغاية فيكون الخير ، وإنما يجب أن تتحدد وتبين وتتفتح في النفس حتى تمتلك المشاعر ويتجه العقل إلى سبيل تحقيقها . وهذا فارق آخر بين الشرق المثقف والأوربي على وجه العموم : فقد تكون للأول غايات ومطامح ولكنه لا يعرف كيف يحددها ويجردها عن الاحساس الغامض الذي يكتنفها والشعور المبهم الذي يحيط بها حتى تصير معقولة واضحة . هذا ما يراه كاتب فرنسي في أمر انتشار العلم الحديث بين أهل بلاد الأناضول ، فقد التبس عليهم الغرض منه فأساءوا - على رأيه - استعماله وفهمه . وبمثل هذا يفسر التناحر الحزبي في مصر ، فقد غشيت الغاية الأولى (الاستقلال) أهواء وأغراض فغمضت حتى كادت تنسى . وبمثل هذا أيضا يتنبأ كاتب فرنسي بقيام « الامبراطورية الثالثة » في فرنسا لأن الفكرة التي قامت من أجلها الجمهورية لم تعد واضحة في ذهن القائمين بالأمر . وكاتب هذه السطور يذكر تماما أن أحد أعضاء مجلس النواب المصري الأخير اقترح ذات مرة الغاء كلية الآداب لأن خريجها عاطلون ، وطبعي أنه لم يقترح هذا إلا لأن الغاية من انشاء هذا المعهد لم تكن واضحة في ذهنه . والخلاصة أن الغاية اذا لم تتحدد وتتضح في النفس فان الانسان لا يستطيع أن يتجه الاتجاه الصحيح المنتج . وعلينا اذا شأننا أن نجاري روح العصر، أن تكون أغراضنا واضحة جليلة معينة معقولة .

الغايات الفردية كثيرة لاسبيل الى حصرها ، ولكل فرد أن يرسم ما شاء من الغايات . ولكن هناك قدر مشترك منها يجب توفره عند الرجل العصري الذي يحلم بالنجاح والظفر . وقبل أن نفصل القول في هذا القدر المشترك نريد أن ننبه الأذهان الى أننا سنتجنب بقدر الامكان الكلام عن الصفات الخلقية البحتة التي قد يتبادر الى الذهن أنها وحدها عدة النجاح في هذا العصر . فان الأخلاق - كما شاهدنا في أوروبا وفي عاصمة من أكبر عواصم الحضارة التي لها وحدها أن تتحدث

عن القرن العشرين وعدة النجاح فيه - لم تعد من طبائع النفس وعاداتها وتقاليدها، وإنما هي تصرف حسن أو سيء يمليه العقل المحض في كل ظرف .

في هذا القرن حل علم النفس محل الأخلاق ، أو قل حل العلم الموضوعي محل النصائح والأقوال الخلقية ، فحل بذلك العقل محل الضمير . ولسنا نعلم إلى أى حد سيكون انتصار العقل ، وإنما الذى ندرسه حتى الآن هو أن هذا العقل الذى سيطر به الأوربي على المادة أصبح كذلك معياره فى الأخلاق . والأوربي العصري لا يعبأ بالتقاليد الخلقية ولا يتمسك بها كما يتمسك عن عقيدة وإيمان لاشأن للعقل فيهما ، وإنما يتمسك بها نزولا عند حكم العقل ، وقد يتمسك العقل بها لفائدتها أو لاتصالها بحادث تاريخي يهمه ذكره ، أو حتى للسخرية بها في كثير من الأحيان .

ولم أذن فالغايات المشتركة التى تقدم ذكرها لاشأن لها بالأخلاق من حيث هي كذلك ، وإنما هي من النوع النفسى البحت الذى لعلم النفس وحده أن يحدثنا عنه . وفى رأينا يمكن حصر الغايات الكبرى التى يجب توفرها فى الرجل الحديث فيما يأتى :-

- ١ - محو العقلية الغيبية وابدالها بالعقلية العلمية .
- ٢ - النظر الى الأشياء بمنظار العدد والقياس والأحصاء والكم .
- ٣ - تقوية الشخصية الفردية لتؤدي وظيفتى الاقتناع والتكيف .
- ٤ - الأخلاق العملية .

٢ - العقلية الغيبية والعقلية والعلمية :

العقل الغيبي هو ذلك النوع من التفكير الذى يرد المسببات الى غير أسبابها كأن يرد رياح السموم الى انفتاح « طاقة من جهنم » ، والنجاح والفشل الى الحظ والنحس ، والزواج والطلاق والصحة والمرض الى تميمه أو رقية أو بخور أو كلام يتلوه مشعوذ . هذه العقلية فقدت تماما معنى « العقلية » وانحرفت عن الطريق القويم للتفكير فأصبحت غير صالحة لمسيرة الحياة ومساوقة الطبيعة، وتوجد عند الشعوب المتأخرة فى أزياء مختلفة كالسحر والشعائر الدينية الوثنية . وتوجد عند الشعوب المتمدينة أيضا الى حد محدود . بل قد توجد الى جنب العقلية العلمية والى جوار أكبر النظريات الحديثة فى رؤوس بعض العلماء الأوربيين . والخلاص من هذه العقلية عسير وسيله الوحيد فهم روح العلم الحديث .

أما العقلية العلمية فلسنا نقصد بها أن يكون الانسان عالما واقفا على قوانين الوجود وسنته، وإنما نقصد بها أن يتخذ الفرد الطامح الى النجاح طريقة العالم في فهم الأشياء وأسلوبه في تعليمها وتفسيرها : أى يبحث دائما عن الاسباب الحقيقية الموضوعية لكل أمر .

وإذا أردت تعرف الفرق بين العقليتين فسل من شئت من عامة الناس : لماذا يطير الطائر؟ فسيكون جوابه حتما : لأن له أجنحة . وهو بذلك يجعل وظيفة الطيران نتيجة للعضو ، والعلم يرى عكس ذلك، أى يرى أن الوظيفة متقدمة وقد نتج عنها العضو .

وصفوة القول أن الرجل العصري يجب أن يبنه العقلية العلمية ويطاردها في كل مكان، حتى تستوى له عقلية علمية من هذا الطراز الذى نشاهده في معامل العلماء . يتصل بالعقلية العلمية كذلك هذا الاعتقاد الشرقى بأن العالم مسير لا قدرة لنا فيه، وأن القوة المسيرة تتدخل في تتابع أحداثه فتقدم وتؤخر وتحي وتميت بغير حساب، ويجوز أن تعدل عما سبق أن كتبه من آجال . وقد تسرب هذا الاعتقاد الى فلسفاتهم، دينية كانت أو عقلية ، فقد بحث متكلمو المسلمين فى هل يستطيع الله تعالى أن يقدم الآجال أو يؤخرها عن ساعاتها، فذهب بعضهم الى إمكان ذلك . وهم لعمري لم يفهموا بذلك قدرة الله تعالى فان (النظام) المطرد فى العالم وتسلسل العلل ومعلولاتها أدل على هذه القدرة اللامتناهية من ذلك التصور الركيك الذى يجعل من قدرته تعالى وسيلة لتغير النظام الذى فطرته وابدعته . وكانى بأولئك المتكلمين ومن لف لفهم يتصورون هذا « النظام » على أنه ليس فى طبيعة الأشياء نفسها ولكنه فرض فرض عليها من خارجها يمكن تعديله أو العدول عنه فى كل لحظة . لهذا استسلم أهل الشرق الى ما أسماه حينئذ « بالقدر » وحينئذ « بالتسمة » أو « النصيب » أو « البخت » أو « الحظ » الخ . . . ولغاتهم جميعا دليئة بالالفاظ التى تعبر عن هذا المبنى القدرى مما يندر وجوده فى لغات الغرب . ولسنا فى حاجة الى بيان أثر هذا التصور الخاطيء فيما انتشر بيننا من تواكل واستسلام ودعة وسكون ورضاء ليس بعده رضاء، هذا ما يأخذه علينا الأوربيون وينسبونه الى الدين الحنيف وهو منه براء . ونسكركم نحن عليهم فى مساجلاتنا . وكان الأولى بنا أن نتشجع فنعترف به . ثم نعمل على علاجه وخصوصا بين تلك الطبقات الفقيرة الجاهلة التى تكون غالبية سكان مصر .

هذا في الشرق؛ أما في الغرب فإن المذهب القدرى يطارد في كل مكان . والعلم الغربي إنما يقوم على أساس محو هذه الفكرة ، لأن « الأصل الموضوع » الذي يبدأ منه العلم الحديث هو أن العالم يسوده « نظام » باطنى كامن فيه لا سبيل إلى تحويله ، ووظيفة العلم الحديث الأحاطة بنواميس هذا النظام والنسب بين هذه النواميس حتى يمكن استغلالها لمصلحة الإنسان والسيطرة بها على الأشياء، ومن ثم جاء نبيذ الغربي للاتكالي والاستسلام ونزوعه إلى السيطرة والقوة والنشاط والعمل، واتساع مجال الأمل والعمل أمامه .

وليس معنى هذا أن العقلية القدرية لا توجد في الغرب ، فالطبقات التي لم يتسرب إليها نور العلم، في أصوله لا في مظاهره، لم تدرك بعد معنى هذا النظام الكامن ، ولا زالت تعتقد بالقدر . ومع ذلك فالجامعات ومرافق الحياة كلها تتأزر على محو هذه الفكرة ، ورجل القرن العشرين - كما هو مشاهد - حريص كل الحرص على استبعادها وإحلال فكرة « النظام » والقانون محلها .

وتتجلى العقلية العلمية الأوربية في صورة أخرى لم تتعرض لها بعد هي الصورة (العملية) . فقد أصبح الغربيون يقدرون الأشياء بل الحقائق العملية وغير العملية بما تنتجه من فوائد عملية وما تحدثه من فرق في حياة الإنسان ، فلا المنطق ولا العقل ولا العمل وحده بكاف لإثبات حقيقة من الحقائق إنما المحك الأخير هو النفع العملى ، حتى لقد أصبحت للحقائق في نظرهم درجات تتفاوت بتفاوت الفوائد التي تجنى منها . فطبيعيات نيوتن حقيقة ، ولكن طبيعيات أنشتين أكثر حقيقة منها لأن عدد المسائل والمشاكل التي تحلها يربو على ماتحله طبيعيات نيوتن، والاديان حقيقة لأنه تترتب عليها فوائد لا يمكن أن تبني من الالحاد . . . الخ

وقد بشر هربرت سبنسر بين مغيب القرن الماضى وبزوغ الحاضر بوجهة نظر القرن العشرين العملية التي حولت النظر من المبادئ والأصول إلى الفوائد والنتائج . وسرعان ما انتشرت هذه النظرة فأذاعها وليم جيمس في أميركا ، وبرجسن في فرنسا ، وأويكن في ألمانيا ، وارتسبت ماخ في النمسا ، وعرفت بالمذهب العملى Pragmatisme ومن مفاخر الشباب الحديث أن يقول إنه من الآخذين بهذا المذهب، ولست أقول إن هذه النظرة المادية مثل أعلى ، ولكننى أقول إن الحياة الأوربية هي هكذا ، والرجل الناجح عندهم هو السائر على هذا الدرب ، المفترخ بأنه (عملى) .

وخلاصة القول إن محور العقلية الغيبية وإحلال العقلية العلمية محلها ، وبهذا الاتكال والاعتقاد بالنظام ، والنظر الى الأمور من جهة الفائدة والنتيجة ، لا من جهة المبدأ والأصل ، إن كل هذا من الصفات التي يعتد بها الرجل الحديث الذي يريد أن يجارى روح العصر لينال قسطه من النجاح .

٣ - العدد والقياس والاحصاء والكم :

وهنا أمر يجب أن ننبه الأذهان اليه ، وقد يبدو لأول وهلة غريبا عجيبا لا أثر له في النجاح ولا صلة له به ، مع أنه من أمضى الأسلحة التي يعتد بها العقل الحديث الموفق في الحياة ، ألا وهو تكييف العقل بأسلوب العدد والقياس وصنع التفكير في كل صوره وأحكامه بطابع الاحصاء والحساب . والواقع أن النظرة الرياضية الى الأشياء إنما هي نظرة تجلى غوامضها وتظهر خوافيها وتحدد أقدارها وأحجامها وأبعادها ولا تترك صفة من صفاتها الا وقد قدرتها « كما » محدودا .

ومن الملاحظ أن الحضارة القائمة قد نحت نحو « الكم » في كل شيء ، وتجاهلت الكيف الى حد ليس بالقليل ، فان هذا الأخير غامض معتمد لا يعرف الا بالأوصاف والسمات والأوضاع ، وكلها نسبية تختلف من فرد الى فرد . خذ مثلا الألوان فان اللمعة لا سيبل له الى تخيلها منها سمع من أوصافها ونعوتها ، ولكنها اذا أحييت كما يقدر بالقدر كأن يقال إن اللون الأحمر مثلا هو الاحساس البصرى الذى ينجم من تأثير الحاسة بموجات أثرية سرعتها ٤٠٠ تريليون ذبذبة في الثانية واللون البنفسجى يقابل ٧٠٠ تريليون ذبذبة ، وهكذا في سائر الكيفيات كما يفعل العلم الحديث ، فانه يستطيع فى سهولة أن يكون تصورا عن عالم الألوان أكثر وضوحا من ذلك التصور الكيفى .

والعلم الحديث جهاد طويل عنيف فى إحالة الكيفيات الغامضة الى كميات واضحة محدودة . ولهذا تشغل علوم العدد المكانة الاولى بين العلوم الحديثة باعتبار انها المعول الذى بهدم الكيف ويبنى الكم . مر بنظر ك مثلا على كتاب فى الكيمياء أو الطبيعة أو الاقتصاد أو غير ذلك من العلوم العقلية التي وصلت الى نتائج مقنعة ثابتة ، فماذا تجد غير القوانين والمعادلات الجبرية والاحصاءات والمقاييس التي تحدد تحديدًا واضحا كل كيفية بل كل فكرة مجردة عامة .

إن الأوربي المصرى الذى رأيناه فى الفصل السابق نزاعا الى اتخاذ أسلوب العلم وتطبيقه على مشاكل الحياة ، نجده هنا نزاعا الى الفهم أو الإدراك الكمى .

وكم نحتاج أوروباً من وقت ليصل أبنائها جميعاً إلى مثل هذا الإدراك . ذلك ما لانعرفه الآن وإنما نعرف تماماً أن كل نواحي النشاط الأوربي الحديث تتجه إلى هذه الجهة . فالعلم والصحافة والكتب والتجارة والصناعة والزراعة تعتمد دائماً على الإحصاء ، بل لقد تسربت هذه الطريقة الرياضية إلى مطابخ البيوت (تحديد كميات عناصر الطعام) ومخادع الأمهات (في كل أسرة فرنسية يوجد ميزان توزن به أجسام الأطفال يومياً وتسجل الزيادة والنقص) .

وهناك قطار من الأقطار الشرقية استطاع أن يهضم هذه النظرة الحسابية إلى الأشياء هضمًا طيباً ، وأن يزن بها الكثير من شئون الحياة اليومية . فقد روى المسيو شاليه في كتابه عن اليابان أنه ارتاع عند ما رأى الياباني الحديث حساباً ماهراً يفوق الأوربي من هذه الجهة ويفهم روح العصر أكثر منه لأنه يرتب حياته بناء على الإحصاء . زار أسرة من العمال فاستلقت نظره صحيفة معلقة على ظهر باب حجرة الطعام (التي يؤمها جميع أفراد الأسرة) فنظر فيها فإذا هي رسم بياني Graphique يبين ما صرفته الأسرة في شهرها هذا بالنسبة إلى الشهور السالفة ، ومقصدها من ذلك ضبط أبواب الميزانية المنزلية .

نخلص مما تقدم إلى أننا إذا تعمقنا في تحليل عقلية القرن العشرين فأننا نجد أنها عقلية تنمو شيئاً فشيئاً نحو رد الأمور كلها إلى العدد والقياس والإحصاء والكم . وقد أثبت العلم والتجارة والصناعة ، وحتى مسائل المعيشة اليومية ، خطر هذا التقدير الحسابي للأشياء . وحسب القاريء أن يفكر قليلاً في فوائد هذا الأسلوب الرياضي إذا طبق على مرافق الحياة كلها ليقف بنفسه على خطره وقيمته بالنسبة الرجل الذي يريد أن يتزود بعدة للنجاح في هذا العصر .

٤ - الشخصية :

إذا استتم للإنسان فهم علمي وإدراك كمي للأشياء فقد استتم له عقل من الطراز الحديث لا تستطيع أن تجاريه الأساليب القديمة في التفكير . ولكن هل يكفي أن يتم للفرد مثل هذا العقل ، فتكتمل له عدة النجاح في مضمار الحياة ؟ ما أظن أن ذلك يكفي ، فإن الشخصية تلعب دوراً هاماً جداً في نجاح الفرد أو فشله ، وكل فرد منا يدرك ذلك في نفسه إذا رجع إليها ، أو إذا قارنها بشخصيات من يتصل بهم من الناس ، فنحن نستطيع في سهولة أن نعرف إذا كانت شخصياتنا أقوى أو أضعف أو في مستوى شخصية معينة اتصّلنا بها ، والشخصية وليدة عدة عوامل : التاريخ

والبيئة والتجارب الشخصية والحالات الباطنية ، ولكل من هذه العوامل قسط في تكوينها ، ولكمئنا لا نريد أن نبحث هنا عن عوامل التكوين فان هذا يعقدنا عما نحن بصدده ، وانما نريد أن نميط اللثام عن كيفية تقويتها بحيث تستطيع أداء وظيفتين هامتين يتوقف عليهما نجاح الفرد في الحياة الاجتماعية وهما :

١ - الاقتناع

٢ - سرعة التكيف أو الملاءمة

والاقتناع والتكيف فنان هاما من فنون الحياة . الأول هو فن تأثير الفرد في غيره من الناس ، أفراداً وجماعات ، بحيث يقنعهم بوجهة نظره ويكتسبهم الى صفه . والثاني فن القدرة على تكيف الشخص بالوسط الذي يندمج فيه والملاءمة بينه وبين هذا الوسط في سرعة وبراعة ولباقة . وقد يما جعل داروين صفة القدرة على الملاءمة والتكيف بالوسط سببا في بقاء الأصلح من الأحياء في السلم البيولوجي ، وهي لا تزال كذلك صفة لبقاء الأصلح في المجتمع الانساني .

السياسي والتاجر والصانع والموظف والمدرس والطبيب والصحفي والممثل والمحامي وكل من اتصل عمله بالجمهور لا يمكن أن ينجح اذا لم يحذق فن « الاقتناع » أو قل أنه ينجح بقدر درجته في هذا الفن ، فاذالم تسكن له درجة فيه فلا قيمة لكل ما يبدل من مجهودات أخرى للنجاح .

كذلك يحتاج الفرد الى استرضاء الجماعة واستجلاب عطفها وتملقها ، إن صح هذا التعبير . ويتوقف نجاح الفرد من هذه الجهة على قدرته للتكيف بأغراض تلك الجماعة والملاءمة بينه وبين أهوائها وميولها .

ورجل القرن العشرين - كما نشاهده - لا يتم نجاحه الا اذا حذق الاقتناع والتكيف ، فكيف يتوصل الى ذلك ؟

١ - من المشاهد في أوروبا ، وخاصة في الاجتماعات السياسية واجتماعات الأسر الرياضية في نواديها واجتماعات التسلية ، أن البدن السليم القوي وسيلة من الوسائل التي تتذرع بها الشخصية للاقتناع . ومن ثم كانت تقوية الأبدان بالألعاب الرياضية أول هدف للرجل العصري الذي يريد أن يحتل مكانة يصبو اليها ، بل لقد بلغ تقدير الرياضة الى حد الاستهتار بالحياة والاستخفاف بالموت اذ يركب الرياضيون متن الهواء وعبر البحار على أسباب أوهى من نسيج العنكبوت .

وكثيرا ما يكفي الجسم السليم وحده لأن تحلج الجماعة على صاحبه هيبة وجلالا ،

والواقع أن الصحة البدنية لها جمالها وفتنتها وجاذبيتها ، وأى الناس يقتنع بحديث المريض إذا تحدث فحشرج وبمطلع القمىء إذا راح أوجاء ؟
٢ - وإذا كانت الشخصية فى سبيل الوصول إلى الاقتناع والتكيف تتوقف على صحة الجسم ، فهمى تتوقف كذلك على صفات نفسية محضة أعمق أثراً فى تقويتها . ويمكن دراسة تلك الصفات تبعاً لأقسام علم النفس الكبرى .
الحساسية . الإدراك . الإرادة .

الحساسية : من الملاحظ أن الرجل الناجح فى هذا العصر قليل الأحاسيس سطحى الشعور والعواطف . وسبب ذلك أن الفرد الذى يترك نفسه للعواطف والميول والآهواء يكون دائماً ذا شخصية سلبية قابلة للتأثر بما يجرى حولها ، ومثل هذه الشخصية عاجزة عن الاقتناع تماماً . أما الشخصية الموجبة فهمى لا تتأثر بالعواطف والانفعالات ، وتوجد فى الغالب بعد مران واكتساب ، ويطلق عليها « الدم البارد » أو « البرود » فقط ، خصوصاً إذا جرى الحديث عن مناقب الانجليز ، والدم البارد من صفات الرجل العصرى الموفق .

الإدراك : الرأى السائد عند علماء التربية هنا هو أن الرجل الحديث يجب أن لا يكون من المتخصصين فى علم من العلوم ، لئلا تنقطع صلاته بالحياة ، ولئلا يرى العالم كله من ثقب ضيق . والمشاهد فعلاً أن الرجل العصرى عام الثقافة فهو لا يعرف كثيراً من الأشياء ، ولكن لا كما يعرفها علماءها معرفة التحليل والتفصيل ، وهو يعرف كذلك جملة من اللغات الأوروبية الحية - لا القديمة - ولعله من ناقل القول أن فصل الكلام فى أثر المعارف العامة - ومنها اللغات - فى اكتساب شخصية الإنسان قوة سحرية للاقتناع والتكيف ، لأن وضوح هذه الناحية كوضوح الشمس .

الإرادة : أكبر أسباب قوة الشخصية وقدرتها على الاقتناع والتكيف ، وتربية الشخصية عن طريق الإرادة من أهم ما يشغل المؤسسات البسيكولوجية فى أمريكا ، تعتمد تلك المؤسسات فى تربية الإرادة على طريقتى الإيحاء والأمر . والإيحاء هو أن يوهم الإنسان نفسه بأنه ذو إرادة حديدية وقوة عظيمة . الخ ، وينتهز هداة وجدانه قبيل النوم وعند الاستيقاظ للقيام بالإيحاء ، فلا يلبث أن يصبح الوهم حقيقة ويحس بفارق عظيم بين إرادته - وبالتالى شخصيته - قبل ممارسة الإيحاء وبعده ، فإذا انتهى دور الإيحاء يأتى دور « الأمر » فيستطيع الفرد أن يقسم نفسه قسمين :

أحدهما أمر والآخر مطيع . والأمر أبعد أثرا من الإيحاء في تمكين الشخصية وبسط نفوذها إذ بعد أن يختبر الفرد في نفسه حقيقة الأمر وشروط طاعته وصيغته القائه ونعمته الصوتية التي تهيمه للتنفيذ ، يستطيع في سهولة كبيرة أن يعرف كيف يأمر الآخرين فيلبى هؤلاء أمره من غير تدمير ؛ وسواء أصبحت هذه الطرق الأمريكية أم لم تصبح ؛ فإنه من الثابت أن الإرادة يمكن أن تقوى ؛ فتقوى الشخصية على حسابها فتستطيع أن تؤدي وظيفتي الإقناع والتكيف .

٣- يأتي «المجتمع» بعد الجسم والنفس ، وقد كان المجتمع وسيكون أبدا من أسباب استقواء الشخصية أو ضعفها ؛ ذلك لأن رضا المجتمع يساعد على تقوية الشخصية الى حد أنها تستطيع اعتمادا على هذا الرضاء، أن تقنع وتفرض ما تراه من الآراء والمبادئ . وهناك من الشخصيات ما يعيش على حساب رضا المجتمع فحسب ، كـ شخصيات الساسة مثلا . والعظماء انما هم كذلك بفضل المجتمع وليسوا شيئا في أنفسهم .

والرجل العصري يدرك هذه الحقائق ؛ لذلك نراه يتصيد النجاح عن طريق انضمامه الى كتلة «اجتماعية» ما ، ينتظر منها - بعد اجتهد ونصب - أن ترفعه الى مصاف عظمائها . والحلقات الاجتماعية كثيرة جدا في عصرنا هذا ؛ منها الاقتصادية والسياسية والمهنية والثقافية والعلمية . . . الخ ، وفي داخل كل حلقة من هذه الحلقات نجد الطامحين الى النجاح كثيرين ، ولكن الواصل منهم هو الشخص الذي يكتسب رضى الجماعة فيستطيع بذلك أن يملأ ارادته عليها ، وأن يتكيف بأهوائها وآمالها وأغراضها .

من عدة النجاح في الحياة العصرية اذن التعلق بأهداف جماعة من الجماعات .

٥- الأخلاق العملية :

قلنا في صدر المقال اننا لن نتعرض الى فضائل الأخلاق ، لأننا نعالج الموضوع من جهة نفسية . ونعود الآن فنقرر أننا لانريد أن نتعرض لها تحت هذا العنوان ، انما نريد أن نتعرض هنا لخلق عمليين ؛ قد لا يكونا من الأخلاق الفاضلة في نظرنا نحن الشرقيين ، وان كانا عند أهل الغرب من أمهات الأخلاق وهما : (١) الاعلان (٢) انتهاز القرض ، ويمتاز بهما دائما الرجل الناجح في هذا العصر .

لم تجهل العصور القديمة فن الاعلان ، ولكنه كان وقفا على الملوك ورجال الدين . والطبقة الارستقراطية ، فالتماثيل القائمة والدور الشاهقة والمعابد والقبور

والمسلات والاهرام كلها تبطن معنى من معاني الاعلان ؛ ونجد في العصور الوسطى بعض دول الاسلام يعنى بالدعاية والاعلان للدين والدولة وينصب لذلك وزيرا للدعاية (داعى الدعاة)، نخص بالذكر منها دولة الفاطميين بمصر . ولكن الاعلان في أقوى صورته انما عرف في العصور الأخيرة بفضل انتشار الطباعة والصحافة والسينما والمذيع وغير ذلك من الآلات الناقلة للأفكار .

وأسباب الاعلان وبواعثه « تنازع البقاء »، وان شئنا أن نفصل هذا المبدأ الداروينى في هذا المقام قلنا إنه المنافسة وكسب المال أو الشهرة أو الجاه أو السلطان . وقوام الاعلان عادة « الالحاح » و « المبالغة »، فان التكرار يحدث عادة أو ألفة بالشيء أو المبدأ المعان عنه فتقبله النفس راضية من غير مقاومة، وبدون هذا الالحاح لا يمكن أن يثمر الاعلان ، أما المبالغة فهي وإن كانت مذمومة عندنا نحن الشرقيين إلا انها معمول بها في بلاد الغرب ، فكل اعلان لا ينطوى على مبالغة لم يجتذب أحدا ولم يثراهما، ولكن المهارة عندهم هنا أنهم يبالغون فعلا، ولكنهم لا يشعرون القارىء أو السامع أو الناظر الى الاعلان بتلك المبالغة .

والغرض من الاعلان - وهو بيت القصيد هنا - هو بسط نفوذ الشخصية الفردية (أو المعنوية لهيئة اجتماعية أو اقتصادية أو سياسية . الخ) على أكبر عدد ممكن من الناس ، لأن الاعلان في حقيقته « اقناع » يقوم على الالحاح والمبالغة ، وقد رأينا سابقا الى أى حد يتوقف النجاح في الحياة على فن الاقناع .

والرجل الحديث الذى يمثل روح العصر يقدر الاعلان حق قدره، وهو يضحى بأعز ما لديه في سبيل الاعلان والدعاية لشخصه أو صناعته أو فنه ، وهو واثق بعد هذه التضحية بأنها ستعود عليه بأضعافها . فالاعلان عدة لنجاح الرجل في القرن العشرين ، وهو من أخلاقه العملية التى تجرى في دمه وعروقه .

كذلك من أخلاقه العملية انتهاز الفرص ، والفرص قلما تعود ، لذلك فهو يترقبها ويتصيد ما حتى إذا لاحت لم تفلت من يديه . وقلما يفشل العمل المناسب لظرفه . والآن نستطيع أن نجمل ما تقدم كله في هذه الكلمات : عدة النجاح لرجل القرن العشرين ، هي عقلية علمية عملية ، ونظرة كمية إلى الأشياء ، وشخصية تستطيع أن تقنع وتكيف في سرعة ، وخلق ييسر له الاعلان وانتهاز الفرص . ونحب أن نلاحظ أخيرا أننا لم نصف المثل الأعلى الذى نتخيله لرجل القرن العشرين ، أو الذى نحب أن نرى عليه رجل هذا القرن ، لأننا لو كنا فعلنا ذلك لانتهمنا

إلى نتائج غير تلك ، وخاصة من الناحية الخلقية ، وإنما وصفنا الرجل الحقيقي الذى يمثل القرن العشرين فى عقلية وخلق . فان بدأ هذا الرجل ماديا نفعيا بعيداً عن الأخلاق التقليدية التى أورثنا إياها الآباء من جهة ،والى قومها الدين من جهة أخرى ، فأرجو ألا يحمل الذنب على وألا يضاف الذنب إلى ذلك الرجل ، فهو مضطر أن يتكيف بروح العصر لينال قسطه من النجاح ، وأنا مضطر أن أقف بوصفى عند الواقع المحسوس ، وألا أعدوه إلى المتخيل الموهوم . لذلك لم أسلك الا الطريق العلمى الذى مكنتى ، كما رأيت ، من التعمق فى تحليل نفسية رجل العصر ، ومن الوقوف على عناصر تلك النفسية التى لا تبدو للعين العابرة المجردة .

(٢)

ملخص رسالة

الأستاذ حسين مؤنس

مهدي لرسالتك بالتحدث عما كان الناس فى أواخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين يحسبون أنهم أدركوا الكمال البشرى أو اقتربوا منه على أقل تقدير ، وأنهم قد اتخذوا العدة لكل شئ ، وأن العلم قد انتهى بهم إلى درجة من الارتياح والاطمئنان ، ولكن الحرب العالمية زعزت فى نفوسهم الثقة ، ونزل رجل القرن العشرين عن عرشه إلى الأرض ، وذاق مرارة الفشل والهزيمة واليأس والخيبة ، وانقضت الحرب بويلاتها ونيرانها ، وجلس من نجا من طوفانها يتأمل حاله وما انتهى إليه ، فلم يلبث أن دب فى نفسه الشك فيما بين يديه ، وعاد إلى نفسه شعور البحث عن الكمال ، وعن عدد جديدة للنجاح ، فلم يعد التقى والصلاح والزهد مقاييس النجاح ، بل لم يصبح المال مقياساً صالحاً فهناك الآلاف يشقيهم المال ويملاهم هما وتعباً .

ثم انتقل إلى التحدث عن عدة النجاح لرجل القرن العشرين ، فقال : لا بأس أن يكون الانسان الناجح هائلاً مطمئناً هادئاً ، له عمل ينصرف إليه ويخلص له يؤتبه من الربح ما يسد حاجته من المال ويجعله فى مأمن من نكبات الدهر وأحداث الزمان . ولا بد أن يكون عضواً نافعا فى الهيئة التى يعيش فيها ، وفيه شئ من المنفعة للناس والوطن ، وجانب يستفيد منه اخوانه فى الوطن وزملائه فى الإنسانية ، ويكون فى نجاحه خير للوطن ، وأن يعتبر هذا النجاح ملكاً للوطن يضحى فى سبيله إذا

تطلب الأمر ذلك .

وأن يعرف أن للرياضة البدنية حسنات على الأخلاق بعد البدن ، فقوة الجسم توحى بقوة الخلق ، والرجل الصحيح أميل إلى الخير ، والرياضة تفرس في النفوس حب النظام والميل إلى الحركة والعمل ، وهى تمرين طيب على الصراع فى الحياة والنزول فى ميدانها ، ويفيد بقظة فى الحياة وسرعة إلى انتهاز الفرصة وخفة فى العمل واحكاما فى الأداء ومثابرة فى الطلب وثقة فى النفس .

وأن يكون مؤمنا لا يتسرب أى شك فى إيمانه بالله ، فان الايمان أساس من أسس النجاح ، ويكون مؤمنا بالنفس وبالوطن وبالحرية ، ذا شعور بالمسؤولية والاستعداد لحملها وحسن القيام بها ، فيطالب بالنجاح لأنه يرى أنه جدير به . وأن يكون متفائلا حسن الظن بالدنيا وأهلها يستقبل الحياة فرحا مستبشرا ويسايرها لا يتأفف ولا يشكو ، فلم تعد الدنيا تحتل سخافات الغاضبين عليها والساخطين بشرها .

وأن يلم من كل شىء بطرف ، بجانب ماتخصص فيه ، فيعرف ما يكفيه لأن يتحدث فى الأدب إذا جالس الأدباء ، وما يمكنه من الفهم اذا تحدث أمامه رجال الراديو ، وأن يفهم الشعر ويتذوقه ، ويألف الفلسفة ويلم بها الماما ، وهكذا يكون اجتماعيا يدرس فى الحياة أكثر مما يدرس فى المدرسة والكتاب . ويجتهد فى أن يحصل كثيرا من المعلومات ، مما يتصل بالحياة ، فيعرف البارزين من رجال دولته ويلم بأعمالهم ، ويتتبع سياسة الدنيا عن كسب ليعرف كيف تسير الدنيا .

وأن يتوفر على فهم ناحية الاقتصاديات ، فيعرف أنظمة البنوك ويحيط بعملياتها ومهاتها ، كالإيداع والتحويل والخصم والقطع والأسعار ، ويتفهم أنظمة التأمين وأساليب الربح .

وأن يكون رجلا عمليا لا ينفق وقته فى طول التفكير والتدبير ، ولا يرسل نفسه مع الخيال يطوح به فى سماوات الآمال ومذاهب الأمانى .

وأن يتبع الدقة والنظام فى كل شىء ، فى العمل ، فى الأكل ، فى التنزه ، فى الضحك ، فى الكلام . . .

وأن يكون ذا رأس متزن ، فان الرأس المتزن سر من أسرار النجاح ، ومعناه القدرة على فهم الأمور ومجاراتها والاستفادة منها ، والاستعداد للفهم دائما ،

إذا لم يتحدث في علم صمت ليتعلم وليفهم ، وإذا أشكل عليه أمر لم ييأس ويرتد بل يزن الأمر في رأسه ويدقق فيه حتى يخلص له ، ويقابل الأمور بصراحة ولا يخدع نفسه أو يغرر بها ، ولا يهرب من الواقع ولا يتبعد عن العمل .

وأن يكون رجلاً « مغامراً » لا يخاف الحياة ولا يتوقع الفشل في كل خطوة يخطوها ولا يؤمن بالسير البطيء المشد وانما يفضل القفزات السريعة الطويلة ، وليس معنى هذا أن يكون متهوراً ، بل يفهم بالضبط مدى المغامرة التي سيلقى نفسه بين أحضانها ، ويدقق قبل أن يعقد الصفقة التي أمامه ، فإذا رسخ له نجاحها لم يكن هناك محل للتردد ، بل يتقدم واثقاً مطمئناً .

وليصرف همه إلى تعلم لغة من لغات هذا العصر ، يدرسها دراسة وافية ويحقق الحديث والكتابة والقراءة بها ، حتى يستطيع أن يطال منها على القرن العشرين ، ويفهم أبناء عصره إذا تحدثوا ، ويفهمه أبناء عصره إذا تحدث .

ولا يذهب نفر من لا يفهمون الأمور على وجهها الصحيح إلى أن عدة النجاح لرجل القرن العشرين إنما هي الخداع والكذب والخيانة وترك الفضيلة وازدراء الأخلاق والتقاليد ، فليس أبعد عن الصواب من مثل هذا الرأي : فالفضائل لازالت محبة مؤدية إلى النجاح ، والذائل مكروهة مؤدية إلى الفشل ، ونجاح من الأخلاق لهم قصير العمر لا يلبث أن تعصف به الأيام في لحظات ، لأنه نجاح طارئ أتى بغير اقتدار ، وليس له عدد تؤيده ولا مقومات ينهض عليها ، وصاحبه إذا كان قد أصاب المال والجاه فقد فقد أعز ما في الحياة ، فقد السمعة والضمير والاحساس ، فقد حب الناس وهو جانب من النجاح يحرص عليه رجل القرن العشرين .

ثم ختم بحثه بإيراد عدة الرجل الناجح كما رآها ابن المقفع ، وهي :
من حاول الأمور احتاج فيها إلى ست : العلم والتوفيق ، والفرصة والأعوان ، والأدب والاجتهاد .

وهن أزواج :

فالرأي والأدب زوج ، لا يكمل الرأي بغير الأدب ، ولا يكمل الأدب إلا بالرأي .
والأعوان والفرصة زوج ، لا ينفع الأعوان إلا عند الفرصة ، ولا تتم الفرصة إلا بحضور الأعوان .

والتوفيق والاجتهاد زوج ، فالاجتهاد سبب التوفيق ، وبالتوفيق ينجح الاجتهاد .

ملخص رسالة

الأستاذ فهم حبشى

تحدث عما يتميز به القرن العشرون من التخصص والسرعة والعلوم والفنون والصناعات ، وأن الفرد لا ينجح فيه إلا إذا أعد له عدته ، وتسليح بكثير من الأسلحة التي تعينه على البقاء وتكفل له الفوز ، وأن النجاح هو الغنى لا الفقر ، والشهرة لا الضعة ، والقوة لا الضعف ، والصحة لا المرض ، والسعادة لا الشقاء ، وإدراك النجاح في تناول الجميع إذ سعوا إليه ، وتفهموا أسرارهم ، وأدركوا قواعده وأصوله ، وقد خلق الله كل فرد ليؤدي في الحياة رسالته ، وفي وسع كل شخص أن يقوم بجلال الأعمال ، وقواعد النجاح ثابتة لا تتغير ، وأسراره هي :

١ - الدراسة النفسية ، لمعرفة القوى الكامنة والمواهب الخفية التي تبحث بالثقة ، والإيحاء الذاتي وقوة الإرادة ، فيخلق المرء في ذهنه صورة كاملة من غرضه الذي يسعى إليه ، ثم يعمل على تحقيق هذا الغرض مادياً بما يراه كفيلاً لذلك ، بنفس وثابة وعزيمة ثابتة .

٢ - الصحة ، فالعقل السليم في الجسم السليم .

٣ - العلوم والثقافة ، فالرجل الناجح هو ذو الثقافة المتجددة ، ويزداد نجاحه تبعاً لازدياد معارفه ، ويخطئ من يظن أن إجازات الجامعات كافية للنجاح ، فشهادة الدراسة غير شهادة الحياة ، ويبدأ التعليم الحقيقي للفرد بانتهاء تعليمه الجامعي .

٤ - الأخلاق ، فالخلق تاج الحياة ، وعظمة النفس ، وهو فوز الإرادة على الأهواء ، ومقياسه ألا يعمل الإنسان في السر ما يستحي منه في العلانية .

٥ - الإخلاص في العمل ، فحب العمل والتفاني في اتقانه يتبعهما النجاح و بروز الشخصية ، وزيادة الموارد وقوة النفوذ .

٦ - البيت والأسرة ، فللحياة البيتية الأثر الكبير في حياة الفرد ، فهي إما أن تضاعف قواه وتزيد من همته ونشاطه ، وإما أن تذهب بها جميعاً ، وسر القوة في الرجل الناجح ليست في عقله فقط ، ولا في ماله ، وإنما تتمكن في قلبه ، وقلب الرجل في منزله ، والنجاح في المدرسة وفي العمل وفي الحياة العامة ، يتوقف على

الهناء فى الحياة العائلىة .

وختم ببحثه بأن ما ذكره هو عدة النجاح لرجل القرن العشرين .
ثم تحدث عن الحظ؛ فقال لم يكن الحظ ولن يكون عاملا من عوامل النجاح ؛ وإنما
حظك بيدك ، ونجاحك نتيجة حتمية لما بذلت من جهد ، وما قاسيت من عناء .
والنجاح المفاجئ قد يظنه الجاهل حظا ، وما هو إلا فرصة سنحت فانتهازها
الناجح وانتفع بها ، نتيجة لمجهود كبير واستعداد خاص ؛ وقد تسنح الفرصة نفسها
لغيره فلا يعنى بها ولا ينتبه اليها .
والحقى هم الذين يعيبون على الناس نجاحهم ؛ وينسبون هذا النجاح الى الحظ ،
ليتخذوا من ذلك عذرا يعتذرون به عن فشلهم الذريع وخلةهم الناقص .
وعندى أن كل عمل تقوم به عن نية خالصة ؛ وقلب صادق ؛ وعزيمة ثابتة
لا بد أن يكلل بالنجاح .

(٧)

الموضوع السابع

تدعيم الحياة الدستورية والوحدة الوطنية وتكوين الوطنى المستنير

* * *

(رأت اللجنة أنه لا يوجد بين الموضوعات التى قدمت اليها ما يستحق
أية جائزة ، فقررت عدم منح الجوائز)

(٨)

الموضوع الثامن

ترقية الفلاح اجتماعيا

اجتمعت اللجنة بكامل هيئتها، وحصرت الموضوعات التى تقدمت
اليها وعددها ١٦٧ ، ووالت اجتماعاتها حتى أتمت دراستها ، ولاحظت
اللجنة أن ضيق الوقت لم يساعد على درس هذا الموضوع الخطير وبحشه
من جميع نواحيه بحيث يشمل استخلاص أسباب انحطاط الفلاح وطرق

علاجها على نمط شامل يصح تنفيذه .
لذلك اختارت من بينها أمثلها وأدناها الى تحقيق الغرض المطلوب ،
وقررت أن تمنح الجوائز الى أربعة ، وهم :

جنيها

٥٠

١ - الأنسة ابنة الشاطيء

٢٥

« صحفى »

٢ - الأستاذ عبد الوارث كبير

٢٥

المحامى

٣ - « عزيز خانكى بك

٢٥

« صحفى »

٤ - « يوسف فهمى

رئيس اللجنة

(محمود عبد الرازق)

٢٣ ابريل سنة ١٩٣٦

(١)

رسالة الأنسة ابنة الشاطيء

نبذة تاريخية :

فكرة الاصلاح الاجتماعى ليست وليدة هذا العام ، وإنما هى رغبة قديمة ظلمت
لا تعدو دائرة الاحلام حتى تحققت أخيرا على يد دولة على ماهر باشا ، وهو أحق
الناس بتحقيق الفكرة وأقدرهم على حمل الرسالة ، وما كان لهذه الرغبة أن تموت
ومصر أمة تعتمد فى ثروتها على الزراعة ، وترى فيها الحرفة الرئيسية لثلاثة ملايين
ونصف مليون نسمة من رجالها ، وما كان لهذا الأمل أن يخيب وحياة مصر تكمن
فى الأرض التى قال عنها المرحوم حافظ ابراهيم : « ونحن نمشي على أرض من
الذهب » .

أدرك المصريون هذه الحقيقة منذ آلاف من السنين ، فكانت العناية بشؤون
الرى موضع اهتمام الحكومات دائما ، وكان بناء القناطر والسدود وخفر الترع
سياسة أساسية عند كثير من الفراعنة فحول مينا مجرى النيل قرب منفيس فى القرن
الثالث والثلاثين قبل الميلاد ، وأنشأ امنمحت الثالث خزان بحيرة مورييس فى القرن
التاسع عشر قبل الميلاد ، وأدخل المغفور له محمد على باشا زراعة القطن والقنب

سنة ١٨٢٠ م ، ثم شرع في بناء القناطر الخيرية في أواخر عهده . وفي سنة ١٨٥٢ م أصدر المغفور له سعيد باشا قانون الأراضي الشهير الذي أصبح به الفلاح لأول مرة ، المالك الحقيقي لما يفلحه من الأرض .

وحفر المغفور له اسماعيل باشا كثيرا من الترع والقناطر ، وأصلح من الأرض ما لا تقل مساحته عن مليون ونصف مليون من الأقدنة . ثم أنشئ خزان اسوان سنة ١٩٠٢ م لتعقبه مشروعات الري العجيبة التي تمت في عهد جلالة مولانا الملك فؤاد الأول حفظه الله . وفيما عدا مشروع الأراضي ومشروع دولة محمد باشا محمود سنة ١٩٢٩ ، لانكاد نجد بين المشروعات التي تمت في خمسة آلاف سنة ، مشروعا جديا يتناول حياة الفلاح بالاصلاح ، وينهض بها إلى مستوى معقول ، فكانت النتيجة الطبيعية المعقولة لهذا التغافل ، أن ظل الفلاح قرونا عدة يرزح تحت أعباء ثقال من انحطاط يصعب وصفه وتصوره .

لقد قدس أجدادنا ماء النيل ، فنسوا اليد العاملة التي تستغل الحياة الكامنة فيه ، كما ألهمنا السحر العجيب الذي ينفثه النهر في صميم الصحراء الملتببة فيجعلها جنة ناضرة ، عن المخلوق المجاهد الذي أظهر عظمة النيل ، وأتاح السبيل لتحقيق معجزة وجود الجنة المصرية بين ذراعين ملتببتين من الرمال التي تغلي الدم وتصهر العظم ، وفي مثل هذا يقول العلامة الألماني فريد ريش آرابو : « لقد تعودنا أن نفرض الخصوبة الأرض المسكنة الأولى في تحديد الانتاج ، أما حياة الفلاحين ، وقوتهم التي لا تنتج الأرض بدونها محصولا مهما حسنت ، فاننا ننزلها جميعا في المرتبة الثانية من التفكير . » (١)

واليوم . . . يتحرك قلم التاريخ ليسجل أن الحكومة الماهرة تعمل على اصلاح الفلاحين لتتيح لهم حياة ممكنة معقولة ، وأنه قد آن لتلك الفئة الشقية المجاهدة أن تظفر بنصيبها من الحياة .

أثر انحطاط الفلاح في الأمة :

وأثر انحطاط الفلاح في الأمة واضح ، فمن غير المعقول أن تنهض مصر الزراعية وفي جسمها هذه الأعضاء المريضة المهتمة ، وأن تسير القافلة وفيها بضعة ملايين من القرويين ، يحيون حياة مظلمة ، أخشى أن نصبح ونمسي فاذا بها تحمل العوامل الهدامة في مجد مصر الذي قام على أسنة القنوس .

(١) تطور الزراعة وارتقاؤها .

نلمس هذا الأثر ، في ضعف اليد العاملة وقلة الانتاج والنزوح إلى المدن ،
فالفلاح يبذل في عملية زراعية من الجهد ، أضعاف ما يبذله فلاح قوى صحيح
الجسم ، فليس عجباً أن تستورد مصر الزراعية في سنة واحدة - ١٩٣١ - دقيقاً
بمبلغ ١١٦٧٠٠٠ جنيه وأرزاً بمبلغ ٢٥٨٠٠٠ جنيه ، وقمحاً بمبلغ ٢١٥٠٠٠ جنيه ،
وجنباً بمبلغ ٣٠٥٠٠٠ جنيه ، وسكراً بمبلغ ٣٨٠٠٠ جنيه ، وهي محصولات زراعية كان في
استطاعة الفلاح أن يمدن بها لو أنه يحيا حياة صالحة ، وليس عجباً أن ينزح الفلاحون
إلى المدن وفيها عيش وماء نقي وهو ميسور ، ولقد سجل التعداد الأخير أن سكان الحضر
يزيدون على حساب سكان الريف بنسبة تسترعى النظر ، وتستدعى ضرورة اتخاذ
الوسائل لتلافى ذلك ، فقد زاد عدد سكان القاهرة وحدها ٢٧٣٦٢٨ نسمة في
عشر سنوات (١٩١٧ - ١٩٢٧) منهم ٧٦٧٠٧ نسمة نشأت عن زيادة المواليد ،
والباقون وعددهم ١٩٦٩٢١ نسمة نزحوا إلى الحضر الذي لا يحتمل الزيادة حيث
يحترفون أحقر المهن وأبسطها ، يدللون الأطفال ، ويخدمون في البيوت ، ويبيعون
ورق النسيب ، تاركين الأرض المحتاجة إلى سواعد أبناء الريف الأشداء .

نواحي الانحطاط :

وليس من العسير علينا أن نهتدى إلى نواحي الانحطاط في القرية ، بالرغم من
نشعبها وكثرتها ، فالماء غير النقي الذي يغتسل به الفلاح ويشرب منه ، كما
تشرب البهائم والدواب ، يحمل إلى جسمه جراثيم أمراض تسلبه قواه ، والفلاح
غالباً لا يعرف من الطعام إلا ما يسد الرمق ، ولو لم يمد الجسم بحاجته من عناصر
الغذاء ، ومن اللباس إلا ما يستر العورة ، ولو لم تكن له النظافة الواجبة للإنسان ،
ومن المسكن إلا المكان الضيق المظلم الذي يأوى إليه هو وأولاده ودوابه جميعاً ،
ولو لم يتوافر فيه ما يجب للمساكن من ضوء وهواء نقي واتساع ، ثم هو بعد ذلك
جاهل تسأله متى ولد فيجيئك : « يوم مات عمى فلان ! » ، ينحصر تفكيره في
النيل وحاصلاته ، ويكاد يحيا بعيداً عن مجرى الحياة المصرية ، يعتقد في التعاوين ،
ويؤمن بالخرافات ، ويتخذ إلى رغباته وسائل خرافية ، ويصاب طفله بالمرض
فيقول إن أصابته ناشئة من الجن أو الحسد .

برنامج الإصلاح :

الآن وقد بسطنا نواحي انحطاط الفلاح ، لننتقل إلى البحث في رفع مستوى

معيشة الـزراع ، وهى مسألة تقتضى تعاون الامة ، حكومة وشعبا ، على تمهيد حياة صالحة للفلاح الشقى المجاهد .

فتعمل الحكومة على زيادة انتاج الفلاح عن طريق النهوض بصحته ؛ فتنقذه من المياه الملوثة ، ولو كلفها ذلك انشاء مضخة بسيطة فى كل قرية ؛ تمد الفلاح بماء نقى يقيه شر الحيات والامراض ؛ وتردم البرك والمستنقعات التى تحمل عوامل الفتك بالفلاح المسكين ، وتترج فى تصميم المستشفيات القروية لان النهوض الاجتماعى للفلاح لن يقوم الا على اساس متين من حياة صحية ؛ وهذه حقيقة أحسن بها دولة محمد باشا محمود فمنحها من عنايته واهتمامه ماسوف يذكره له التاريخ فى عهد وزارته سنة ١٩٣٩ ، وضع دولته برنامج الاصلاح الصحى فى القرى ، ثم شاء سوء حظ الفلاح أن يحفظ البرنامج بعد استقالة الوزارة المحمدية ، ولو قد نفذ لتمهدت للفلاح حياة صحية ولخف عبء الاصلاح الآن ، والرأى عندنا أن تشجع الحكومة بناء المساكن الصحية بأن يمنح كل فلاح ، يريد بناء دار جديدة ، قطعة أرض من أملاك الدولة القريبة من قريته ، مساحتها أربعة وستون مترا ، ويشترط فى هذه المنحة ، بناء الدار طبقا لتعليمات صحية خاصة ؛ وتكون الفائدة أعم ، لو اجتهدت الحكومة فى جعل المساكن الجديدة متقاربة ، بأن تخصص قطعة من الأرض لمشروع المنحة ، لكل عدد قليل من القرى المتقاربة ، فان لم يكن للدولة أملاك فى منطقة ما ، يخصص مبلغ أربعة آلاف جنيه سنويا ، لشراء ستة وسبعين فدانا ثمن الفدان أربعة وخمسون جنيه فى المتوسط ، تخصص لبناء خمسة آلاف مسكن جديد ، (لكل مسكن أربعة وستون مترا مربعا) زيادة على الأرض التى تمنح للفلاحين القادرين على البناء وتكون من أملاك الدولة .

وفى الوقت الذى تصالح فيه القرى الحالية ، نوجه أنظارنا الى انشاء قرى جديدة فى المناطق البور التى يجرى اصلاحها الآن فى شمال الدلتا ، فهى المنفذ الوحيد لتخفيف الضغط عن الأرض الزراعية المحدودة المساحة ، والتى يسكنها ٩٩ فى المائة من مجموع سكان القطر المصرى (١) ، ولتخفيف ضغط الهجر عن المدن الكبيرة التى تكاد تضيق بسكانها ، ولايجاد عمل منتج لآلاف القرويين ولشباب الشبان المتعطلين . ويجب تسهيل الانتقال للفلاح وأسرته ومواشيهم الى المناطق الجديدة ، واعتبارا انشاء القرى الصحية جزءا من برنامج اصلاح الأراضى البور ، فان

(١) تقويم الحكومة المصرية لسنة ١٩٣٥

هذه السياسة الانشائية ، تغرى القرويين بالنزوح الى المناطق الجديدة ، حيث يحيمون حياة غير الحياة التي يتخبطون في ظلامها الآن . ويتخلص جمال الريف فيها من شوائب القذارة والمرض فيغرى الأعيان المزارعين بالاقامة هناك ، وليس أدل على علاقة كمية الانتاج بحياة الفلاح من أن محصول الفدان في تفتيش الفاروقية التابع للخاصة الملكية ، بلغ اثني عشر أردبا من القمح ، وثمانية قناطير من القطن .

وتشجيع الصناعات القومية القائمة على الزراعة . بحمايتها من المنافسة الأجنبية ، من شأنه انماء ثروة الفلاح حين يزداد الطلب على المحاصيل الزراعية ، ومتى توفر للفلاح شيء من المال ، بالاصلاح الصحى وزيادة الطلب ، استعان به على اصلاح حياته .

ويدخل في باب توفير المال للفلاح ، تخفيض نفقات الانتاج عن طريق تخفيف الضرائب وجعلها مرنة تخضع لظروف الزمان والمكان ، وتسهيل وسائل نقل المحاصيل الزراعية بتخفيض أجور النقل وإيجاد أسواق خارجية لها ، لأن ربيع الأطنان لم يعد كافياً لتكاليف الزراعة ودفع الأموال الأميرية . ونفقات الفلاح وعائلته ، وهى حالة أليمة وصفها مزارع في نكتة بارعة حين كتب إلى وزير المعارف يستعطفه في قبول ابنه مجانا فقال : « اننى أعول خمسة أولاد وخمسة أفدنة . . »

ومن وسائل تخفيض نفقات الانتاج ، تعميم الجمعيات التعاونية وتشجيعها ومساعدتها بالقروض الطويلة الأجل المعتدلة الفائدة ، فالتعاون هو سر غنى الدانمرك التي ضنت عليها الطبيعة بأسباب الرخاء ، فهى خالية من الفحم والمعادن وأحجار البناء والأتجار الصالحة للملاحة والقوة المائية ، وترتبط فى الجملة ليست خصيبة ، ولكنها احتالت على فقرها بالتعاون فكان لها نعم المعين . تستطيع الجمعية التعاونية أن تجمع الأموال وتشتري الآلات الزراعية وتجمع غلات أعضائها وتبيعها صفقة واحدة فى أنسب الأوقات ، وتشتري البذور بسعر الجملة وتوزعها عليهم ، وفى هذا ما فيه من انماء ثروة الفلاح .

والفلاح لا يذله الاضيق ذات يده ، فلو استطعنا أن نزيد فى انتاجه ، ونخفض نفقات ذلك الانتاج ، وتوفر له شيء من المال شعر بانسانيته ، وتساهى الى حياة أنظف وأهنأ من حياته الراهنة .

وللتعليم الزراعى أثر كبير فى النهوض بالفلاح ، ونحسب أنه قد آن الأوان

لكي نهتم به وننشر ثقافته في مصر الزراعية ، وليس من شك في أن مدارس الزراعة الحالية ، فضلا عن تفاهة عددها ، لا تخرج لنا فئة من الزراع المثقفين ، بل يتطلع طلبتها جميعا للاستخدام في الحكومة ، فهم يلتحقون بها بعد اتمام الدراسة بالمدارس الابتدائية التي قال عنها مترمان : « انها تثقف تلاميذها ثقيفا نظريا ، وتكسبهم عادات المعيشة في المدن ، وهذا عمالا ينشط على الاحتراف بالزراعة » (١)

ومن أبسط الطرق العملية لنشر الثقافة الزراعية في القرى ، تحويل برامج المدارس الالزامية في القرى ، وجعلها مكاتب زراعية أولية ، يراعى فيها تقارب بيتي الدار والمدرسة ، فلا يكلف الصبية لباس خاص ، بل يكتفى منهم بالنظافة ، وفي هذه المكاتب يكون منهج الدراسة ذا شجبتين ، الأولى نظرية يتعلم الصبي فيها القراءة والكتابة والدين ومبادئ الحساب ، ويتم بتدريس هذه المواد مخرجو مدارس المعلمين الأولية ، والشعبة الثانية عملية توجه الصبي توجيها زراعيا صالحا بدرس أراضي مصر وجوها ومناسبتها لنمو الحاصلات ، والآلات الزراعية وكيفية استعمالها ، وتغذية المواشي وانتخابها ، وتخزين المحصول ، والصناعات الزراعية ، ويقوم بتدريس هذه المواد الحاصلون على شهادة الزراعة المتوسطة .

وتدرس الفتاة القروية ، الطرق الصحية النظيفة لحلب اللبن وتخديره وصناعة منتجاته ، وتربية الطفل ، وتربية النحل ودود القز والماشية ، وبعض الصناعات الريفية الراححة . أما مادة علم الصحة فتدرس عمليا بحيث تتناسب درجات التلاميذ فيها ، مع نظافتهم الشخصية لا مع قدرتهم على الحفظ . وتبقى المدارس الالزامية في المدن لتعد تلاميذها للمدارس التحضيرية ومدارس المعلمين الأولية . أما في القرى فهي فضلا عن كونها نظرية محضة ، تبث في الطفل القروي روح الغرور ، وتغريه ببغض الفلاحة والتطليع إلى مدارس المعلمين ، مادام يعرف تاريخ الاسكندر الأكبر وحياة الاسكيمو !

والارشاد المنتج وسيلة محققة الفائدة لترقية الفلاح ، ولن يكون الارشاد منتجا الا إذا سهل على الفلاح فهمه وتنفيذه ، فبجانب طرق الارشاد التي تتبعها وزارة الزراعة ومصلحة الصحة ، تضع مصلحة الشؤون القروية نظاما خاصا للاذاعة في القرى ، يراعى فيه جهل القرويين وكثرة مشاغلهم ، وتلقى بوساطته محاضرات بسيطة في الارشاد الزراعي والصحي ، مع شيء من الأغاني الريفية

(١) تقرير عن بعض نواحي التعليم في مصر

والقصاص السهلة المسلمية : والقرآن الكريم ، فيتطلع الفلاح إلى حياة أخرى ، ويحتال على تحسين طعامه بالأكثار من أكل الخضراوات النظيفة والفواكه الرخيصة الثمن : ويتقى الأمراض والحشرات بتعريض الفراش والملابس لأشعة الشمس المطهرة : ويهتم بنظافة جسمه وثيابه ومنزله ، ويحتال على تنقية المياه بالزير أو الغلي أو الارساب حتى يتم للحكومة توفير المياه النقية في القرى .

وتستطيع الحكومة أن تنهض بالقرية عن طريق بث روح النشاط فيها ، فتختار بعض القرى لإنشاء معامل الألبان والتفريخ ، ومصانع تجفيف الفواكه وعمل الصلصة والمربات ، ويفرض على عمالها وموظفيها أن يقيموا في القرى ليعثوا فيها روح النشاط ، ويكون منهم ومن أسرهم عنصر جديد في القرية ، يهذب خشونة الحياة فيها .

على أنه ليس من الهين على الحكومة أن تقوم بإصلاح القرية؛ وكل ما فيها يحتاج إلى الإصلاح ؛ ولكن تعميم المجالس القروية من شأنه تخفيف العبء والمساعدة على ترقية الفلاح ؛ وتمتاز المجالس القروية عن الهيئات الحكومية بأنها مركزية ، تعرف من شؤون القرية ونواحي الانحطاط فيها ما لا يتيسر للحكومة معرفته ، فهي بحكم اتصالها بالقرى ، أقرب إلى فهم الفلاحين وأقدر على إصلاحهم . وللدولة أن تنفع بنشاط الجمعيات الزراعية في مصر ، فتغريها بالمساهمة في ترقية الفلاح ، عن طريق الاعتراف لها بالشخصية المعنوية ، وتقدير رجالها العاملين .

واجب كبار الملاك :

ان تستطيع الحكومة أن تقوم بالإصلاح في ضياع الملاك ، والفلاح هو اليد الوحيدة التي تحيل أراضيهم الزراعية باذن الله ذهباً نضاراً يتيح لهم ما يشعرون به، وكان يجب ألا يشقى في أمة زراعية ، لولا أن كبار الملاك يفرون من القرى ويتغافلون عن واجبهم نحو الفلاح .

قبل أن يشهر «موسوليني» الحرب على الأراضى البور في بلاده ، وقف يقول : « ستنفق الدولة ملايين الجنيهات ، وتستخدم مئات الألوف من العمال ، فهذه الجهود يجب أن تقابل بجهود مثلها من الأهالى ، لأنه لا يليق بهم أن يقفوا جامدين أمام جهود الحكومة . فإذا ما ثبت أن صاحب الأرض طيان عاجز مالياً عن القيام بعملية الإصلاح ، تمدد الحكومة بالمال اللازم بفائدة معتدلة ، وعلى أقساط متباعدة »

مضى شرعت الحكومة في تنفيذ برنامج الإصلاح ، كان من حقها ومن حق الفلاح على كبار الملاك أن يقوموا بإصلاح ضياعهم ، فالملكية العقارية أخذت تتحول شيئاً فشيئاً عن صفتها كحق شخصي للفرد ، لتصبح وظيفة اجتماعية ، وواجباً على الفرد نحو الجماعة ، وقد سبقني إلى هذا الرأي حضرة الأستاذ عبد الرحيم بك غنيم حين قال في محاضراته عن ملكية الأفراد والمصلحة العامة (١٨ من نوفمبر سنة ١٩٣١) : « حائز الثروة أصبح بحكم حيازته لها قادراً على أداء خدمة لا يستطيعها سواه ، فهو وحده القادر على إنمائها ، ولهذا الاعتبار لا مانع من تدخل الشارع في حرية المالك كما حصل في فرنسا بقانوني ٦ من أكتوبر سنة ١٩١٦ ، ٤ من مايو سنة ١٩١٨ وقد اعتبر شراء الأراضي وتركها بوراً ، لغرض المضاربة ، جريمة » وهي القاعدة التي اتخذها الشارع الإيطالي أساساً لإجبار المالك على إصلاح ضياعهم وأراضيهم البور .

في استطاعة كل مالك ، أن يبت في قريته روح النظافة والرقى ، وأن يهيئ لمزارعيه حياة صالحة ، إذا تنازل عن بعض دخله من الضيقة ، لينفقه في إصلاح الأجسام المهتمة التي تخدمه وتخلص له ، ويمد آلاته الآدمية بالقوة والنشاط ، فيزيد إنتاجهم وتنمو ثروته .

إن من مصلحة المالك ، وكل مقيم في هذه البلاد ، أن يكون الفلاح ، كما قال سعادة وزير المالية : « بعيداً عن أحضان اليأس ، وألا تبدو عليه علامات السخط ، إذ أن جهوده هي وحدها مصدر الخير والبركة للجميع ، فمن حقه إذن أن نمنحه العطف ، وأن نهبه العناية الكفيلة برخائه » .

والمالك مطالب أدبياً بالاشراف على حياة مزارعيه ، يزور دورهم ويتصل بهم اتصالاً مباشراً ، ويزودهم بالنصائح السهلة ثم يراقب تنفيذها ؛ والمتعلون مطالبون بمثل هذا في قراهم ، لأنهم أقرب إلى قلوب الفلاحين من الموظفين والملاك ؛ فيقاومون الخرافات والأوهام السائدة في القرى ، ويرشدون الفلاح إلى الحياة الصالحة بالنصائح والقُدوة الحسنة .

ويؤدي الاتصال بالفلاح إلى نتيجة أخرى ذات أثر كبير في النهوض به ، وهي إشعاره بعدم حقارة مهنته ، فلسنا نغالي إذا قلنا : إن الفلاحة ينظر إليها في مصر كمهنة جديرة ، مع كونها المهنة الرئيسية في البلاد ، نشأت هذه الفكرة عند الفلاح لشعوره باحتارنا الفلاحة ، وفرارنا من الزيف ، وهو وإن بقي في القرية لا يكاد

يشعر بما يجب عليه نحو نفسه من نظافة واهتمام ، وكأشما ألهاه شعوره بحقارة
مهمته عن الشعور بانسانيته .

إن أبناءنا فى الغد القريب سوف يضطرون إلى الاحتراف بالزراعة ، لأن
التعليم النظرى لن ينجح مادامت مئات الألوف من الطلبة فيه يطعمون فى الوظائف
التي لن تتسع لكل متعلم فى البلاد ، فواجب أفراد الطبقة المستنيرة المتصلة بالفلاح ،
أن يمنحوه شيئاً من عطفهم وتقديرهم حتى يشعر بانسانيته ، ويجتهد فى تهذيب حياته
الحشنة المظلمة .

وبعد فيقتنى أن الفلاح إذا أتيجت له حياة معقولة بتوفير المال له ، ونشر
الثقافة الزراعية فى القرى ، ونقل بعض النشاط إليها ، وتعميم المجالس القروية والجمعيات
التعاونية ، إذا تم ذلك كله فسوف يتطلع الفلاح إلى النور ، ويومئذ يحق لنا أن ننظر
إلى المستقبل نظرة الثقة والاطمئنان ، مادامنا قد أقمنا نهضتنا الزراعية على أساس
من إصلاح الفلاح ، ويومئذ تبرغ من الريف أشعة القوة والمجد والثراء ، تغمر
الوادي كله مؤذنة بانبثاق فجر النهضة من جديد ، ومبشرة بيوم صحو جميل ، والله
ولى التوفيق .

(٢)

ملخص رسالة

الأستاذ عبد الوارث كبير

تتلخص فكرته فى أن « ترقية الفلاح » واجب اقتصادى ، كما أنها واجب إنسانى ،
وقد مهد لحديثه بذكر أخطار الهجرة الريفية إلى المدن التي تحرم الريف من خيرة
أهله ، وتضيف إلى جيوش العاطلين جيشاً جديداً يهدد الأمن والنظام ، فترقية
الفلاح واجب اقتصادى لا مفر منه لمصلحتنا نحن الذين نعيش على أكتافه وسواعده .
ورأى لترقية الفلاح عدة نواحي : مادية وصحية وأخلاقية وعلمية ، لا بد من
الاهتمام بها جميعاً .

فالناحية الاقتصادية تعالج بنشر التعاون وتنظيمه ، والنظر إليه كوسيلة لتضافر
الجهود واجادة الانتاج وانقاص النفقات وتبادل الثقة وتوحيد الجهود ، لا كنظام
مادى محض ، ووسيلة للاستغلال الظالم .

واصلاح القرية المصرية يجب أن يكون فى مقدمة ما نعى به لترقية الفلاح ،

ويكون ذلك بهدم القرى الموجودة الآن تدريجياً. وتدير قرى أخرى جديدة، تراعى فيها نظم التهوية ، وكل ما يمكن توفيره من الوسائل الصحية ، مع العناية بتطهير ماء الشرب ، بإرشاد الفلاحين إلى وسائل الوقاية من الميكروبات التي يحملها ماء الشرب ، وتجهيز أحواض لترشيح الماء بخزنه فيها مدة كافية لقتل أجنة الجراثيم ، ويدخل في الإصلاح الصحي ردم البرك والمستنقعات والاكتثار من المستشفيات المتنقلة والمجالس القروية ، وتنظيم محاضرات صحية تلقى في القرى والريف بواسطة الأطباء، أو معلمى المدارس الإلزامية، أو أئمة المساجد أو مندوبى المصالح وأما الناحية الخلقية والدينية فأمر هين لا يكلف الحكومة عشر ما يكلفها الإصلاح المادى والصحي ، والتعاون وسيلة لهذا الإصلاح ، وكذلك المحاضرات الأخلاقية المختارة ، ولجان للمصالحات من أهالى كل قرية ، وإنشاء نواد قروية متعددة. وأخيراً نفكر فى القضاء على الأمية بإنشاء فصول ليلية فى المدارس الإلزامية للكبار من الأميين ، أو تنظيم حلقات للتعليم عقب صلاة المغرب أو العشاء فى المساجد .

وختم بحثه بالتنبيه إلى وجوب إلغاء الامتيازات الأجنبية والتحرر منها، ليتوفر المال للمشروعات الريفية المرجوة

(٣)

ملخص رسالة

الأستاذ عزيز خانكى بك

تتجه فكرته الى أن ترقية الفلاح اجتماعياً منوطة بأمور جوهرية ثلاثة :

أولاً - تهئية الأسباب التى تكفل الصحة له ولزوجته ولأولاده

ثانياً - » » » » له ولعائلته الترية العقلية والأدبية

ثالثاً - » » » » العيش فى شىء من الرخاء

فعن النقطة الأولى ، يجب تنقية مياه الشرب « بدق طلمبة أو طلمبتين فى كل عزبة ، ودق الطلمبة لا يكلف أكثر من عشر جنيهات ، ثم العناية بمسكن الفلاح الذى لا يدخله شمس ولا هواء ، ثم العناية بملابس الفلاحين الرثة القذرة ، وذلك بتمكينهم من تغيير ملابسهم ولو مرة كل أسبوع . » . وبلى ذلك وجوب العناية بأمم المأكلى « فيفيض النحاس ولا يشترى الماء كولات المكشوفة المعرضة للذباب »

مع عمل حمام للرجال وآخر للنساء في كل عزبة، وإنشاء مراحيض لكل من الجذنين ، ومكافأة حفاء الأقدام ، ومحاربة الحكومة للحشرات والآفات « من طريق العناية بنظافة مساكن الفلاحين وملابسهم ، بتطهيرها من الفيران والبراغيث والقمل والناموس والذباب ، وردم البرك والآبار والسواقي المهجورة ، وتفهم الفلاح أن الغبار والأتربة إذا دخلت أنوف الأولاد أو حلوقهم نالت إليهم جراثيم السل الرئوى ، وإرشاد الأمهات (وإجبارهن عند اللزوم) ، على محاربة القمل من طريق دهن الرأس بالجاز وغسله بالماء الساخن والصابون ثم تمشيطة جيداً ، وإن لم تنفع النصائح والإرشادات يكون تنفيذ كل هذا من طريق التشريع . »

ويدخل في الإصلاح الصحى وجوب تحديد ساعات العمل ومكافحة الرمد وتوفير العناية للأمهات الحوامل ، والأطفال الصغار « بتعيين أطباء جواله يطوفون على العزب ويزودون الفلاحين بالمواظع والإرشادات ، فإن درهم وقاية خير من قنطار علاج » وكذلك يحارب الشاى الأسود وتعدد الزوجات .

وعن النقطة الثانية ، يرى إنشاء كتاب في كل ناحية وجعل التعليم إلزامياً ، وتشجيع الفائزين بجوائز مالية أو أدبية ، « وليس من الغلو فى شىء تخصيص جريدة يومية أو أسبوعية فى كل عزبة ليكون الفلاحون متصلين بسير الحوادث التى تجرى فى بلادهم ومتابعين أخبار الزراعة والتجارة وسائر الشؤون التى تهمهم » ويعرف الفلاح حقوقه وواجباته ليدفع عنه ظلم الأغنياء واستبداد الحكام ، ومنع الاعتداء على الفلاحين ، لأنه يقتل فى نفوسهم كل عاطفة نحو وطنهم وأولياء أمورهم ، وتلقى نصائح دينية وأدبية على الفلاحين ولو مرة كل أسبوع ، ويقام مصلى فى كل عزبة ، ويعمل على إزالة أسباب العداء بين العائلات ، ويمكن شبان الريف من زيارة المدن الكبيرة المجاورة لهم »

وعن النقطة الثالثة ، يرى إعفاء الممتلكات الصغيرة - أقل من فدان - من الأموال الأميرية ، أو تخفيضها الى الربع ، وتخفيض فوائد البنوك الفاحشة ، وترحيل الفلاحين من الجهات المكتظة بالسكان إلى الجهات الخالية ، وتوزيع الأطنان البور على الفلاحين وتمليكها لهم ، ومكافحة الحرائق واستيراد المواشى من البلاد المجاورة ثم بيعها للأهالى بالتقسيط ، وتخفيض إيجار الأطنان بحيث ينال الفلاح صافى ثلث خيرات الأرض على الأقل ، وتخفيض رسوم التقاضى الباهظة ، وتمكين المالك من استرداد ملكيته بعد نزعه فى بحر سنة مقابل رد الثمن والمصاريف ،

وتقرير إعانة للفلاح إذا عجز عن العمل ، وتقرير معاش لزوجته وعياله إذا مات فقيراً . ويمكن توفير المال لذلك « بنخصم قرش من أجرة الفلاح كل أسبوع ويضاف إليه خمسة قروش كضريبة سنوية على كل فدان : وقرش صاغ عن كل قنطار قطن أو أردب قمح أو شعير أو ذرة النخ »
وختم بحثه بوجوب العمل على إيجاد حزب للفلاح في البرلمان يدافع عن مصالحه الزراعية والمالية والصحية والأدبية .

(٤)

ملخص رسالة

الأستاذ يوسف حلمي

أعد برنامجاً رأى أنه يكفي لإصلاح الفلاح في عشرين عاماً ، وهو يتركز في نقطتين :
١ - تعليم الفلاح وتثقيفه وتهذيب أساليبه معيشته وعمله .
٢ - رفع مستوى معيشته إلى الحد الذي لا تحدث معه الأزمات الاقتصادية رد فعل قد تترتب عليه نتائج ضارة

وأول البرنامج ، التكوين الصحي للفلاح بإنشاء القرية المثالية أو النموذجية ، واستئصال مصادر الأمراض والأوبئة بردم البرك والمستنقعات ، وإنشاء ملاجئ الشفاء والرحمة تفرع منها مراكز طبية متنقلة في شكل بعثات لمقاومة الأوبئة ، ونشر الدعوة الصحية ، وتوزيع الأدوية بأسعار رخيصة ، وإنشاء مطاعم للفلاحين كقطاع الشعب

والإصلاح التعليمي يكون بنشر التعليم الزراعي والتعليم الإلزامي مع تغيير برامجه وتهذيبها ، ويجب ألا يباح للفلاحين حق التعلم واقتحام الجامعة اباحة مطلقة ، بل يقصر على النوابع والأذكياء الذين يختارهم مفتشون فنيون وتتولى الحكومة أمر الانفاق عليهم

ورفع مستوى معيشة الفلاح يكون بإنشاء القرى المثالية لنعطى القدوة لأرباب الضياع وأصحاب الأراضى ، وتوزيع أراضى الحكومة على الفلاحين وتعميم الإذاعة اللاسلكية والسينما ومستحدثات العلم والفن في القرية ، وتنظيم رحلات - على مثال قطار المفاجئات - لأبناء الريف ، وتعميم الجمعيات التعاونية
وواجب الطبقات المفكرة - الطلاب - أن تساهم في تثقيف الفلاح وتهذيبه

(٩)

الموضوع التاسع

استثمار نهضة المرأة للخير العام

وصل الى اللجنة موضوعات عددها ٧٣ وقد اطلع عليها الاعضاء، وعقدت اللجنة عدة جلسات، انتهت فيها الى الاتفاق على ما يأتى :

١ - تعتبر المباراة مسابقة تمنح فيها الجوائز لأحسن الموضوعات التى قدمت .

٢ - الموضوعات التى اختارتها اللجنة هى أحسن ما قدم اليها ، مع ملاحظة ضيق الوقت الذى ترك للمتسابقين .

٣ - ليس معنى اختيار اللجنة لهذه الموضوعات أنها تعبر عن آراء أعضائها .

٤ - تمنح الجائزة الأولى للآنسة سيزا نبراوى .
والجائزة الثانية للآنسة نور الهدى الحكيم .
والجائزة الثالثة لكل من السيدة احسان القوصى ، والآنسة ايفا حبيب المصرى

رئيس اللجنة

الاعضاء

(على الشمسى)

(مصطفى عبد الرازق) (طه حسين)

(درية فهمى) (محمد حسين هيكل)

القاهرة فى ٥ مايو سنة ١٩٣٦

(١)

رسالة (الآنسة) سيزا نبراوى

قامت المرأة بنهضة مباركة فى الهيئة الاجتماعية الحديثة ، نهضة هى لاشك من أهم عوامل الرقى والعدالة والانسانية ، فى هذا العالم الآخذ فى التجدد .

وسواء أكانت هذه النهضة بطيئة أم عاجلة ، فإنها شملت البلاد جميعها ، وهي تمثل قوة جديدة في نقطة الشعوب وتطلعها إلى الحرية والسعادة ، وتعتبر عن أعز أمانيا . ومثل هذه النهضة مثل منجم لم يستثمر بعد ، ولكنه غنى بكنوز دفينه ، كقيلة بغم البشر ، وان كانت ظلت مجحولة ، مدة طويلة ، من جراء استعباد المرأة في أثناء العصور الماضية .

وقد بقيت المرأة في منزلة القاصر عصوراً طويلة ، مقيدة بالقوانين والعادات والتقاليد ، ولم تتحرر من هذه المنزلة إلا بانتصار روح الديمقراطية في العالم . وكانت نتيجة اعلان حقوق الإنسان ، أثناء الثورة الفرنسية ، اذ طرحت مسألة المساواة بين الجنسين ، وحلت مشكلتها بالاعتراف بأحقية مبدئها ، فتلاشت ميزات الطبقات ، كما قضى على أفضلية الرجل على المرأة وأصبح الجنسان متساويان أمام القانون ، متعاونان في العمل على خير المجتمع ، وحق (سان سيمون) St. Simon أن يعبر عنهما «بالفرد الاجتماعى» .

وإذا كانت المرأة مساوية للرجل ، فهي غير بمائلة له ، تختلف عنه بنية وميولاً ، وتبين منه بصفات ومؤهلات خاصة ، يكتمل بها الرجل ، إذا أضيفت إليه ، وتسكفل بالاتفاق معه تعاوناً مجدياً من أوجه شتى ، فتتحقق بذلك نواميس التوازن والتناسق التى تنادى بتعاون شطرى البشرية .

ولاشك أن العالم القديم أخذ في الانقراض ، لأن أساس مدينته كان قائماً على أنظمة تنشعب بالأنانية ، والقوة الغاشمة ، وانا نعلل النفس بظهور عالم جديد تأخذ المرأة فيه المكانة التى هى أهل لها ، فيرتكز على دعائم قوية من العدالة الاجتماعية ، والسلم والوفاق .

فالمرأة لا تحتل العوارق التى تسبب الشقاء ، وتثور ضدها ، وهى حساسة قادرة على تفهم الآلام ، ومكان الشعور ، تدفعها عواطفها إلى مناصرة الضعفاء والمنكودين ، ومن وسهم الفقر أو الشقاء بطابعه الجبار . ويجد هؤلاء جميعاً ينبوعاً للتعزية والخلاص فى حنان الأم ، وشفقتها التى تفيض على جميع البؤساء . وهذه العواطف التى يضمها قلب المرأة - وقد لا يظفر بها قلب الرجل ، والتى تشرب بالمحبة والاحسان ونكران الذات - تبين لنا أهمية رسالتها فى الحياة العالمية ، إلا أن هذه الرسالة تظل ناقصة إذا كانت المرأة الجديدة لا تضيف ثمرات ثقافة قوية إلى الثروة الغالية التى تنطوى عليها نفسيتها .

ولهذا كانت نتيجة انتشار التعليم في الديار الغربية أن اتسع فيها نطاق الحركة النسائية ، ونضج ثمارها . وبما أن هذه الحركة قد أصبحت في أيامنا من أقوى العوامل لتهديب المجتمع وتحسينه ، فلا بدع إذا كانت جميع الشعوب الناهضة تتمشى على نمط التطور الحديث ، وتعترف للمرأة بالمكانة التي تستحقها في حركة النشاط العالمي .

وإن المباراة الحالية التي نظمتها الحكومة المصرية ، لمعرفة آراء نخبة القوم عندنا في المسائل الحيوية التي تهتم مصر ، هي أفصح اقرار منها بالأهمية التي تغلقها المقامات الرسمية على نهضة المرأة .

ولهذا فاني سأتناول ، من الوجهة المصرية خاصة ، بحث النواحي المختلفة التي تستطيع المرأة المصرية أن تترك فيها أثراً طيباً في مستقبل الوطن ، أو تؤدي فيها خدمة جليلة للخير العام .

أولاً - المرأة في الأسرة :

ففي الأسرة تكون وظيفة المرأة أقرب الى الطبيعة ، وأشد وقعاً ، وأقوى أثراً ، ولست أغالي إذا قلت : إن المرأة ، لما كانت مسئولة عن مستقبل ذويها وهنائهم ، يجب أن تكون تربيتهما وتعليمهما أوسع من تربية الرجل وتعليمه ، وأدق تنظيماً ، وإذا كانت أعباء الحياة المادية ملقاة أكثرها على عاتق الرجل ، فإن المرأة تتحمل وحدها أعباء أخرى ، أكثر دقة ، وهي المسؤولية الأدبية .

فالزوجة المثقفة المتعلمة هي التي تستطيع وحدها أن تكون بحق رفيقة زوجها ، إذ ليس الزواج عقد شركة فحسب بين شخصين أو منفعتين ، ولكنه أفضل من هذا صلة نفسانية وثيقة تجعل لحياتها غرضاً أسمى ومجنى أشرف .

فلا تكتفى المرأة المتعلمة بالاهتمام بشؤون زوجها ، وإسداء النصيح له ، ومساعدته في أعماله ، إذا اقتضت الضرورة ذلك ، بل أنها تكون له في ظروف حياته الصعبة ملجأً أديباً أميناً ، يلقي فيه السلوى والاطمئنان ، ويتزود منه بما يحتاج إليه من الشجاعة ، لمواصلة الجهاد .

وإذا كان أثر الزوجة في حياة زوجها لا يظهر أحياناً ، فإن أثر الأم أشد نفوذاً ، وأوضح مظهرأ في حياة ابنها ، فاليها يرجع الفضل في تكوين خلقه ونشأته الأولى ، وهو مدين لها في تكوين بنيته ، بما شملته من عنايتها منذ نعومة أظفاره .

ولا يتبها للمرأة التضلع بهذه المهمة السامية ، إلا إذا أحيطت بالاحترام ، وحيل

بينها وبين أهواء الرجل وتعسفه : فلا يطلقتها من غير سبب . أو يأتيها بشريكة أخرى شرعية ، ويسلبها جميع حقوقها ، وينذل كرامتها ، باعتبارها زوجة وربة منزل . فان المرأة إذ كانت معتزة بجميع حقوقها ، وبوافر كرامتها ، تستطيع أن تفرض نفوذها بهذا المثل الذى تضربه : مثل الفضيلة والاخلاص والتضحية . فيجب على المشرع الذى يريد أن يستثمر نهضة المرأة ، أن يضع قبل كل شيء نظام الحياة العائلية على أساس وطيء . ونعتقد أن الوسيلة الى ذلك تكون :

أولاً — بتحديد حق تعدد الزوجات فى بعض الأحوال التى لم يتحقق بها المحدى أغراض الزواج الأساسية ، (كحالتى العقم والمرض) .

ثانياً — تخويل القاضى دون سواه حق الطلاق بين الزوجين .

ثالثاً — إطالة مدة وصاية الأم المتعلمة ، فانها تكون دائماً أقدر من الرجل على تربية أولادها ، وهدايتهم إلى طريق الخير .

أما النساء الأميات الجاهلات فيجب على الدولة العناية بأمرهن : والعمل على رفع مستواهن العقلى والأدبى والمادى ، حتى يكون أثر تعليمهن فعالاً فى النشء الجديد ، فتختفى أو تقل بينهم مظاهر الخرافات والجهل والشقاء .

ونقترح للوصول إلى هذه الغاية ، إنشاء مدارس متنقلة فى الأرياف ، تعرض على العامة أشرطة سينمائية تهنيدية وتعليمية ، يستعان بها على تلقين الفلاحات مبادئ أولية فى العناية بالصحة ، وفى الآداب ، وعلى إعطائهن دروساً عملية فى التعليم الزراعى والتدبير المنزلى ، يستطيعن تطبيقها فى حياتهن وأعمالهن .

ثانياً - المرأة فى المدرسة :

كان من الجائز أن يحال بين المنزل والمدرسة ، وأن تنشأ الخصومة بين هاتين الناحيتين من الحياة الاجتماعية ، فى وقت كانت المرأة فيه محاطة بسياج من الجهل ، أما اليوم فلا محل لمثل هذه الخصومة ، ويجب أن تتعاون الأمهات مع الملمات والمدرسين ، وأن تصلهم جميعاً صلة وثيقة العرى .

ولنا نعتقد انه يجب ألا تقتصر وظيفة المرأة فى المدرسة على إخراج أكبر عدد من حاملى الشهادات ، اذ ليست هذه هى الغاية المرجوة ، بل يجب أن تعنى باضاعة ضمائر النشء وتعزيز ارادتهم .

وهذه الغاية لا تدرك بالتشدد فى تقييد حرية الأطفال ، وحملهم على الاحتذاء بشخصية واحدة ، بل انها تتحقق بتنمية مواهبهم ، وأفضل مؤهلاتهم ، فان المرأة

يفوق في الحياة . بضميره المستقيم وخلقته القوى النبيل ، أكثر منه بتعليمه .
تقوم وظيفة المرأة المربية ، على إعداد الأطفال لتقدير قيمة المعاني الروحية
التي تضع لحياته غاية ، وتدخل عليها الانشراح .

ولهذا نجد بالمرأة أن تطالب باصلاح جميع مناهج التعليم في مصر ، التي
وضعت على أساس نظري محض ، وبطريقة ميكانيكية ، فيما يختص بالنمو العقلي .
وعليها أن تنادي بتوجيه العناية الأولى في التعليم إلى تهذيب الأخلاق والارادة .
وإننا نرى أن تعليم الدين ودراسة اللغة من أقوى ما يساعد على تحقيق هذا الغرض .
ولهذا نقترح أن تكون العوامل الأدبية ، كالسلوك والخلق والشجاعة ، مفضلة
في الامتحانات ، إذا دعت الحاجة ، على العوامل العقلية ، كما هي الحال في ألمانيا
بعد النظام الهتلري .

ولا ينكر أحد ما للرياضة البدنية من تأثير محمود في تكوين الخلق ، فلم هذا أيضا
نطالب بتشجيع الرياضة البدنية ، وتعميمها في المدارس ، وخاصة في مدارس
البنات ، ونقترح انشاء معهد للتربية البدنية لاعداد أساتذة اخصائيين مدربين .
ويترأى لنا أيضا أنه ينبغي أن ينشأ ناد رياضي نسائي ، لالتزيب في الألعاب
الرياضية ونشرها ، وليكون منه حلقة اتصال وتضامن بين تلميذات المدارس
المختلفة .

ولما كانت السينما في أيامنا هذه ، وسيلة من أسهل وسائل النشر وأحبها إلى
الشبيبة ، فإننا نقترح على الحكومة أن تعفي من الرسوم الجمركية الاشرطة التي تحتوي
على فائدة علمية ، أو التي تمجد أشرف العواطف الانسانية ، وبهذا يستطيع مديرو
دور السينما تخصيص حفلات أسبوعية للشباب ، تعرض فيها الاشرطة التي من النوع
الذي ذكرناه .

وأخيرا نرى أن خير وسيلة لتحقيق أفضل خطة دراسية توافق حاجياتنا الجاضرة
هي عقد اجتماعات تهيئية (بياداجوجية) يحضرها المدرسون نساء ورجالا ،
ويشتركون في بسط ما استزادوه من العلم ، وما اقتبسوه من الخبرة . وقد
تصبح هذه الاجتماعات مع مرور الزمن جمعيات منظمة أو مؤتمرات .

ثالثا - المرأة في الهيئة الاجتماعية :

إذا نحن استثنينا طبقة محصورة من الأسر المصرية ، فقد نستطيع أن نؤكد
أن الهيئة الاجتماعية ظلت حتى أيامنا هذه منعدمة في مصر ، وظل الرجال منفصلين

عن النساء ، كل منهما منزويا في ناحيته ، وظلت أبواب الحفلات الرسمية مغلقة في وجوه السيدات ، وكانت هذه الحال سببا لاستمجان الأجانب لهن ، وموضع دهشتهم .

ويراءى لى أن حرمان المرأة من هذه المظاهر عادة يؤسف لها ، ولا تنفق مع نهضة البلاد الحديثة ، أما والحالة هذه فعلى المرأة المصرية نفسها أن تكون الهيئة الاجتماعية في مصر ، بما يفرضه مظهرها من نبل ، وبما توجه أعمالها من اعتدال والهام ، هذا إلى أن وجود المرأة في الهيئة الاجتماعية ، يدخل روحا جديدة في ناحيتين من نواحي الحياة الاجتماعية ، ناحية الجمال ، وناحية الخير والاحسان ، ويضعهما في مكانتهما الواجبة من هذه الحياة ، وبعبارة أوضح الفنون الأدبية والفنون الجميلة من جهة ، وأعمال البر والانسانية من جهة أخرى .

ولا يمكن أن يكون أثر المرأة في النهوض بهاتين الناحيتين أضعف من أثر الرجل ، لأن تفكيرها متشبع عادة بالذوق الفنى ، وبروح الجمال ، أكثر من تفكير الرجل ، ثم ان المرأة تميل بغريزتها إلى الشفقة . وكل هذا يدعونا إلى توجيه نظر الحكومة إلى المكانة الممتازة التي يجب أن تحتلها المرأة في كل ما يتعلق بنهضة الآداب والفنون (كالتمثيل والحفر والموسيقى) ، وإلى العناية بأشراكها في تأليف الجمعيات الخيرية ، وتنظيم كل الدعايات التي تعمل لتخفيف الآلام النفسانية ، والشقاء المادى ، وتعزيز المنكوبين .

وإذا اتفقنا على هذه النقاط الرئيسية ، فانا نعتقد أن من السهل وضع تفاصيلها . ومع هذا فانه يجدر بنا أن نبين مدى المهام التي يرجى للراة القيام بها في نواحي الآداب والفنون ، كالصحافة باعتبارها عاملا للنهوض بالمستوى الاجتماعى ، والمسرح والسينما والراديو بصفتها عناصر للتربية ، والفنون الجميلة ، والموسيقى بنوع خاص ، وهى التي نرجو أن تشملها عناية الحكومة ، وتنشئ لها معهدا يسمح للعنصر النسائى بالالتحاق فيه والتخرج منه .

أما فى الأعمال الخيرية فنكتفى بذكر بيان موجز من النواحي التي يمكن توجيه المرأة إليها . فهي تستطيع أن تصرف مجهودا كبيرا فى الأوقاف الخيرية ، وفى الجمعيات الخاصة بالهلل الأحر ، وفى ملاجئ الأطفال والعجزة واصلاحيات الأحداث ، ومحال رعاية الطفولة . وكلها مؤسسات تتطلب التفانى فى الاخلاص والشفقة من القائمين بأمرها ، ولهذا تفتقر إلى العنصر النسائى .

ولكى نـعـجـل حركـة تطـور الفـكـرة الاجتمـاعـية عـند المـرأة المـصـريـة ، نـقـتـر ح من أولـى الأمر أن يـنـتـخـبـوا أفضـل طـالـبـات مـعـهـد التـربـية ، وأكثـرهن شـفـقـة ، وأشدهن تعلقاً بحـب الخـير وارسـالهن فى بعـثة إلى بلاد أوربا لدراسة المؤسسات الاجتماعية وللعمل على تطبيـقها ، عـند عودتهـن ، على حاجات البلاد ، ويعهد اليهن بتنظيم مدرسة تكون مهمتها اعداد عاملات اجتماعيات مختصات بالعناية بجميع نواحي الخـير ، وبكل مامن شأنه مكافحة الرذيلة والشقاء .

٤ - المرأة فى حياة البلاد الاقتصادية :

كانت المرأة المصرية دائماً عاملاً كبيراً للإنتاج والاستهلاك فى حياة البلاد . وتزداد أهميتها كل يوم فى هذه الناحية ، تبعاً لنهضة البلاد الصناعية ، ومع هذا فإننا نعتقد أن انتاج العنصر النسائى فى الحياة العملية ، يربو بكثير عما هو عليه الآن لو أنه عنى برفع مستوى معيشة المرأة المادية ، وروعى تنظيم قوانين العمل وتحديد الأجور ، ووضع الوسائل الصحية على أساس أكثر ملائمة لها .

وإذا ذكرنا الفلاحات والعاملات ، فلا يجب أن ننسى نساء الطبقة المتوسطة ، اللاتي يضطررن الى العمل لاكتساب المعيشة ، وتحصيل الرزق . ولا ننسى أن المرأة تمتاز بطبيعة الاعتدال وقدرة الاحتمال ، وتشجع بروح النظام والدقة والصدق فى العمل ، وكل هذه الصفات تؤهلها لمزاولة حرف عديدة ، وتمكنها من بث روح النشاط فى الحياة الاقتصادية . ولهذا فإنه يجب أن تفتح لهذه الطبقة من النساء أبواب العمل الاقتصادى ، ونذكر منها على سبيل المثل ، وظائف البائعات والمحصلات فى المحال التجارية ، والعاملات فى مصلحة التليفون والكتابات والحاسبات .

ويمكننا أن نعتبر المرأة المصرية ، بصفاتها مستهلكة ، وسيلة أكبر أثراً من وسائل الحماية الجبركية ، لانماض الصناعات المصرية وحمايتها . ولهذا فإنها تستطيع أن تكون عاملاً من أكبر عوامل استقلال البلاد الاقتصادى . وانا نعتقد أن هذا الاستقلال مرتبط بتوازن توزيع الثروة ، ولهذا يجدر بنا أن نعمل على بث روح الاقتصاد والادخار بين طبقتى الأغنياء والمتوسطين من النساء ، ونستعين على ذلك بوسائل نذكر منها صناديق التوفير بالمصارف والبريد ، وشركات التأمين وغيرها ، وهذا مما يساعد كثيراً على تحرر مصر الاقتصادى ، وتنمية ثروتها .

٥ - المرأة في حياة البلاد السياسية :

لبيت المرأة المصرية نداء العاطفة الوطنية ، واشتركت اشتراكاً فعالاً في الحركة الوطنية ، وساهمت فيها بنصيب وافر ، قابلته الأحزاب جميعاً بالشناء والترحيب . وكان من الطبيعي أن نحفظ من هذا الاشتراك بنزعة سياسية ، إذ أن المرأة تكون نصف الأمة ، ويعنيها أن تهتم اهتماماً وثيقاً بكل ما يتعلق برقي البلاد ومستقبلها . على أننا لا نريد أن نخدو في هذه الناحية خدو النساء في بعض البلاد الغربية ، ولا يظهر تأثير المرأة في الحركة السياسية إلا عن طريق خفي غير مباشر . وبقاء هذه الحالة ينذر بالخطورة ، إذ أن المرأة سوف لا تقدر واجباتها الوطنية حق قدرها ، إلا إذا أُلقيت المسؤولية عليها أيضاً، ومن رأينا أنه يجب أن تشترك المرأة مع الرجل في حق الانتخاب، ولو اشترط ، في أول الأمر، أن يقتصر منح هذا الحق على بعض الفئات ، كالحائزات على الشهادات الدراسية ، ومديرات الجمعيات الخيرية والاجتماعية ، أو مؤسساتها ، وصاحبات الأملاك .

ومن الظلم الفاحش ألا تشترك المرأة المتعلمة ، أو الغنية ، في سن القوانين التي تخضع لها ، وألا يكون لها حق المراقبة على أموال الدولة ، التي تساهم في دفعها ، بينما الجبهة والفقراء من الرجال ، تتمتع بهذه الحقوق .

ولا ينبغي أن يكون تدخل المرأة في السياسة ، وسيلة تجعلها هدفاً لمشادة الأحزاب ومطامعها ، إذ يجب أن تكون على العكس بعيدة عن هذه المعارك ، وتجعل من تدخلها في السياسة عاملاً على بث الوفاق ، ووسيلة لتحقيق مشروعات القوانين المتعلقة برفع الثقافة ونهوض الحركة الفكرية ، وتحسين مستوى المعيشة ، وتفريج هموم الانسانية .

وسوف لا تألو المرأة جهداً بمجرد فوزها بحقوقها السياسية ، في سبيل العمل على اصلاح الهيئة الاجتماعية ، وزيادة نشاطها في هذه الناحية ، كما أوضحناه في الباب الثالث من هذه النبرة ، وهكذا تستطيع المرأة أن تنادي بسن مجموعة من القوانين ، لحماية الأسرة ، والمجتمع ، والدولة ، وتدافع عنها دفاعاً فعلياً .

وستكون العناية بتدريس التربية الوطنية ، في مدارس البنات ، أكبر الأثر في إعدادهن بالتدريج للقيام بمهمتهن السياسية على الوجه الأكمل .

٦ - المرأة في تقرب الدول :

تزداد حاجة الدول يوماً فيوماً إلى التضامن . حتى أصبح التقرب الدولي

ضرورة حيوية لكيان الشعوب ، أدبياً ومادياً . وعلى المرأة أن تتحمل نصيبها من المسؤولية في هذه المسائل العالمية الكبرى . وإذا كنا لا نخفى أنها لم تعد كالرجل لمواجهة هذه المسائل ، إلا أننا نقرر أنها تفوق عليه ، بعدم تسببها في نشوب الحروب ، وبما قاسته رغم ذلك من ويلاتها .

ثم إن الرجل يدافع بطبيعته عن قيمته الشخصية وعن قيمة الممتلكات المادية . أما المرأة فتحملها غريزتها على التعلق بالسلم ، فهي تدافع عن الحياة لأنها تقدر قيمتها ، والمرأة تشعر أمام المخاطر التي تهدد سلامة العالم كله وكيانه الذاق أن واجبها أصبح ملجأ ، وأن عليها أن تخرج من موقفها السلبي ، وتجعل من نفسها عنصراً للإصلاح والبناء .

وأن وظيفة المرأة في الحياة الاجتماعية ، كوالدة ومربية ، تهد لها السبيل خاصة لابقاظ الشعور الدولي ، وتوسيع نطاقه ، وتوطيد أركانه ، وللعمل على تحويل النظريات إلى حقائق حية ، بعد أن ظلت طويلاً جبراً على ورق . والمرأة ، ربة البيت وحارسة الأسرة ، كفيلة وحدها أن تقرب العالم كله ، وتجعل منه أسرة كبيرة متحدة .

يتناول البرنامج المسهب الذي وضعه الاتحاد النسائي المصري معظم المسائل الاجتماعية التي ذكرناها فيما سبق ، وهو يبسط أمام النشاط النسائي ، مجالاً فسيحاً ومتنوعاً بحيث يتسع لكل امرأة أن تظهر ما أحرزته من مواهب ومقدرة . وهذا الاتحاد يضم بين أعضائه نخبة المصريين المفكرين ، رجالاً ونساء ، فجدير بالشعبية النسائية أن تعاونه معاونة صادقة ، فهي مدينة له بقسط كبير من حسنات تحريرها . ولا يسعني أن أختتم هذه النبذة إلا بتقديم وافر الشاء الى وزارة صاحب الدولة على ماهر باشا ، التي خصصت المسائل الاجتماعية بأولى عنايتها والتي حققت رغباتنا فأنشأت مجلساً أعلى للإصلاح الاجتماعي .

ولست أدع هذه الفرصة تمر دون أن أبدى الرغبة في أن يشترك في أعمال هذا المجلس نخبة من سيداتنا ، اللواتي أظهرن فائق مقدرتهن ، في كثير من المسائل الاجتماعية والدولية ، حتى تستثمر الدولة مواهبهن للخير العام .

(٢)

ملخص رسالة

الآنسة نور الهدى الحكيم

بدأت الآنسة بحثها بكلمة عن تاريخ نشأة الأسرة ومكانتها في المجتمع ، وعرضت

لأنقسام الرأى فى التعليم النسوى ، واختلاف وجهات النظر فى بقاء المرأة فى البيت أو نزولها الى ميدان العمل ! ثم تحدثت عن تجاربها فى مدارس البنات ، ودراستها لنفس الفتاة المصرية ، ونظر الرجل الى المرأة العصرية الانيقة ، وأبانت ما ساقها اليه التطور .

ورأت أن الطريقة المثلى لاعداد وتربية الفتاة التى ننشدها لسعادة البيت ، مع الملاءة لروح التطور العصرى ، هى تثقيفها ثقافة نسوية راقية ، لالنعدها لمراحة الرجال ، ونصرفها عن تأدية وظيفتها الحقيقية ، وإنما لنساعددها على تنمية غرائزها والانتفاع بمواهبها وتهذيب أخلاقها وتهيئة نفسها للاضطلاع بالمسؤولية ، وإعدادها لأن تكون شريكة حياة للرجل ، وزوجا مخلصه ، وأما راقية صالحة ، ومربية قادرة ، ولا تتحقق هذه الأمانى إلا إذا روعى إعطاء كل فئة من الفئات العلوم التى تناسب عقليتها ، والثقافة التى تلائم بيئتها ، حتى لا يكون تعليمها وبالاعليها ومدعاة لغرورها وتمرداها .

وتجب العناية بذوات العاهات والشاذات الخلق والطباع ، كما يعنى بالمشاغل التى تعلم الفتيات طريقة تفصيل الملابس وخياطتها ، وتنشأ مدارس لتخريج مربيات مقننات مهنيات ، ومدارس أخرى لتعليم التدبير المنزلى بكل فروعها . وأهم ما فى المسألة ، تعليم الفتاة العصرية طريقة السياسة الزوجية وهى « المشكلة الكبرى » .

ورأت أن هذا كله لن يفيد مادامت الفتاة تمنح تلك الحرية العمياء التى تتيح لها الانقياد لنزعاتها الشيطانية وميولها الطائشة ، بل يجب أن يسيطر الآباء والأمهات والمربون على الفتيات ، ويتمهدوهن باللين والعنف ، ليحافظن على الآداب ، وأن يكون التعليم الدينى والخلقى هو الأساس الذى تشاد عليه ثقافة الفتاة وتعليمها وتهذيبها . وألا تبقى الملعبات والناظرات والمفتشات فى العمل متى تزوجن إلا فى ظروف استثنائية خاصة ، ويجب ألا تخلو أية هيئة من الهيئات التى لها مساس أو اتصال بشؤون المرأة . من واحدة أو أكثر من السيدات الممتازات لتمرص وجهة نظر المرأة .

وختمت حديثها بسررد بعض النواحي التى يمكن أن تستغل فيها النهضة الحالية للمرأة المصرية ، مثل تكوين جمعيات نسائية مختلفة لخدمة المجتمع . وإلقاء محاضرات علمية وأدبية واجتماعية ، واشتغال العالمات والأديبات بالصحافة والانتاج الأدبى .

ملخص رسالة

السيدة إحسان القوصى

ترى أن استثمار نهضة المرأة يقوم على تعاون ثلاث قوات :
جمهور المتعلقات ، والحكومة ، والشعب .

فواجب المتعلقات عقد مؤتمر نسائي تشترك فيه كافة الجمعيات النسائية ، ويدعى إليه أكبر عدد ممكن من فضليات السيدات والآنسات المتعلقات ، ليكون واسطة للتعارف وتوحيد الجهود ، ووضع الأسس لخطة عملية منتجة ، وتقرير الوسائل الكفيلة لعلاج نواحي النقص والضعف بعد أن تدرسها لجان خاصة تؤلف لدراسة كل ناحية من نواحي المسألة النسوية ، فتكون هناك لجنة لتحسين الصحة العامة ، وأخرى لمحاربة الخرافات ، وثالثة لتنظيم الاحسان ، ورابعة للشؤون القومية ، وخامسة لنشر الثقافة بين النساء ، وهكذا .

وضربت مثلاً للنقط التي تبحثها لجنة تخفيف وطأة البؤس ، وهى :

- ١ - تنظيم الاحسان .
 - ٢ - توفير وسائل العلاج للمرضى من الفقراء .
 - ٣ - تعليم الفقيرات صناعات تزيد في رزقهن .
 - ٤ - تحديد نسل الفقراء .
 - ٥ - الاكثار من الملاجىء للأطفال المتشردين .
 - ٦ - العناية بذوى العاهات .
 - ٧ - التأمين للجمال .
 - ٨ - الاكتفاء بخداء رخيص يوما في الشهر .
 - ٩ - إيجاد أما كن صحية للناقهين والضعفاء بأجور زهيدة .
- أما الحكومة فعليها أن تنفذ البرامج الأصلحية التي تضعها اللجان ويقرها المؤتمر ، وتعين بعض الموظفين إلى جانب المتطوعات لينتظم العمل ، ومساعدة فتيات الخدمة الاجتماعية بعونها ونفوذها .
- وعليها أيضا أن تعدل مناهج تعليم البنات بما يتفق وطبيعتهن ، وإيفاد بعثات لمدارس الخدمة العامة بأميركا لتساعد على تربية روح الخدمة العامة في الناشئات .

وأما واجب الجمهور فهو مساعدة العاملات مادياً وأدبياً والعطف عليهن وتشجيعهن بكل الوسائل، لأن المرأة في حاجة ماسة إلى تعضيد الرجل لها في نهضتها، وتعاونها معها لخير المجتمع

(٤)

ملخص رسالة

الآنسة إيفا حبيب المصرى

مهدت لحديثها بالقول بأن صرخة قاسم أمين كانت صرخة طبيعية اقتضاها الزمن، وأثمرت في الحركة الوطنية التي اشتركت المرأة فيها بدافع عميق من وجدانها، وتحطيماً لأغلال الظلم التي طوقتها منذ عدة قرون.

وبعد أن أرخت الحركة النسائية في مصر طالبات :

١ - بإعداد الفتاة لكي تكون أما وربة دار، وهذا هو الغرض الذي يجب أن يضعه القائمون بأمر تعليم الفتاة نصب عيونهم، في مختلف مراحل التعليم، ويهتدى ببرامج الكليات الانجليزية والأمريكية في ذلك، حيث تدرس الفتاة مشاكل الزواج، والتحليل النفسى للحياة الزوجية، ونفسية الرجل، ونفسية الطفل، وفن تنسيق المنزل، وعلوم التدبير المنزلى، والصحة، وتحسين النفس، والحياة والاجتماع.

٢ - باستثمار نهضة المرأة في مرافق الحياة العامة، كمدان الخدمة الاجتماعية، بعد أن تنشأ «معاهد العمل الاجتماعى» التي تعدها لذلك، والاستعانة بالنساء في التعليم والتمريض والزراعة، بعد إباحة التعليم الزراعى للفتاة المصرية.

وختمت بحثها بملاحظة «أن اليوم الذى لا يكون فيه التعليم العالى مجرد أداة للتوظيف، سواء بالنسبة للشبان أو للفتيات، قد آن أوانه، وأصبح التعليم العالى وسيلة للجهاد والمجادة في كل ميادين النشاط، فالفتاة التي تتعلم أصول الزراعة تصبح عنصر رقى مدهش، وربة بيت لا نظير لها في الحياة الريفية في مصر، وتعود إلى تذكيرنا بأن المصريين القدماء جعلوا للزراعة إلهة لا إله، وهى الالهة هاتور التي اتخذتها الجامعة أخيراً رمزا لكلية الزراعة».

الموضوع العاشر وضع نشيد وطني قومي

بعد اطلاع اللجنة على ما جاءها تحت اسم «النشيد القومي الوطني» من التجربات التي بلغت مائتين وستا وأربعين .
وبعد توفر كل من أعضائها على تدقيق النظر في كل منها .
وبعد اجتماعها خمس مرار ، لمواضعة الرأي فيما بدا لكل من أعضائها ،
بما يتصل بالجملة أو التفصيل في كل نشيد .

رأت أن الأغراض السامية التي يطلب اجتماعها في «النشيد القومي الوطني» لم يدركها ابتهاماً أحداً المتبارين ، على أن تلك الأغراض وجدت متفرقة ومبعثرة في مختلف التجربات التي قدمت ، وقد تحصل في ذهن اللجنة أن الأسباب التي تأت منها هذه الحال ربما لا تخرج عما يلي بيانه ، وهو : أولاً قصر المدة التي جعلت للمباراة ، وثانياً : أن الناظمين لم يبحثوا فيما تقدم وضعه من الأناشيد القومية الوطنية في الأمم التي أردنا مجاراتها في هذا المضمار ، ومن ثم لم تتبين لهم قواعدها وضوابطها ، وثالثاً : أن الأكثرين من المتبارين قد تغلب في فكرهم معنى التغنى بالمتدركات التي تنشط معها الهمم ، وتستفز النوازع ، وتتحرك الأقدام حركة سريعة متوازنة ، وهي مما يسمونه بالمارش ، على معنى تغنى الجماعات في كل مقام ، رسمي أو شعبي ، سلمى أو حربى ، سياسى أو اجتماعى ، بنغم سام وقور مهيب فياض بالحُب الصادق الحى للوطن ، وفي آن معا صادر عن مكان في النفس يسموه بنظرها إلى عزة الأمة وعظمة الوحدة القومية ، تتجلىان له متألقتين تألقا ساطعا بالمفاخرة القديمة والحديثة ، لا يشوب صفاءها أدنى أثر مما قد

يعتورهما من نقص أو وهن؛ إذ أن الأناشيد القومية لم تكن قط محلا
للارشاد أو لتصفية حساب الخلافات المذهبية أو الخصومات الداخلية
أيا كان نوعها، يضاف إلى ما تقدم من العلل أن فريقا من المتبارين لم يبال
حاجة الملحنين الموسيقي بوجه من الوجوه في تلامه بما لا يستطاع تقدير
نعم له يتمشى مع المقصود من كلمة «النشيد القومي الوطني» .

ولقد كان فيما طالعهنا نظم رصين يستحق الجوائز . في غير معرض
«النشيد القومي الوطني» . ومن الشعراء الذين دخلوا في المباراة أعلام لم تجمل
اللجنة مكانتهم من النفوق في الشعر، ولكنهم فيما حاولوه بهذه المنافسة
لم يبلغوا ما بلغوه هم أنفسهم من الاحسان في الأنواع الأخرى التي أجروا
فيها قرائحهم على السليقة فأجادوا ما أرادوا .

وقد لا حظت اللجنة أن أجود الأناشيد التي عرضت عليها لم تخل
من أبيات أو فقرات ضعيفة، بجانب أبيات أو فقرات جيدة . ولذلك
أخذت كل نشيد بمجموعه لا ببعض أجزائه .

على أن اللجنة لم تر حرمان المتبارين من الجوائز بالترتيب الذي
وضعتة الحكومة، لأن المباراة تستلزم بطبيعتها إعطاء الجوائز المقررة
للمتفوقين . من المتبارين، سواء أدركوا الغرض كله أم لم يدركوا إلا
بعضا منه .

وعلى ما تقدم قررت اللجنة :

الجائزة الأولى الأستاذ محمود محمد صادق

» الثانية » مصطفى صادق الرافعي

» الثالثة » محمد الهراوي

» الرابعة » محمد فضل اسماعيل

كتب في دار المطبوعات يوم الخميس ٣٠ ابريل سنة ١٩٣٦ رئيس اللجنة

(أحمد ماهر)

بعد أن أصدرت اللجنة قرارها هذا ، رأيت أن تتصل بالذين نالوا الجوائز ، وتبين لهم ملاحظاتهم على أناشيدهم ، توخيا لتقويمها ، عسى أن تتحقق بذلك الغاية المرغوب فيها .

(أحمد ماهر)

(١)

نشيد مصر القومي

للأستاذ محمود محمد صادق

.....

بلادي بلادي فداك دمي	وَهَبْتُ حَيَاتِي فِدَى فِلسْطِينِ
غَرَامُكَ أَوَّلُ مَا فِي الْفؤَادِ	وَنَجْوَاكِ آخِرُ مَا فِي فِي
سَأَهْتَفُ بِاسْمِكَ	مَا قَدْ حَيَّيْتُ
تَعِيشُ بِلَادِي	وَيَحْيَا الْوَطَنُ !!

...

غَرَامُكَ يَا مِصْرُ لَوْ تَعْلَمِينَ	قُصَارَى شَعُورِي دُنْيَا وَدِينِ
فِي حَيَاتِي أَوْفِيكَ مِمَّا نِي	وَحُبُّكَ آخِرَتِي وَالْيَقِينِ

...

حَيَاتُكَ يَا مِصْرُ فَوْقَ الْحَيَاةِ	وَصَوْتُكَ يَا مِصْرُ وَحْيُ الْإِلَهِ
تَعَالَيْتِ يَا مِصْرُ مِنْ مَوْطِنِ	عَلَى الدَّهْرِ يَبْقَى وَتَفْنِي عِدَاهُ

...

لَكَ الْمَجْدُ مَعْجَزَةُ الْأَوَّلِينَ	وَمَا زَالَ تَأْجُكُ فَوْقَ الْجَبِينِ
---	--

فَتِيهِي بِمَجْدِكَ فَوْقَ الْوُجُودِ وَ مَدَى اللّوَاءِ عَلَى الْعَالَمِينَ

مَا أُرْ مَجْدِكَ تَحْتَ الثَّرَى تَشِيدُ بِذِكْرِكَ بَيْنَ الْوَرَى
وَهَذِي فَتَوْحِكَ فِي الْمَشْرِقِينَ تَعَالَتْ بِمَجْدِكَ فَوْقَ الذُّرَى

أَيَا مِصْرُ هَذَا لَوَاءُ الْهَرَمِ عَلَى النِّيلِ يَخْفِقُ مِنْذُ الْقَدَمِ
تَمْرٌ عَلَيْهِ جُيُوشُ الزَّمَانِ تَحِيَّيَ اللّوَاءُ أَ تَحِيَّيَ الْعَلَمِ

لَكَ الشَّرْقُ أَلْقَى زِمَامَ الْقِيَادِ فَنَعِمَ الزَّعَامَةُ بَيْنَ الْبِلَادِ
فَيَوْمًا حَمَلْتَ لَوَاءَ الْفَنُونِ وَيَوْمًا حَمَلْتَ لَوَاءَ الْجِهَادِ

يُظَلِّكَ عَرْشُ الْمَلِيكِ الْكَرِيمِ وَ تَرَعَاكَ عَيْنُ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ
أَلَسْتَ الْكِنَانَةَ فِي أَرْضِهِ وَمَوْعُودَ جَنَّتِهِ وَالنَّعِيمِ

بِلَادِي بِلَادِي إِذَا الْيَوْمُ جَاءَ وَ دَوَّى النَّدَاءُ وَحَقَّ الْفِدَاءُ
خَفِيَّ فِتَاكِ ! شَهِيدَ هَوَاكِ وَ قَوْلِي سَلَامًا عَلَى الْآوْفِيَاءِ

* * *

النشيد الوطني

للرحوم الأستاذ مصطفى صادق الرافعي

« نشيد الأمة الوطنية عزّة في السلم ،
« وقوة في الحرب »

هَامُّوا ، هَامُّوا لِمَجْدِ الزَّمَنِ	هُجَاةَ الْحَمَى ، يَا هُجَاةَ الْحَمَى
مُتُّ ، مُمُوتٌ ، وَيَمُحِيَا الْوَطَنُ	فَقَدْ صَرَخْتُ فِي الْعُرُوقِ الدِّمَا
هَامُّوا	هَامُّوا
لَتَرَمِ الصَّوْءَ آخِزٌ نِيرَانُهَا	لَتَتَدَوَّ السَّمَاوَاتُ فِي رَعْدِهَا
رَجَالَ الْبِلَادِ وَفَتَيَانِهَا	إِلَى عِزِّ مِصْرٍ ، إِلَى مَجْدِهَا
وَلَا عَاشَ فِي مِصْرَ مَنْ خَانَهَا	فَلَا عَاشَ مَنْ لَيْسَ مِنْ جُنْدِهَا
حَيَاةَ الْكِرَامِ وَمُوتَ الْكِرَامِ	مُتُّ وَنَحْيَا عَلَى عَهْدِهَا
.....	هُجَاةَ الْحَمَى ، يَا هُجَاةَ الْحَمَى

وَلَا عَاشَ مَنْ لَمْ يَعِشْ سَيِّدَا	بِلَادِي أَحْكَمِي وَأَمْلِكِي وَأَسْعِدِي
أَنَا لِبِلَادِي وَعَرْشِي فِدَا	بِحُرِّ دَمِي ، وَبِمَا فِي يَدِي
بِعِزَّةِ شَعْبِكَ طَوْلَ الْمَدَى	لَكَ الْمَجْدُ يَا مِصْرُ ، فَاسْتَمْجِدِي
وَتُوبَ أَسْوَدُكَ يَوْمَ الصَّدَامِ	وَنَحْنُ أَسْوَدُ الْوَعْدِ ، فَاشْهَدِي
.....	هُجَاةَ الْحَمَى ، يَا هُجَاةَ الْحَمَى

وَرثْنَا سِوَاعِدَ بَنِي الْهَرَمِ	صُخُورًا ، صُخُورًا كَهَذَا الْبِنَا
سِوَاعِدُ يَعْتَرُ فِيهَا الْعَلَمُ	نُبَاهِي بِهِ ، وَيُبَاهِي بِنَا
وَفِيهَا كِفَاءُ الْعُلَى وَالْهَمَمِ	وَفِيهَا ضَمَانٌ لِنَيْلِ الْمَنَى
وَفِيهَا لِأَعْدَاءِ مِصْرَ النِّقَمِ	وَفِيهَا لِمَنْ سَالَمُونَا السَّلَامُ
حُمَاةَ الْحَمِي ، يَا حُمَاةَ الْحَمِي	هَامُّوْا ، هَامُّوْا ، لِمَجْدِ الزَّمَنِ
لَقَدْ صَرَخْتُ فِي الْعُرُوقِ الدِّمَا :	نَمُوتُ ، نَمُوتُ ، وَيَحْيَا الْوَطْنُ
هَامُّوْا	هَامُّوْا

(٣)

النشيد الوطني المصري

للأستاذ محمد الهراوي

- مصر للمصريين -

دَعَتْ مِصْرُ ، فَلَبِينَا كِرَامًا وَمِصْرُ لَنَا ، فَلَا نَدُخِ الزَّمَانَا
 قِيَامًا تَحْتَ رَايَتِهَا ، قِيَامًا أَمَامَكُمْ الْعُلَا ، فَأَمْضُوا أَمَانَا
 - الدعوة إلى المجد -

هُنَاكَ الْمَجْدُ يَدْعُوكُمْ ، فَهَبُوا وَلَيْسَ يَرُوعُكُمْ فِي الْمَجْدِ خَطْبُ
 لَعْمَرُ الْمَجْدِ مَا فِي الْمَجْدِ صَعْبُ تَرْدَى الذِّلَّ مِنْ يَخْشَى الْحَمَامَا
 - آثار مصر -

فَنَحْنُ أَوْلُو الْمَآثِرِ فِي الْعَصُورِ وَبَيْنَ يَدَيِ أَبِي الْهَوْلِ الْهَصُورِ
 وَفِي الْأَهْرَامِ ، أَوْفُوقَ الصُّخُورِ تَرَى آثَارَ أَيْدِينَا جِسْمَانَا

- راية مصر -

لنا مجدٌ على الدنيا تعالى بنسائه الله يومَ نبي الجبال
وسمائه برايتنا هلالاً ونشرها على الدنيا سلاماً

- مزايا المصريين -

لنا التاريخُ ، فياض المعاني لنا الأسرارُ معجزة البيان
لنا علمُ الأوائلِ في الزمان لنا الأخلاقُ ، نرعاهما ذماماً
- الذكرى والأمل -

لنا ذكرٌ ، مع الماضي ، مجيدٌ لنا أملٌ يجد بنينا ، بعيدٌ
كذلك مثاماً سُدنا نسود ونرفع فوق هائم النجم هماماً
- النيل ووفائه -

فيا وادي الكنانة لن تزولا وفيك النيل يجري سلسبيلاً
يطوف بمائه عرضاً وطولاً ويبسط فيضهُ عامماً فعاماً
- جمال الوادي -

بساطُك سندسٌ ، وثاراك تبرٌ وجوك مشرقٌ ، وشذاك عطرٌ ،
وتهرلك كوثرٌ ، وبنوك غرٌ أبوا في الله والوطن انقساماً

- المصريون وبلادهم -

فإن لم نستعز بمصرَ حولا ونبسط ظلمها صولا وطولا
وإن لم نحملها فالموتُ أولاً نعم : فالموتُ ، أو نحيا كراماً

- شعار المصريين -

نُعزُّ ضيوفنا ، ونقرُّ عيننا فلا نعدو ؛ ولا يسعدى علينا

فأما مسننا ضيمٌ . أَيْدِينَا وَتَذَكِّيْهَا عَلَى الْعَادَى ضِرَاماً
- فخر المستقبل -

فِيَابِنَ النَّيْلِ : هُزَّ لَوَاءَ مَصْرَا وَهَيَّءْ فِي النُّجُومِ لَهُ مَقْرَأَ
وَأَطْلِعْ بِالْهَلَالِ عَلَيْهِ فَجْرَا وَعِشْ فِي ظِلِّهِ الْعَالَى إِمَامَا

(٤)

النشيد الوطني القومي

للأستاذ محمد فضل اسماعيل

مَهْدُوا لِلْمَلِكِ أَبْرَاجَ السَّمَاءِ	وَارْفَعُوا فِي سَاحَةِ الْمَجْدِ اللُّوَاءَ
وَاسْمَعُوا مِنْ جَانِبِ النَّيْلِ النَّدَاءَ	مِصْرُ الْمِصْرِيِّ قَلْبٌ وَجَنَانُ
نَحْنُ أَبْنَاءُ الْأَلَى	طَاوَلُوا مُلْكَ الشَّهْبِ
قَدْ خَطَوْنَا لِلْعُلَا	فَوْقَ أَعْنَاقِ الْحَقْبِ
مَجْدَهَا بَاقٍ عَلَى مَرِّ الدَّهْوَرِ	خَلَدَتْهُ فِي حَنَائِيهَا الْعُصُورُ
فِي جَلَالِ نَاطِقِ بَيْنِ الصُّخُورِ	حَيْرَ الدُّنْيَا عَلَى مَرِّ الزَّمَانِ
نَحْنُ أَبْنَاءُ الْأَلَى النخ
لَا نَهَابُ الْمَوْتِ فَاَنْظُرْ يَا قَدْرُ	كَيْفَ لَا نَهْتَزُ يَوْمًا لِلْغَيْرِ
نَحْنُ شَعْبٌ مِلُّهُ وَادِيهِ الْخَطَرُ	خَاضَ لِلْعُلِيَاءِ لُجَّ الْمُعَمَّعَانِ
نَحْنُ أَبْنَاءُ الْأَلَى النخ
قَدْ تَأَلَّفْنَا عَلَى حُبِّ الْبِلَادِ	فَانْطَلَقْنَا فِي مِيَادِنِ الْجِهَادِ

نُشْهَدُ الْأَرْضَيْنِ وَالسَّبْعَ الشَّدَادُ
نَحْنُ أَبْنَاءُ الْأَلَى

دِينَنَا فِي مَصْرَ مَوْفُورُ الْجَلَالُ
إِنَّمَا مَعْنَاهُ مُتَ يَوْمَ النُّضَالُ
نَحْنُ أَبْنَاءُ الْأَلَى

صَوْتُ مُنْفِيسٍ يَدْوَى كَالرُّعُودُ
فَابْتَنِينَا مِثْلَ بَنِيَانِ الْجُدُودُ
نَحْنُ أَبْنَاءُ الْأَلَى

فَاجْزِ يَا نَيْلُ بَوَادِيكَ الْأَمِينُ
تَاجَهُ فِي الدَّهْرِ وَضَاحُ الْجَبِينُ
نَحْنُ أَبْنَاءُ الْأَلَى

وَاسْقِنَا يَا نَيْلُ مِنْ نَبْعِ الْحَيَاةِ
يَسْتَمِيتُ الشَّعْبُ حُبًّا فِي عِلَاةِ
نَحْنُ أَبْنَاءُ الْأَلَى

حَوْلَكَ الْغَرُّ الْمِيَامِينُ السَّمَاحُ
فَاجْزِ يَا نَيْلُ وَفُضْ بَيْنَ الْبَطَاحُ
نَحْنُ أَبْنَاءُ الْأَلَى

قَدْ وَقَفْنَا فِي ثَبَاتٍ كَالْجِبَالِ
صَوْتُنَا يَمْلَأُ آذَانَ اللَّيَالِ

أَنَّ الْأَهْرَامَ عِزًّا لَا يُهَانُ
..... الخ

لَيْسَ مَعْنَاهُ صَلِيبٌ أَوْ هَالَالُ
بِئْسَ مَنْ يَحْيَا كَمَا يَحْيَا الْجَبَانُ
..... الخ

هَيِّئُوا لِلنَّيْلِ مَجْدًا فِي الْخُلُودِ
كَعْبَةٍ لِلنَّيْلِ فِي أَعْلَى مَكْنُ
..... الخ

إِنَّهُ وَحْيٌ مِنَ السَّحَرِ الْمُبِينِ
يَنْحَنِي فِي جَانِبِيهِ النَّيِّرَانُ
..... الخ

أَنْتَ الْأَوْطَانِ جَاهُ أَيْ جَاهُ
مِنْ شَبَابٍ أَوْ كَهُولٍ أَوْ حَسَانِ
..... الخ

يُدْفَعُونَ الضَّيْمَ مِنْ كُلِّ النُّوَّاحِ
أَنْتَ وَالْكَوْثَرُ فِيهَا تَوْءَمَانُ
..... الخ

فِي صَفُوفٍ صَدَّعَهَا صَعْبُ الْمَنَالِ
مَصْرُ لِلْمَصْرِيِّ عَاشَتْ فِي أَمَانِ

(الموضوع الحادى عشر)

سلامة الدولة فى حفظ الأمن والنظام واحترام القانون .
والبوليس - وهو من حراس القانون - صديق للشعب ،
ووجوب مساعدة الشعب له فى أداء واجباته

حضرة صاحب الدولة رئيس مجلس الوزراء ووزير الداخلية
أتشرف بأن أقدم لدولتكم التقرير الذى وضعناه بشأن المساراة
الصحفية فى الموضوع الحادى عشر .

وتفضلوا دولتكم بقبول فائق الاحترام ؟

فى يوم السبت ٢٦ من المحرم سنة ١٣٥٥
و ١٨ من ابريل سنة ١٩٣٦
رئيس اللجنة
(محمد بيب عطية)

قرار اللجنة

لما أذاع حضرة صاحب الدولة رئيس الحكومة فى الناس أمر المباراة
الصحفية . صدر رسالته بكلمات استظمرت ، فى ايجاز وقور ، الغاية التى قصد
اليها من هذا العمل الجليل ، فقال :

« إن الحكومة رأت أن تخصص من ناحيتها جوائز للمجيدىين ،
والمحسنين ، تنشيطاً للأقلام ، وإنارة للأفهام ، وإثارة ، للحماس العلمى ،
وإنهاضاً للبحث الأدبى ، وإطلاقاً للعنان العقلى ، وزيادة فى الانتاج الثقافى ،
وتوخياً للأصلاح الاجتماعى »

بهذه الكلمات الجامعة رسم دولته ، فى تواضع كريم ، دستوراً دقيقاً ،
تستهدى به لجان الاحتكام فى مهمة التقدير التى وليتها .
وقد كان علينا ، وقد وضحت الغاية وتكشف المرمى ، أن نخطو

الخطوة التالية . فتذاكرنا فيما عساه يكون عليه هيكل المقال النموذجي في الموضوع الذي خصص للجنة : وكان أن استوى لنا الرأي بأن الكتاب الذي يجيد حقاً في موضوعنا هو من يستعرض في جلاء ومنطق سليم : ارتباط سلامة الدولة وبقاء كيانه ، وارتفاع شأنها وتقدم أحوالها بانتشار الأمن والنظام فيها ، وباحترام القانون من شعبها ، يستعرض ذلك على وجه من البيان ، ينبه الغافل ، ويملك اليقين ، ويستحث الوجدان ، ويشير الوطنية الصادقة ، ويخضع الغرور ويهذب الزهو ، ويرد الجموح ، وينير البصيرة . وعندما يلتفت الكاتب إلى الشق الثاني من الموضوع ، ويتحدث عن البوليس ، صديق الشعب ، وما يجب له من معاونة برسم مهمة رجل السلطة العامة بمعناها المطلق ، من غير أن يتأثر بمصادقة حلولها في شبح لم يلبس لبوسها ولم يؤد أمانتها . ثم يستظهر نبيل هذه المهمة وما لها من معنى كريم ، ويوليها لذاتها كل ما لها من صفات ، فيضع نصب العيون غرضها وما تلاقيه دونه ، وفخارها وما تعانيه في سبيله . ويعطف في هذا المقام إلى المثل الأعلى لرجل البوليس ، فيخطه ناصعاً ، ويرسم الوسائل الصالحة لا نتاجه وبعث روحه في بلادنا . وعند ما يتحدث عن الشعب وواجبه نحو رمز النظام ورسول القانون ، يكشف ما خفى عن الكثيرين من أن رجل السلطة العامة إنما ينفذ القانون ولا يشرعه ، وأن عيب القانون لا ينصلح بعصيان من ينفذه ، بل لذلك سبل أخرى ، ويأتي في هذا المقام بما يقترحه من الوسائل التي ترفع بالشعب إلى ادراك هذه الحقائق ، وما يرتبط بها ، غير ساه عن واجب الكتاب ، مربى الشعب وناصحيه

رسمنا في وجداننا هذا الهيكل للمقال ، ثم عكفنا على مطالعة ما تقدم لنا من رسائل المتبارين ، ففجعنا ، في كثير منها أخطأ المعنى وانحرف عن

الغاية ، وجاء بعضها بليغا في أسلوبه، ولكنه رخوا في معانيه ؛ مشتت في مناحيه .

ولزم آخرون من الكتّابين بحوثا نظرية جامدة ليس فيها هداية ، ولا فيها ثمر ، ولم يرتح نظرنا الا إلى مقالين ، ولكن على قدر ، فأجمعنا رأينا على أن نجزي صاحبهما بعض الجزاء ؛ وليكن أيضا على قدر : بأن يمنحنا الجائزتين الثالثة والرابعة ، وهذان الفائزان هما حضرة الأستاذ محمود كامل المحامى ورئيس تحرير مجلتى الجامعة والقضاء المصرى (الثالثة) وحضرة على حلمى افندى مأمور مركز بيا (الرابعة)

أما قيمة الجائزتين الأولى والثانية فلعله من النصفة أن ترصد كلها لمن يضع مؤلفا فى الموضوع ، يعنى فيه بتحرى المراجع التى تناولت الشأن المبحوث ، مستخلصا ما هو منتج وهاد ، ثم يطرح مقترحاته مقرونة بحججها ودراستها ، موثقة بالمنطق السليم، والنظر الدقيق، والعلم الاجتماعى الشامل .

بهذا يفسح الجزاء لذوى الفضل النابهين ، وتجنّى البلاد ثمرة تفكير جدى، وبحث علمى، وجهد ثقافى باق على الزمان .
وليكن أجل ابراز المؤلف شهورا ستة مثلاً، يعلن فيما بعد متى تجرى، وترسم سنن المباراة فيه وما إليها من تفاصيل

الرئيس

(محمد بيب عطية)

الأعضاء

(عبد السلام الشاذلى) (سيد مصطفى)

(أمين سامى حسونه) (محمد عبد الله العربى)

يوم السبت ٢٦ من المحرم سنة ١٣٥٥

و ١٨ من ابريل سنة ١٩٣٦

رسالة الأستاذ محمود كامل

لم يشك واحد من شراح القانون العام في أن «النظام» ركن رئيسي من الأركان التي تتكون منها الدولة؛ بل إن هذا الركن ظاهر من التعاريف التقليدية التي تواتر شراح القانون الدستوري والقانون الإداري على تصدير كتبهم بها؛ ولعل التعريف الدارج هو تعريف بلانتشلي Bluntschli الذي يقول: (الدولة جماعة مستقلة من الأفراد المجتمعين الذين يعيشون بصفة مستمرة على أرض معينة بينهم طبقة حاكمة وطبقة محكومة) فعنصر «الحكم» في هذا التعريف يحمل بين طياته معنى خضوع الطبقة المحكومة للطبقة الحاكمة. كما أن تعريف الرئيس ولسن الذي صدر به كتابه (الدولة) The State أكثر صراحة وجلاء في التعبير عن وجوب نهوض النظام والخضوع للقانون؛ إذ يقول إن الدولة (شعب خاضع للقانون يقطن أرضاً معينة)، أما هولاند، وهو أحد كبار شراح القانون الإداري أيضاً، فيغلو في الإشادة بوجوب ذلك النظام. إذ يقول إن الدولة (جماعة كبيرة من الناس تحتل عادة بقعة معينة من الأرض تسود فيها آراء الغالبية، أو إرادة طبقة خاصة بقوة تلك الغالبية أو الطبقة؛ سيادة تسيطر على كل من يخالفها).

والواقع أننا مهما استعرضنا الآراء المختلفة التي تكلمت عن أغراض الدولة، وعن الأفق الذي لا يتسنى للدول أن تتعداه، فأننا لانجد خلافاً في أن من واجبات الدولة الدفاع عن حرية الفرد ودرء الاعتداء عليه؛ وهو المعنى الموجز المقصود من التعبير البوليسي (حفظ الأمن والنظام)؛ فلو أننا تغاضينا عن النظرية الفوضوية التي دعا إليها برودون، والتي تنكر قيام الحكومات، والتي لم تجد إلى الآن إلا الاستنكار، سواء من الوجهة النظرية أو العملية؛ والتي يكفي لاثارة السخرية منها أنها تعتبر الملكية سرقة؛ مع أن الملكية هي أولى الأشياء التي وضعت القوانين للحفاظ عليها — إذا استعبدنا هذه النظرية لوجدنا أن هناك ثلاث نظريات تتحدث عن أغراض الدولة أولها النظرية (الفردية) التي تنادى بقصر عمل الحكومة في الدولة على النذر اليسير من الاختصاصات لا يعدو الذود عن حريات الأفراد ومنع الاعتداء عليهم كما قلنا؛ وثانيها النظرية (الاشتراكية) التي تنادى بوجوب زيادة تدخل الحكومة في جميع الأعمال التي يراوها الأفراد وشل يدهم عنها، ثم أخيراً النظرية (المتوسطة) التي تقف حيرى بين الاثنين.

ولقد كان هربرت سبنسر من أكثر دعاة النظرية الأولى تحمساً، ونظرة بسيطة إلى المبادئ التي دعا إليها في كتابه Social Statics and man versus the state. تكفي للايمان بأن واجب الحكومات الأول هو إقرار الأمن والنظام؛ لأنه علل قيام الحكومات ونسبه إلى (أثر الفرد وميله إلى الجريمة؛ فمن الخطأ الادعاء بضرورة وجود الحكومات أبداً؛ لأن الحكومات شيء عارض يجب أن يندثر بزوال السبب الذي دعا إلى وجودها)؛ ولست في حاجة إلى التذليل على ما في هذا القول من التناقض؛ فالجريمة لم تختف من أفق الإنسانية بعد ولا ينتظر أن تختفي؛ وحتى مع التسليم جدلاً بنظرية سبنسر؛ فإننا نجد أنفسنا أمام ضرورة تحتم قيام الحكومات لدرء أخطار أثر الفرد وأنايته وإيقاف ميله إلى الجريمة؛ وهما الأمران اللذان اعترف بهما سبنسر أكبر داعية من دعاة النظرية الفردية الأولى.

أما النظرية الاشتراكية، فهي صريحة الصراحة كلها في أن تضع الحكومة أذنها في كل شيء؛ وألا يقتصر ذلك على حفظ الأمن والنظام بل يتعداه إلى غيرها بما يزاوله عادة الأفراد.

بل إن شراح القانون العام استطاعوا أن يكونوا أكثر إيجازاً من ذلك كله عندما ذكروا «أن النظام هو قيام شرطة يخضع لها المجموع؛ فلو وجدت الأركان الأخرى وانعدم هذا الركن فلا دولة»؛ ولقد لخص الأستاذ مصطفى بك الصادق هذه الآراء في كتابه «مبادئ القانون الدستوري المصري والمقارن ص ٢٤»

والدولة إذ تباشر سلطاتها تستمد تلك السلطات من سيادتها؛ فهي تأمر الأفراد باسم الوطن، وتقضى فينفذ تضامها؛ ولو أدى ذلك إلى استعمال القوة؛ ولقد اعتاد الناس في فترات الانتقال بين الحكم المطلق والحكم الديمقراطي أن يكثروا من اثرة عن حقوق الأفراد؛ وهي الحقوق التي أعلنتها الثورة الفرنسية والتي عرفت باسم (إعلان حقوق الإنسان) والتي تصدر بها عادة الدساتير في كل أمة ويسهب شراح القوانين الدستورية في التعليقات عليها وإعطائها مسحة توهم رجل الشارع أن عمله في الحياة أصبح متمصراً على أن يطالب بحق دون أن يحس بواجب؛ وبديهي أن كل حق في الوجود يجب أن يتقابل به واجب على ذي الحق؛ كما يتحدث القانون الدستوري في أمة ما عن حق الفرد يتحدث الإداري فيها عن حق الحكومة وواجب الفرد نحوها.

ولقد أشار العلامة برجز Burges إلى ذلك الحق فذكر أنه «السلطة المطلقة التي لاحد لها على كل فرد وجماعة. وقد تو صف السلطة بأنها اسمية أو فعلية؛ فالسلطة

الاسمية هي تلك السلطة الوهمية التي يتمتع بها أصحاب التيجان ، فتصدر الأحكام باسمهم بغير أن يسمح لهم بالتدخل تدخلا فعليا في تسيير الأمور. إذ الذين يشمتعون بالسلطة الفعلية أشخاص آخرون .

ومن ذلك يتضح أنه سواء كانت تلك السلطة يباشرها ملك مستبد أو ملك ديموقراطي يباشر سلطانه بواسطة حكومته فإن هناك حقا لذوى السلطة في أن يفرضوا إرادتهم على الطبقة المحكومة. وإن على هذه الطبقة احترام تلك الإرادة . ولا شك أن أكثر ما أفسد عقلية الجمهور في مصر هي الثروة المستمرة والطمطنة حول حقوق الأفراد وقوة الرأي العام ووجوب خضوع الحكومة لهذه القوة دون تفسير هذه النظريات تفسيراً علمياً هادئاً. ودون اقترانها على الدوام عند عرضها بما يقابلها من وجوب خضوع هذا الجمهور للحكومة عند مباشرتها لسلطاتها الشرعية، بل يخيّل إلى أن الكثيرين ممن تصدوا لتزعم الحملات الصحفية على الحكومات المتعاقبة منذ إعلان الدستور في مصر عام ١٩٢٣ كانوا منقادين — دون أن يحسوا — إلى الأخذ بنظرية بالية من النظريات التي عفا عليها الفقه الإداري الحديث ، وهي نظرية جان جاك روسو المعروفة باسم العقد الاجتماعي Le Contrat Social فهذه النظرية التي أصبحت لا تعدو أن تكون حفرة قديمة من حفريات ذلك الفقه كانت تتوهم بأن سيادة الدولة وسلطانها للإرادة العامة Volonte Generale أى لمجموع الشعب والجمهور الناضجين؛ ولكن هذه النظرية انهارت على أثر الحملات المتوالية التي كان قوامها بأن السيادة يجب أن تكون لشخص معين أو جماعة معينة تدين لها غالبية الشعب بالطاعة ولا تدين هي لشخص أو جماعة أعلى منها. كما ذكر العلامة أوستن Austin

ولقد تعرض أستاذنا الدكتور محمد عبد الله العربي في كتابه (تعريف القانون الإداري ص ٨) إلى تلك التفرقة بين القانونين الدستوري والإداري وذكر (أن كلاهما يحدد علاقات الدولة بأفراد الرعية) ، غير أن هذا التحديد مختلف للغاية في كل منهما ، فالدستور يعنى على الأخص ببيان حقوق الأفراد والإداري يوجه أكثر اهتمامه إلى بيان الاختصاصات الحكومية وأثرها في تقييد حرية الأفراد ، ولذا قالوا إن القانون الدستوري يقرر حقوقاً والإداري يفرض واجبات .

والمظاهر الهامة لمباشرة الدولة لسلطاتها هو الفصل بين تلك السلطات. ولا شك أن أكثر السلطات اتصالاً بالشعب هي السلطة التنفيذية، التي يمثلها أثناء تنفيذها

للمختلف الفوانين واللوائح رجل البوليس ؛ فهذا الرجل مكلف بطبيعة عمله بأن يمنع الجريمة قبل وقوعها ؛ إذ يباشر اختصاص (البوليس المانع) ، وهو في مصر يباشر وظيفة أخرى وهي وظيفة (البوليس القضائي) إذ يحقق مع الخارجين على القانون .

وبما يدعو الى الاثم الشديد أن الظروف كلها اجتمعت على وضع سد منيع بين رجل البوليس ورجل الشارع في مصر ؛ سد من الكراهية والشماتة والتحدى ، فانهار المثل الأعلى الذي كان واجبا أن يسود العلاقة بينهما ؛ وهو قيام نوع من الصداقة توحى الى رجل البوليس بأنه إذ يؤدي وظيفته في منع الجريمة لا يرضى شهوة خاصة في التشكيل بمتهم معين ، وانما يدفع خطرا عاما عن المجموع الذي يعيش ذلك المتهم الشارع في جريمته بينه ؛ ولذا يقبض عليه بعد اتمام جريمته ويجرى حكم القانون فيه انما ينفذ ذلك القانون دون أن تكون للشماتة أثر أثناء أدائه لذلك العمل .

وإذا نحن رجعنا الى العلة الحقيقية في قيام ذلك السد المقيت بين رجل البوليس ورجل الشارع لوجدنا أنها علة نفسية (سيكولوجية) ، فرجل البوليس الحالي في مصر إذا كان جنديا عاديا يختار من طبقة تعتبر من أحط الطبقات المصرية ولقد ذكر اللورد كرومر في صفحة ٥٠ من تقريره عن عام ١٩٠٤ (ان أفقر أفراد الشعب هم الذين لا يستطيعون دفع البدل وهو عشرون جنيها وعلى ذلك فوظائف البوليس في الأرياف يشغلها أفراد من أحط أفراد الشعب وهؤلاء يطلب منهم تنفيذ القانون وأن يعيشوا هم وأفراد أسرهم براتب شهري قدره جنيه واحد) ، ولا شك أن هذه حقيقة مؤلمة ؛ فظهر السلطة التنفيذية هو ذلك الرجل ذو الأزرار الالامعة الذي يقف أثناء النهار والليل يمثل هيمة القانون وينفذ أوامر رؤسائه وهو رجل مغبون ساخط على حياته متبرم به يريد أن يفرج كرتبه بالسخط على الناس والتشكيل بهم ليحقق حالة من حالات (التعويض) Compensation التي تحدث عنها فرويد أثناء شرح نظريته عن علم النفس الحديث ؛ وإذا كان ضابطا فهو الآخر يحيا أثناء عمله في القسم حياة عسكرية تخضعه لنوع من الرئاسة الصارمة التي تتحكم في طريقة مشيته وفي أسلوب حديثه ، وأحيانا في حياته الخاصة ؛ ولذا لا يكاد يتبين من نفسه السيطرة على أفراد الشعب حتى يحقق تلك الحالة نفسها من الحالات النفسية الحادة ، وهي حالة « التعويض » ، تعويض الغبن والذلة تجاه رؤسائه باذلال من يقع تحت يده من لا يملكون حولا ولا طولا .

ولقد كانت هذه الحالة أكثر وضوحا قبل ادخال التعديل الأخير على نظام قبول

الطلبة بمدرسة البوليس، واشترط الحصول على شهادة البكالوريا، لأن الطلبة ما كانوا ليقبلوا الاندماج في تلك المدرسة إلا بعد يأسهم من متابعة دراساتهم العليا، وكانوا يتخرجون بعد بضعة أشهر يقضونها في تلك المدرسة فيقبلون على حياتهم البوليسية وفي عتولهم الباطنة Inconcient mind نوع من التمرد على الظروف التي أتاحت لغيرهم من زملائهم تربيع مراكر النيابة، والقضاء، والاشتغال بالطب أو المحاماة أو الهندسة، ووضعهم هم في ذلك العمل المرهق المتشابه ذي المرتب الضئيل، والذي تتحكم فيه رئاسة عسكرية عاتية، وسرعان ما يظهر أثر ما يوحى به ذلك العقل الباطن أثناء مباشرتهم لعلاقاتهم اليومية مع أفراد الشعب، ولا يكون هذا الأثر عادة إلا ستر الشعور بالنقص Inferiority complex بالتظاهر بالقوة والبطش أمام الأفراد الذين يتصلون بهم يوميا اتصال متهم بمحقق، والدليل على صحة ما أذهب إليه أنه بينما نجد الشكوى عامة من معاملة رجال البوليس للأفراد لا نجد لهذه الشكوى أثرا بالنسبة لمعاملة أعضاء النيابة لأولئك الأفراد، فأعضاء النيابة لا يعانون ذلك الشعور بالنقص، وهم بعد ليسوا في حاجة الى تحقيق تلك الحالة من حالات « التعويض » لأن الرئاسة في النيابة رئاسة أقدمية، وطول مران في العمل التحقيق، وعضو النيابة مهما صغر شأنه لا تتمن كرامته ولا يعامل من أكبر رؤسائه إلا معاملة الند للند، ولقد جرى العمل على أن يلقب عضو النيابة بمجرد بدئه العمل بلقب البيكوية، وهم مطمئنون تمام الاطمئنان الى مستقبلهم والى الضمانات التي تحيطهم أثناء أدائهم لعملهم أداء حرا .

فاذا عدنا إلى الاحساس الذي يختلج في صدر الفرد في مصر عندما تحتم عليه الظروف أن يدخل إلى قسم من أقسام البوليس، لوجدنا أن ذلك الاحساس لا يعدو أن يكون خوفه مما سوف يحدث له داخل القسم، وهذا الاحساس يشتد أحيانا الى حد الرهبة، وقد يصل الأمر ببعض المجنى عليهم الى تفضيل التنازل عن شكواهم خشية أن يلحقهم أذى اذا تقدموا الى البوليس بشكوى ! والفكر السائد أن لرجل البوليس الحق المطلق في حبس المتهمين حبسا احتياطيا على ذمة التحقيق في قضاياهم الى حين ارسالهم للنيابة، ولقد ساعد على رواج هذه الفكرة أن الكثيرين من رجال البوليس يقدمون عليها دون أن يجدوا رادعا يردعهم، مع أن اجماع شراح قانون تحقيق الجنايات على أن مأموري الضبطية القانونية لا يملكون سلطة الحبس الاحتياطي، ولقد ذكر أستاذنا احمد نشأت بك في صفحة ٩٦ من شرح قانون

تحقيق الجنايات فقرة ٥٩ (ان مأمور الضبطية القضائية في جميع الأحوال في القضايا المركزية وفي حالة الانتداب من النيابة وفي حالة انتلبس لا يملك الحبس الاحتياطي .

وانما حقه قاصر على القبض لا أكثر فاذا رأى أن قضية ما لظروفها الخاصة تستحق أن يصدر فيها أمر بحبس المتهم احتياطيا يجب عليه أن يرفع الأمر إلى النيابة) .

ولكن رجال البوليس بالتحايل على هذه الضمانة التي وضعها القانون لحماية حريات الأفراد، لجأوا إلى طريقة أصبحت تقليدية ، وهي طريقة وضع المتهمين في فناء المركز أو قسم البوليس الذي يعرف في الاصطلاح البوليسى باسم (الحجز) ولما أصبح هذا (الحجز) شبحا مخيفاً يرهبه الأفراد لأنه غير خاضع للسلطة التي يمنحها القانون لأعضاء النيابة في التفتيش على السجون المركزية فليس له دفتر خاص بتقيد فيه أسماء المسجونين حتى يمكن لأعضاء النيابة المفتش أن يشرف على استقامة الاجراءات التي اتخذت في الزج بأولئك الأفراد إلى السجن وأن يتبين تاريخ وضعهم فيه والتاريخ الذي يجب أن ينتهي عنده أمد اقامتهم به، وما يدعو إلى الأسف الشديد ان شكوى كثيرة قدمت بشأن وضع افراد داخل الحجز وتركهم أياماً طويلة وحقت بواسطة بعض أعضاء النيابة فلم ينته التحقيق فيها إلى نتيجة حرصا على الرغبة في عدم اثاره حادث incident بين وزارتي الداخلية والحقانية ، السر اذن في ذلك السد الذي يقوم بين رجل البوليس في مصر وبين الافراد هو الشعور بأن رجل البوليس لا يعتمد على القانون وحده في معاملتهم وانما يفتات على ذلك القانون ويتعدى حدوده ، والعلاج الوحيد هو إيجاد نوع من رجال البوليس يفهمون حقيقة رسالتهم فيها منطقيا سليما ، وإيجاد هذا النوع كما يقول اللورد كرومر في صفحة ٧٠ في تقريره عن عام ١٩٠٦ شيء (من أصعب الأمور وأشدّها تعقيداً لمن ينشد الإصلاح في مصر . . ففما يتعلق بالأخلاق والطبائع لا يمكن أن نتوقع من رجل البوليس المصري أن يكون في مستواه أرقى من مستوى البيئة التي نشأ فيها) .

ولعل خير تعبير عن عمل البوليس وحدود هذا العمل هو ما ذكره هوريو Hauriou في صفحة ٤٤٥ من كتابه (موجز القانون الإداري)
Precis du droit administratif

(ان اضطرابات الأمن العام عرض يتعود البوليس الى العمل كما تقوم الحمى بقيادة الطبيب . والبوليس كالمطبخ يستخدم كل الطرق التي تؤدي فقط إلى اختفاء تلك الأعراض) ، وقد عقب هوريو على ذلك بأن البوليس ليس من شأنه أن يتغلغل فيما هو أكثر من ذلك اذ يجب أن يقف عمله عند حد ازالة الأعراض التي تشكو منها بلدة ما ويكون مظهر هذه الشكوى اختلال في حالة الأمن العام .

ولقد اقترحت اللجنة التي سبق أن تألفت في وزارة الداخلية باسم لجنة اصلاح الأمن العام تقسيم البوليس المصرى إلى ثلاثة أقسام ، وهى : (١) البوليس القضائى الذى يتولى التحقيق فى جرائم القانون العام التي يرتكبها الافراد ، وقد أوصت اللجنة بوجوب اختيار افراده من حملة ليسانس الحقوق لكي يكون هذا النوع مطمئنا إلى كفاءته الشخصية أثناء مباشرته لعمله ، وفى تحقيق هذا الاقتراح انتفاء للعلة النفسية التي سبق أن أشرت إليها وهى علة شعور رجل البوليس الحالى بالنقص . . . نقص مرتبته الاجتماعية ونقص درجته الثقافية (٢) البوليس النظامى ، وقد أوصت اللجنة باختياره من خريجي المدرسة الحربية وهو البوليس الذى يقوم (بالدوريات) والذى يؤدي الجانب العسكرى من عمل مركز البوليس أو (القسم) واختياره من هذه الطبقة لن يثير رهبة الأفراد لأن اتصاله بهم سوف يقتصر على المحافظة عليهم من الأذى والاعتداء وسوف يغذى طمأنينتهم إلى أن مصيرهم عند ارتكابهم ما يخالف القانون الى رجال توفروا على دراسة القانون الذى كان ولا يزال وسوف يكون أبداً فكرة « مدنية » انسانية سامية لا أثر للعسكرية فيها (٣) البوليس (البلدى) ، وهو البوليس الذى يقوم أفراداه بتنفيذ اللوائح الخاصة بالمجالس البلدية والمحلية والقروية وليس لهذا النوع الثالث أهمية خاصة فى هذا البحث لأن الجرائم التي يرتكبها الأفراد عادة والتي ينتظر أن تقع فى اختصاص هذا البوليس تعتبر من المخالفات البسيطة التي لا يجوز فيها القبض ولا الحبس الاحتياطى .

أما فيما يختص بضمان مستقبل رجال البوليس القضائى الذى يهمننا فى هذا البحث غاية الأهمية - وهو أمر له خطورته فى حالة أداء ذلك البوليس لعمله - فقد تعرض لهم تقرير تلك اللجنة أيضا إذ أفسح الطريق أمام رجال البوليس القضائى الا كفاء لكي يختار منهم النائب العام من يشغل وظائف أعضاء النيابة . هذا فيما يختص بايجاد نوع جديد من رجال البوليس تتوفر فيه الثقافة القانونية الكافية والضمانة الخلقية التي تؤيدها بيئة الأسرة التي تمكنت مواردها المالية من الانفاق على ابنها

حتى أتم كل مراحل دراسته والاطمئنان الشخصى إلى مساواته الفكرية والاجتماعية بغيره من أرقى الطبقات المصرية .

أما فيما يختص بشعور الأفراد نحو رجل البوليس فإنه سوف يتغير ولا شك بحلول الطبقة المنشودة من رجال البوليس محل الطبقة الحالية وتغير الأوضاع التعسفية التي اعتادت الطبقة القديمة السير عليها في معاملة الأفراد، ولكنني يجب أن أضيف إلى أن التربية الحالية في مصر لا تمهد لايجاد الفرد الذي يحترم القانون لأنه واجب الاحترام، وهذا راجع ولا شك إلى نقص جوهرى في برامج الدراسة بمدارسنا ، فهذه البرامج تكاد تكون خالية من (التربية الوطنية) وهى مادة جوهرية يقوم عليها النظام البيداجوجى فى أرقى الأمم المتمدينة وقد عرفت فى انجلترا Citizenship وفى فرنسا باسم :

Instruction Civique وكانت قد أدخلت إلى نظام التعليم المصرى منذ بضعة أعوام ثم ألغيت ثم ترددت بين الابقاء والالغاء، ولكن الواقع المؤلم أن الكتب التي وضعت فيها باللغة العربية لم تف بتحقيق الغرض السامى المنشود منها . فالواجب التوافر على وضع عدد من الكتب فى التربية الوطنية يظهر للطلبة فى مختلف السنوات الدراسية بطريقة سهلة Vulgarise حق السلطة التنفيذية ممثلة فى رجل البوليس فى تطبيق القانون على الكبير والصغير ومدى هذا الحق وحق الفرد فى الشكوى من الاجراءات التي تتخذ ضده أمام الجهات المختصة بنظر تلك الشكوى، كما يجب تنظيم محاضرات عامة يقوم بها نفر من القانونيين الشبان يشرحون ، للعمال والفلاحين والذين لا تمسكهم ظروفهم من استيعاب المواد القانونية الجافة ، حقوق البوليس فى اتخاذ اجراءاته عند مخالفة الأفراد لواجباتهم أو ارتكابهم الجرائم المختلفة التي يعاقب عليها القانون العام، فهذا النوع من الشرح الدارج لمواد القانون تؤديه فى فرنسا كتب خاصة هى الكتب المعروفة باسم القانون الدارج Droit usuel ولكن انتشار الأمية فى مصر يجعل طبع مثل هذه الكتب عديم الفائدة .

ولا يمكننى أن أختم هذا البحث قبل أن أذكر عاملاً جوهرياً من العوامل التي يجب العمل على ايجادها، لتوطيد أو اصر الصداقة بين رجال البوليس والأفراد فى مصر، لأن الصداقة لا تكون إلا بين طرفين متعادلين فى الحقوق، فكما يجوز لرجل البوليس أن يقبض على الفرد إذا ضبط متلبساً بجريمة وأن يستصدر من النية

أمرا بحبسه احتياطيا وأن يذره متشردا أو مشبهوها، يجب أن يجاز للفرد أن يعترض على ذلك أمام هيئة تسمع اعتراضه وتنصف له إذا كان هناك محل للانتصاف، وهذه الهيئة ولا شك هي القضاء، والقضاة في النظام الحالي وطبقا للمادة ١٢٤ من الدستور (مستقلون لاسلطان عليهم في تضائهم لغير القانون وليس لاية سلطة في الحكومة التداخل في القضايا) وهم يحكمون ولا شك بوحى ضمائرهم، ولكنهم معرضون عند هبوب العواصف السياسية التي تدع لرجال البوليس مجالا للتعسف في إجراءات القبض والحبس الاحتياطي وعند إصدار أحكام لا توافق هوى السلطة التنفيذية التي يعمل رجال البوليس عادة بوحى منها — معرضون لقرارات النقل إلى جهات بغية أو الإحالة إلى المعاش، وقد ظلت المادة ١٢٧ من الدستور التي تنص على (عدم جواز عزل القضاة أو نقلهم بتعيين حدوده وكيفية بالقانون) مشاولة ومعرضة التوازن الواجب بين رجل البوليس ورجل الشارع للاضطراب إلى أن صدر القانون الأخير الخاص بضمان ذلك الاستقلال إلى حد ما، وفي رأيي أن هذا القانون خطوة موفقة نحو خلق جو من التفاهم الصالح بين رجال البوليس المصرى والأفراد، لأن الطرفين سيعلمان، عندما تقضى الظروف بالتقاءهما، أن هناك حكما لن يكون لغير كلمة القانون، وللقانون وحده سلطة عليه، وإن يخشى إذا قال هذه الكلمة أن يحل به مكروه ولقد أشار أستاذنا الدكتور العربى فى صفحة ١٤ من رسالته عن (الضمانات الدستورية) إلى كلمة العلامة جاكلان Gacquelin أستاذ القانون العام بجامعة باريس الرائعة (أن عدم جواز عزل القضاة شرط لاستقلال القضاة واستقلال القضاء علامة وجود سلطة منفصلة مستقلة إلى جانب السلطين التشريعية والتنفيذية) .



ملخص رسالة الأستاذ على حلمي

مهد لبحثه بأن الأمم تختلف رقياً ، وحضارة ، وأدناها إلى المدنية ، وأقربها من السكّال ، ما توافرت فيها أسباب الأمن والعدل والطمأنينة ، ولا يتيسر هذا على الوجه الأكمل إلا إذا تعاونت الأمة « حكومة وشعباً » على سلوك السبيل الموصل إلى هذه الغاية السامية ، فأدى كل منهما وظيفته ، فوظيفة الحكومة اتخاذ الوسائل العملية لاعطاء كل ذي حق حقه ، ودفع كل عدوان يقع على الأفراد أو الجماعات ، وتوجيه الشعب إلى سبل الحضارة والتهديب والرفاهية . ويتعاون على تحقيق هذه الغايات سلطات ثلاث : التشريع ، القضاء ، التنفيذ . غير أن السلطة التي تقوم بالقسط الأوفر هي الشرطة « البوليس » التي تتولى السهر على رعاية القانون والمحافظة على الأرواح والأعراض والأموال ودرء الحوادث الجنائية وكشف ما يقع منها ، فلذلك تنساق الأمم في الاهتمام بالبوليس ، وتعمل دائماً على توفير التعليم الفني والكفاية والمقدرة فيه ، وتزويد رجاله بالأخلاق الفاضلة ، وتحصينه بالضمانات التي تكفل له الطمأنينة في التمسك بالحق ، والاضطلاع بالتبعات دون خشية أو تردد، وبوازع من وحي الضمير والواجب . ولكي يتسنى لرجل البوليس أن ينهض بأعباء أعماله الخطيرة ، ويكون أهلاً للقيام بواجبه من حراسة القانون وصيانة الأمن وسلامة الدولة ، يجب أن يكون حائزاً للصفات الآتية :

الأخلاق فوق الكفاءة ، فخلق المرء دعامة مجده وأُس نجاحه ، وأن أقل انحراف من رجل البوليس عن جادة الاستقامة يجعله موضع سخط الناس ، ويكون سبباً في تشديد العقوبة عليه من ولادة الأمور .
الشجاعة والأقدام ، فإذا جبن عن القيام بواجبه بالجسارة والاقدام ، لحقه العار الدائم ، وتعرض للمحاكمة ، ونال العقاب الصارم ، بل قد يكون جنبه سبب هلاكه .

بذل المساعدة للجمهور ، فيلبي دعوته ، ويسعف المصاب ، وينقذ الغريق ، ويطفىء الحريق ، ويرشد الضال ، ويساعد الضعيف والصغير والمهرم .

بحسن التصرف ، فيتخذ في كل حالة ما يناسبها ، حازما في غير عنف ، ليناً في غير ضعف .

التأدب في الإجابة ، فيحسن الحديث مع الناس ، ويخاطبهم على قدر عقولهم ، دون أن يتوانى في أداء واجبه .

العدل وانصاف المظلوم ، فرجل البوليس قوى بالقانون ، يستطيع رد الحق المسلوب الى صاحبه ، قادر على إيقاف تيار الظلم ، فيجب أن يكون دائماً في جانب المظلومين ، فلا يؤثر فيه جاه أو ثروة أو نفوذ أو وساطة ، لأنه حارس القانون ، والكل أمام القانون سواء .

العمل على اكتساب ثقة الجمهور وتقديره ، فيجب أن يجعل نفسه موضع ثقة الجمهور ، خادماً له لاسيما عليه ، مع الاحتفاظ بكرامة منصبه ، ووقار وظيفته ، والاقتصار - فيما خول له من السلطة - على أداء الواجب دون ضجيج أو تحرش بأحد .

عدم الاكثار من مخالطة الجمهور ، فان ذلك خير لكرامته ، وأبقى لهيبته ، وأفضل لأداء وظيفته

النزاهة وعلو النفس ، فرجل البوليس - بماله من السلطان المباشر على الجمهور - أكثر الموظفين تعرضاً لتطلع الناس إلى رشوته ، فيجب أن يكبح جماح نفسه ، ولا يجعل للشيطان عليه سبيلاً

الصراحة ، فان مما يفقد ثقة الناس بالمرء أن يلجأ الى التعمية في حديثه ، فيمكر بمحدثه ، وليس أدعى الى الثقة به أن يتحلى بالصراحة في قوله ، فهي تبعث الاطمئنان في نفس السامع ، وانه ليس الرئيس أن يصارحه مرءوسه بما يقع منه من خطأ ، وقد تدعو الصراحة الى العفو أو تخفيف العقوبة .

الصدق وتنزيه النفس عن النفاق ، فالصدق منج ، والكذب مرد أداء الشهادة بصدق ، فعلى رجل البوليس أن يبتعد عن المبالغة في شهادته بذكر وقائع لم تحصل ، مؤملاً أن ينال بذلك فخراً أو يغضم شأنه ، فان ذلك مضیعة لثقة القضاء في شهادته

التمسك بالدين ، فان شخصاً يفرط في دينه لا يؤتمن ولا يوثق به الاخلاص لجلالة الملك ومحبة الوطن ، لجلالة الملك المعظم هو رمز الوطن ، وعنوان عظمته ، وولى نعمته ، والوطن هو الذى أظلمت سماؤه ، وروانا ماؤه ، وأنبت

لنا نباتا حسنا ، وثمرات طيبا

احترام الرؤساء والاحتفاظ بالكرامة ، فيجب أن يكون الاحترام مبعثه حب القيام بالواجب ، لا يصحبه ملق أو يشوبه رياء ، وألا يكون الباعث عليه مجرد نفوذ الرئيس وسلطانه ورغبة المرموس في الحظوة لديه .

الاعتماد على النفس ، فالرجل الكفء في عمله ، الكامل في خلقه ، يكون شفيعه دائما الاعتماد على ما يؤديه من عمل حسن ، ويربأ بنفسه عن الزلقى للرؤساء أو التوسط لديهم بالرجاء .

احترام القانون ، فرجل البوليس مكلف بحراسة القانون وتنفيذه على الجمهور ، وهو بذلك أولى الناس باتباعه واحترامه ، حتى يكون قدوة حسنة لغيره .

اتقان العمل والاخلاص فيه ، فيجب أن يعمل بوازع من وحي الضمير ، لارهوة من رئيس ، ولاخوف عقوبة ، فانه لا يضيع أجر من أحسن عملا .

فاذا ماتوافرت في رجل البوليس هذه الصفات ، علمت مكانته في النفوس ، وسملت مهمته ، ومهمة الحكومة من ورائه ، في الحكم الصالح المستقيم ، وحاز ثقة الشعب ومحبة واحترامه ، وكان بذلك صديقا له ، فتوثق الروابط بين الحكومة والشعب على أساس متين من العطف والحزم من جانب ، والثقة والاحترام من الجانب الآخر .

على أن هذا لا يتيسر للبوليس وحده من غير معاونة الجمهور له وقيامه بنصيبه من احترام القانون ، والانقياد له بسهولة ، عن طوعية ورغبة ، لاعتن خشية ورهبة ، ولا يتسنى ذلك إلا بتعليم الشعب وتهذيبه ، وغرس احترام القانون في نفسه وطاعة منفذيه ، ومعرفة ان القانون لم يوضع الا لخيرته ورخائه ، وان في طاعته للبوليس واعانتة له تحقيقا لمصلحته .

ثم تحدث عن الجمل السائد بين صف الضباط وعساكر البوليس ، ورأى أن هذا الجمل كثيرا ما يؤدي إلى سوء المعاملة والتحرش بالجمهور في تنفيذ أعمالهم ، واقترح اختيار عساكر البوليس من الشبان المتعلمين العاطلين ، لأنهم أليق الناس لهذا العمل الهام ، وهم على استعداد لخدمة بلادهم بالبوليس ، الذي هو من أشرف أعمال الدولة وأسمها ، وان رجال البوليس الأميين - إذا عادوا إلى بلادهم عقب الخدمة الاجبارية - كانوا أنفع الناس للزراعة والفلاحة بالحقول المصرية ، التي نشأوا فيها منذ نعومة أظفارهم .

وانقل إلى الكلام عن وسائل اعداد الجمهور للقيام بمعاونة البوليس ، فرأى أن
يعنى بما يأتى :

التعليم الالزامى ، فهو نواة النهضة العلمية ، وكلما انتشر التعليم ، بث روح
الفضيلة فى النفوس ، وباعد بين الجمهور وبين الرذيلة .

التربية الخلقية بجميع المدارس ، فيعود التلميذ منذ نشأته على التمسك بالأخلاق
الكريمة والشهامة والنخوة ، والاعتماد على النفس ، والاحتفاظ بمظاهر الرجولة ،
ومما يساعد على ذلك ، الاكثار من فرق الكشافة والجوالة ، والمران البدنى .

تنمية الوجدان الدينى ، فليس مثل تأثير الوازع الدينى فى نفس الشعب ، ويكون
ذلك بالاكثار من الوعاظ والمرشدين ، وتسهيل سبل انتقاظهم ، وتزويد خطباء
المساجد بالخطب العصرية الملائمة لتطورات الزمن ، وبلغة سهلة مفهومة لعامة
الشعب تغرس فى نفوسهم صفات الرحمة بالضعيف ، واغاثة الملهوف ، ونصرة
المظلوم ، والتسامح ، والعفو عند المقدرة ، ومحو غريزة الانتقام ، والترغيب فى
أداء الشهادة بالصدق ، والتحذير من الكذب وشهادة الزور

تنظيم الدعاية القومية ، فيعلم عامة الشعب فضيلة معاونة رجل البوليس واحترام
القانون ، وذلك بالاكثار من المحاضرات فى المجتمعات والمنتديات والمذياع ،
وعن طريق الصحافة ، وبواسطة التمثيل والسينما ، بلغة سهلة وبطرق مشوقة
ومرغبة .

تعميم الرياضة البدنية ، فهى - فوق تسميتها الجسم وتقويته - تكسب النفس
شجاعة واقداما ، وتعود الشخص حب النجدة والتفانى فى المحافظة على النظام
والطاعة واحترام المجموع ، والعمل لحيره وخدمة الوطن ومجده ، وتشغل النفوس
- وقت فراغها - عن المفاسد والتفكير فى الاجرام ، فيجب الاكثار من الجمعيات
والنوادى الرياضية ، ورعايتها وتجهيزها إلى عامة الشعب وطوائف العمال ، ومكافأة
المبرزين فيها ، وتشجيع الفروسية والتخطيط (المبارزة بالعصا) ولعب الكرة بأنواعها
فى بلاد الريف .

نم تكلم عن الجرائم التى تحدث تحت سمع الجمهور وبصره ، واحجام الشهود عن تأدية
الشهادة ، رهبة من الجانى ، وخشية من سطوته ، وعلل هذا بطول اجراءات المحاكم
الجنائية ، ومضى زمن طويل بين ارتكاب الجريمة والحكم فيها ، واقترح :
تبسيط اجراءات المحاكمة الجنائية ، فيشجع الجزاء السريع عامة الشعب على

عدم خشية الأشقياء : ومعاونة البوليس في الارشاد عنهم والشهادة ضدهم : ولا تتاح الفرصة للجاني وشيعته في اضعاف أدلة الاتهام : والتفريق لافلاته من يد العدالة ، ولا يدفع طول الزمن ذوى الشأن في الجناية إلى الانتقام بأنفسهم علنية القصاص ، ليكون في ذلك زجر للمجرمين ، وعبرة لأمثالهم من الآثمين . واختتم بحثه باقتراح مكافأة الغيورين والممتازين في خدمة المجموع ، وتشجيع كل من يمتاز في مساعدة البوليس تشجيعاً أدبياً ومادياً : فالأدبى يسكون بالاشادة بذكر من يتطوعون لمساعدة رجال البوليس في خدمة الأمن العام : ومنحهم أنواط الجدارة ، ونشر أخبارهم في الصحف السيارة والمجلات الأسبوعية ، والتحدث عنهم في المذياع ، وارسال كتب الشكر مكافأة لهم وتشجيعاً لغيرهم على الاقتداء بهم ، والتشجيع المادى يكون بمنح الجوائز والمكافآت المالية بسخاء ومن غير ابطاء ، حتى يكون لها الأثر المطلوب

والأمل كبير في الوصول إلى هذه الغاية السامية : وهى : سلامة الدولة وأمنها : فى المستقبل القريب ان شاء الله تعالى ، بما وضعه ولاية الأمور فى حكومتنا السنية - خصوصاً حضرة صاحب الدولة النابغة على ماهر باشا رئيس الوزراء - من أسس قوية ومشاريع نافعة ، لرقى الشعب واسعاده ، واصلاح أداة الحكم وانتظامها ، وتهذيب التشريع وتوحيد القضاء ، وترقية الشؤون الصحية ، والأحوال الاجتماعية ، والمرافق القروية ، والنهوض بالصحافة ، ونشر الثقافة

على ماهر باشا والجامعة

- « نشرت جريدة الدستور الغراء بعددها الصادر »
- « في صباح السبت ٢١ من شعبان سنة ١٣٥٧ - »
- « ١٥ من أكتوبر سنة ١٩٣٨ ، مقالا بهذا »
- « العنوان لحضرة الكاتب الأديب والنائب المحترم »
- « الأستاذ سعد اللبان ، فرأيت أن أجعله مسك »
- « الختام لهذا الكتاب ، لتناوله بعض ما عرضت له »
- « في بحثي الخاص بتاريخ حضرة صاحب المقام »
- « الرفيع على ماهر باشا ، وهما هو ذا نص المقال : »

لئن كان المغفور له المرحوم الملك فؤاد صاحب الرعاية البار والوصاية الكريمة على الجامعة المصرية ، في عهدها الأتلي والحكومي ، فقد كان له من سعة وقته ونظام حياته عند ما كان أميرا ما يسمح له بالاشراف العمل على الجامعة وإدارة شؤونها في عهدها الأول ، ولكنه بعد أن رقى عرش البلاد ، وأصبح في عهد جديد لا يباشر فيه شؤون البلاد، أهلية أو حكومية ، بنفسه، بل بواسطة وزرائه، ومن يشق بهم من كبار أئمة ، فان العناية الالهية قد اختارت لتنفيذ رغائبه الكريمة، وتحقيق أمانيه الطامية نحو الرقي بالجامعة المصرية، رجلا من خاصة أئمة ، وعظيما من عظماء شعبه ووزيرا من أحكم وأبرع وزراء دولته، هو حضرة صاحب « المعالي » على ماهر باشا وزير المعارف « سنة ١٩٢٥ » وهكذا وجدت مشيئة الملك الصالح السبيل لتحقيقها على يد وزير المعارف، تحقيقا مستثيرا لا يقف عند انشاء الكليات وحشد الطلاب والأساتذة فيها، ولكنه يتعدى كل ذلك إلى تنظيم الدراسات تنظيما عاليا، يستحق الوصف الجديد للتعليم الجامعي في مصر، بعد عهد الاستقلال واضطلال المصريين بشؤونهم الداخلية، ويصل إلى حد إيجاد جامعة عصرية تضم خير الأساتذة العالمين وأحسن الطلاب في جو جامعي يسود فيه روح التعاون العلمي والحرية الفكرية، متخطيا لتحقيق ذلك جميع الحواجز المالية والتعليمية، التي مهدها بصادق عزمه وقوة شكيمة حتى تمكن من انشاء الجامعة، بهذا لذلك خير تمهيد وأنفعه، بأعداد التلاميذ المصريين في المدارس إعدادا

كافيا للدراسات العالية ؛ فقد كان يرى أن انشاء الجامعة عمل ذو شقين ؛ الاول منها ؛ اصلاح مراحل التعليم المصرى ، التى تسبق التعليم الجامعى ، وتعديل مناهجه وخططه وأساليبه ؛ بحيث يصبح كفيلا باعداد الشاب المصرى للعمل فى الحياة ؛ وللتعليم الجامعى إذا ما أراد الاستزادة من العلم .

والشق الثانى : إيجاد جامعة مصرية تصل بالطلاب المصرى إلى أعلى مراتب التعليم فى فروع المختلفة ؛ لتعده للحياة العالية وهزولة الشؤون الكبرى فى البيئة المصرية العلمية ؛ وأدبية ؛ وصناعية ؛ واقتصادية ؛ وزراعية . . .

ولم يكن فى التراث العلمى الضئيل ، الذى خلفه لنا المحتلون فى ميدان التعليم ؛ ما يصلح أساساً لشيء من هذا كله ؛ فعمد إلى الناحيتين يعمل فيهما ليل نهار ؛ حتى استطاع ؛ بعد هذه الفترة الوجيزة التى قضاها فى وزارة المعارف ؛ أن يوجد لمصر مدارس مصرية ؛ تعد شبابها خير إعداد للتعليم الجامعى ؛ وجامعة مصرية ؛ تعد شبابها خير إعداد لمهام الأمور .

وإن المؤرخ المدقق ليجد هذه الظاهرة فى تاريخ التعليم فى مصر واضحة فى عمل المصلح الكبير على ماهر باشا فى صفحة سنة ١٩٢٥ من تاريخه المجيد ؛ فقد تولى « معاليه » وزارة المعارف ؛ وعقد التنازل عن الجامعة المصرية الأهلية المبرم بين مجلس إدارتها وبين الحكومة المصرية ؛ وطمور فى ملفات وزارة المعارف ؛ فأخرجته يده الفاحصة ؛ وتناولته بالتنفيذ ؛ فالتحقيق ؛ خلال فترة الصيف التى يقضيها شيره فى متعة وراحة واستجمام .

وما كاد يطلع العام الدراسى سنة ١٩٢٦ ؛ حتى كانت الجامعة بكلياتها المختلفة صروح علم عالية ؛ وإذا بهذه الوثيقة المهمة تصبح وثيقة مجد وشرف للبلاد أولاً ؛ ومجد وفخار للوزير الكبير ؛ الذى جعل من هذا الاتفاق المتواضع أساساً لحياة علمية باهرة لمصر وللشرق

كان « معاليه » قد أتم تنظيم برامج التعليم الابتدائى والثانوى على نمط جديد ؛ وضحه فى القرار الوزارى الذى أصدره بتشكيل اللجان التى اضطلعت بهذه المهمة تحت إشرافه ورياسته الفعلية ؛ فحدد الغرض من التعليم بأنه « تكوين المواطن المستنير والشاب السكفء للعمل فى الحياة باستقامة ونجاح » وأشاع فى برامج التعليم المختلفة الوسائل العلمية والعملية والرياضية والخلمية والاجتماعية التى تهيء لأدراك هذا الغرض ؛ مما لاعد لوزارة المعارف به من قبل ؛ كما عمد إلى تعليم

اللغات باعتبارها وسيلة للنجاح في الحياة العلمية والعملية، فنظم دراستها تنظيماً جديداً، وجعل من المحتتم على الطالب المصري دراسة لغتين أساسيتين هما الإنجليزية والفرنسية، ولغة ثالثة اختيارية هي الإيطالية أو الألمانية، وسوى البنات والولد في التعليم فأنشأ المدارس الثانوية للبنات، كما أنشأهن كلية خاصة لأعدادهن لوظيفة الأمومة على خير مثال، ولما انتهى من ذلك كله أراد أن يهيئ لشبابه الجديد ميدان التعليم الجامعي - وكان قد استصدر المرسوم الملكي بإنشاء الجامعة في ١١ مارس ١٩٢٥ - فعكف على تنظيم الجامعة الجديدة، فجاءه من مدرستي الحقوق والطب ومن بقايا كلية الآداب في الجامعة القديمة نواة لها، ثم أنشأ كلية العلوم، وعمد إلى تنظيم ذلك كله من جديد، فرتب الدراسات، ونوع فروعها، ووضع نظمها، وعمد إلى كل كلية من الكليات القديمة فأعاد تنظيمها ورتب من جديد دروسها ومناهجها، ثم اتجه بنظره إلى الأفق العلمي العالمي، فاستعان بنبذة من كبار الاختصاصيين في فنونهم المختلفة، وبذل الجهد في استقدامهم، وعهد إلى بعضهم في تنظيم الكليات، وإلى البعض الآخر في تولى الدراسة بها، ولم يحل دون تحقيق غرضه، في سبيل استعانة مصر بخبرة هؤلاء الأساتذة وعلمهم، ما كانوا يتمتعون به في بلادهم من مراكز علمية سامية، وما ينالونه من مرتبات كبيرة، فقد استطاع أن يحقق، بكل الوسائل الدبلوماسية والأدبية، الوصول إلى ذلك، رغم حرص جامعاتهم وحكوماتهم على الاحتفاظ بهم .

ومما يذكر في هذا الشأن أنه لم يخضع عند الاختيار لغير الشهرة العالمية والمكانة العلمية، ولم يراع في سبيل العلم أي مجاملة سياسية، مما أغضب المسيطرين على مصر في هذا الحين، لأن نصيب الأساتذة الانجليز من هذا الاختيار كان قليلاً جداً .

ومما يروى في هذه المناسبة للتاريخ، ويكشف عن الروح القومية الخالصة التي كان يعمل بها ماهر باشا عند إنشاء الجامعة « ويعمل بها دائماً »، أن مثل الدولة الانجليزية في ذلك الحين « لورد لويد » ذهب إلى المرحوم الملك فؤاد محتجاً على هذا، فطيب المرحوم الملك فؤاد خاطره قائلاً له :

« إن هذه الأساليب لا تجدى نفعا مع وزير معارفى، وإنه لا يمكن لإنسان أن يثنيه عن عمل يعتقد أنه في صالح بلاده » .

وهكذا برزت الجامعة المصرية إلى الوجود، يضيء جوها أساتذة من جميع الجنسيات لامتيازهم لهم إلا التفوق في فنونهم، ولم يسبق لجامعة أخرى أن ضمت إليها مثلهم كفاية وعلماء، يعاونهم فريق من شباب البلاد المثقف ثقيفاً عالياً في مصر وفي الخارج،

فكان ذلك المظهر أول مظاهر استقلال التعليم ، وتحريره من النفوذ والعقلية الإنجليزية في مصر .

ومما لا يعرفه إلا القليلون أن الحكومة الفرنسية « وقد كان عدد الأساتذة الفرنسيين في الجامعة كبيرا » عدت ذلك بجاملة وميلا للتعليم الفرنسي ، فأرادت على عادتها أن تقدم الوشاح الأكبر من نيشان اللاجيون دونير لوزير المعارف ماهر باشا ، باعتباره صديقا للثقافة الفرنسية ، فاعتذر بشدة عن هذا الاكرام قائلا : « لا نني انما أخدم مصر ، ولا أخدم فرنسا » ورفض ما عرض عليه ، فكتفت الحكومة الفرنسية بتقديم هدية أدبية له .

وإلى هنا ظفرت الجامعة بأمثال دينجي وجريجوار وهتوم وتكمول وجراى وغيرهم .

وفي مستهل العام الدراسي ١٩٢٥ - ١٩٢٦ افتتحت الجامعة المصرية أبوابها ، وقد كانت مشكلة الأماكن الدراسية من أصيب ما عرض لوزير المعارف ، ولكنه استطاع أن يبق كليه الطب في مكانها ، وكلية الحقوق في مكانها ، وأن يجعل مقر كليتي العلوم والآداب قصر الزعفران ، وأن يحمل الحكومة على تخصيص المال اللازم لإنشاء كليات الجامعة المختلفة في أرض الجيزة ، وأن تمنحها الفضاء اللازم لذلك ، والذي يتسع ، بجانب السكيات ، للإدارة العامة وقاعة الاحتفالات ، وملاعب الطلبة والمدينة الجامعية .

ومما يذكر في هذا المقام أنه احتاج قبيل إتمام مشروعاته الإصلاحية هذه ، التي لم يكلف من أجلها الخزنة العامة شيئا يذكر ، إلى ثمانين ألفاً من الجنيهات تقريبا . وعلم أن مجلس الوزراء يميل إلى عدم الموافقة عليه ، فدخل المجلس وفي جيبه كتاب استقالته ، وخير زملاءه بين قبول هذه الاستقالة أو الموافقة على الاعتماد المطلوب ، قائلا لهم : « إني لأفهم من عمل الوزير إلا أن يعمل ما يراه واجبا عليه لصالح بلده ، وإما أن يستقيل ، إذا لم يمكن من العمل ، فأتم بين أمرين ، إما الموافقة على الاعتماد كاملا ، وإما قبول هذه الاستقالة » فوافق المجلس على ما طلبه .

ومن العجيب أنه عندما احتفل بوضع حجر الأساس لأبنية الجامعة بعد استقالة ماهر باشا لم يدع لحضور حفلة الجامعة منشؤها الكبير ! !

ومما يتصل بالتعليم الجامعي ومجهود ماهر باشا في إيجاده ، أنه أنشأ مدرسة طب الأسنان ، لتكون متممة لكلية الطب ، وأعاد تنظيم مدرسة الهندسة تنظيما جديدا بادخال

أقسام جديدة عليها غير ما ألف المصريون من هندسة الري والبناء، وغادر وزارة المعارف، وهو أشد ما يكون أسفا على عدم تمكنه من إنشاء قسم الكيمياء الصناعية، التي هي أساس لكثير من الصناعات الكبرى في هذا العصر .

وإني إذ أذكر سنة ١٩٢٥ في تاريخ التعليم، تبرز في ذهني حقيقة لا أستطيع اغفالها: وهي أن كل إصلاح أراداه المصلحون بعد تلك السنة في دوائر التعليم المختلفة، وانتهوا إليه: إنما استمدوا أسسه وقواعده من بين دفتي تلك الملفات الثمينة التي تضمنت أبحاث ونتائج عمل ماهر باشا في وزارة المعارف، وقصر به الزمن عن تحقيقها

إن هذا الرجل الموهوب في تفكيره، وأساليبه، وخططه، لتغلب عليه صفتان: ميله الشديد إلى البيئة القانونية التي نشأ فيها، وعلة ذلك مفهومة بحكم التربية والثقافة، وميله الشديد إلى العناية بشؤون التعليم ومتابعة ما يبذل في سبيله من جهود، ولعل مرجع ذلك اعتقاده بأن كل مجد وطني مصدره المدرسة، وكل نهضة قومية تقوم على التربية الصحيحة والتعليم السليم .

وهذا يفسر اشتراكه الدائم في عضوية مجلس إدارة الجامعة، لم يتخل عن ذلك قط، بل إنه ليجد من وقته الضيق ما يسمح له بعضوية بعض اللجان الفرعية التي تؤلف لبحث شأن من الشؤون الجامعية، كتنظيم بعض السكيات، أو وضع بعض اللوائح الجامعية الإدارية أو المالية .

وإذا كانت آراء شباب الجامعة قد التقت في النهاية مع آراء عقلاء الأداة، واتفقت كلمتهم على تقدير أساليب الحكم النافع للبلاد، فقد كان المأدول دائما أن العلم يهدي أبناء إلى الحقيقة ويرشدهم إلى الصواب .

وإن جامعة تمتلئ رؤوس أبنائها بحب العلم، وتعمر قلوبهم بالاخلاص للوطن والعرش، لجديرة بهذا الاعزاز الذي تحوطها به البلاد، وهذا التكريم والتقدير الذي يتمتع بهما شبابها في جميع البيئات، وفي ذلك خير ترصية لتلك الجهود العزيرة التي بذلت في سبيل إنشاء الجامعة . والآمال العظيمة التي عقدت على شبابها ؟

فهرس

٣	الاهداء	١٧	على ماهر باشا وزير المالية
٥	كلمة المؤلف	١٧	على ماهر باشا وزير الحقانية
٧	نابنج عظيم	١٧	الانعام عليه برتبة الامتياز
٨	على ماهر باشا	١٧	اصلاحاته بوزارة الحقانية
٩	محمد ماهر باشا	١٨	استقالته من الوزارة
٩	بعض صفات على ماهر باشا	١٨	اعتذاره عن منصب وزير مصر
١٠	على ماهر التليد		المفوض بلندن
١١	على ماهر المحامى	١٨	رياسته للديوان العالى الملكى
١١	على ماهر القاضى		ووطنية
١٣	رياسته لادارة المجالس الحسبية	١٨	رياسته للوزارة
	وتنظيمها	١٨	نصر الامر الملكى
١٣	زعامة للدوطين وتنظيم حركة	١٩	جهوده الموافقة فى تأليف الهيئة
	إضرابهم وموقفه من المستشار		المصرية للمفاوضات
	القضائى	١٩	مرسوم تعيين الهيئة الرسمية
١٤	استقالته وتفرغه للسياسة واعتقاله	١٩	اصلاحاته الداخلية
١٤	على ماهر عضو الوفد المصرى	٢٠	كتابه إلى المغفور له جلالة الملك
١٥	جهوده النبيلة فى التوفيق بين أعضاء		فؤاد عن تعيين الهيئة الرسمية
	الوفد	٢١	كتابه إلى المندوب السامى عن
١٦	اعجاب المغفور له جلالة الملك		ضرورة حرية المفاوضات
	فؤاد بنضجه واتزانه	٢٣	كتاب رد المندوب السامى
١٦	عرض الوزارة عليه عام ١٩٢٢	٢٤	على ماهر باشا والصحافة والأدب
١٦	عضويته بليجنة الدستور ومواقفه		والثقافة
	فى جلساتها	٢٤	عنايته بالادارة والبوليس
١٧	على ماهر بك ناظر مدرسة الحقوق		واجتماعه بالمديرين والمحافظين
	ومؤلفه عن القانون الدولى العام	٢٥	خطابه فى المديرين والمحافظين
١٧	على ماهر بك وكيل وزارة	٢٦	توسيع سلطة المديرين والمحافظين
	المعارف وتعديله نظم التعليم		ووقايتهم من العزل الاستبدادى

٣٩	استقالة الوزارة
٣٩ هـ	كتاب الاستقالة
٤٠ هـ	قبول الاستقالة
٤٠	على ماهر باشا رئيس الديوان الملكي
٤٠	الانعام على مقامه الرفيع بقلادة
	فؤاد الأول
٤٠	خاتمة
٤١	دعاء وابتهاال
٤٢	مصادر التاريخ
٤٣	الصحافة في مائت يوم
٤٤	تمهيد
٤٥	تصريح على ماهر باشا عن نيته
	نحو الصحافة
٤٦	قانون المطبوعات
٥٣	مذكرته التفسيرية
٥٧	قانون نظام المحكوم عليهم في
	جرائم الصحافة
٥٩	مذكرته التفسيرية
٦١	عناية على ماهر باشا بتتقيف
	المشتغلين بالصحافة
٦١	خطابه في افتتاح موسم المحاضرات
	الصحفية
٦٥	كلمات الصحفيين
٦٥	كلمة سعادة الدكتور فارس نمر باشا
٦٥	«الاستاذ عبد القادر حمزة باشا»
٦٦	«الاستاذ احمد حافظ عوض بك»
٦٨	كلمة الاستاذ حسين فتوح بك
٦٨	قصيدة شاعر القطرين الاستاذ
	خليل مطران بك
٧٠	شكر وفد الصحافة

٣١	انشاء قلادة فؤاد الاول
٣١	نصيب الأزهر من جهوده
٣١	انشاء مجلس أعلى للإصلاح
	الاجتماعي
٣٢ هـ	الرئيس والأعضاء الذين يشكل
	منهم المجلس
٣٢	انشاء وزارة الصحة
٣٣	العمل على استقلال القضاء
٣٣	العناية بالتعليم ونشر الثقافة
٣٣	انشاء معهد فاروق
٣٤	انشاء مجلس أعلى للتعليم
٣٤ هـ	الرئيس والأعضاء الذين يتكون
	منهم المجلس
٣٥	الخبر بوفاة المغفور له جلالة
	الملك فؤاد وموقف على ماهر باشا
	الوطني المشرف المجيد
٣٦	إعلان وفاة المغفور له جلالة الملك
	فؤاد والمناداة بحضرة صاحب
	الجلالة الملك المحبوب «فاروق»
	الأول ملكا على مصر
٣٦	اعلان رشده حضرة صاحب الجلالة
	الملك المفدى «فاروق» الأول فيما
	يختص بجميع التصرفات المدنية
٣٦ هـ	وفاء على ماهر باشا
٣٧	قانون شروط توظيف الاجانب
٣٨	تسوية المسائل التي كانت معلقة
	بين مصر والحجاز
٣٨	العمل على إلغاء الامتياز المالي
٣٩	على ماهر باشا عضو مجلس الشيوخ

٧١- المحاضرات الصحفية	١١٥- ٤- اتجاهات الصحافة الحديثة،
٧٢- تدريس الصحافة في الجامعة	للاستاذ اميل زيدان بك
٧٢- برنامج أولى لمشروع مدرسة	١٢٤- ٥- صانعو الجريدة، للاستاذ
الصحافة والمحاضرات الصحفية	أنطون الجميل بك
٧٥- نظام جمعية الصحافة	١٢٣- ٦- الصور الهزلية والصحافة،
٧٦- مرسوم نظام جمعية الصحافة	للاستاذ سليمان فوزى
٨١- اعانة صندوق تعاون جمعية	١٤٣- ٧- المخترعات الحديثة في الصحافة،
الصحافة	للاستاذ فؤاد صروف
٨١- الامتيازات الصحفية	١٥٣- ٨- الأخطاء اللغوية الاصطلاحية
٨١- السلفيات الصناعية	والمطبعة، للاستاذ محمد مسعود بك
٨٢- تليفونات الصحف	١٦٤- ٩- تطور الصحف الأسبوعية،
٨٣- السفر بالسكك الحديدية	للاستاذ حسين شفيق المصرى
٨٣- الاعلانات الحكومية	١٧٤- خاتمة - موقف على ماهر باشا
٨٥- تذكار اشترابات الترام والسيارات	من الصحافة عام ١٩٢٢
٨٥- تعويض أصحاب الصحف	١٧٤- الصحافة بمحضر الجلسة ١٩ للجنة
٨٦- اقامة حفلات شاي للصحفيين	العامة لوضع الدستور
٨٦- تبادل الزيارات بين مصر والبلدان	١٧٧- الصحافة بمحضر الجلسة ٢٤
الشرقية	١٨٢- الصحافة بمحضر الجلسة ٣٤
٨٧- ايجاد عنصر صحافى مثقف	١٨٣- الصحافة بمحضر الجلسة ٣٩
بالمطبوعات	١٨٤- الصحافة بمحضر الجلسة ٤٠
٨٧- الاخبار الصحفية الهامة	١٨٥- الادب في مائة يوم
٨٨- تبادل الفشرات	١٨٦- تمهيد وكلمة عن المباراة الصحفية
٨٨- المحاضرات الصحفية	١٨٧- اقتراح سعادة الدكتور حافظ
٨٨- ١- الصحافة المصرية - نظرة	عفيفى باشا عن اقامة مباريات
تاريخية ونظرة تحليلية، للاستاذ	نشوية
عبد القادر حمزة باشا	١٩٠- المباراة الصحفية الادبية
٩٨- ٢- مقام الصحافة المصرية في بلاد	١٩٠- بيان ادارة المطبوعات عن
العرب، للاستاذ أمين سعيد	عشرة موضوعات المباراة
١٠٦- ٣- رسالة الصحافة، للاستاذ	١٩١- بيان ادارة المطبوعات عن المباراة
محمود عزمى	وحضرات رؤساء لجان التحكيم.

التاسع « استثمار نهضة المرأة
للخير العام »

٤٢٣ رسالة السيدة سيزا نبراوى

٤٣١ ملخص رسالة الآنسة نورا الهدى
الحكيم

٤٣٣ ملخص رسالة السيدة احسان
القوصى

٤٣٤ ملخص رسالة الآنسة ايها حبيب
المصرى

٤٣٥ قرار لجنة التحكيم فى الموضوع
العاشر « وضع نشيد وطنى قومى »

٤٣٧ النشيد الاول للأستاذ محمود
محمد صادق

٤٣٩ النشيد الثانى للمرحوم الأستاذ
مصطفى صادق الرافعى

٤٤٠ النشيد الثالث للأستاذ محمد أهرأوى

٤٤٢ « الرابع » محمد فضل اسماعيل

٤٤٤ قرار لجنة التحكيم فى الموضوع

الحادى عشر « سلامة الدولة فى

حفظ الأمن والنظام واحترام

القانون : . الخ »

٤٤٧ رسالة الأستاذ محمود كامل

٤٥٦ ملخص رسالة الأستاذ على حلى

٤٦١ على ماهر باشا والجامعة

٣٩٣ ملخص رسالة الآنسة ايريس
حبيب المصرى

٣٩٤ قرار لجنة التحكيم فى الموضوع

السادس « عدة النجاح لرجل

القرن العشرين »

٣٩٥ رسالة الأستاذ محمد ثابت الفندى

٤٠٦ ملخص رسالة الأستاذ حسين
مؤنس

٤٠٩ ملخص رسالة الأستاذ فهد
حبشى

٤١٠ قرار لجنة التحكيم فى الموضوع

السابع « تدعيم الحياة الدستورية

والوحدة الوطنية وتكوين الوطنى

المستنير »

٤١٠ قرار لجنة التحكيم فى الموضوع

الثامن « ترقية الفلاح اجتماعيا »

٤١١ رسالة الآنسة ابنة الشاطىء

٤١٩ ملخص رسالة الأستاذ عبد الوارث

كبير

٤٢٠ ملخص رسالة الأستاذ عزيز

خانكى بك

٤٢٢ ملخص رسالة الأستاذ يوسف

حلى

٤٢٣ قرار لجنة التحكيم فى الموضوع

